أدب وسينما وتقنيات الخيال العلمي

مهند النابلسي

الكتاب : أدب وسينما وتقنيات الخيال العلمي

المؤلف : مهند النابلسي

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٢٠

رقم الإيداع : ١٣٥٣٩ / ٢٠١٩

الترقيم الدولي : 2 - 685 - 493 - 977 - 978 : I.S.B.N

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٢٩٧٠٠٢٣٩ (٠٢) ، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net



أدب وسينما وتقنيات الخيال العلمي

مهند النابلسي

محتويات الكتاب

▪ القسم الأول : نماذج لأفلام سينمائية في الخيال العلمي

- شجرة الحياة لترانس ماليك ١٣
- سولو : قصة حرب النجوم ٢٠
- بين النجوم ١ لـ كريستوفر نولان ٢٨
- الجيداي الأخير ٣٢
- عداء النصل ٢٠٤٩ .... ٣٨
- اللاعب الجاهز الأول ٤٥
- نظرة جديدة لتحفة " جيمس كاكيرون " آفاتار ٤٩
- قصة حرب النجوم / روج ون ٥٣
- آلين - كوفننت / الفضائي - الميثاق ٦٢
- أبولو ١٨ .... ٦٩
- لوغان ٧٣
- الشيطان المقيم / ريسيدنت ايفيل ٧٦
- دراكولا " غير المروي " ٨١
- الملك آرثر : أسطورة السيف ٨٥
- كونغ / جزيرة الجمجمة ٩٠
- الرحلة النملة ٩٥
- أفلام ترفيهية / تجارية تحفل بالفنتازيا الكثيرة والقليل من الخيال العلمي ١٠٠

▪ القسم الثاني : مقالات ودراسات في أدب الخيال العلمي

- لماذا نحن كعرب نهمل هذا النمط من الأدب والفن ؟ ١١١
- نماذج للتطبيقات المحتملة في بعض أفلام الخيال العلمي ١١٧
- بحر النيتروجين ١٤٠
- الروبوتات الذكية يمكن أن تتسبب في فناء البشرية ١٤٢
- لنقلِّد طرائق إبداعهم ١٤٤
- أزهار الشر والضفادع المضللة ١٤٧
- مسبار فضائي أمريكي ومغامر فضائي نمساوي ١٥٠
- ومضات العقل البرَّاقة ١٥٣
- ١٠ حقائق لا تعرفها عن العقل البشري ١٥٩
- معلومات خاطئة نردِّدها عن الدماغ البشري ١٦١
- السينما و الفلسفة ١٦٤

▪ القسم الثالث : السينما الفلسفية

- أربعون نموذجًا لافتًا لأفلام فلسفية ١٧٥

١. الفيلم الإيراني " رائحة الكارفور... عطر الياسمين" ١٧٥
٢. " الممثلون" يتقمصون شخصياتهم ١٧٨
٣. " نبراسكا" : دراما كوميدية وشخصيات كرتونية ١٨٢
٤. الفيلم السويدي السائح " قوة قاهرة/ Force Majeure" ١٨٥
٥. في الطريق إلى الغابة ١٩٠

٦. عالم عارضات الأزياء ١٩٣

٧. هاري / الملاك القاتل : هيتشكوك بالنكهة الفرنسية ١٩٦

٨. أحلام "كوروساوا" الثمانية ١٩٩

٩. التواجد هناك ٢١٣

١٠. أن تصبح "جون مالكوفيتش" ٢١٦

١١. السينما اليابانية : معركة رويال وألعاب الجوع ٢١٩

١٢. مستر ريبلي الموهوب ٢٢٣

١٣. ماغنوليا ٢٢٦

١٤. الفيلم الفلسفي التسجيلي "لوميير و رفاقه" ٢٢٩

١٥. ماكبث ٢٣٤

١٦. المخرج شاندور بفيلمية المميزين : "النداء الهامشي" و "فقدان كل شيء" ٢٤٠

١٧. المثيل :كوميديا سوداء صادمة وذكية ٢٤٦

١٨. "ثيمة الدفن حيًّا" في ثلاثة أفلام أمريكية ٢٥٠

١٩. الناجي لـ"توم هانكس" ٢٥٤

٢٠. الفيلم الفرنسي التاريخي : الملكة مارغو ٢٥٧

٢١. الحواس الخمس ٢٦٠

٢٢. سندريلا ٢٦٦

٢٣. الفيلم الأرجنتيني La Antena ٢٧٠

٢٤. الفيلم السوفيتي الكوبي : "أنا كوبا" ٢٧٤

٢٥. الفيلم السويدي : "حمامة جلست فوق غصن تتأمل الوجود" ٢٧٧

٢٦. وداعًا يا بيتي الحبيب ٢٨١

٢٧. في الوقت / In Time ٢٨٥
٢٨. المستنسخون / Surrogates ٢٩١
٢٩. الفيلم الوثائقي التشيلي "الحنين إلى الضوء" ٢٩٦
٣٠. الفنان الكارثي / The Disaster Artist ٣٠١
٣١. الفيلم السوفيتي "هاملت" ٣٠٧
٣٢. الأمُ / Mother ٣١٢
٣٣. نداءات الوحش / مونستر كولز ٣١٩
٣٤. الفيلم التركي "حدث ذات مرة في الأناضول" ٣٢٣
٣٥. لا بلد للرجال العجائز ٣٢٦
٣٦. الفيلم الفرنسي "حدائق الخريف" ٣٢٩
٣٧. رصاصة الرأس / Bullet Head ٣٣٥
٣٨. "الصمت" لمارتن سكورسيزي ٣٤٠
٣٩. الخيوط الخفية / فانتوم ثريد ٣٤٤
٤٠. ثلاث لوحات إعلانية خارج ايبينغ ٣٥١

- **القسم الرابع: قصص في أدب الخيال العلمي**

- تماثل البشر والانتقال عبر المكان ٣٥٧
- العين الثالثة ٣٦٤
- سيناريو "العناكب الكاسرة" ٣٦٧
- وحوش فضائية ٣٧٢
- إنقاذ الكوكب ٣٧٦

- السفينة المجهولة ٣٧٨
- كبسولة القرن العشرين ٣٨١
- الروبـوت العـاطفـي ٣٨٤
- مسـوخ بشريـة ٣٩٣
- زهـرة النتـن ٣٩٨
- التخاطـر الـروحي ٤٠٠
- عـنـاق حميـم ٤٠٣
- الحرب بين ماكانا العظمى وراكانا الصغرى ٤٠٦
- رسالة عبر المجرات : الرقم ٥٥١ .... ٤١٧
- شاحنة الـموت ٤٣٨

■ القسم الخامس : قراءة في نماذج من كُتب الخيال العلمي

- لماذا ٢٠٨٤ / حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤ - لـ واسيني الأعرج ٤٤٣
- حرب الكلب الثانية - لـ إبراهيم نصر الله ٤٥٢
- ملخص إبداعي لكتاب " سينما الشعر " / لـ عبد الكريم قادري ٤٥٥

■ المؤلف في سطور ٤٧٠

القسم الأول

نماذج لأفلام سينمائية في الخيال العلمي

شجرة الحياة لترانس ماليك

ملحمة كونية جريئة للحب والفقدان والحنين

تحفة سينمائية فلسفية فريدة من نوعها



دراما غير تقليدية من بطولة شين بين ، براد بيت وجيسكا جاستين ، الفيلم المرشح للأوسكار الذي يسهب في وصف الحياة العائلية والعلاقات الشخصية لعائلة تكساسية متوسطة في ستينات القرن الماضي ، يندرج تحت مفهوم "سينما المؤلف التجريبية" ، حيث يفرض ماليك أجندته الكاملة على العمل الفني وربما يستعيد ذكرياته ، ويتعرض بمجاز مدهش لحياة رجل في منتصف العمر ، حيث تحدث خلال هذا السرد الحياتي التفصيلي تداخلات مذهلة تتناول أصل الكون وبدايات الحياة على كوكب الأرض.

وبعد سنوات مضنية من التحضير ، تمَّ أخيرًا عرض الفيلم في مهرجان كان ليفوز بالسعفة الذهبية. وقد تعرض هذا الشريط لمديح نقدي لافت ونال جوائز عديدة لطريقة استخدامه الفريدة للمؤثرات الفنية والسينمائية، ولتميز قصته العائلية الحافلة بالشغف والحب والفقدان والحنين، واندماجها أو تكاملها مع سياق سرد ملحمي لنشأة الكون ونهاية الحياة.

- تشكل العائلة وتشكل الكون!

في منتصف ستينات القرن الماضي تلقت مسز اوبريان تيليغرام يبلغها بمقتل ابنها ذي التسعة عشر ربيعًا أثناء خدمته العسكرية، حيث تعرضت الاسرة جراء هذا الخبر المأساوي للاضطراب والاهتياج، يتذكر جاك اوبريان (شين بين) تداعيات هذا الفقدان أثناء عمله كمهندس معماري في ناطحة سحاب مبهرة، وذلك عندما يشاهد زراعة شجرة أمام المبنى الذي يعمل فيه، حيث تتداعى ذكريات طفولته كشريط سينمائي تسجيلي أمام عينيه منذ أن كان مراهقًا خلال الستينات.

ثم يتشكَّل الكون، تتكون المجرات وتتباعد، وتنشأ الكواكب، أما في الأرض المشكَّلة حديثًا فتنفجر البراكين وتنشأ الميكروبات، ثم تتحارب الديناصورات لاحقًا بضراوة ودون هوادة من أجل البقاء، كما نشاهد مذنبات هائلة ترتطم بكوكبنا الأرضي (والتي قد يعزى إليها أسباب فناء الديناصورات علميًا)... أما في الجوار الممتد في واكو بتكساس فتعيش عائلة اوبريان، حيث يبدو الزوجان مسحورين بطفلهما الجديد جاك وبشقيقيه الآخرين فيما بعد، وعندما يصل جاك (هنتر ماككراكين) لسن المراهقة يراوده الصراع الأبدي ما بين بركات النعمة الإلهية وقسوة الطبيعة المجردة. أما مسز اوبريان فهي تمثل دور الزوجة الصالحة الرقيقة والحازمة تجاه أطفالها الثلاثة، مقدمة العالم لهم

بطريقة مدهشة وجذابة، وبالمقابل فمستر اوبريان (براد بيت) متسلط وقاس، كما أنه عصبي متشدد يفقد بسرعة مزاجه وأعصابه، لكنه مخلص تمامًا لدوره كأب صالح، محاولاً حماية أسرته وتأهيل أولاده لمواجهة عالم فاسد، مستغل وجشع، شاعرًا بالإحباط لكونه أصبح مهندسًا بدلاً من امتهانه للموسيقى كما أراد، ولكنه وبالرغم من ذلك فقد نجح في مهنته، واستطاع تسجيل براءات اختراع عديدة.

يستغل اوبريان فصل الصيف ليحوم حول العالم مُسوِّقًا اختراعاته، وبينما هو غائب ينفلت الأبناء ويستمتعون أخيرًا بالتحرر من الأوامر والنواهي، حيث يعايش جاك أولى موجات التمرد بأعمال تخريبية مقصودة، سواء بإيذاء الحيوانات البرية، أو حتى بانتهاكه لممتلكات الجيران وسرقته للملابس الداخلية ! مما يعرضه للقلق والتيه وللشعور الجارف بالذنب لفقدان البراءة، كما يقوم بإلقاء المسروقات بالنهر للتهرب من المسؤولية. ثم يعود اوبريان أخيرًا من رحلاته الخارجية وقد فشل وعجز عن تسويق أي من اختراعاته، ويستمر الإحباط والخذلان بإغلاق مصنعه، ومن ثم اضطراره للعمل بوظيفة كتابية متواضعة بدلاً من فصله من العمل، ويقبل العمل لإعالة أسرته، نادبًا حظه ومسار حياته البائس، ومتسائلاً بحرقة عما إذا كان بالفعل شخصًا طيبًا يستحق الخير، وتلين عريكته بفعل الصدمات التي تلقاها، ثم يطلب من جاك والعائلة الصفح والغفران لما بدر منه من تسلط وتشدد واستبداد وتشنج.

- مشاهد سيريالية لافتة!

نعود للحاضر ونرى جاك المهندس المعماري الناجح، وهو يغادر مكتبه الأنيق، ثم ينزل بالمصعد من البناية الشاهقة، ليواجه بحقل صخري ممتد أمام المبنى المعماري الشامخ، ثم نراه يمشي كالحالم بحذر فوق أرض

صخرية قاحلة في مشاهد سريالية مبهرة ليجتاز بعد حين هيكل باب خشبي مركب فوق الصخور، وكأنه يخرج من حياته الحاضرة للماضي والمستقبل، حيث نشاهده ينضم لعائلته، ونرى والده وقد سعد بمرآه، ووالدته وهي تحتضنه وتقبله بحنين ومحبة جارفة، ونراهم يستعيدون بحسرة ذكريات شقيقه المتوفى، ثم نشاهد جاك وقد استفاق فجأة من غيبوبة ذكرياته الحميمة، مغادرًا المبنى وهو يبتسم.

- ارتشاف المعنى

يجمع هذا الشريط المدهش ما بين الطموح والتواضع، ويحمل نَفَسًا سينمائيًا غير مسبوق يذكرنا بطروحات كوبريك في أوديسا الفضاء ٢٠٠١، وهو مليء بالتساؤلات الميتافيزيائية حول مغزى الوجود البشري، وهو قادر على إطلاق شحنات مركزة من الوعي والتبصر وسط سرد واقعي نمطي، وحيث يمكن للمشاهد الذواقة أن يقوم 'بتجميد' المشاهد وأن يرتشف المعنى بروية ويحاول النفاذ للمغزى، من خلال الجماليات المدهشة والموسيقى الأخاذة المعبِّرة، حيث يمكن لبعض المشاهد أن تحبس الأنفاس وتستحوذ على وعي المشاهد، ناقلة إياه لمستويات رفيعة نادرة من التأمل والدهشة.

- المجرات الكونية كحليب مضغوط!

ترانس ماليك لا يحب النمط الحديث لإخراج المؤثرات السينمائية لأنه مكلف وفائق الإبهار والضجيج، ولا ينسجم مع الرؤيا الشاعرية لقصته، لذا فقد استعان بخبيري مؤثرات متمكنين (دوغلاس ترومبول ودان غلاس)، طالبًا منهما العودة للنمط التقليدي القديم (نفس النمط الذي ساد في أوديسا الفضاء لكوبريك)، وبالفعل فقد تمكنوا من إخراج مؤثرات فريدة، مستخدمين عددًا

كبيرًا من المواد لتحضير مشاهد خلق الكون، تفاوتت ما بين المواد الكيماوية والدهانات والأصباغ الملونة المشعة، وباستخدام الأدخنة المصنعة والسوائل الملونة وثاني أكسيد الكربون ، وحيث مُزجت كل هذه المكونات بطريقة إبداعية، وباستخدام أضواء خافتة متموجة وأطباق نسيجية ملونة مع إضاءات خاصة ، وأدى هذا الخلط المعقد لكل هذه المكونات مع التصوير الرقمي الدقيق الخاطف لإخراج المشاهد النهائية بهذا الشكل الأخاذ المعبر كما ظهر في الفيلم... وكمثال فقد تمَّ تصوير المجرات الكونية بسكب الحليب مضغوطًا من خلال قمع ضيق لمسار دقيق، ومن ثم تمَّ تصوير ذلك بواسطة كاميرا رقمية خاصة بلقطات سريعة تزامنت مع إضاءة ملونة متموجة ، وذلك لإعطاء مشاهد 'الجريان الكوني' وتكون المجرات البُعد السينمائي المطلوب، مع التركيز على مبدأ 'الأستروفيزياء' في تشكل كوننا الحالي.

- رؤية فلسفية متفائلة

بعد حوالى خمسة بلايين عام في المستقبل ستدمر الحياة على كوكب الأرض وستُحرق الأرض حينها بواسطة أشعة الشمس، ذلك النجم الذي سيتضخم أولاً ليصبح نجمًا ضخمًا قبل الانطفاء الأخير ، وستُترك الأرض حينئذٍ مهجورة وبلا حياة ككوكب متجمد بائس يدور حول الشمس، التي ستتحول بدورها لنجم أبيض قزم ميت ، وربما سيتمكن الجنس البشري حينئذٍ من النجاة بنفسه بهروبه للانتقال إلى كوكب جديد آخر يصلح للحياة !

تقدم لنا المشاهد الأخاذة لغابات وصحارى ما قبل التاريخ، بالتزامن مع الأشكال الحلزونية للمجرات، والصراع الأسطوري ما بين الديناصورات، حيث يحاول ديناصور شرس سحق آخر بدعسه لعنقه. هل هي رسالة الكون الوحيدة التي يرغب ماليك بإيصالها والمتمثلة بنظرية داروين: البقاء للأقوى،

وما الشيء الغامض الذي يدفعنا للبقاء والاستمرار ؟ أسئلة فلسفية متلاحقة يمطرنا بها ماليك بشكل مجازي، دافعًا بالمشهدية السينمائية الايمائية للسؤال الجوهري المطلق الذي عجز الفلاسفة عن إيجاد إجابة شافية له: لماذا يوجد أي شيء أساسًا ؟ وما المعنى الحقيقي لوجود الكائنات؟

ويجب أن أعترف أني وقعت في الحيرة وبنوع من التفاؤل عند مشاهدة اللقطات التي تقترح نهاية البشرية أو يوم القيامة، والتي تظهره بشكل شاعري حافل بالحنين وبعيد عن الكارثية المتوقعة، فالموتى المبعوثون يسيرون ببطء وبغير هُدى، ترافقهم عائلاتهم وأولادهم على شاطئ طويل ممتد، بينما يحلِّق فوقهم سرب من الطيور بعشوائية ! ماليك في اعتقادي يدخل هنا في رهان جدي مع مخرجي السينما الآخرين (كما فعل كوبريك قبله في أوديسا الفضاء ٢٠٠١)، طارحًا بجرأة غير مسبوقة مفاهيم الحياة والموت والبعث ضمن رؤية فلسفية-كونية خلاقة، متأملاً مغزى الوجود والخلود، مظهرًا القدرة السينمائية على معالجة أسئلة الوجود البشري ضمن المسار العام لنشأة الكون وانتهاء الحياة والبعث في أقل من ساعتين ونصف، وربما يبرر هذا الطرح المكثف قلة أعمال هذا المخرج، فهذا هو فيلمه الخامس خلال ٣٨ عامًا، كما أنه يفسر لنا بهذا الشريط المدهش مقولة اينشتاين الذكية: السبب الوحيد لوجود الوقت، أن من المستحيل وقوع كل الأحداث في نفس اللحظة.

- ذكريات الطفولة وإيقاع الكون

عندما يهمس طفل متحدثًا بمناجاة للخالق الأوحد، والذي يتجاوب مادًّا إياه بالإيماء الذي يتمثل بهفيف الرياح في الشجر، أو بتلاعب الظلال على جدران غرفة النوم، حيث يختبئ سؤال سرمدي يعجز الجميع عن إيجاد

إجابة له : ماذا أفعل هنا ؟ سينما شاعرية مفعمة بالحيوية مع مقطوعات موسيقية كلاسيكية وعصرية لكوبرين وباخ وبراهامس وهولست وصولاً لذروة موسيقية جامحة، ونمط شاعري قليل الحوار ، وحيث يلجأ الممثلون للهمس والمناجاة في معظم المشاهد وكأنه مونولوج داخلي، مع تصوير أخاذ لذكريات العائلة وأشعة الشمس المتسربة من خلال نوافذ المطبخ في أجواء حميمة من الود والشغف والمحبة، ثم يصدمنا جاك (المهندس المعماري) عندما يسأل شقيقه المتوفى منذ عقود: أين أنت الآن؟ وكأنه يتوقع ردًا إلهيًا كونيًا.

فيلم سريالي- شاعري مليء بالمشاهد النادرة التي تسجل ذكريات الطفولة والمراهقة بهذا الشكل الذي يبقى منطبعًا في الذاكرة.

أخيرًا لا يمكن إغفال براعة التمثيل والتقمص لكل الشخصيات التي ظهرت، ولكن يجب أن أنوه بالإبداع والفرادة التي تميز بها كل من ماليك في الإخراج، وإيمانويل لوبريسكي في تصويره الفني المذهل وفي نمط إخراج المؤثرات الخاصة، ثم في أداء كل من براد بيت وجيسكا جاستين وشين بين، ولكن ربما من سوء حظه وجود أفلام أخرى رائعة في سباق الأوسكار لنفس العام مثل فيلمي "الفنان" و"هوغو"، مما حرمه من حصد أي جائزة جديدة، لكن يكفيه فخرًا أنه سيبقى علامة فارقة في تاريخ الفن السينمائي.

سولو : قصة حرب النجوم (٢٠١٨)



الحبكة التفصيلية لحرب النجوم بنسخته الجديدة العصرية ومتاهاته السردية "الصداعية" ومشاهده السيريالية الغرائبية وتركيزه الزائد على الشخصية... ومع القليل من السياسة والحروب الإبهارية والكثير من الدراما والسيرة الذاتية والفكاهة التشويقية... و"دقي يا مزيكة أو موسيقى تصويرية"، وخلينا مع المتعة المشهدية وبلاش ملل وتكرار وفذلكات استعراضية وسيوف نارية قتالية.

تكون المجرة في حالة من الفوضى العارمة مع تكاثر العصابات الإجرامية المتنافسة للحصول على الموارد القيمة في عالم "كوريليا" لبناء السفن، حيث يسعى الأطفال الأيتام للسرقة للبقاء على قيد الحياة، وحيث يسعى الشاب "هان" وحبيبته الجميلة "كيرا" للهرب للنجاة من قبضة عصابة إجرامية محلية، فيتمكنا بنجاح من رشوة الضابط الإمبراطوري المسؤول ليمنحهما حق

المرور لوسيلة نقل ، ولكنه يتم القبض على "كيرا" في اللحظات الأخيرة وتحجز ، فيما ينجح هان بالهروب ، متعهدًا بأن يعود يومًا لإنقاذها ، ويهرب هكذا بلا هوية أو مورد مالي ، فينضم للبحرية الإمبراطورية كطالب متجول مشرد ، فيطلق عليه ضابط التجنيد اسم "هان سولو" ويعني المتوحد مع غياب اسم عائلة له.

بعد ثلاث سنوات ، تمَّ طرد "هان" من أكاديمية الطيران الإمبراطورية بسبب تمرده ، فيضطر للعمل كجندي مشاة مقاتل ، ويخوض معركة على كوكب "ميميان" ، ليواجه عصابة من عُتاة المجرمين ، اللذين يتظاهرون بقصد وكانهم جنود الإمبراطورية ، حيث يقودهم الجامح اللمبالي "توبياس بيكيت" وطاقمه المكون من زوجته "فال" مع أربعة فضائيين مسلحين ، يُسمون بـــ"ريو ديورانت"، فيحاول صديقنا الذكي ابتزازهم لكي ينضم إليهم وينتقم ، فيدعي أنه طيار ماهر ، لكن "بيكيت" يكشف أمره ويعتقله، ثم يرميه في جُحر تحت الأرض لمواجهة وحش محتجز في الأسْر يدعى "ووكي" نفسه الشامبانزي الطريف المتعاون "شيوباكا" الظريف ، حيث يتمكن "هان" من التواصل والكلام معه لُغويًا بلغة "شيرووك" التي يتقنها ، فيتفقان معًا على فبركة معركة وهمية لكي يهربا معًا من الزنزانة بعد انهيار الجُحر ، ويتفهم "بكيت" بسرعة بديهيته حالهما ، ويتعاطف معهما ، ويخطِّط لمشاركتهما بسرقة شحنة من وقود " الكوكاسيوم" النادر على كوكب "فاندور" ، فتظهر حينئذٍ فجأة عصابة المغني " ايفانز نيست" مع الطاقم ، وتقتل كل من ريو وفال ، حيث يواجه الجميع وضعًا قتاليًا صعبًا على سطح السفينة الفضائية.

يسحب "هان" الطيَّار السفينة باتجاه ، فيما يقاوم "نيست" ويسحبها في الاتجاه المعاكس ، ثم يغضب "بيكيت" من "هان" عندما يحاول هذا الأخير الاحتفاظ بشحنة الوقود النادرة ، ثم يكشف "بيكيت" حقيقة أنه يعمل لمصلحة منظمة

"درايدن فوس" وحسب أوامر الزعيم "مافيوزي" "كريسون داون" للعصابة الفضائية ، وأنه يخشى من غضب وغدر "فوس" ، كما ينجح كل من "هان وشيوباكا" بسرقة شحنة أخرى إضافية ، ويسافرون جميعًا إلى يخت "فوس" الفضائي الفاخر ، عندئذٍ يُفاجأ "هان" بوجود حبيبته المفقودة "كيرا" ، التي تفصح له بحذر أنها تعمل الآن في عصابة "كريسون داون" ، بدون تفاصيل أخرى عن كيفية بقائها وانضمامها للعصابة.

هنا يعلن "هان" عن خطته المحكمة لسرقة "الكوكاسيوم" الخام غير المكرر ، من حقول المناجم في "كيسيل" ، فيصرُّ "فوس" على مرافقة "كيرا" لهم ، ولتجهيز سفينة خاصة للسرقة ، تقوم "كيرا" بتقديم الفريق إلى الأسمر الجامح "لاندو كاليرسيان" ، الذي يعمل كمهرب بارع وطيار متمرس ويملك كازينو عجائبيًا للقمار.

- **لعبة الورق و"ألفية الفالكون" والكوكاسيوم المزيف والروبوت الجميل الذكي ومقتل "بيكيت" :**



يتحدى "هان" "لاندو" بلعبة "سباك" الورقية ، ويقترح الرهان على سفينة "لاندو" الفضائية ، التي اشتهرت بأنها الأسرع في المجرة ، فيستخدم "لاندو" الغش وخفة يده للتحايل والفوز ، ولكنه مقتنع بضرورة الانضمام للبعثة مقابل حصة مجزية من الأرباح ، فيركب الجميع السفينة الفضائية الأسطورية "ألفية

الفالكون"، وينطلقون إلى مناجم "كيسيل" الأرضية، ويسعون للدخول خلسة، فتحرض مساعدة "لاندو" الفضائية الروبوتية "الجميلة" "الـــ٣-٣٧" (وهي تمثِّل هنا نموذجًا راقيًا للذكاء الصناعي المستقل التفكير والعاطفة والتي تتمتع بحوض أنثوي الشكل ومشية خاصة)، فتحرض على أعمال شغب مقصود بغرض إحداث الإرباك تمهيدًا لسرقة شحنة من "الكوكاسيوم" الخام والمتطاير غير المعالج، وأثناء العملية تتعرض الروبوت لأضرار كبيرة وتتكسر أجزاؤها فيما يبقى الرأس سليمًا، ويحزن لاندو "عاشقها" كثيرًا لذلك ويتعرض أيضًا لجروح أثناء محاولتهم جميعًا للهرب.

يقود حينها الطيار البارع "هان" السفينة الفضائية العملاقة، وهو يعلم بأنه يتوجب عليه أن يقوم بتشغيل "محرك الكيسيل" في أقل من عشرين جزء من الثانية، إذا ما أرادوا الوصول سالمين إلى "فوس" قبل أن تنفجر شحنة "الكوكاسيوم"، ثم تسمح مهارات "هان" الملاحية التجريبية المذهلة بالهروب كذلك بسرعة من الحصار الإمبراطوري المقاوم، فينجحون أخيرًا في الالتقاء مع "فوس" على كوكب "سافارين"، على الرغم من تعرض الفالكون لأضرار جسيمة خلال الرحلة المحفوفة بالمخاطر.

ثم يُفاجأ الجميع بأن الكوكاسيوم المحمل مزيف، ويكشف لهم "بيكيت" بأنه قد خدعهم بقصد، مبيناً خطة "هان" الخفية لإعطاء الشحنة الأصلية لمجموعة "راكبي السحب" الفضائية (المقاومة)، ويعلن "هان" صراحةً أنه كان يتوقع قيام "بيكيت" بخداعهم... فيبادر "بيكيت" حينئذٍ بالاحتفاظ بشيوباكا كرهينة ويهرب مع شحنة الكوكاسيوم الحقيقي... فتحدث حينئذٍ معركة تبادل لإطلاق النيران بين كل من "هان وفوس وكيرا"، تنتهي بمقتل "فوس"، حيث تحث كيرا هان على الانضمام لمجموعة المقاومين "راكبي السُّحب" الثورية المتمردة، وبأنها ستنضم له لاحقًا بعد أن تنجز مهمة جديدة، ويغادر هان لوحده مرة أخرى...

ثم يلحق هان بيكيت وشيوباكا، ويقتل بيكيت بعد مواجهة ضارية، ويقوم مع شيوباكا بتسليم الكوكاسيوم الأصلي إلى "نيست"، التي تكشف عن خطتها لاستخدام الوقود لمساعدة حملة التمرد ضد الإمبراطورية، وتقدِّم لهان فرصة للانضمام إليها مع مجاميع المتمردين، فتقول "نيست" بأنه يومًا ما قد يكون قريبًا سيشعر هان بتعاطفه مع قضية المتمردين المقاومين...

لوحدها حينئذٍ على يخت "فوس"، تتواصل "كيرا" مع رئيس فوس، الذي يتبين بأنه هو نفسه "دارث ماول" الزعيم الغامض، وتبلغه بفشل المهمة...

وفي مكان آخر يقوم "هان وتشوباكا" بمطاردة لاندو في مكمنه الخفي، ويقومان بتحديه مرة أخرى بلعبة الساباك الورقية، بغرض الرهان على حيازة "الفالكون" هذه المرة، ثم يكشف هان خداع لاندو المتمثل بالبطاقات المخبئة بمهارة في جعبته، ويفوز باللعبة ويربح الرهان... وأخيرًا يخبر تشوباكا بخطته للذهاب إلى "تاتوين"، حيث أخبره بيكيت سابقًا بأن هناك عصابة جديدة تتشكل هناك، مما قد يغريه وتشوباكا للانضمام إليها في مغامرة جديدة.

- **انطباعات نقدية (٥٧ – ١%):**

فيلم طريف مسلي وممتع وسطحي أحيانًا ومتناقض

الدراما مخلوطة بالهزل ولا يمكن أن يؤخذ أحيانًا على محمل الجد: حتى أنه من الصعب تصنيفه كخيال علمي بحت فهو يتضمن السرقات المسلحة والحروب والمصادمات مع كم كبير من المشاهد الفانتازية والسيريالية أحيانًا (بأشكال الكائنات والوحوش وديكورات المواقع)، كما أنه يحمل نفس "ويسترن" عصري... قام الفيلم على أكتاف كل من: "آلدن أيرن رايش" و"دونالد جلوفر" بتلقائيتهما وخفة دمهما وكاريزميتهما.

كما أن الحبكة ملتوية وصعبة التخيل وتثير الجدل وغير منطقية أحيانًا ، وخاصة مع تسارع اللقطات الأخيرة، وتداخل الأحداث والمفاجآت.

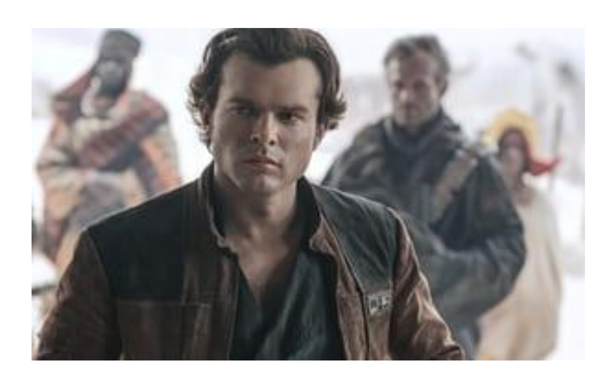
هناك حشر لعدة ثيمات مع تصوير مذهل لمشاهد طبيعية أخاذة.

بالمجمل فالشريط لا يبدو كقطعة متماسكة ، ولكنه بالحق ساحر أحيانًا ، وبعض المشاهد تحبس الأنفاس ولكن بلا توتر ، وهناك تسارع في اللقطات الأخيرة، وبدا بعضها غير مقنع ومسلوق على عجل.

مغامرة شيقة وظريفة تفتقد تمامًا للرومانسية والشاعرية ، مع مبالغة زائدة على دور الشمبانزي الذكي الناطق "شيوي"، ويحوي حنينًا لأفلام السلسلة مع قصة سيرة ذاتية غير معهودة.

الفيلم يمثل تجربة "ارتدادية" شيقة مع الكثير من الارتفاعات والانخفاضات، وبلا مفاجآت، منجز خلال ساعتين تقريبًا ، بُبعد ترفيهي وبلا مخاطر ، وهو خالي من الأسطورة والبُعد الملحمي والحكم البليغة، أخرجه "رون هوارد" بروح سردية مغايرة، ووضع فيه بصمته الإخراجية، مع الكثير من التشويق والرشاقة والاحتراف كعادته.

- **كيف يختلف سولو عن باقي أفلام السلسلة؟**



خروج عن النص الملحمي : فسولو الشاب يقدِّم لنا هنا سيرة حياته وطموحاته بعيدًا عن السياسة والتمرد.

إنه الأكثر حميمية وإحساسًا وبُعدا ذاتيًا، وليس الأسوأ، يحوي نفَسًا إبداعيًا مبتكرًا ينعش السلسلة، مع أنه أقل الأفلام ملحمية، ومعمول بروح واقعية وحس دعابة راقي ملموس، ويعدُّ ربما الأفضل في مجال تصميم الإنتاج والبُعد الغرائبي، وأعطانا كمشاهدين تشويقًا طفوليا شغوفًا مع نكهة ذكريات، بعيدًا عن التصنع والفذلكة المبهرجة المنفرة.

- **سولو: ترياق سحري طفولي ومنظور جديد لأفلام السلسلة:**

الصعود لظهر الألفية "فالكون" ورحلة جديدة إلى مجرة بعيدة، مغامرة شيقة جريئة في ظل أحداث وصراعات ومتاهات، حيث يلتقي "هان سولو" (ألدن ايرنرايش) مع مساعده المستقبلي الظريف "شيباكا" (جوناس سوتامو)، مع المقامر الشهير الأسمر المحتال "لاندو" والجامح الخبيث "كاليرسين" (دونالد جلوفر)، والشرير المستبد بيكيت (وودي هاريلسون)، والبطلة الجميلة المغامرة كيرا (ايميليا كلارك)، وكذلك مع فال (شاندي نيوتن)... حيث يلتقون جميعًا في رحلة جديدة شيقة ستحدَّد مسار أحد أبطال "حرب النجوم" الأكثر غرابة وذاتية.

إنه الاستمتاع بالسرد واللعب، مع الحد الأدنى هنا من معارك السيوف الضوئية المكررة، حيث تظهر فقط في اللقطات الأخيرة، عندما تقتل الفتاة الشرير المستبد، كما لا يوجد تركيز زائد على قصص التمرد والثورة، حيث يحفل الفيلم بالطرافة المتدفقة في معظم المشاهد كما يتوقع الجمهور ربما، وهو يمثل ترياقًا سحريًا جاذبًا لهؤلاء الذين يكرهون هذا النوع من الأفلام، محاولاً إرضاء جميع الأذواق... في قصة سينمائية انسيابية مبهرة بلا

رغبات للتفذلك والتصنع والإرضاء، فشخصية "هان" الذي اعتدنا عليه في السلسلة، يظهر هنا متواضعًا وبسيطًا وأصغر سنًا وأكثر إقناعًا وشغفًا وطُموحًا (ايرن رايش)، ويبدو وكأنه يعرف تمامًا كيف يلعب الدور مع كمٍّ كبير من التفاؤل والإقدام، ولكنه يتراجع تدريجيًا مع مرور الوقت وانكشاف الحقائق، ولا تنسجم طريقة أدائه أبدًا مع نمط "فورد" التمثيلي الكلاسيكي في السلسلة، حيث شقَّ الممثل الشاب طريقه الخاص الطفولي المتفاعل وغير المسبوق.، إلا أن طريقة تعامله مع صديقه الطريف "شيوي باكا" بقيت كما هي، وحافظت على نكهة الكيمياء الخاصة المميزة ومنذ اللقاء الأول في بداية الفيلم، ناهيك عن طريقة أداء "جلوفر-لاندو" فقد كان مذهلاً بحق ويذكِّرنا بنمط التمثيل المدهش في أفلام الويسترن الخالدة، حيث نشر هنا روح الدعابة والثقة واللامبالاة، أما "هارلسون" فقد كان مبهجًا، واحتوى شخصية بيكيت الجدلية مع مزيج متماسك من "السحر والملل"، وهناك شخصية جديدة تحمل اسم ريو، عبَّر عنها ببراعة "جون فاترو"، تحمل في طياتها بصمات أداء شخصية "روكيت" الشهيرة (الراكون الطريف الثرثار) في فيلم "حُرَّاس المجرة".

بالمحصلة فهذا الفيلم يعتبر مدرسة سينمائية جامعة، وخاصة بطريقة عرض الشخصيات المختلفة وطريقة تقمصها للأدوار المتناقضة، وهذا ما ينقص السينما العربية حيث التركيز ينصب على الشخصية الأولى المحورية وبعض المرافقين بطريقة تبعث على النرجسية والملل والصداع أحيانًا، كما أستغرب كثيرًا بالحق تجاهل معظم النُّقَّاد العرب لهذا الصنف من الأفلام واعتبارها "تجارية استهلاكية خيالية" وربما سخيفة، وقد أبدى أحدهم استغرابه ذات مرة عندما التقيت به في دار سينما بعمان وأنا أهمُّ بحضور فيلم خيال علمي لافت.

"بين النجوم"١ لـ كريستوفر نولان

استهلال لنمط جديد من سينما الخيال العلمي

طرح جريء لمفاهيم الثقب الدودي والبعد الخامس



يتحدث هذا الفيلم المذهل حول استخدام مجموعة من الرواد المكتشفين "لنفق عبر المجرات" ، حتى يتمكنوا من تجاوز حدود السفر الفضائي واقتحام المسافات الفلكية الشاسعة بالفضاء عبر ما يسمى "الثغرة الدودية".

تتمثل الحبكة الأولى في المستقبل القريب عندما تعجز الأرض عن تزويد سكانها بالمحاصيل الزراعية الضرورية ، وتتعرض باستمرار لعواصف غبارية كاسحة ، تقحل الأرض وتعرض السكان للخطر... تحاول صبية صغيرة ذكية اسمها مورفي التواصل مع شبح غامض يسكن منزل والدها "المهندس المتقاعد ورائد الفضاء" ، حيث تسعى لبعث رسائل مشفرة بواسطة الجاذبية ، وباستخدام غبار الأرض المتراكم داخل المنزل ، وباستخدام شفرة مورس الشهيرة... حيث يقودها ذلك هي ووالدها المهندس لمركز فضائي سري للناسا يديره البروفيسور براند ، والذي يشرح لوالدها كوبر التفاصيل ، ويطلعه على اكتشاف "ثغرة دودية" فضائية في النظام الشمسي ، وبأنها تدور

حول كوكب عطارد ، كما يوضح له أن فرصة البشرية الوحيدة بالنجاة ، تكمن بإمكانية السفر عبر هذه الثغرة الدودية لاستيطان عوالم جديدة في مجرات قريبة... ويعتقد علماء الناسا بوجود "بُعد خامس" جديد يتواصل معهم عبر هذه الثغرة ، وبأنه تمَّ تأهيلها للاستخدام البشري ، ويتم توظيف كوبر لملاحة لمركبة فضائية تجريبية تسمى "اندورانس" لتتبع مهمة "لازاروس" الفضائية ، وتتضمن إطلاق ومتابعة مجموعة من الكابسولات القادرة على اختراق الثغرة الدودية، وتحديد أكثر من اثني عشر كوكبًا تصلح للحياة البشرية... وحيث يثبت علميًا وجود ثلاثة كواكب فقط تصلح للاستيطان البشري مستقبلاً ، وقد سميت على أسماء مكتشفيها وهي: "ميلر ، تيدموند ومان"، وعندئذٍ يمكن إرسال البشر بواسطة مركبات فضائية ضخمة للحياة فيها... وتبدو هذه الأفكار "الخيالعلمية" منطقية وقابلة للتطبيق... ويتم اختيار كوبر لقيادة رحلة أندورانس (لمهارته وخبرته كقائد مركبات فضائية مدرب)، ولكن قلب فتاته الصغيرة الجميلة الذكية يقطر حزنًا وأسى، وتكاد تنفجر غضبًا لأنها تشعر أنه تخلى عنها، ولا تعلم هل سيعود أم لا (أبدعت الطفلة ماكينزي فوي بأداء هذا الدور المؤثر)! ثم تلتحق ابنة براند عالمة "التقنيات الحيوية" أميليا بكوبر ، كما ينضم للفريق الجغرافي دويل ، والروبوتين البارعين متعددي المهارات "كيس وتارس".

هكذا تنطلق الرحلة الغريبة التي ستستغرق عامين، والتي ستجتاز "الثغرة الدودية" الخطيرة قبل أن تنتقل لمجرة جديدة، وخلال مرحلة المرور المرعبة تواجه أميليا "تواجدًا جارفًا" لبُعد خارق "خرافي" حيث بدا وكأنه الصانع للثغرة الدودية المنقذة للبشرية... فهل هذا مؤشر "إلهي" خفي أم دلالة لوجود "روح كونية" خارقة!

وخلال مرورهم من خلال "الدودة المجرية"، وتتبعهم لإشارات مرسلة من قبل الكوكب "ميلر"، يكتشفون مشكلة مستعصية تتمثل بقرب الكوكب "الواعد"

من ثقب أسود نشيط يدعى "جارجانتا"، ونظرًا لجاذبيته الخارقة فإن الزمن فوق الكوكب سيصبح بطيئًا جدًا مقارنةً بكوكب الأرض، ثم يكتشفون متأخرًا وبعد خروجهم من المركبة، أن الكوكب الغريب يتعرض سطحه لموجات ساحقة من "الجدران المائية" المتلاحقة، وتؤدي هذه لمقتل دويل، الذي يحاول جاهدًا استرجاع جهاز تسجيل بيانات كوكب ميلر، كما يؤدي ذلك لتأخرهم حوالي الساعة على سطح الكوكب، وهذه الساعة تعني بالمفهوم الأرضي "ثلاثة وعشرين" عامًا بالنسبة لأميليا التي بقيت وحيدة داخل المركبة "أندورانس" ولم تصحبهم!

ثم يتخذ كوبر قرارًا شجاعًا، فيترك المركبة، سامحًا لرفيقته أميليا بالنجاة باستخدام "سحب الجاذبية"، ثم ينجح بقذف نفسه خارجًا قبيل تحطم المركبة (انسحاقًا من قبل الثقب الأسود "جارجانتا")، حيث يصل لبُعد خارق جديد غير مكتشف "ببعد زمني غير خطي"، ويتحقق كوبر مندهشًا عندئذٍ من صحة التواجد الشبحي (الذي كانت تراه وتتحدث معه ابنته مورفي بمنزله)، ويستنتج مندهشًا بأن هذا "الشبح المزعوم" ما هو بحقيقة الأمر إلا شكل مستقبلي "إنساني" متطور لحالة اندماج الزمان بالمكان، وبأنه ربما عاد بالزمان عبر ما يسمى "الثقب الدودي" محاولاً إنقاذ البشرية، مزودًا ببيانات الروبوت النشيط "تارس" حول "ظاهرة التفرد" الكونية، حينئذٍ يتمكن كوبر من الاتصال بابنته الصغيرة "مورفي" من خلال ما يسمى "البُعد الخامس" وموجات الجاذبية الكونية، جاعلاً منه "شبحًا" من الطفولة البعيدة، حيث تتمكن مورفي بفضل هذه المعلومات من إتمام "معادلة براند"، مما يسمح بإخلاء سكان الأرض وإنقاذهم قبل فوات الآوان، كما أن حب كوبر "اللامحدود" لابنته يشكل بالنسبة له حافزًا لاجتراح المعجزات، ويعطيه العزيمة والقوة لإكمال مهمته والتواصل "الروحي" معها.

والآن بعد إتمام مهمته، ينتقل كوبر من خلال "الثقب الدودي" للعودة لكوكب الأرض ليتم إنقاذه من قبل الناسا، ويستيقظ مذهولاً في محطة مدارية ضخمة حول كوكب زحل ، والتي تمَّ اعتمادها كمحطة انتقالية لسكان الأرض بطريقهم للكواكب الصالحة للاستيطان البشري، ونراه يعود لزيارة ابنته التي أصبحت الآن مُسنة ومريضة وعلى أعتاب الموت طريحة الفراش محاطة بأبنائها وأحفادها ، حيث تقنعه بالعودة لملاقاة ايمليا التي ذهبت بدورها لكوكب جديد يصلح للحياة... ونراه بالمشاهد الأخيرة وهو يودعها بحزن بالغ، ثم يجلس برحلة الناسا الجديدة مستهلاً رحلته المثيرة!

قبل عامين من إنتاج الفيلم، جلس نولان مع عالم الفيزياء النظرية الشهير كيب ثرون ، لدراسة احتمالية السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء داخل "الثقوب الدودية" ، وقام الممثل المخضرم مايكل كان بتقمص دور العالم ببراعته المعهودة... وتمَّ التصوير بأماكن سرية ومواقع بولاية ألبرتا ، كما اُستخدمت مركبة فضائية في بركان خامد بأيسلندا ، حيث قبع فريق التمثيل لأربعة أشهر متواصلة لإتمام هذه التحفة السينمائية.

لا شك أن نولان بفيلمه الثامن المميز هذا قد أثبت أنه مخرج سينمائي عظيم لا يقل شأناً عن ستانلي كوبريك ، حيث اعترف بتأثير ملحمة الأخير السينمائية "أوديسا ٢٠٠١" على طريقة إنجازه لهذا الفيلم، كما اعترف بتأثير أفلام لافتة مثل حرب النجوم وألين والمرآة للروسي "أندريه تاركوفسكي" ، ويبدو بالمحصلة وكأنه حصل على مزيج إبداعي سينمائي فريد من نوعه وخالد لا ينسى مع الزمن...

وقد أدهشنا كذلك باستعراضه الاستثنائي لقدرات "الحب البشري" (والمقصود حب كوبر لابنته مورفي) على فعل المعجزات التي قد تتماثل مع معجزة اكتشاف عوالم فضائية.

الجزء الجديد من حرب النجوم (٢٠١٧)

معالجة شكسبيرية جديدة لصراع حرب النجوم الفضائي المزمن

"الجيداي الأخير" يصبح في الترتيب السابع لأفضل مئة فيلم في الخيال العلمي



تبدأ القصة الجديدة مع نهاية فيلم ٢٠١٥ "استيقاظ القوة"، حيث تذهب "ريدلي دايزي" لوحدها لإيجاد "سكاي ووكر" في عُزلته الاختيارية على الجزيرة الجبلية البحرية النائية، وتحاول بإلحاح تجنيده للكفاح معًا ضد النظام الأول، كما أنها تمارس هناك تخاطرًا مع "آدم درايفر" (بدور كيلو رين)، وفيما على ما يبدو يحاول ثلاثتهم القيام "برقصة درامية" مجازية متداخلة تعكس ببلاغة خفايا الصراع المحتدم ما بين المقاومة والنظام، حيث تسعى المقاومة في نهاية الأمر للهروب بذكاء من فخ محكم للنظام الأول لإبادة المقاومة المنحشرة في مغارة منجمية نائية.

يقدِّم الكاتب/المخرج ريان جونسون هنا فيلمًا مروعًا ومشوقًا ومتكاملاً، تمامًا مثل باقي أفلام السلسلة، مع تأثيرات بصرية/صوتية أخاذة، وعروض تمثيلية ممتازة، وهو بالحق يقتبس بإبداع الكثير من شريط "الإمبراطورية تضرب مجددًا"، وبالرغم من طول الفيلم إلا أنه ليس متعبًا ومملاً، بل أن

أخر نصف ساعة تحتدم بالأكشن والتشويق والمفاجآت... ونستمتع حقًا بالانغماس والتركيز بمؤامرة كاملة مدهشة من التقلبات والمنعطفات اللاهثة والطازجة، مع كم كبير من المشاهد الرائعة الفريدة مثل: الشمس التوأم والأقمار المتفجرة وحروب المركبات اللافتة والتفجيرات الصاعقة، كما بحركات الكائنات الحيوانية الهادئة والوديعة والهائجة وكذلك المبارزات السيفية الضوئية والتي استندت للمهارات القتالية الفردية المدروسة، وليس للحركات الخارقة المبالغ بها!

كما أن المخرج لم يقتبس كثيرًا من فيلم "روج وان" وإنما أكثر اقتباساته من فيلم "استيقاظ القوة" ولكن بتجديد وإبداع، حيث تتجمع المقاومة بقيادة ليا (كاري فيشر في أخر أدوارها قبل وفاتها بنهاية ٢٠١٦)، لتهرب دومًا من ملاحقة المرشد الأعلى للنظام الأول "سنوك" (آندي سركيس بهيئه شيطانية زومبية الهية)، والذي يرسل قائده العسكري الفذ "كيلو رين" (آدم درايفر) مع جنراله الخبيث "جيف هوكس" (دوم نال جليسون)، فيما يبذل قائد المقاومة "بو" (أوسكار إسحق) جهودًا لاستباق الأمر بالهجوم المباغت بطائراته القتالية، ليستهل الفيلم بمشاهد قتالية حابسة للأنفاس، وكأن المخرج يريدنا أن ننغمس بالحدث منذ البداية بلا هوادة.

تذهب راي (ديزي ريدلي) للعثور على سكاي ووكر (مارك هاميل) في مخبأه السري على الجزيرة النائية (سكليغ) في حين يقود لوك ثيمات "القوة والصراع المحتدم بين الخير والشر"، مستندًا للقوة والتاريخ والزُهد والطاقة الروحية.

أبدع "هاميل وفيشر" بأدوارهما (وإن بدت فيشر مريضة ومتهالكة وكأنها بالفعل تشهد أيامها الأخيرة)، فيما انغمس كل من "درايفر وجليسون واسحق" بأدوارهم لدرجة التقمص، أما "راي" فقد كانت جادة أكثر من اللازم ولم

تراعي البُعد الروحي لدورها المحوري، فيما كان أداء كل من "فين" (جون بويجا) و"روز" متوسط نسبيًا وأحيانًا غير مقنع تمامًا وإن كان يعج بالحركة والانفعال ، ونجح "جونسون" بأخذنا أحيانًا للجوانب الروحية (ذات البُعد الفلسفي) وأدخلنا بدون أن نشعر في متاهة "موت الأبطال وانتعاش الأشرار" والعكس، وهذه بالحق تدل على مهارة إخراجية إبداعية لا يملكها الكثيرون.

إنه بركان من الأفكار الخلاقة والمشاهد البراقة، يتمثل بالمبارزات الثنائية والجماعية بالخناجر والسيوف الضوئية، وبمشاهد الحيتان الثديية المشوهة وهي تُحلب على جبال الجزيرة النائية، كما بقطعان الخيول المسخية الهائجة التي تقتحم المدينة (وكأننا بفيلم كاوبوي كلاسيكي) ، كما بالطيور الملونة الغريبة الداجنة والناطقة، والثعالب الثلجية البلورية.

تبدأ المؤامرة مع انتهاء فيلم "جي جي آبرامز" عام ٢٠١٥ في تحفته "استيقاظ القوة" ، حيث تجمع المقاومة قواها تحت إمرة الأميرة ليا (كاري فيشر) لمحاربة قوى الشر المستبدة والمتمثلة بالنظام الأول، بقيادة المسخ الطاغية المرشد الأعلى "سنوك" (آندي سركيس بدور مميز كعادته)، الذي بدا وكأنه يتحكم بالجميع تخاطريًا وفيزيائيًا وهو جالس على "عرش" مصدرًا تعليماته بصوت أجش عالي النبرات، وحيث نشاهد مندوبة المقاومة الجسورة "راي" (ديزي ريدلي) وهي تسافر إلى جزيرة معزولة للعثور على "الجيداي الأول" "لوك سكاي ووكر" (مارك هاميل ربما بأفضل أدواره على الإطلاق) ، ومحاولة استعادة مؤازرته لإنقاذ المجرة، ومواجهة كيلو رين (آدم درايفر)، الذي قتل والده في الجزء الأخير من استيقاظ القوة، وتسبب لوالدته "ليا" بوجع القلب والحسرة.

ثم تعود هنا في هذا الجزء الشخصيات الروبوتية والحيوانية الطريفة مثل "ري٢- دي٢" و "سي-٣بي او" ، والشمبازنزي الظريفة "تشوباكا" ، فيما

يفتخر فين (جون بويغا) بكونه "حثالة المقاومين" ولا نعرف لماذا؟ ونشاهد المبتدئة الصينية الملامح روز (كيلي ماري تران) التي تعمل كميكانيكية ماهرة وجريئة، ثم يظهر الممثل الميكسيكي المبدع "بينيسيو ديل تورو" بدور لص مبتز وخبير فك الشفرات الذي لا يمكن الوثوق به، كما يظهر الطيار بو داميرون (أوسكار إسحق) مع مخاوف وشكوك خاصة تتعلق بمصير المقاومة وسوء الظن تجاه النائبة الأدميرال هولدو (لورا ديرن) الأوتوقراطية النزقة العنيدة التي استلمت القيادة بعد أسر ومرض الجنرال ليا، وللمفارقة فهذا الجزء يقدم وداعًا خاصًا لكاري فيشر التي رحلت قبل عام، والتي أبدعت بدورها منذ بداية السلسلة، ومزجت فيه ما بين الكوميديا الخفيفة والعمق الدرامي، ولكن يبقى "هاميل" الذي أعطى ربما هنا أداء حياته المهنية وقدَّم تقمصًا أيقونيًا فريدًا متكافئا مع البعد الروحي والعاطفي المطلوب (حتى شبهه البعض بدور هاملت الشكسبيري الخالد)، كل هؤلاء الممثلين المبدعين ساعدوا بالحق المخرج "جونسون" على تقديمه لهذا "السرد المدهش الغرائبي" بأسلوب مبهج واستثنائي، لتكاد تظهر هذه النسخة الأخيرة وكأنها الأفضل.

- **ملخص رؤية نقدية**



يحفل هذا الفيلم بالكثير من الحكم والمقولات الرشيدة التي ينطق بها الأبطال بشكل تلقائي سلس ضمن الحوار ومنها: "هذه هي الطريقة الوحيدة لتصبح ما

كنت من المفترض أن يكون"... ثم يقول كيلورن لراي وهما في عزلتهما على الجزيرة: "اتركي الماضي يموت"... ثم يوجه يودا حكيم الجيداي الخالد درسًا إلى لوك: "ثق بنفسك، افعل أو لا تفعل، ولكن لا تجرب"، ويتبع ذلك بحكمة خالدة مفادها أن الفشل هو أحسن معلم، "لذا تعلم من أخطائك"!

إنه بمثابة جولة جديدة من الدراما العميقة، الحافلة بالتقلبات والمنعطفات والمفاجآت، في سرد "شكسبيري" فضائي متماسك، يعمل بمهارة أخاذة على طمس الخطوط ما بين "الخير والشر"، وخاصة باستعراض العلاقة الديناميكية المعلنة والخفية ما بين أبطال الفيلم الثلاثة: "راي و لوك وكيلو"، وكذلك الترابط الفيزيائي- التخاطري بين الثلاثة.

إنه باختصار تحفة سينمائية جديدة، وقد وضعه موقع "الطماطم الفاسدة" الشهير في الترتيب السابع لأفضل مئة فيلم خيال علمي بناء على المراجعات النقدية، وهو يتحفنا على مدى الساعتين ونصف بمشاهد لا تُنسى وتبقى عالقة في الذهن، مثل الانفجارات الضوئية عبر الفضاء، وتسريع السفن الفضائية، وأسلوب رمي القنابل واستهداف القذائف، ومشاهد الطائرات القتالية، والمعارك المذهلة بالسيوف الضوئية والتي بدت واقعية، ثم الكم الكبير الجديد من الحيوانات والكائنات الغريبة والطريفة والشاردة والأليفة، وأخيرًا وليس آخرًا التوازن المدهش ما بين الضوء والظلام.

ولكن ما لفت انتباهي في هذا الشريط ثلاثة أمور، هي: عجز أي من الطرفين المتقاتلين عن استخدام أسلحة الدمار الشامل بأنواعها لضمان سحق الطرف الآخر والانتصار واستخدامهم الغريب التقليدي للسيوف الضوئية، خاصةً أن الصراع يدور في أرجاء المجرة وليس في كوكب واحد محصور، ثم التركيز على النمط العسكري النازي المنضبط واللئيم والمهيمن على مجاميع "النظام الأول" وكأن اللعنة النازية ما زالت عالقة بأذهان السينمائيين

الغربيين، وثالثًا انعدام أنماط الحياة المدنية بشتى أشكالها الحضارية المتوقعة في ذلك الزمان الفضائي الضارب في المستقبل إلا بحدها الأدنى الباذخ والعابر، وكأن البشر سيبقون هكذا يتقاتلون ويتصارعون إلى أبد الأبدين ما بين قوى حكومية "نظامية" مستبدة وظالمة ومتغولة وفاسدة وبيروقراطية ومقاومة شجاعة باسلة ومثابرة وثائرة ولكنها "حائرة ومشتتة"، وربما يشير ذلك بطريقة ذكية للصراع العالمي الحالي المحتد ما بين القوى "الرأسمالية-النيوبرالية" المتوحشة والتي تسعى بلا هوادة للسيطرة على العالم وفرض أجندتها وما بين القوى الأخرى المتصاعدة والمقاومة العنيدة.

عداء النصل ٢٠٤٩ / بليدرانر (٢٠١٧)

ملحمة خيال علمي كلاسيكية ذات بعد فلسفي - سيريالي عميق مشوقة وحافلة بالجماليات البصرية الأخاذة

(الفيلم الفائز بأوسكار أفضل تصوير وأفضل مؤثرات خاصة لعام ٢٠١٨)



تجسيد سينمائي مجازي لفكرة "الأرض اليباب"(تي.اس.اليوت)!

في العام ٢٠٢٢، وبعد عامين على إصدار شركة "تيريل" لنسخة متطورة من روبوتات "نيكسوس٨" ، فإن النبضات الكهرومغناطيسية تطلق العنان لدمار واسع الانتشار ، وبعد سنوات يقع اللوم على المستنسخين عن هذا الهجوم العشوائي ، ثم تقوم شركة "تيريل" بإنتاج مجموعات روبوتية (بيولوجية فرعية جديدة من نمط "نيكسوس٩" ، وذلك لجزء من وحدة "عدائي النصل" التي تمَّ إصلاحها حديثًا ، والمفروض أن تحل محل النماذج القديمة.

▪ **ملخص الفيلم:**



الضابط "كي" (دي٦-٣,٧) ريان غوسلينغ هو "بليد رانر " الجديد في هذا الشريط: إنه تحري مقدام وقاتل متخصص بصيد البشر المستنسخين بيولوجيًا من الطراز القديم (وخاصة نماذج النيكسوس ٨ المتقادمة)، والتي لا تزال طليقة (ولا نعرف لماذا يستقصدها تحديدًا ؟). هكذا وبعد مواجهة قتالية ضارية مع أحدهم (باوتستا) في مزرعة بروتين نائية، يكتشف "كي" بالصدفة صندوقًا مدفونًا من العظام، إنه سِرٌّ ربما سيهز هذا العالم، الأمر الذي سيدعوه للبحث عن محجر من نوع جديد... هناك في هذا الفيلم الغريب دموع وثلج ومطر وجرعات من الشمس في كاليفورنيا، ومقابر قديمة تحفل بالقشور المعدنية الصدئة، كما يوجد طعام الشوارع المعتاد على عربات شفافة في مدن آسيا، وفي المستعمرات الجديدة النائية والتي من الصعب الوصول إليها ، وهناك الإعلانات الضخمة الملونة (ومنها إعلان ضخم لكوكوكولا) و"عاهرات ليل" منتشرات في بعض شوارع المدن المتلألئة، وكذلك الاختبارات النفسية الغامضة المزعجة والأدوات التماثلية المسيطر عليها بصريًا، وكذلك الرفقة "الهولوغرافية" المثيرة والبديلة للرفقة الإنسانية. ولكن هناك أيضًا الذاكرة والهوية والبُعد الإنساني والتيه والشكوك والملاحقات التي لا هوادة فيها، فقد حدث الكثير خلال تلك العقود الثلاثة

القادمة، حيث تكاثر البشر وانهار النظام البيئي العالمي لقلة الوعي والتكالب على استنزاف الطاقة الاحفورية وارتفاع غازات النيتروجين وثاني أكسيد الكربون، كما حدث نتيجة لذلك شلل غير متوقع في أنظمة العالم الغذائية التي استنفذت بالكامل مما أجبر البشر حينئذٍ على الاعتماد الكلي على مزارع الدود والبروتين المستنسخة، علمًا بأن الفيلم لم يظهر هذه التداعيات المرعبة بشكل سافر وربما بقصد لكي لا يتوه المشاهد في خضم الأحداث... كل هذه التداعيات وضعت شركة "تيريل" المسؤولة أمام تحديات صعبة.

يقول هذا الفيلم الكثير عن نقاط قوة "غوسلينغ" التي تبعث منذ البدء على الدفء والتعاطف في فيلم بارد جدًا ولكنه أخاذ، كما أن صديقة البطل الجميلة جوي "الهولوغرافية" الطريفة تدعوه تحببًا بـــ"جـــو"، وحتى سيارته الطائرة المحدثة من الفيلم الأصلي تأتي الآن مزودة بطائرة درون صغيرة قابلة للانفصال عند الضرورة لتقصي المعلومات والمواجهة، ولكن بالحق فلا يمكن الهروب من حقيقة قوة وتأثير نسخة "ريدلي سكوت ١٩٨٢" الأصلية اللافتة، مثل مشاهد الضوء الزرق في منتصف الليل الذي يتلألأ مع حبات المطر المتساقطة، أو مثل مشاهد مدينة "لوس أنجلوس" المضاءة والمشرقة بالنيون والتي تتماثل لحد ما مع طوكيو، أو كالديكورات الداخلية "الذهبية- الصفراء" التي كونت في أذهاننا هالة مؤرقة لعالم تائه ومسكون ومطارد بعبث غامض ولغز عميق... ولكن المصور المتمكن "روجر ديكنز" اقترض ذلك من الفيلم الأصلي وزاد عليه محدثًا فأتحفنا بكم خلاب من اللوحات "الذهبية- الصفراء"، وتعاون مع مصمم الإنتاج البارع "دينيس غاسنر" فخلق لنا عالم سينمائي ساحر وقاتم ورمادي وغامض في آن.

- مغزى الظهور المتأخر لشخصية ديكارد

ولكن الفيلم بالرغم من تفوقه يقع في عدد قليل من الأخطاء الواضحة، فهو لا يضعنا حقيقة بأجواء العالم المضطرب حينئذٍ حيث بدا هذا العالم فارغًا إلا

بالحد الأدنى من الأشخاص والبشر ، وكذلك بدا "جيرد ليتو" غير مقنع كعبقري أعمى يرتدي وسائل الاتصال ، أو برغبته الحقيقية كقطب شركة احتكارية لحل مشاكل الغذاء العالمية المستفحلة حينئذٍ ، وبدت هذه المشاهد ككليشات منمقة بلا عمق سينمائي وإن كان الممثل "كاريزميا" ، وحتى الموسيقى التصويرية للمبدعين "بنجامين وولفيش وهانز زيمر" فقد كان يمكن أن تكون أكثر تطفلاً وانغماسًا وتفاعلاً وخاصة مع حالة وقوع "كي" على اكتشاف مهم في المزرعة النائية.

وكدنا بالحق نفتقد لوجود الممثل القدير المخضرم "هاريسون فورد" في أول ساعتين ، ولكن كثرة المشاهد القوية المعبِّرة التي تكشف لنا تدريجيًا عن نضارة هذا الفيلم وفرادته، أنستنا ربما ذلك، ومنها فضول "كي" الذي يدعوه بقوة لزيارة مستودع قديم الطراز وداكن ومنسي، يعمل فيه أطفال أيتام على صناعة حاسبات الكمبيوتر ، وبدت هذه المشاهد كمزيج عصري لأجواء الروائي البريطاني القدير "ديكنز" ، حيث يتكدس الأطفال في ظروف قاسية لصناعة الهواتف ولتحقيق الأرباح الكبيرة لأرباب العمل الرأسماليين القُساة، ونرى "كي" يعود محتارًا لمزرعة "مورتون" ، ليجد تاريخًا منحوتًا مخفيًا يتطابق مع ذاكرة طفولته المتعلقة بدمية لحصان خشبي صغير ، والتي يجدها بعد البحث في نفس ميتم الأطفال الكبير (حليقي الرؤوس)، مما يشير لحقيقة ذكرياته التي كان يعتقد بأنها مركبة ومزروعة... وأثناء بحثه عن سجلات الولادة في الميتم المذكور لتلك السنة ، يكتشف شيئًا غريبًا يرتبط بوجود توأمين (ذكر وأنثى) ولدا بنفس العام، مع وجود تطابق في الحامض النووي (الجيني الكروسومي)، ويكتشف بأن الولد هو من بقي فقط على قيد الحياة!.. كما يتبع ذلك اكتشاف "كي" لامرأة شابة لطيفة معزولة في خيمة بلاستيكية زراعية كبيرة بسبب نقص مناعتها ، تتركز وظيفتها العجيبة في صنع

الذكريات ليتم زراعتها لاحقًا في أدمغة المستنسخين، حيث تنشأ تلقائيًا علاقة عاطفية جميلة وقتية مع التائه "كي"... ثم يظهر لنا كمشاهدين "مشدوهين" أن هناك شعورًا مزعجًا خلال الساعتين الأوليتين يكمن في افتقاد شيء ما، وأخيرًا فبحث "كي" يقوده لإيجاد "ريتشارد ديكارد" (البليد رانر الأصلي)، هكذا ينضم "هاريسون فورد" ليدمر (بالتشويق) الـــ ٤٥ دقيقة الأخيرة لهذا الشريط الفريد، مما يعطينا بُعدًا استثنائيًا لافتًا: فقد انتهت القصة الأولى (١٩٨٢) وهو يركض هاربًا مع صديقته المستنسخة "راشيل"، وبدا التجسد هنا غامضًا، فقد كانت التكهنات تدور حول فكرة فيما إذا كان "ديكارد" نفسه مستنسخًا، لكن فورد لا يشارك في هذا الفيلم لأسباب الحنين (نوستالجيا) فقط وإنما يجلب في الساعة الأخيرة عناصر القوة والطاقة والتشويق للدور المحوري، وذلك لاحتواء شكوك "كي" بشأنه، وكذلك لحماية ماضيه الحافل ورغبته الجامحة بالبقاء على قيد الحياة، ولكن إبداع فورد التمثيلي يقوم بأكثر من ذلك، فهو ينشط دورًا أيقونيًا خالدًا ويفعل أداء "غوسلينغ" الذي استنفد خلال الساعتين الأوليتين، وتبدأ المواجهة بينهما بحدة النقاش الكلامي أولاً لتنتهي كالعادة بمواجهة غير متكافئة بالقبضات، مما يضعنا أمام حبكة جديدة شيقة، تتمثل بالتنافس الحاد على سرقة الكاريزما السينمائية، وليس بطريقة سطحية مبتذلة، وإنما بعمق تمثيلي نادر، ويساعد على ذلك الأجواء "الديكورية" المتمثلة بوجود ديكارد في موقع جذاب يتمثل في الكازينو القديم الذي يقيم فيه، والمزود ببار ومسرح كبير مهجور، والذي يُظهر على خلفية عراكهما "صورًا حية تعبيرية وجميلة لرقصات ألفيس برسلي وأغاني فرانك سيناترا الخالدة، وبشكل متقطع مقصود، وذلك قبل أن يتعرضا لهجوم كاسح من قِبل طائرة فضائية. أما اللغز هنا فيتمثل بشخصية فورد المحيرة فيما إذا كان "ديكارد" المطارد نفسه مستنسخًا أم حقيقيًا، وعليك كمشاهد أن تستنتج ذلك بنفسك وتخمن من خلال رؤيتك لهذا الفيلم وللفيلم الأصلي (١٩٨٢).

وتبدو المفارقة الطريفة جلية عندما يبادر غوسلينغ بالاستفسار من ديكارد بعد جلوسهما على البار فيما إذا كان كلبه غريب الشكل حقيقيًا أم مستنسخًا ، حيث يجيب فورد بسخرية: "عليك أن تسأله بنفسك"!

- هدوء وغموض وذكريات:

وبدلاً من التركيز على التكنولوجيا التي أدت إلى تلك الفوضى، وبدلاً من تصوير جموع الملايين الهائجة-المائجة كما نشاهد عادة في نمط أفلام الكوارث المستقبلية، وخاصةً أن تعداد سكان الأرض سيزيد عن العشرة مليارات إنسان في منتصف هذا القرن، فإن الفيلم ينحى أسلوبًا تشويقيًا غامضًا وشخصيًا وربما بوليسيًا بطريقة نبشه التدريجي للذكريات والبحث عن طفولته وهويته مثيرًا التساؤلات والفضول والسعي الحميم لملاحق هواجسه، فالمحقق الجريء الذكي "كي" يلاحق كل نماذج "الأندرويدات" المتماثلة القديمة، ويسعى جاهدا للتخلص منها.

- روعة السرد "البطيء كالقطرات"والتناول الكلاسيكي المفعم بالرومانسية والسخرية والتراجيديا:

إنه فيلم يبعث على التأمل العميق والاستبصار، متوسعًا في الثيمة الأصلية، ممثلاً نموذجًا متكاملاً للإنتاج السينمائي المتوافق في هارموني متماسك، كما يمثل "كلاسيكية" أخاذة في سينما الخيال العلمي، مع مشاهد بصرية أخاذة وإبداع فريد في التصميم الإنتاجي والموسيقى التصويرية (في أروع استخدام ممكن لنظام "الآي ماكس" المبتكر)، كما لا ينسى الكثافة التشويقية والغرابة والدهشة والاتساع الفني وطوال فترة العرض، محافظا على الزخم، ونجح باللعب على ثيمات وحبكة الفيلم الأصلي الذي أخرجه ريدلي سكوت في العام

١٩٨٢ (وقد تولى هنا مهمة الإنتاج)، كما أنه توسع بهذه الثيمات لينطلق لآفاق سردية- بصرية جديدة، إنه معمول بنفس نمط فيلم الوصول لنفس المخرج (٢٠١٦).

اللاعب الجاهز الأول / ريدي بلاير وان (٢٠١٨)



إنها رواية الخيال العلمي الشهيرة "ريدي بلي ون" التي صدرت في العام ٢٠١١ ، للكاتب "أرنست كلاين" ، والصعبة التحقيق سينمائيًا ، والتي تجرأ كعادته "ستيف سبيلبيرغ" لتحويلها أخيرًا لعمل سينمائي ترفيهي لافت ، وتتحدث الرواية عن عالم "ديستوبي-خيالي" جامح، في العام ٢٠٤٤، حيث تتبع القصة بطل الرواية المراهق "وايد واتس" ، أثناء هروبه للبحث عن بيضة الفصح في لعبة الواقع الافتراضي في جميع أنحاء العالم. حيث سيؤدي اكتشافه للحصول على ارث كبير تركه مبدع اللعبة كمكافأة للفائز... وقد فازت هذه الرواية الشيقة بجائزة "بروميثيوس" للعام ٢٠١٢، ويتحدث الفيلم عن العام ٢٠٤٤ تحديدًا ، عندما يعاني العالم حينها من أزمة طاقة خانقة، واستنزاف غير مسبوق للوقود الاحفوري، وما ينتج عنه من احترار وخلل مناخي كاسح، وعن ملحقات ذلك من البؤس الحياتي والاكتظاظ السكاني، مما سيتسبب بحدوث مشاكل اجتماعية واسعة وركود اقتصادي كبير ، حيث سيسعى معظم السكان للهروب من بؤس واقعهم، ليذهبوا بمعظمهم للواحة الافتراضية ، التي يمكن الوصول إليها بواسطة استخدام الأقنعة البصرية

"الفيديو صوتية" وباستخدام القفازات اللمسية الخاصة ، وبواسطة قيامهم بحركات محددة موضعية تمكنهم من دخول هذا الواقع الافتراضي البهيج ، هاربين من نمط حياتهم اليومي البائس ومسؤولياتهم الضاغطة ، وقد سعى عبقري اسمه "جيمس هاليداي" لإنشاء هذا العالم وعندما توفي بعد فترة وجيزة ، أعلن في وصيته أنه ترك بقصد "بيضة الفصح" ، مخفية في مكان ما داخل الواحة ، وأن الشخص الأول الذي سيجدها سيرث كامل ثروته وشركته أيضًا ، لذا فالقصة الشيقة تتبع مغامرات "وايد واتس" ، التي تحدث بعد حوالي الخمس سنوات من إطلاق هذا الإعلان ، وذلك عندما استخدم براعته وشغفه وروحه التنافسية الجامحة لاكتشاف أحد المفاتيح الثلاثة التي تشير للكنز المخبوء.

- دهاليز الحبكة الشيقة والفنتازيا الممتدة:



المفتاح الأول يقع في العالم الافتراضي ، حيث موقع مدرسته الثانوية عبر الإنترنت ، ويسعى لإعادة تشكيل وحدة "مدفن الدرغون" ، حيث يلتقي مع "أرتيمس" ، لكن حركاته هذه تلفت انتباه "نولان سورينتو" ، الذي يطلب منه الانضمام لشركته ، وعندما يرفض يسعى لقتله في موقع سكنه الحقيقي ، ولكنه ينجو بمعجزة في اللحظات الأخيرة ، فيسعى نشطاء الشركة لاغتياله

في حفل عيد ميلاد "اوغدن مورو" المؤسس المشارك ، فتتمكن "أرتيميس" حينئذٍ من إيجاد مفتاح حجر العقيق ، ليهرول بارزيفال إلى كوكب يدعى "آرشايد"، ويلعب هناك لعبة "باك مان"، متلقيًا رُبع الجائزة فقط.

ثم يلحقه أيش إلى كوكب "فروبوز" ليحل طلاسم لعبة المغامرة "زودوك"، لكن سورونتو يلحق بالفتاة "أرتيميس"، مستخدمًا قطعة أثرية للتتبع، ومؤسسًا هناك قاعد للتجسد "الأفاتاري"، وينجح بارزيفال من فتح بوابة العقيق في كون "عداء النصل" الافتراضي هذا ، ويكمل بجسارة اللعبة ليحصل على المفتاح الكريستالي الثاني، ثم ليكتشف تدريجيًا شروط فتح البوابة النهائية. ويرسل "المسيجات" الدالة لأصدقائه الثلاثة "أرتيميس وأيش و شوتو" مع الحلول الدالة ، ويستبقهم سورنتو كعادته ، فيدخل على الخط ، معطلاً محاولاتهم السرية لإزالة البوابة الثالثة، المسماة بقلعة "أنوراك"، واضعا حولها حقل قوة منيع...

ثم في يوم المعركة الختامي، تسقط كل المتاريس، وينتهي قتال المتجسدين، ويتم فتح البوابة ، ويهرع فريق "النشطاء السداسي" المعادي لزرع قطعة أثرية محفزة لتدمير القلعة وإخفاء كافة الرموز، ولكن "باك-مان" ينجح بمنح بارزيفال عُمرًا إضافيًا ضروريًا، فيعلن هذا الأخير مبتهجًا، مشاركته لثروته الجديدة مع أصدقائه الثلاثة، مسترجعًا بيضة الفصح المخبئة، مسيطرًا على الواحة الافتراضية، كما يتم القبض على سورينتو بتهم القتل والتآمر ، ثم يجتمع "واد مع آرتيميس" بشخصيتهما الحقيقية، ويتبادلان قُبلة معبِّرة ذات مغزى، مستغلاً الفرصة السانحة، ومتجنبًا الخطأ الذي وقع به هاليداي وندم عليه أشد الندم، عندما اصطحب صديقته للسينما ذات مرة، وفوَّت فرصة تقبيلها!

- الحب الرومانسي الهادئ مقابل العنف والقتال الحركي الجامح:

يحوي هذا الفيلم على كل ما نتوقعه من الخيال العلمي الغريب المكلف، فهناك التسلية والترفيه، كما اللطف والرومانسية والحب، مع العنف والقتال الحركي والكائنات الروبوتية العجيبة، وأكثر من ذلك، فهو يدخلنا لحنين ذكريات التحف السينمائية الفريدة، مثل جولة الأبطال لدهليز رعب "فيلم البريق" لستانلي كوبريك مع الطفلتين الصغيرتين التوأمتين البريئتين... وتدفق موجة الدماء الساحقة فجأة في ردهات فندق الرعب هذا... الفيلم هو بمثابة تكثيف لعالم خطير ومبهج واستدعاء شيق لذكريات سينمائية، ويحفل بمغامرة غير مسبوقة افتراضية لشخصيات طموحة متعددة، مع كم كبير من البهرجة والضوضاء اللافتة.

- تدوير جديد مذهل للثقافة الافتراضية

وصداح أغنية مدهشة لثقافة البوب الرقمية

حيث الحياة في الواحة الافتراضية مثيرة وعجيبة ومتواترة، وقد نجح سبيلبيرغ بإعادة المشاهدين المهتمين لطفولتهم أو مراهقتهم، عن طريق دقة استناده للإشارات والمراجع الثقافي لهذا العالم الافتراضي المصطنع، مع كم كبير من البهرجة والتلوين والإبهار الحركي المتدفق، ولكنه لم ينسَ الواقع فبقي يذكرنا دومًا بحقيقة الشخصيات، ثم ألقى قنبلة مدمرة على عمارة البطل "الحقيقية" قاتلاً خالته وكافة جيرانه، لكي يوجعه ويدخله لصراع "حياة وموت" لا هوادة فيه، تمامًا كما تفعل أمريكا الغادرة " الرامبووية/الكاوباوية" (من رامبو وكاوبوي) دومًا بأعدائها لتفاجئهم وتغدرهم وتخل بمعادلة السكون والتوافق والترقب، بغرض دحر العدو والإخلال بمعادلات التوازن!

(٥)

نظرة جديدة لتحفة "جيمس كاكيرون" آفاتار (٢٠٠٨)

فكرة الفيلم افتراضية ولكنها ربما تستند لرؤية واقعية، فالأرض فد تعاني مستقبلاً من نقص خطير في مصادر الطاقة بعد نضوب النفط ومصادر الطاقة الأخرى، كما أنه من الصعب العيش في كوكب ذي أجواء سامة كبانادورا، مما تتطلب منطقيًا استنساخ كائنات هجينة (مخلوقة مخبريًا وتفكر بالعقل البشري)، تجمع ما بين خصائص الذكاء البشري (التفكير الخلاق) وخصائص السكان الأصليين كما رأيناها في الفيلم (في الشكل والطول والرشاقه واللون والقوة واللغة)، وقد تكون الأمور كلها قد أخذت منحى آخر لولا وقوع 'جاك سالي' في حب رومانسي جارف مع سالدينا (ابنة زعيم القبيلة)، والغريب هنا أن شخصيات كوكب البانادورا والشخصيات المستنسخة مخبريًا بدت أكثر واقعية وحياة من النمط الكرتوني الروبوتي الذي بدت فيه شخصية الكولونيل كوارتش (ستيفان لانغ)، أو حتى شخصية قائد البعثة، الذي لا يهتم إلا بنجاح المشروع والذي لا يقيم وزنًا لثقافة وقيم السكان ولا للتعامل الإنساني معهم، وبدت شخصيته مطابقة لشخصيات المدراء التنفيذيين لشركة 'بلاكووتر' (السيئة الصيت) والتي عملت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي. ولكن كاميرون بذكائه السينمائي حقق الانتصار بشكل غير متوقع لسكان الكوكب، وذلك بهدف إعطاء الفيلم نكهة إنسانية درامية جذابة لتحقيق الرواج والتقبل وكسب شباك التذاكر!

- **لقطات لافتة:**

- ٦٠ % من الفيلم مصنوع حاسوبيًا كمؤثرات رقمية حاسوبية مدمجة مع الصور المتحركة ، و٤٠ % عبارة عن مشاهد تمثيل وأكشن واقعية للشخصيات السينمائية.

- حاول كاميرون استقطاب الأطفال بجعل السكان يبدون كالقطط الخضراء الطويلة والرشيقة (بعيون صفراء) ، وبمناظر الطبيعة الخلابة والغابات الملونة الخرافية.

- تم استخدام معدات مبتكرة كالطوافات والطائرات والروبوتات المقاتلة ، وربما ستلهم هذه الأسلحة والمعدات من يصنع الأسلحة لإنتاج أجيال جديدة متطورة من الأسلحة والمعدات.

- ذكَّر المشاهدين بمشاهد حربي فيتنام والعراق بضراوتها ، وحتى باقتباس بعض التعبيرات من حرب العراق تحديدًا مثل : الصدمة والصاعقة (Shock & Awe) وكتعبير "حارب الإرهاب بالإرهاب".

- تعتمد فكرة الفيلم على مفهوم 'الاستنساخ الذهني' كما ظهرت في فيلم 'المستنسخون' ، وربما سيعمل العلماء مستقبلاً على تطوير هذه الفكرة واقعيًا.

- قدَّم الفيلم عددًا كبيرًا من أصناف الحيوانات والطيور والحشرات والوحوش الخرافية ذات الأشكال الأسطورية ، ومنها الأحصنة والكلاب الوحشية والثدييات الضخمة ذات الستة أقدام والديناصورات الطائرة ، وبعض الأشكال مستوحى من كائنات منقرضة عاشت على كوكب الأرض في ماضي العصور.

- تمارس قبائل كوكب "البانادورا" ديانات سحرية تخاطرية ذات قوة ذهنية جمعية هائلة، وذلك بشكل طقوس وثنية تعتمد أساسًا على تقديس الشجر والأرض والطبيعة، وقدم كاميرون صورًا أخاذة لكائنات صغيرة طائرة تشبه الفراشات والفطر وتتحرك بأمر الشجرة المقدسة.

- لا أدري لماذا ذكرتني مشاهد الاستعدادات الحربية بمناظر المجنزرات والبلدوزرات الإسرائيلية وهي تسعى بوحشية لاقتلاع أشجار الزيتون القديمة في أراضي وقرى فلسطين، وكذلك بمقاومة السكان لها وكأنهم هنا أيضًا مرتبطين روحانيًا بالشجر وتراب الوطن.

- الفيلم يتضمن نَفَسًا رومانسيًا وبطوليًا نادرًا، فهو يتحدث عن ضابط بحرية مقعد يقرر بإرادته أن يترك مجموعته الجشعة الفاسدة "الاستعمارية"، وأن ينضم مقتنعًا لشعب كوكب 'البانادورا'، شاعرًا بأنه ينتمي اليهم بعد أن يكتشف شر مجموعته مقابل نقاء السريرة لدى شعب 'البانادورا'، بل وبراءة وعظمة انتمائه لأرضه ووطنه، وهو يشبه لحدٍ ما 'طرزان' أو حتى 'كيفن كوستر' في الفيلم الشهير 'الرقص مع الذئاب'.
- وحيث تصف 'نيتيري'جاك بقولها: أنت تملك قلبًا قويًا ولا تخاف، ولكنك غبي وجاهل كطفل صغير!

- لا تبدو التحية الوطنية التي تصدر عن 'النافي' في أخر الفيلم حيث يصرخ فيها: 'أنا أراك!'، لا تبدو عبثية، وخاصةً أنها وجهت لشخصية جاك الحقيقية (المعقدة)، وربما تعتبر من أقوى المشاهد المشحونة عاطفيًا، حيث يبدو حينها وكأن الشخصيتين قد توحدتا معًا، فيما أدرك 'النافي' (شخصية كوكب البانادورا) تجانسه وتوحده مع جاك الحقيقي (وكأنه لاقى نفسه).

- لقد أبدع الممثل الاسترالي الصاعد 'سام وورثنتون' في تمثيل مزدوج لشخصيتي البطل الرئيسي، وتفوقت 'سيجورني ويفر' على نفسها في أداء مقنع ومذهل، وكذلك برعت 'ميشيل رودريجيز' بلعب دور بطولي متميز، ولكني أتوقع الأوسكار لـــ'زوي سالدانا' التي لعبت دور ابنة زعيم القبيلة (Neytiri) بتقمص مذهل قل نظيره! وللعلم فقد تمَّ تصوير مشاهد الفيلم في أستديوهات لوس أنجلوس وفي كل من نيوزيلندا وجزر الهاواي.

- تطلب الإنجاز الفعلي للفيلم عملاً استغرق أكثر من ثلاث سنوات، وشارك في إنجازه ٢٠٠ شخص من كافة التخصصات والمهارات، بتكلفة تزيد عن الـــ٣٠٠ مليون دولار.

- تدور قصة الفيلم تحديدًا في العام ٢١٥٤ ويتطلب السفر إليه ست سنوات ضوئية... كما يوجد على سطح الكوكب (الافتراضي) حوالي ٥٠٠ نوع من النباتات والمخلوقات الغريبة.

- صنَّف (بل لخَّص) بعض النقاد الفيلم على أنه فيلم مغامرات جريء حافل بالمكونات الرومانسية، ضد الإمبريالية (والاستعمار) وضد الاستخدام (الشرير) للتكنولوجيا، يدعو لاحترام الثقافات والمخلوقات الأخرى الغريبة ولتقديس الطبيعة ومكوناتها!

- وأخيرًا فإنه لم يكن عبثًا استثمار هذا الكم الهائل من الأموال والجهد وأكثر من عقد ونصف من الانتظار والعمل الدءوب المتقن لإنجاز مثل هذه التحفة الفنية الأخاذة، التي ستضمن بالتأكيد لصانعها (جيمس كاميرون) مقعدًا دائمًا له ضمن قائمة المخرجين العشرة العظام في تاريخ السينما.

(٦)

قصة حرب النجوم / روج ون (٢٠١٦)

"فهذه حقيقة الحروب ، حيث يظهر الطيبون كأشرار ، والأشرار يظهرون كأخيار"

(تقديم نمط جديد فريد من الكتابة النقدية السينمائية)



يقوم المتمردون وحلفاؤهم بمبادرة جريئة لسرقة "الخِطط" من النجم الميت وتحطيمها قبل أن تُنفذ وتسبِّب الكوارث ، وتقودهم "جين ايرسو" ابنة مصمم السلاح الخارق "اللامبالي"... هكذا تستهل هذه "الساجا" السينمائية ببساطة ، ملحمة فضائية رائعة من إخراج البريطاني "جاريث إدواردز" (صاحب غودزيلا) ، ومن كتابة كل من "كريس وايتز وتوني جيلوري" ، وتمثيل نخبة من الممثلين منهم : فيليستي جونز ، ديغو لونا ، الآن توديك ، بين ميندلسون ، دوني ميكلسن ، ريز أحمد ، جيانغ وين وفورست ويتاكر...

أما تفاصيل هذه القصة الفضائية "المتشابكة" الشيقة فسأعرضها في الفقرات التالية:

١) يكون عالم الأبحاث القدير جالين ايرسو وعائلته مختبئين، عندما يجبره مدير "الأسلحة الإمبراطورية المتطورة" اورسن كرينيك جالين للعودة صاغرًا للعمل في "مشروع كرينيك" غير المنجز "النجم الميت"، الذي هو عبارة عن محطة فضائية قادرة على تحطيم الكواكب... وتحدث اشتباكات تؤدي لمقتل زوجة العالم وهروب الابنة التي يؤمّن لها "سوجيرا" الحماية... وبعد خمسة عشر عامًا، يقوم طيار مركبة الشحن الإمبراطورية المخلص "بودهي روك" بتهريب رسالة "هولوغرافية" من العالم الهارب "جالين" للحلفاء المتمردين "كجيرا" في كوكب "جيدها"، ثم يتم تحرير جين من الأسر الإمبراطوري بواسطة المتمردين، الذين كانوا يخططون لاستخدامها كرهينة لتعقب والدها وتصفيته لمنعه من إكمال مشروعه الخطير.

٢) تصل "جين" مع كل من قائد المتمردين "سايني آندرو" والأندرويد الطريف الذكي "K-2SO" ل"جيدها" لإيجاد "جيريرا، حيث ينغمس المتمردون بهجوم مسلح ضد الإمبراطورية لاستخراج "كريستال" من الكوكب لشحن سلاح الدمار الشامل، بمساعدة محارب شجاع أعمى يدعى "شيروت ايموي" ومرتزق "بينر مالبوس"، وتتوصل جين أخيرًا للقاء "جيريرا" الذي يأسر "رووك"، ثم يعرض لها "سو" الهولوغرام الذي يكشف فيه والدها حبه الشديد لها وتفاصيل مشروعه السري ومنها "إمكانية تفجير المفاعل من داخله"، ثم يخبرها بأن الخطط محفوظة بأمان في بنك معلومات سري في الكوكب "سكاريف".

٣) يلتقي "جراند موف تاركين" مع "كرينيك" في الكوكب الميت ليسخر من مشروعه وطريقة إدارته، ويدافع كرينيك عن وجهة نظره بعرض قذيفة "متدنية القوة" من السلاح لتدمير عاصمة "جيدها" وقتل المسلحين تحت قيادة "جيريرا" ، مجبرًا "جين" ومجموعتها على لهروب ، فيما يقتل "جيريرا" بعد أن يقي يقاوم ببسالة ، وهكذا يهنئ تاركين كرينيك ، مستخدما إجراءاته الصارمة للتحكم بالمشروع.

٤) تتعقب "جين" والدها لمرافق الأبحاث الإمبراطورية ، ولكنه يتعرض لجروح قاتلة أثناء الهجوم والمطاردات وتفجيرات الثوار ، ثم يموت بين يديها ، وقبل ذلك يعترف صراحة لكرينيك بأنه كان مسؤولاً عن التسرب المعلوماتي ، ولكنه لا يفصح عن تفاصيل التسرب ، فيسعى "كرينيك" لإخلاء الكوكب، وينجح المتمردون بالهروب في مركبة شحن مسروقة!

٥) تتعقد الأمور فتقدم "جين" خطة لسرقة مخططات "النجم الميت" من كوكب "سكاريف" ، ولكن مع وفاة والدها ومقتل جيريرا وفقدان الهولوغرام ، لا يملك قادة المتمردين وسيلة للتحقق من صدق روايتها، وبالتالي لا يوافقون على الخطة، ويصيب ذلك جين بالإحباط، فتقوم مع آندرو و"K-2SO" وبعض الثوار المخلصين باستخدام المركبة المسروقة لغزو بنك المعلومات للبحث عن تفاصيل المشروع بينما يقوم باقي المتمردين بزرع المتفجرات وإشعال النيران بغرض تشتيت انتباه حراس الإمبراطورية... ثم يهرب المتمردون ويهاجمون المحطة الفضائية التي تتحكم في بوابة حماية الكوكب ، وتحصل جين أخيرًا على خطط "النجم الميت" من البيانات ، بمساعدة "كرينيك" الذي يراجع اتصالات "جالين" لاكتشاف طبيعة "المعلومات المسربة" ، ويتحطم الأندرويد الروبوتي "K-2SO" أثناء هجوم قوات الصاعقة على الموقع، كما يُقتل خلال العملية الهجومية

الضارية كل من "رووك ، ايموي ، مالبوس وآخرين ، وتحدث مواجهة حاسمة بين "جين وكرينيك" ، حيث يعلن بدوره "الانتصار الحتمي للإمبراطورية، ولكنه يقتل فجأة من قبل "آندرو".

٦) يستخدم تاركين النجم الميت لتدمير القاعدة الفضائية، بينما تستخدم "جين" نظام الاتصالات في القاعدة لإرسال مخططات النجم الميت للحلفاء في مركبة القيادة الفضائية المنطلقة في الأعالي... ثم يقتل كل من "كرينيك وجين وآندور" متأثرين باحتراق القاعدة... وتقوم وحدة الإمبراطورية الضارية بقيادة "دارت فيدر" بمواجهة سفينة المتمردين الهاربين، ويستعيد "فيدر" الخطط المسرقة ، بينما يحارب المتمردون بضراوة لاستعادة المخططات وينجحون بالهروب ، وتعترف الأميرة "ليا" بأن الخطط المسروقة ستمنح المتمردين والثوار أملاً جديدًا في المستقبل.

يوضح المخرج "جاريث إدوارد" نمطية الفيلم المشابهة لفيلم حربي حديث... فهذه حقيقة الحروب ، حيث يظهر الطيبون كأشرار ، والأشرار يظهرون كأخيار ، انها قصة سينمائية معقدة وذات طبقات مع سيناريو غني مدهش يسمح بإنجاز ملحمة سينمائية لافتة... ليس غريبا على صاحب تحفة "غودزيلا" ومؤثراتها الصاخبة المرافقة للوحوش النووية النارية وزئيرها المرعب وتمزيق المدن وناطحات السحاب... ليس غريبا إبداع هذا التناغم المدهش في المعارك الضارية كما ظهرت في أخر الشريط، ولكن بالحق فقد أثرت كثرة المعارك والمطاردات والمواجهات لضياع قدرة المشاهد على متابعة مصائر بعض الشخصيات وبالرغم من ذلك فقد انبهرنا حقًا بجماليات المشاهد القتالية ومع التنوع الجاذب المبتكر لأنواع الروبوتات المتمثلة بالمركبات والطائرات والمدرعات والكائنات القتالية والوحشية المظهر التي أعطتنا فكرة عبقرية عن التصميم المستقبلي لهذه الكائنات والوحوش

والروبوتات الفضائية الخارقة (ولا أفهم شخصيًا كيفية التغلب الإنساني عليها بمثل هذه البساطة والبسالة القتالية التي ظهرت في الشريط!)، ومن منا يمكنه أن تجاهل مقولة "الراهب الأعمى" وهتافه العنيد الغريب "أنا مع القوة والقوة معي" في "فانتازيا الخيال العلمي الخارقة" هذه.

كما أبدع الممثلون جميعًا بأداء أدوارهم باحترافية عالية وتقمص مدهش: فيليستي جونز، ديغو لونا، آلن توديك، دوني ين، بن مندلسون، مارس ميكلسن وريز احمد، وقد وصف الممثل "راين ويلسون" الفيلم بأنه "مدهش وممتع ومثير، ورائع بشكل لا يصدق".

وبالرغم من كثرة التفاصيل في الشريط إلا أن قصته بسيطة للغاية فهو يتحدث عن أبطال يقومون بمهمة سرقة مخططات النجم الميت التي تمثل سلاح الإمبراطورية الخارق، وهنا تكمن المفارقة فالحدث الرئيسي يروي إمكانية تحويل الناس العاديين لأبطال خارقين يتفوقون على أنفسهم، كما يتحدث الفيلم الفضائي حول نفس الثيمة تقريبًا: إمكانية مواجهة النظام الإمبراطوري الكوني من قبل عصابات يائسة ومحبطة وذات عزيمة من المتمردين والثوار.

والسؤال الجدلي الصارخ هنا يكمن في مغزى استمرارية ثلاثية "الاستبداد والطغيان والشر" في مستقبل البشر الفضائي؟ فهل ستتطور التكنولوجيا وغزو الفضاء والمجرات والكواكب، ويبقى البشر على وحشيتهم وهمجيتهم وصراعاتهم البيولوجية الجينية بلا تطور ورقي وارتقاء حضاري توافقي إنساني: "أنت تخلط بين السلام والإرهاب" تحتج "ايرسو" ويسخر "كرينيك" "حسنا، عليك ان تبدأ من مكان ما"! هكذا يتم إحياء روح القيادة لدى الفتاة الجامحة من قبل المتمردين لتقودهم لعمل بطولي خارق، كما يستحضر الفيلم الشيق الصور"الأيقونية" لحروب "النورماندي وفيتنام" بضراوتها وقسوتها

ووحشيتها ، ويدخل للسلسلة الفضائية شخصيات جديدة متنوعة كالصيني والمكسيكي والبريطاني الأسود ويستثني العربي (ولا أعرف لماذا ؟) في مقاربة فضائية بصرية مدهشة ولكنها تخلو من العظمة والعمق والاستبصار ، وتفتقد لحبكة سردية كما تفتقد للسحر والنزوات ، مع تركيز كبير على "المعارك الضارية والقتل والتدمير" ، وانحصرت الطرافة بشخصية الروبوت الأندرويدي (مثله الآن تودايك) فكان صوته معبِّرًا وجاذبًا وكوميديًا وحتى متشائمًا أحيانًا. إنها ساعة القتال الآن والمكان مهيأ تمامًا للصراع المحتدم وخرائط المجرات والكواكب جاهزة ، وكذلك مخابئ المتمردين والأقمار الغامضة والقواعد الإمبريالية، يقول المخضرم "فورست ويتكر" معبِّرًا لجين عن واقع الصراع واحتدامه: "لدينا طريق طويل ما زال أمامنا"... ثم نرى مشاهد إطلاق النار الكثيف على قمر جديد مختلف، ومن الواضح ان الأمر جدي للغاية، حيث تبدأ المعارك الجوية والمركبات القتالية المدرعة، وتنفجر القنابل اليدوية بلا هوادة، وينغمس القناصة بمهماتهم القتالية الدقيقة... "روج وان" لا يتطابق كثيرًا مع معارك الحرب العالمية الثانية ولكنه يذكرنا بها مع المزيد من تفاعلات ألعاب الكمبيوتر المدمجة والمتقنة والجاذبة واللاهثة ، وهو يستخدم عددًا من المواهب ثقيلة الوزن مثل ويتيكر ومارس ميكلسن وجيمي سميتس وبن دانيلز ، مع طاقم جديد خفيف الوزن وجذاب مثل ديغو لونا وشخصية البطلة "جين" الكاريزية الجامحة، كما لعب المخرج باحتراف على الشخصيات الرقمية الروبوتية ، وبالغ أحيانًا بالحشو والإثارة محافظًا تمامًا على التكامل المشهدي البانورامي الجميل ، معيدًا للأذهان الحنين السينمائي لثلاثية "لوكاس" الخالدة ، ومعبِّرًا عن نموذج جديد لشخصيات غريبة لافتة كشخصية "الراهب الأعمى" الذي لا يثق إلا بالقوة.

نخرج من هذا الفيلم منبهرين ومنتظرين بشوق كبير النسخة الثامنة من "حرب النجوم" في ال٢٠١٧...

- **من تعبيرات وإيماءات الفيلم اللافتة:**



كل شيء حسب مشيئة القوة... حمتني القوة! "أنا متحد مع القوة والقوة معي"!

المقاومة مبنية على الأمل - حُماة معبد كايبر - الحقيقة والعدالة - وجدنا ثوار "سو" - هل عرفت أنه ليس أنا؟ كل شيء حسب مشيئة القوة - حمتني القوة! "أنا متحد مع القوة والقوة معي" - إنك تحمل سجنك معك حيثما تحل - الراية الإمبراطورية تغمر المجرة - استهداف مدينة "جيدا" - إنه خلل صغير داخل نظام وحدة المفاعل - وقد أحدث انفجارًا تسلسليًا صاعقًا - أنقذ المقاومة ونفسك أيضًا - علينا قتل "غالن ايرسو" - لقد صمَّم شركًا داخل المفاعل: فهناك نقطة ضعف تفجيرية موقوتة - باتت نسبة الإخفاق ٣٥% - إنه مستودع المكوكات فوق"الحيد الفضائي" - سيتعطل النظام برمته إن فجرنا وحدة المفاعل - لن تفوز أبدًا - إنها نجمتي المتألقة - احذر من الاختناق في طموحاتك - إنها نجمة الموت - مرة أخرى: إنها المقاومة المبنية على الأمل - حان وقت القتال - مخططات نجمة الموت - أقدِّر دعمك - نريد أن نتطوع لمحاربة الإمبراطورية - إنها قضية جديرة بالعناء: احملو السلاح- لتكن القوة معنا فالحرب محتومة- سأرسل بطلب "الجيداي"-

"سكاريف" إنه مجمع حماية الإمبراطورية – نأذن لمكوك الشحن بالهبوط – سنجد طريقة لإيجادها – يتردد النداء المحفِّز: "اجعلوا العشرة يبيدون مئة"! – أصبح المقاومون في كل مكان – أحضروا التعزيزات – ثلاثة أنواع من القادة: "الذهبي والفضي والأحمر" – اقفلوا كل من المنفذ الميداني وبوابة الدروع وأحدثوا ثغرة – سلوك غير متوقع لجين ارسو – إنها ديناصورات قتالية عملاقة – علينا الاتصال ببرج الاتصالات – إنها مدمرات النجوم – هذا مجمع المخططات – قاعدة برج الاتصالات – ملف عن النجمة المتألقة – لقد انتحر"الروبوت" لإغلاق الدرع – أهمية فتح ثغرة في الدرع لإرسال المخططات – مشاهد قتالية ضارية ونلاحظ أن قادة الإمبراطورية يسيرون بنفس مشية الألمان النازيين الشهيرة (إنه مجاز معِّبر عن طبيعة الصراع القائم) – ثم تكرار مقولة "أنا متحد مع القوة والقوة معي"!... ابحث عن القوة وستجدني (يقول الراهب الأعمى المستبسل قبل أن يلقى مصرعه بوابل من الرصاص)! فقدنا قوة المحرك ، ولكن المخططات معنا ، أخيرًا حدث "تراصف" للهوائي وأصبح جاهزًا للبث ونقل المخططات – انطلاق جسم هائل لخارج الفضاء وبدء الاشتعال... وأخيرًا المركبة "روغ وان" تنطلق بنجاح: لتكن القوة معك!

وقد قصدتُ حقًا أن أصيغ هذا السرد بهذا الأسلوب "الوصفي–المختصر" وبهذا النمط "الفريد–الغريب" ، ملتقطًا أهم الثيمات والتعبيرات والأوصاف والحوارات لكي أوضح للقارئ الكريم حيثيات التفاعل مع هذه التحفة السينمائية "الخيالعلمية" المكلفة المدهشة، بحيث يكاد يشعر أثناء القراءة وكأنه شاهد الفيلم مستمتعًا بأبعاده السردية والحركية والتصويرية الجمالية، وخاصة مع العدد الكبير من الصور المرافقة لهذه المقالة التي تتماهى "انطباعيًا" مع إبداع الفيلم وخيالاته.

وأخيرًا، من يكتب بهذا النمط من "الإخلاص والشغف والحرفية والتفاصيل"؟ أي ناقد سينمائي عربي يفعل هذا وبلا مقابل؟ أخبروني إن عرفتم أحدًا غيري قادر على تقديم هذا النمط الجديد الفريد من النقد السينمائي!

(٧)

آليـن - كوفننت /(الفضائي/ الميثاق)(٢٠١٧)

هراء فضائي كاسح وتحذير من الذكاء الروبوتي الجامح

مايكل فاسبندر يبدع بدور "الأندرويد" المزدوج: الطيب والشرير



الجزء الثالث الأخير من السلسلة الفضائية الشهيرة ذات البُعد المشهدي اللافت والتنبؤات الكارثية والتشويق المرعب النادر ، والخيال العلمي الجامح: ثلاثية "آلين وبروميثيوس وكوفننت" المتكاملة والشيقة...

من تمثيل كل من آمي سيلمتيز ، بيللي كرودوب ، كالي هيرناندز ، كارمن ايجكو ، داني ماك برايد ، ديملان بلشير ، جوسي سمولتز ، كاترين موترستون وميكل (ميشيل) فاسبندر ، وإخراج البريطاني "ريدلي سكوت":

أثناء توجههم لكوكب بعيد في الجهة الأخرى من المجرة ، يكتشف طاقم مركبة الاستيطان (كوفننت) ما يعتقد بأنه "باراديس" قريب ، ولكنه يعتبر في الحقيقة بأنه مصيدة سوداء وعالم خطير مرعب ، حيث يسكنه "الأندرويد"/ المصنع دافيد (ميشيل فاسبندر) ، الناجي الوحيد من جحيم رحلة الاستطلاع السابقة "بروميثيوس" ، فيلم أكشن وخيال علمي تشويقي مرعب حافل بالعنف الدموي الوحشي ، حيث يحمل مايكل فاسبندر بشخصيتيه "الطيبة والشريرة" الفيلم على عاتقه ، ويتفوق بأداء الدور الصعب المزدوج ، كما تبدع "كاترين واترستون" بدورها القيادي وإحساسها وحدسها الغريزي بالأخطار الكامنة والقادمة... إنه رعب ممزوج بمهارة بالخيال العلمي ، ولكنه بالحق فيلم مخيب للآمال ، فبعد خمس سنوات من إطلاق "بروميثيوس"، نرى هذا الفيلم لا يجيب على أية تساؤلات أثارها بالطرح الأول ، بل يزيد الغموض ويأخذنا لمنحى آخر درامي وتصادمي... يموت كابتن السفينة الفضائية "جاكوب برايستون" (جيمي فرانكو) أثناء "السبات الرقادي الطويل" ، تاركًا زوجة مخلصة مرعوبة "كاترين ووترستون" ، مع مساعد ضعيف الشخصية اورام (بيلي كرودوب) ، فيما لا يزال حوالي ٢٠٠٠ مستوطن يرقدون في حجرات السبات مع الأجنة المجمدة.

أما فاسبندر الذي يلعب دور الأندرويد "دافيد" في فيلم "بروميثيوس" ، فيعود هنا ليلعب دور "والتر" كنسخة جديدة للشخصية "الروبوتية" الخارقة "دافيد" ، مع بعض التحوير العاطفي والشخصي وكم كبير من الطيبة الخالصة ، حيث تظهر الطيبة "الخيرة" مع الشر الشيطاني في التوأم الروبوتي.

يحاول طاقم المركبة "جميعهم" المحبطون والخائفون من الموت عند العودة للرقاد ثانية، يحاولون الاستفادة من فرصة صدور إشارة غامضة من كوكب قريب يبدو مأهولاً ، وينتهي بهم المطاف للنزول لكوكب مرعب مليء بالكائنات الوحشية ، التي ترغب بافتراسهم والفتك بهم بوحشية أو بالتوالد داخلهم وتمزيق أنسجتهم، ويتم إنقاذهم ظاهريًا من قبل الروبوت القديم "دافيد" (فاسبندر) ، الذي استوطن هذا الكوكب بعد النهاية الدموية الغريبة التي شاهدناها في فيلم "بروميثيوس" ، ويبدو هنا شكله مختلفاً فقد ربى شعره ، ولبس ثوب "الجيداي" (الروب المعروف من حرب النجوم)، مع قبعة رأس غريبة ، كما نفهم ضمناً أنه قتل الرائدة الشجاعة "نعومي راباس" (اليزابيت شو) بعد أن أنقذته واصطحبت رأسه في رحلتها المصيرية الغامضة لفك أسرار "المهندسين" ، ثم نراه يعيش معزولاً في أنقاض مدينة قديمة مدمرة، كان يسكنها قديمًا في العهد القديم ما يسمى "المهندسون" (لنستدعي المشاهد من بروميثيوس)، الذين يبدو أنه قضى عليهم أيضًا بسكبه لمادة سوداء سامة قضت عليهم جميعًا... ولكن ""دانيلس" تصمم على تحقيق حلم زوجها الراحل المتمثل بالعيش في كابينة منعزلة على ضفاف بحيرة، لذا فهي تدعم مخطط "اورام" لتحقيق ذلك في العالم الجديد ، ولكن حدسها يخبرها بأنها قد وقعت في مصيدة فاقدة للأمل، وكذلك يشعر باقي المستوطنين.

هكذا ينطلق الجزء الثاني هذا لآفاق جديدة وشيقة وغير متوقعة، ويبث عنف فضائي جامح لا يرحم ، يحول البشر إلى "مجازر من اللحم والأنسجة الممزقة والدماء المتطايرة"، وكذلك لرغبات مستميتة من حب البقاء، وهكذا نرى كل التقدم البشري المذهل بعد مئة عام، يذوب بمواجهة "الغباء البشري المزمن"، وهكذا ينتصر الروبوت الشرير "فاسبندر" (بدور الأندرويد القديم دافيد) ، ويتفوق بذكائه وحيلته وخبرته على الجميع ، ويموت معظم رواد

الفضاء المرعوبين، واحدًا تلو الآخر في مطاردة جحيمية وهيجان لا يرحم (والفيلم يؤكد ربما هنا مقولة العلماء العصريين الأذكياء، التي تحذر البشرية مستقبلاً من الذكاء الصناعي وقدراته اللامحدودة وإمكانية تمرده على صانعيه البشر)، وللتنويه فعندما أطلق سكوت الجزء الأول (آلين) من هذه السلسلة الشهيرة في ثمانينات القرن الماضي، ولاقت نجاحًا غير متوقع، علَّق عالم الفلك الشهير حينئذٍ "الراحل كارل ساغان" على فكرة ظهور الكائنات الفضائية الزاحفة بهذا الشكل الوحشي الغريب بأن "هذا مجرد هراء سينمائي ولا احتمال لوقوع ذلك أبدًا على أرض الواقع مستقبلاً"، وأيده سكوت مبررًا نجاح الفيلم حينئذٍ لبراعة السيناريو المحكم وللهوس الإخراجي ولبراعة التمثيل والمؤثرات حينها!

يظهر في مقدمة الفيلم الروبوت "ديفيد" في محادثة مع صانعه (كفلاش باك) بيتر ويلاند (الممثل غاي بيرس، الذي ظهر كشيخ مسن في فيلم بروميثيوس)، يظهر دافيد هنا بشكل البطل المنقذ، الذي يحمي المستوطنين من هجوم كاسح، تقوم به كائنات ممسوخة تدعى "زينومورفس" في حقل شاسع من العشب الطويل، كُتبت مشاهد هذا الشريط بعناية فائقة من قبل أربعة كتاب سيناريو " جون لوغان، دانتي هاربر، جاك باكين وايكل جرين" (ويعزى نجاحه لذلك بالإضافة لبراعة المخرج الشهير، حيث لا يبدو الفيلم كجسر متوقع ما بين شريطي: آلينس وبروميثيوس" فقط، وإنما بين "آلينس وبليدرانر"[١] أيضًا، جامعًا عناصر الأفلام الثلاثة في تحفة سينمائية فضائية جديدة رابعة:

---

(١) نشرتُ في حينها مقالتين عن فيلم بروميثيوس في المواقع الإلكترونية المختلفة، حيث يمكن تقصي ذلك بالبحث في الإنترنت.

- تسليط الضوء على المشهد الرائع سينمائيًا ، حيث تتحرك الكاميرا أفقيًا وببطء وبلا قطع ، لنرى "ديفيد" يعلِّم بشكل انتقائي "والتر" كيفية العزف على الناي ، هذه اللقطة تحديدة فريدة وتمثل قمة النرجسية والإغواء الشخصي.
- عقدة فرويد المتمثلة بمقولة "أن أكثر الأشياء التي تخشاها هي التي تحدث لك"... هنا تلعب بيضة "الزينومورف" (الزاحف الفضائي اللزج) ، التي تتسرب من خلال الأذن أو الفم خلسة.
- الجو الكئيب داخل مدينة ديفيد للموتى ، يشجِّع هذا النوع من الرعب الغريب ، فسطح الكوكب البركاني القاحل يبدو وكأنه حُفر بالليزر ، إنه بمثابة "خرافة ظلامية" حول الدمار والموت والولادة والإنهاك الجنسي وإعادة الخلق ، ولا ننسى وجود الزوجين الطيبين : داني ماكبرايد وايمي سيميتز.
- الفيلم يستند لمقولة فضائية حكيمة : في هذا الوقت ، في الفضاء الخارجي لن يسمعك أحد وأنت تصرخ!

يبدأ الشريط بالشاب واي لاند(جاي بيرس) ، وهو يحاضر لصنيعه الروبوتي دافيد (فاسبندر) ، حول غموض وتعقيد عملية الخلق ، طالبًا منه أن يعزف على البيانو معزوفة فاجنر الخالدة "دخول الآلهة" (لفالهالا) : يتم هذا الحدث قبل مشروع البروميثيوس ، ثم ننتقل لعشر سنوات للأمام ، وتحديدًا في نهاية فيلم بروميثوس عندما تضع نعومي راباس (اليزابيت شو) رأس دافيد المقطوع في حقيبة لتنطلق لكوكب المهندسين... نحن الآن في العام ٢٠١٩ ، حيث تنقل المركبة الفضائية "كوفننت"(الميثاق) ألفي مستوطن لكوكب ناء اسمه "اوريغاسي" لبدء حياة بشرية جديدة ، ولكن رسالة غنائية غامضة ومفاجئة ومشفرة باسم المغني الشهير "جون دينفر" ، تدعوهم لكوكب قريب

ملائم للحياة البشرية ، ونظرًا لمعاناتهم الحديثة التي تركت ضحايا ، ينحاز معظم الفريق للخيار السهل ، ويذهبون لاكتشاف الكوكب ، حيث الهواء قابل للتنفس مع وجود حقول القمح المكتمل النمو... فقط الضابط (قوية الملاحظة) دانيلس (واترستون) تلاحظ عدم وجود الطيور ، أو ضجيج الحيوانات في الكوكب الغريب ، ولكن سطح الكوكب يبدو مأهولاً بكائنات فضائية شرسة تدعى "كسينومورفس" (بشكل حيوانات زاحفة شرسة تشبه الديناصورات) ، كما توجد بيوض كثيرة لكائنات زاحفة مرعبة : تشبتيوسترس وزينومورفس (تم تخليقها مخبريًا خصيصًا لهذه السلسة الفضائية الغرائبية) ، وهناك كمبيوتر ضخم وشامل ونظام حجر صحي صارم ، كما أن الغبار الأرضي يحتوي ضمنيًا على حلقات من الهباء المحتوي على البيوض ، والتي تدخل الجسم بمجرد الدعس على الأرض ، يستحوذ فاسبندر بشخصيتيه المحورتين على معظم مشاهد هذا الفيلم ، الذي يتحدث عن الخلق والدمار والعجز والأحلام وهيمنة "الذكاء الصناعي" في مستقبل الأيام ، يحوي هذا الشريط الشيق على كم كبير من التفاصيل المدهشة، التي حولته لفيلم "رعب وحرب وتشويق وربما أكشن"، وحذفته ربما عن مساره الأصلي، وعمقت غموضه ومتاهته، كما أضعفت قوته...

في المشاهد الأخيرة تعود مركبة "الكوفنانت" لرحلتها باتجاه كوكب "اوريجاي-٦" ، ويعود الناجون من الطاقم لكابينات السبات المغلقة ، وأخيرًا عندما ينجح والتر من وضع "دانييل" لسريرها المغلق ، تتحقق وتشعر فجأة بحدسها أنه "دافيد" الشرير وليس "والتر "الطيب"، ولكنها تطلق صرخة رعب شديدة ، عاجزة عن الهرب من مرقدها ، وقبل أن تسقط في النوم "الرقادي" الطويل ، وقد شبهت ذلك بفزع المحتضر الذي يزوره ملاك الموت في اللحظات الأخيرة من حياته وهو يعاني من "سكرة الموت" ، ليخبره بأن

مصيره الحتمي الختامي سيكون جهنم وبئس المصير ، حيث لا مجال عنده لفرصة أخرى... ويبدو أن نتيجة القتال الضاري بين "الروبوتين" كان لمصلحة دافيد، وقد ترك المخرج ذلك غامضًا بقصد، ثم يقوم صاحبنا بخبث بوضع بيوض "الآليين" في مخزن أجنات البشر المجمدة، لكي تفتك بها وتتغذى عليها لاحقًا ، ويعود مستخدمًا اسم والتر بتسجيل معلومة تشير لمقتل كافة فريق المركبة بتأثير انفجار كبير حدث في المركبة، ويستثني من ذلك "دانييل وتينيسي"، ولا نعلم لماذا؟

يتبين من سياق الأحداث قبل الأخيرة أن دافيد قام بقصد بإطلاق السائل الأسود القاتل على جموع المهندسين "الفضائيين" للتخلص منهم، معتقدًا بأن البشر جنس "متخلف" ولا يستحقون السيطرة لوحدهم على المجرة، وعندما يرفض والتر ذلك، يهاجمه دافيد بضراوة، ثم يقبض على "دانييل" ويبلغها بأنه سيفعل معها تمامًا ما سبق وفعله مع سابقتها الرائدة الجسور "شو"، عندئذٍ يتدخل والتر ويسمح لدانييل بالهروب والنجاة بنفسها، في حين يُهاجم الرائد كود من قبل "كسينومورف" ويقتل ، ويهرع تينيسي لإنقاذ دانييل والتضافر مع المنتصر ظاهريًا "والتر" ، حيث يتآزرون معًا جميعًا لقتل "الكسينومورف" الزاحف للمركبة ، كما ينجح "كسينومورف" آخر بالدخول لجسد لوب والخروج من صدره نافثًا الدماء والرعب ، ومهاجمهم جميع بضراوة وحشية، فيما ينجح كل من "تينيسي ودانييل" بمحاصرة المخلوق الوحشي الزاحف، قاذفين به لخارج المركبة!

(٨)

فيلم أبـولـو ١٨ (٢٠١١)

خيال علمي أم مغامرة سرية مرعبة



رسميًا فأبولو ١٧ التي انطلقت برحلة مأهولة للقمر بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ كانت أول وأخر رحلة بشرية معلنة للقمر ، ولكن الحقيقة المخفية تقول إنه وبعد عام تقريبًا ، قام رواد فضاء أمريكيين بمهمة سرية للقمر (أبولو ١٨) مولتها هذه المرة وزارة الدفاع الأمريكية... تمت الرحلة "الغامضة" بشهر ديسمبر من العام ١٩٧٣! يكشف هذا الفيلم الغريب خفايا

وملابسات هذه الرحلة السرية وما شاهده الرواد هناك، وبينما تصر وكالة الفضاء الناسا على أنكار حدوث هذه الرحلة (وتجاهل عدم عودة المركبة للأرض!) ، يصر آخرون على أن خبرة ومشاهدات الرواد كانت السبب الرئيسي وراء إلغاء فكرة الرحلات المأهولة للقمر!.

يتحدث هذا الفيلم الغريب الذي هو مزيج من الخيال العلمي والفنتازيا والرعب والذي صُور في فانكوفر بكندا وكولومبيا البريطانية، ومن إخراج جونزالو لوبيس- جاليكو (صاحب شريط "ملك المرتفعات")، ويبدو أنه نجح "لحدٍ ما" بإخراج شريط رعب غامض مؤثر مستندًا لحدث فضائي "واقعي".

قام مخرج المؤثرات الخاصة باتريك لوسبير بصنع هذا الفيلم بمختبر فضائي خاص لمضاهاة الأحداث والأصوات، وداخل كبسولة فضائية مفرغة لتحقيق حالة فقدان الجاذبية، كما يبدو الفيلم مُحبِطًا ومُملاً لغير المهتمين بالفضاء والرحلات المأهولة، ولكن إن كنت مثلي تهوى الخيال العلمي فسيمدك هذا الشريط بمتعة خاصة وتشويق مثير وخاصة بالجزء الأخير منه... وهناك نقطة ضعف واضحة تتمثل بطريقة مشي الرواد فوق سطح القمر التي بدت عادية، وتتجاهل حقيقة ضعف الجاذبية هناك!

ولكن نمط الإخراج بالرغم من براعته وانهماكه بالتفاصيل، فقد بدا أحيانًا لا مباليًا وتسجيليًا ، وربما قصد المخرج ذلك لإعطاء لمسات وثائقية للشريط وخاصة وأن بعض المشاهد الشيقة (والتي يدعي الفيلم أنها تعكس ما حدث تمامًا!) قد تمَّ تصويرها بكاميرا محمولة...

"في الفضاء لا يسمعك أحد تصرخ": استند المخرج لهذه الحقيقة البديهية لكي يبني رعبًا فضائيًا خالصًا، وأقنعنا أن الرواد الثلاثة "وارن كريستي، لويناويد ورايان روبنز" قد شاهدا بالفعل هناك كبسولة فضائية روسية محطمة وبقايا "رفات" إنسانية لرائد فضاء لم يمت بأسباب طبيعية! كما يتعرض الرواد بهذه

الرحلة الشاقة لمخلوق حشري زاحف يتمكن خلسة من التسرب من خلال خوذة الرأس المحكمة ليدخل لجسم أحدهم كمخلوق (مسخ) فضائي فتاك... مما يؤدي لاختلال صحته العقلية، فيما يحاول صديقه اليائس الحصول على مساعدة... مشاهد الفيلم المرعبة لا تأتي من الحشرات الفضائية الزاحفة والمتسربة لأجسام الرواد وإنما تكمن البراعة الإخراجية بالتصوير متعدد الزوايا وبالمونتاج والتقطيع وفي المؤثرات الصوتية المعبِّرة، فالسينما بالمحصلة هي في "المن النوعي" للانطباعات المشهدية وليست بالحوار والثرثرة (كمعظم أفلام العالم الثالث إلا ما ندر)! كما ينجح الأداء الهيستري المقصود للممثلين بإقناعنا بعدم جدوى برودة الأعصاب والهدوء والتدريب الخاص لرواد الفضاء فلا أحد "يسمعك تصرخ في الفضاء الخارجي"!



أرفقت وكالة الناسا صورة واضحة لجسم طائر مجهول يبدو كمركبة فضائية كان رواد أبولو ١٧ قد شاهدوه فوق سطح القمر بالعام ١٩٧٢، كما أن هناك تساؤلات غامضة تتعلق بوجود فرق كبير بين زمن الذهاب للقمر وزمن العودة للأرض، فالمركبة أبولو وصلت للقمر بعد حوالي ٢٦ ساعة بينما استغرقت نفس المسافة برحلة العودة ٧٦ ساعة: فهل تمَّ احتجاز المركبة بمكان ما في رحلة العودة للأرض؟

أما ما يثير الشبهات حقًا بوجود "نظرية المؤامرة والتضليل الاعلامي المقصود" فهو ما حدث بعد عودة الرواد الثلاثة للأرض ولقاءهم مع أصدقائهم وعائلاتهم ، فقد لقي الثلاثة مصرعهم بحوادث غامضة ولم يعثر على جثثهم : فأحدهم قُتل بتحطم طائرة خلال طلعة تدريبية بولاية "تينيسي" ، والآخر تحطمت طائرته بالمحيط الباسيفيكي ، أما الثالث فقد قُتل بحادثة "تفريغ هوائي" ببحر الصين الشرقي!

بعد أن وطأت قدمي الرائد نيل أرمسترونغ كأول إنسان سطح القمر أطلق مقولة تاريخية ملهمة: "خطوة صغيرة للإنسان، ولكنها قفزة كبيرة للبشرية"!

(٩)

لوغان (٢٠١٧)

الوجه الإنساني للمتحولين مقابل الوجه الإجرامي للمتنفذين المطاردين



في العام ٢٠٢٩ حيث يختفي "المتحولون" تقريبًا ، فيما يعزل "لوغان" نفسه في زاوية مهجورة على الحدود المكسيكية ، مكتفيًا بالعمل الهامشي كسائق شاحنة مستأجرة مع رفيقيه المتبقيين : "كاليبان الأبرص (ألبينو) المتعقب (الممثل ستيفان ميرشانت) الذي يعتني بالبروفيسور العجوز "اكس" صاحب القوة التخاطرية العظمى (الممثل باتريك ستيوارت) ، ولكن محاولاته للانسحاب والعزلة تفشل تلقائيًا أمام ظهور عصابة مجرمة من سارقي الإطارات الخطرين ومواجهته الضارية لهم التي تنتهي بانتصاره وقتله لبعضهم ، ثم أمام ملاحقة وإلحاح امرأة مكسيكية بائسة وغامضة مع طفلة يافعة ، طالبةً منه أن يأخذها لمكان ما مقابل إعطائه ٢٠٠٠٠ دولار كاش...

يضطر حينئذٍ لإظهار مخالبه الفولاذية ومهاراته القتالية لمواجه الكم الكبير من المجرمين والأشرار والسلطات المسلحة، كما يُجبر عنوةً على مقاتلة القوى الظلامية الشريرة التي تظهر ثانيةً من ماضيه الحافل، هنا يتم وضعه على المحك لمواجهة مصيره الحتمي الذي لا يمكن الفرار منه.

التصوير الرائع يتم هنا على غير العادة في مكان منعزل بالقرب من محطة طاقة مهجورة، كما أنه يركِّز على شخصيات هامشية " مضطهدة اجتماعيًا" وتعاني من العزلة والإقصاء والظلم، هناك أيضًا طاقة هائلة تكمن في الفتاة المكسيكية الصغيرة المتحولة الجامحة التي تدعى "لورا" (دافين كين)، والتي هي ضحية من ضحايا التجارب "المخبرية-اللاإنسانية" لإنتاج جيل فتي موجه من المتحولين الجُدد بمهارات جديدة خارقة وموجهة.

يخرج هذا الشريط المميز من سياقه التقليدي لفيلم عن الأبطال الخارقين ليعالج مواضيع جديدة أكثر جرأة وتعقيدًا وأقل راحة وفي مناطق "ديموغرافية" معادية، كما يحاول إظهار الوجه الإنساني للمتحولين مقابل الوجه الإجرامي للمتنفذين الحكوميين المطاردين (ورئيسهم العنيد قائد كتيبة الملاحقة "بويد هولبروك" الذي يبدع بدور "دونالد بيرس" الذي يسعى لاسترجاع الفتاة المتحولة "لورا")، مركِّزًا على "حس المؤامرة" وبأسلوب تشويقي لاهث، وتبدو كمغامرة تشبه مطاردات "الويسترن" اللافتة، مخترقًا ثيمات "الخطأ والصواب والحقيقة والعدل والمساواة الاجتماعية والبُعد العنصري" بطريقة فريدة قل أن تجدها كمشاهد في هذا النمط المتسلسل المسلي من أفلام الأبطال الخارقين!

"القتل قتل مهما أعطيناه من مسميات ومبررات"! هكذا يقول لوغان للفتاة الصغيرة لورا التي تبرر قتلها للناس السيئيين، وينتهي هذا الفيلم المدهش بمقتل لوغان ورفيقيه المتحولين العجوزين وبصورة محزنة ومؤثرة، فيما

تهرب لورا مع رفاقها الصغار عبر الحدود، مستخدمين مهاراتهم القتالية الخارقة الجديدة لمواجهة قوى المطاردة المسلحة الجامحة.

"لوغان" فيلم مميز بطريقة سرده "اللاتقليدية" التي تركز على ثيمات أخلاقية مثل"الندم والأسى والحقد والكراهية واللامساواة والعنصرية"، وربما يمثِّل مرحلة جديدة لكي تدخل هذه الأفلام لبُعد أنساني- جدلي "غير مسبوق"!

يبدع المخرج "جيمس مانجولد" هنا بخلط الأكشن بالمغامرات والفنتازيا والدراما العاطفية مع الخيال العلمي، محولاً هذه "الساغا" لويسترن "جحيمي- فانتازي" من المطاردات اللاهثة والبطولات الخارقة، ويتطرق لشخصية "فولفراين" المحورية مع كم كبير من "العاطفة والحزن والإحباط والظلامية"، ويتشابه أحيانًا في بعض المشاهد مع تحفة "ماد ماكس" السينمائية كما مع "فارس الظلام" لكريستوفر نولان، مقتحمًا أجواء المغامرة بجرأة وشجاعة ومحافظا على لمسات خفية من "المرح المتوتر الشيق" مثل البهارات التي تمنح الطعام مذاقه الجيد، وقد تفوق "هيوز هاكمان" مع زميليه المتحولين العجوزين، وطور بدوره الجديد هنا بُعدا جديدًا دراميًا ومنحه طاقة عاطفية إنسانية لا تنسى، والفيلم برمته سعى "لقتل مفهوم الأبطال الخارقين".

(١٠)

الشيطان المقيم (ريسيدنت ايفيل) (٢٠١٦)

"رعب وأكشن وخيال علمي" مدمج



أليس الجامحة والملكة الحمراء الصغيرة الرائعة
وجحافل الزومبي المتوحشة والفوضى القتالية الممتعة!

أليس (ميلا جوفوفيش) هي الناجية الوحيدة من بقايا الإنسانية من مواجهتها المصيرية مع جحافل الزومبي المتوحشة (الموتى/الأحياء)... تتحرك الآن هذه الفتاة الشقراء "الجميلة" الجامحة عائدة لموقع "الكابوس" الأصلي في راكون سيتي، حيث تتجمع هناك قوى "شركة المظلة" للهجوم الأخير على البشر المتبقين من معركة الجحيم، إنه رعب وخيال علمي شيق من كتابة

وإخراج "باول أندرسون" (زوج ميلا جوفوفيش الحقيقي)، وبطولتها الكاسحة مع كل من ايان جلين، علي لارتر، روبي روس، ايوين ماكن ووليام ليفي... إنها النسخة الأخيرة من السلسلة الطويلة القديمة، وفيها يتم خداع أليس وأصدقائها من قبل المتآمر الحاذق ألبرت وسكر (شون روبرتس)، الذي ينجح بتجميع قوى المظلة للقيام بالهجوم الأخير على الناجين.

تبدأ القصة من أن الدكتور "جيمس ماركوس" المؤسس الأصلي لشركة المظلة، كان له ابنة صغيرة تحتضر من الشيخوخة المبكرة، وقد وقع اتفاقًا مع الدكتور "تشارلز أشفورد" على اعتماد "الفيروس تي" (المصنَّع مخبريًا) كوسيلة علاجية لكافة الأمراض، وعندما رفض إيزاك (ألبرت ويسكر) استخدام هذا الفيروس لأغراض عسكرية خاصة، تمَّ الإيعاز بالتخلص منه.

تخبر الملكة الحمراء (الطفلة ايفر جابو، وهي ابنة ميلا ذات التسع سنوات) بأنه يتوجب عليها العودة سريعًا لمدينة "راكون" خلال ٤٨ ساعة، حيث نجحت منظمة "المظلة" بتطوير "أنتي فايروس هوائي" قادر على قتل كافة الأحياء/الأموات المصابين بفيروس "تي" لضمان نجاة البشرية... وفي الطريق يأسرها "د. إسحق" (ايان غلين)، ويخبرها ساخرًا بأنها سبق وقتلت مستنسخًا عنه، ثم يربطها بعربة مصفحة كبيرة لتركض مهرولة وتتبعها "جحافل الزومبي" للقضاء عليها، ولكنها تنجح بمهاراتها "القتالية- البهلوانية" من الاستيلاء على دراجة نارية محمولة لتصل بسرعة لمشارف مدينة "راكون" المدمرة... لتنتقل إلى ما يُسمى "جحر الأرنب" الذي هو بمثابة خلية سرية تحتوي على ترياق لعلاج الفيروسات القاتلة، التي حوّلت معظم سكان العالم لزومبي متوحشين (الأحياء/الأموات)، ثم نسمع خطابًا شوفينيًا لإيزاك المصاب بجنون العظمة يبلغنا فيه بأنه عازم على تطهير المعمورة من بقايا الجنس البشري من أجل التمهيد لحكم أقلية مختارة، مبررًا ذلك بتهديدات

الإرهاب العالمي المتزايد والتلوث والمجاعات والازدحام السكاني والآثار الاجتماعية المرعبة المترتبة على ذلك!

تفوقت "جوفوفيش" هنا على كل من "كيت بيكنسيل" في "العالم السفلي" وكذلك ربما على "سيغورني ويفر" المبدعة في فيلم "الغرباء"، حيث انعكست ملامح شخصيتها في وجهها الذي تحلى بالنبل والمعاناة والعزلة والغموض كما الحزم والصبر.

هذا الفيلم مسلي لحد بعيد بحيث يمكن أن يشاهده المرء أثناء ركوبه الطائرة ثم ينساه كُليًا، انه كذلك فيلم "تدريبي" نموذجي لمثل هذا النوع المدمج من أفلام الرعب والأكشن والخيال العلمي، فلا يحتاج المرء فيه لسماع السرد اللغوي والحوار المعهود، كما أنه مخصص تمامًا للنجمة "جوجو فيش" ولا يمكن تخيل ممثلة أخرى في هذا الدور الصاخب المليء بالحركة البهلوانية الرشيقة ببعده البطولي المزمن لإنقاذ كوكبنا البائس حقًا من مصيره الجحيمي المتوقع. الشريط يعتبر استنساخًا إنسانيًا متقنًا ومعبِّرًا للعبة الفيديو الشهيرة، وهو كذلك يظهر مهارات "أليس" الخارقة في القتال والحركة بمواجهة شتى الأعداء المتربصين من قتلة وزومبي وتنين محلق وكائنات كلبية وحشية شنيعة.

نعود ثانية لمدينة الراكون المدمرة وخليتها المركزية، ومع وجود ما يقل عن ٥٠٠٠ شخص فقط متبقين على وجه المعمورة، وهم يُلاحَقون بضراوة من قبل جحافل الزومبي المصابين بفيروس "تي"، والصراع المحتدم للوصول أولاً لكبسولة مكافحة الفيروسات المخبأة في أحشاء "الخلية" (التي تقع في الجزء السفلي من فوهة بركان)، والتي هي بمثابة الأمل الوحيد لإنقاذ الجنس البشري خلال ٤٨ ساعة فقط، وذلك قبل أن تهجم جحافل الزومبي الهائجة والجائعة وتقضي على البشر المتبقين، وتبقى "أليس" الوحيدة القادرة على

إنقاذ العالم، حيث يتم بعد دخولهم لأنبوبة الهواء الضخمة المؤدية للخلية، تنشيط الكهرباء وتشغيل المراوح الهائلة التي تولد ضغطًا سالبًا كبيرًا يؤدي لسحق أحدهم، ثم ينجحون بزرع قنبلة داخل الخلية، وتتزاحم الأحداث في المشاهد الأخيرة المتلاحقة، فتفجر أليس قنبلة يدوية في جيب "ايزاك" مما يحدث انفجارا كبيرًا ، حيث تسترد أليس "كبسولة مكافحة الفيروسات" المطلوبة، وتطلقها في الوقت الملائم لتقضي على جحافل الزومبي المهاجمة، ويتزامن ذلك مع انفجار الخلية وقتل من بداخلها.

لقد أبدعت الوجوه الجديدة: ايان غلين، علي لارتر، وشون روبرتس بأدوارها، ولكنه بقت بالحق ضائعة تدور في فلك البطلة الرئيسية المثيرة للانتباه والإعجاب، كما نجح المخرج الفنان من "تغييب العقل والمنطق" ببراعة، فبقينا منشدين بغرائزنا الفضولية لمشاهدة الأحداث المتلاحقة والحابسة للأنفاس، كما زاوج ببراعة ما بين لعبة الفيديو والملاحقات الضارية للاستيلاء على"كبسولة الفيروسات العلاجية" في رعب حركي شيق لما يقرب الساعتين، وكما استهل الشريط بمشاهد التنين الوحشي وهو يلاحق نجمتنا فقد اختتمت المشاهد بتنين آخر يلاحق بطلتنا ليخفق بالقضاء عليها على مشارف ناطحات السحاب المتداعية في مدينة "الراكون".

أبدع الممثل "شون روبرتس" بدور "ألبرت ويسكر" القاتل البارد النموذجي اللامبالي، ونراه يسحق ساقه وينزف ولا يبالي فيستمر بالصراع مبلغًا "أليس" بأنها مجرد استنساخ متقن لأليس الحقيقية، ثم يتبدد بؤسها وحزنها في أخر الشريط عندما تزودها "الملكة الحمراء الصغيرة" بذاكرة جديدة حية لتحفيزها من جديد للقيام بمهامها البطولية المزمنة.

ولكن الفيلم لا يغفل أن يلقي علينا محاضرة قصيرة مجازية تتحدث عن فساد رجال الأعمال المعهود وتقصيرهم ولا مبالاتهم وأنانيتهم تجاه مشاكل العالم

المتضخمة، وبالرغم من حماس المخرج ونجمته المفضلة إلا أن الفيلم يفتقد للطاقة والزخم والمبررات المنطقية الأصلية في المواجهات الحاسمة، حيث سادت شحنة كبيرة من الغضب والفوضى والارتجال مع الحد القليل للرؤية الخلاقة، كما تفاوتت آراء النقاد ما بين الضعيف والمتوسط، إلا أني رأيت فيه كمًا كبيرًا من التسلية والفوضى والتشويق المشهدي والفذلكات التأثيرية المدهشة!

(١١)

دراكـولا "غير المروي" (٢٠١٤)

أنياب دموية ووطاويط قتالية وخوازيق عثمانية!



يتحدث فيلم الرعب "التاريخي-الفانتازي" هذا عن مواجهة أمير مخلص وعائلته، والذي يضطر مجبرًا للتحالف مع قوى شريرة "ما ورائية" لمواجهة أعدائه الكاسحين، متورطًا هو نفسه بمصير أسود مخلد شيطاني!

الفيلم من بطولة لوك ايفانس ودومينيك كوبر وساراجادون ومن إخراج جاري شور.

بالفعل فالشريط يتناول الموضوع من زاوية مختلفة ، تحمل بُعدا تاريخيًا (قوميًا) ، حيث يواجه الأمير فلاد (الذي يدعى بالمخوزق) طلبات السلطان التركي الصارمة للحصول على ألف فتى من إمارته ، بغرض تحويلهم

لمقاتلين أشداء، وحيث يذكِّره السلطان الذي كان صديقه فيما مضى، بأنه تركه بقصد لينجو (من الخوزقة العثمانية الشهيرة)، ولكي يؤسس فيما بعد إمارة "تراسيلفانيا، لتعيش بسلام بجوار الإمبراطورية التركية، ولكن فلاد لا يرضخ ببساطة لأمر السلطان، ويعد شعبه بالحل، ويتذكر أنه أثناء رحلة كشفية بكهف مجاور غامض يكتشف بالصدفة مخلوقًا عتيقًا مرعبًا يعمل كمصاص دماء كاسح، ويقتل رجلي فلاد ويتركه بقذفه خارجًا!

ينجح فلاد مبدئيًا بقتل ألف من جنود السلطان بفضل قواه الخارقة الجديدة، التي اكتسبها من مصاص الدماء، ولكنه يفشل لاحقًا بإنقاذ زوجته الحبيبة بعد سقوطها من تلة مرتفعة بإحدى المعارك، ويفلح بالحفاظ على حياة ابنه الصبي الذي لا يزيد عمره عن الثانية عشرة (بمساعدة كاهن صالح)... ولكن لا يمكن لفلاد مواجهة الجيش العرمرم للسلطان العثماني الفاتح "محمد الثاني" إلا بأن يتحول حقيقةً لمصاص دماء حقيقي، ويقوم بنقل العدوى لرفاقه الباسلين، لمواجهة طموحات السلطان العثماني بغزو أوروبا، وفي لقطة معبِّرة نجد السلطان يخاطب جيشه الصاغر مقنعًا إياهم للتحول "لعميان" لضمان شدة بأسهم وتقدمهم بالمعركة القادمة... هكذا تتحول المعركة الأخيرة مع الأتراك لمجزرة حقيقية، تشارك فيها مجاميع الوطاويط السوداء القاتلة بأنيابها الماصة للدماء، كما ينجح السلطان بالمواجهة الأخيرة مع خصمه العنيد فلاد، باستخدامه البارع لكم هائل من العملات الفضية وبسيف فضي قاطع مستغلاً ضوء الشمس الساطع (الذي يؤثر سلبًا على قدرات مصاص الدماء)، ويكاد يتغلب عليه محضِّرًا نفسه لطعنه بخنجر خشبي في قلبه (كما تقول الأسطورة) ،ولكن فلاد يستقوي باللحظات الأخيرة بالوطاويط القاتلة ويتمكن من قتل السلطان وشرب دمه بنابيه الحادتين. هكذا تنتهي المعركة الفاصلة بهزيمة كاسحة للجيش التركي وبنجاة الإمارة من الغزو والاحتلال،

ويتم لاحقًا تنصيب ابنه الفتى الصغير كأمير جديد لترانسيلفانيا، ويتحول اسم "دراكولا" لأسطورة خالدة عبر الزمن، ويتمكن أحد أصدقاء فلاد المقربين من إنقاذه من حالة النزاع المقاربة للموت، ولكنه يفضِّل أن يبقى في الخفاء بعيدًا عن الأعين.

الشيء الذي لفت نظري في الفيلم تاريخي محاولة الفيلم الناجحة لاستدعاء "ظاهرة الخوزقة" في ممارسات الإمبراطورية العثمانية، والتي ساهمت ربما في دب الرعب والصدمة بالأعداء وتحقيق انتصارات سريعة كاسحة، بالإضافة لمهارة استخدام قذائف المدفعية بوابل متلاحق لا يرحم!

في المشاهد الأخيرة نرى الحياة بمدينة عصرية، ونلاحظ امرأة جميلة تدعى مينا وتشبه لحد بعيد زوجته الراحلة ميرينا، ونرى رجلاً يشبه فلاد بل يكاد يكون هو نفسه، وهو يثني على جمال زهورها الجميلة، ويتوج ذلك ببيت شعري مفضل، وتنجذب له شاكرة وتغادر بصحبته... ثم نرى مصاص الدماء الخالد جالسًا بقهوة مجاورة، بوجهه الشاحب العتيق الماكر، وقد استفزه المنظر وهو يتبعهما بإصرار، مكررًا نفس الكلمات التي سبق ووجهها لفلاد قبل أن يحوله لمصاص دماء في الكهف القديم: دع اللعبة تبدأ من جديد!!

تحمَّل الممثل لوك ايفانس عبء نجاح الفيلم وتقمص بنجاح شخصية "شكسبيرية" تراجيدية قدرية، ولم يكن مقنعًا (وربما بقصد) بأدائه لدورمصاص الدماء "المخيف"، محاولاً أن يقدِّم أحسن ما لديه، كما برعت الممثلة دومينيك كوبر بدور الزوجة المحبة المتفانية، حاول لوك استنساخ دور "راسل كراو" بفيلم "جلادياتور" الشهير، ولكن مشاهد القتال لم تكن مقنعة فلا دماء ولا جروح ولا مواجهات واقعية، وإنما مؤثرات "كمبيوترية" ايحائية ضعيفة...

فشل الفيلم بمحاولته لافتقاده لهوية لافتة كفيلم رعب "مخيف" ، ولكنه نجح بمزج القصة بأحداث تاريخية ذات صبغة "بطولية" ، كما حاول المخرج استنساخ أسلوبية فيلمي "فان هيلسنغ و باتمان يبدأ" ، ولكن بالحق فهناك مشاهد قليلة لافتة ومثيرة للإعجاب كمشهد تحوله التدريجي لمصاص دماء، وكمنظر سقوط زوجته ومحاولته لإنقاذها ، وكمشهد انقضاض مصاص الدماء العتيق عليهم بالكهف ، وكحشود الجيش التركي الغازي العرمرم ، وكبعض المشاهد الطبيعية الغامضة التي تذكرك بعبق التاريخ ، وكذلك كالمشاهد الأخيرة العصرية المفاجئة، وذهلت حقًا من مشاهد "خوزقة البشر" السيريالية التي بدت غير مألوفة ومرعبة ومخزية كممارسات وحشية "عثمانية النكهة" (وقد شبهتها بمشاهد "قطع الرؤوس" الداعشية الراهنة)! ولكن بالرغم من عشرات الأفلام العصرية المتنوعة التي تستند لثيمة "دراكولا" ، فلم ينجح أي فيلم منها لتجاوز "إبداع" الفيلم الأصلي المنتج بالعام ١٩٣١ ، الذي قدم بالفعل "فيلم رعب" كلاسيكي شيق واستثنائي ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، تمامًا كتحفة كوبولا بفيلم العراب الشهير ، التي نرى الكثير من أفلام العصابات على مدى العقود وحتى بوقتنا الراهن، وهي تسعى جاهدة لتقليدها واستنساخ بعض مشاهدها ولكن دون أن تتجاوزها!

(١٢)

الملك آرثر : أسطورة السيف (٢٠١٧)

أكشن وفنتازيا حديثة لأسطورة كلاسيكية ذات دلالات عصرية سياسية!





فيلم ملحمي يتابع أسطورة الملك آرثر الدرامية من الشوارع والمتاهات البائسة وصولاً للعرش، حين يتم قتل والده، ويستولي عمه الطموح الجشع "فورتيجرن" على السلطة، مغتصبًا ومغيبًا حقه في النشأة والميلاد، محولاً إياه إلى مشروع "مشرد مجهول طموح وناقم"، محاولاً بصعوبة الوصول ثانية لمدينته ومسقط رأسه، وفجأة عندما يتعرض للتحدي المتمثل "بسحب السيف السحري المغروس في الصخر"، وينجح أخيرًا في ذلك، ثم تنقلب حياته رأسًا على عقب، ليكتشف تدريجيًا أسطورة نشأته وكيانه والمهمة الثقيلة المطلوبة منه... قام "موردريرد" الساحر المتنفذ الفاسد، بأمر جيوشه المطيعة لوضع حصار ضد "كاملوت"، ساعيًا لإثبات هيمنة السحر (ماغس)

على البشرية، فيما يتسلل "اوثر بيندراغون" (ملك البريطانيين) لمخبأ هذا الأخير "موردرد" ويقتله، كما يدمر قواته وينقذ "كاميليوت"، ولاحقًا ينظم شقيق "اوثر فورتيجون" انقلابًا، طامحًا بالعرش، ويضحي بزوجته "السا" إلى ساحرات البحر بغرض استدعاء "فارس الشيطان"، الذي يقتل بدوره زوجة اوثر كما يقتله غيلة، أما الناجي الوحيد هنا فهو ابن اوثر الصبي الصغير (آرثر)، الذي ينجو بنفسه وينجح بالهروب بعيدًا في قارب، وينتهي به المطاف للوصول إلى منطقة "لوندينيوم"، حيث تجده البغايا وتهتم بشأنه وترعاه، ويطلقون عليه اسم "آرثر"... وأثناء تنفيذ حكم الإعدام بقطع الرأس بآرثر، تستخدم الساحرة الماكرة "ماج" سحرها الطاغي لإنقاذه بواسطة رجال "بيديفير"، رافضًا في البداية مساعدته، ولكنه سرعان ما ينهار أثناء محاولته سحب السيف من مغمده الأبدي داخل صخرة غرس بداخلها، حيث يشك في افتقاره إلى العزم وقوة الإرادة اللازمة للسيطرة على السيف السحري وسحبه، ثم تسعى الساحرة "ماج" لإقناع "بيديفير" لأخذ آرثر معه للأراضي السوداء (بلاك لاندس)، حيث تمَّ منذ سنوات تدمير برج "موردريد" لتحدي شروره ومواجهتها... ثم نكتشف أن "فورتيجرن" كان مسؤولاً حينئذٍ عن إقناع "موردريد" بالتمرد ضد الإنسانية، فتتكون لديه غيرة شديدة من قوة "اوثر"، فيسعى جاهدًا لاسترداد سحر السيف ثانية، مصممًا على تدمير "فورتيغن" لجرائمه العديدة الماحقة، ومع علمه بأنه مصاب بجروح قاتلة، فإن "باكلاك" يحث الآخرين ويحرضهم للمضي قدمًا، واعدًا إياهم بأنه سيكون في الطليعة قريبًا... ثم نلاحظ أن قائد "باكلاك" (المدعو كجارتان)، يتابع عن كثب باهتمام جروح سيده القاتلة، فيما يقوم مع "فورتيجيرن" باستجوابه للحصول على المعلومات، بينما يتسلل الصبي الأشقر"بلو" خفية للداخل، وعندما يتم القبض عليه، يخدعهم بالقول بأنه مجرد عامل يعود لورديته، ولكنه يفقد توازنه عندما يتم تهديد والده، ويعود آرثر لإنقاذه، ونلاحظ أنه يشهد متماسكًا مقتل والده...

يقوم كل من شارلي هونام، وأستريد بيرجس- فريسبي، ودجيمون هونسو، وايدن جيلين، والممثل البارع جودي لو، والاسترالي أريك بانا بكل من أدوار الملك آرثر، الساحرة ماج، السير "بيديفير"، والسمين "بيل"، ثم الشرير "فورتيجيرن"، واوثر مع العديد من الممثلين الآخرين ليبلغ إجمالي عددهم لعشرين شخصا، أبدعوا جميعًا بأداء أدوارهم ضمن هذه المعزوفة الأسطورية الحافلة بالأحداث والمنعطفات الدرامية المشوقة.

وفيما يكون "فورتيجرن" الشرير على وشك القيام بقتل ابن أخيه، تطلق "ماج" بسحرها الطاغي "ثعبانًا عملاقًا" كاسرًا لالتهام القبطان ورجاله، بينما يتم إطلاق اسرى "فورتيجرن" وتحريضهم للانقلاب ضد "بلاكليغ" ورجاله، يضحي "فورتيجرن" يائسًا بابنته الوحيدة، التي تتحول بدورها لفارس شيطاني، استعدادًا لمواجهة "آرثر" فيما بعد... وبالرغم من مهاراته القتالية، فإن آرثر يضرب بضراوة، مسترجعًا بواسطة "الفلاش باك" لحظات إسقاط وقتل والده الملك، بعد أن تحول جسده إلى حجر لمنع "فورتيغرن" من الاستيلاء على السيف السحري، ويقوم آرثر بتدمير سلاح "فورتيغرن" وقتله شخصيًا قبل أن يستحوذ هو شخصيًا أخيرًا على "السيف السحري"... في المشاهد الأخيرة اللافتة، يقوم كل من آرثر وجورج وبيرسيفال" ببناء طاولة مستديرة ضخمة، حيث سيلتقون جميعًا مع الفرسان المتحاربين من مختلف الأطياف، فيتخلى آرثر بقصد عن اتفاقه مع "الفايكنغ"، معلنًا للجميع بانه يتوجب عليهم جميعًا احترام "قوة بريطانيا" الجديدة وانتهاء عصر الحروب، إذا ما كانوا يرغبون حقًا بتجنب الحرب وسفك الدماء، وتصل البغايا مع بلو وتاج وغيرهم، ويتم تقبل شروط "الملك الجديد آرثر" بلا نقاش، لينطلق بتركيز وحماس لمعالجة المواضيع الجديدة الحساسة لمملكته، ملوحًا بالسيف في الهواء، كدلالة على الانتصار!

- **ملخص نقدي:**



لاقى هذا الفيلم تصنيفاً نقديًا وسطيًا بالنسبة للمشاهدين (أعلى من سبعين بالمائة)، وتقييمًا ضعيفاً بالنسبة لنقاد "الطماطم الفاسدة" يقل عن ٣٠%، وكان الإجماع بأنه "أسطورة سيفية" ، تبنى سردًا عصريًا شيقًا بنَّاءً على قصة كلاسيكية قديمة، ولكن تمَّ الثناء على المهارة الإخراجية لغاي ريتشي، الذي ركَّز على قصة معاناة الملك آرثر (ملك الموت المعدني)، محولاً الأسطورة القديمة لكم مدهش من الأكشن القتالي والمناظر الطبيعية والرقمية اللافتة، مقدمًا الترفيه والتفاصيل المرهقة للمشاهدين بأسلوبه السردي اللاهث، مع كم كبير من الطاقة والانعطافات السردية المشوشة والمتداخلة لكي لا أقول المزعجة أحياناً، مما يعجز خلالها المشاهد (لساعتين تقريبًا) عن استيعاب كثرة الأحداث والشخصيات ، مما دفعني لكتابة بعض التفاصيل الغامضة لتوضيحها ، ومما أفقد الفيلم كذلك قوة التركيز المطلوبة لمتابعة كثرة التفاصيل ، ولكن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بذكاء المجاز السياسي الذي يغمز من قناة الحالة البريطانية الراهنة المتمثلة بخروج بريطانيا من ما يسمى "البريكس" ، كما أن فكرة الفيلم ومغزاه الختامي يدعمان فكرة "الشعبوية" البريطانية، والمتمثلة بكسب الرأي العام الشعبي، وإعادة تعريف

مفهوم الوطن في العصر الراهن ، وكذلك الرهان على الاستقلال والخصوصية البريطانية، ربما يتطابق ذلك لحد ما كما كان الوضع عندما ظهر "الملك آرثر" في القرن الخامس ما قبل المسيحية، وربما تحديدًا ذلك ما أنقذ الشريط من الوقوع في هوة التكرار والملل والاجترار.

حوّل المخرج دراما الجريمة الكلاسيكية إلى بريق سينمائي خلاب، كما حول الأسطورة إلى وحشية وفوضى دموية، ولم ينسى بعض الطرافة والشعوذة المزعجة (المبالغ بها) بإدخال الساحرة والأفعى الهائلة الهائجة وكذلك فيلة ضخمة في بداية الشريط ، وانغمس مجذوبًا لحالة سينمائية جارفة من "اللامنطق" بعد عشرين دقيقة تقريبًا ، دامجًا منهجية "حرب العصابات" مع الأسطورة الغنية بالأحداث والمواجهات، ومؤليًا أسطورة السيف حجمًا كبيرًا ربما لا تستحقه.

(١٣)

كونغ /جزيرة الجمجمة (٢٠١٧)

محض تسلية خالصة وإبهار مشهدي أخاذ!!



تلقى هذا الشريط الجذَّاب مراجعات نقدية إيجابية بنسبة ٨٠% في موقع "الطماطم الفاسدة"، وإذا أردت أن تتسلى حقيقة فعليك أن تذهب لمشاهدته فهو تحديث جذاب لقصة كونغ الأصلية (١٩٣٣)، ويحوي مناظر أخاذة مبهجة بصريًا ومن زوايا تصوير مصممة بإتقان ومدهشة، مع سرد وترفيه سينمائي، في قصة سريعة الخطى وتقديم رائع لجميع العناصر الفيلمية من تمثيل مقنع وتصوير مبهر ومؤثرات قلَّ نظيرها، وقد تأثر المخرج "فوجت روبيرتس" بأفلام شهيرة وضمَّن فيلمه مشاهد منها مثل: القيامة الآن وبلاتون، مثل غروب الشمس البرتقالي وانطلاقة طائرات الهليوكوبتر القتالية في سماء الجزيرة والتي تذكرنا بمشاهد لا تُنسى من تحفة "كوبولا" الفيتنامية الخالدة، كما أنه اقتبس من أسلوب سبيلبيرغ السينمائي الخاص من سلسلة مغامرات "انديانا جونز"... تمَّ التصوير في ثلاث جزر فيتنامية ساحرة، كما

اُلتقطت بعض المشاهد في الساحل الذهبي لأستراليا وشينا تاون في هونولولو.

يستهل الفيلم في العام ١٩٤٤ وأثناء احتدام معارك الحرب العالمية الثانية، حيث تسقط طائرتان "أمريكية ويابانية" فوق هذه الجزيرة النائية في المحيط الهادي، ويتعارك الطياران بالأيدي والسلاح الأبيض، قبل أن يقطع وحش مرعب زخم القتال الضاري بينهما، مما يتسبب بهروبهما للنجاة... ثم في العام ١٩٧٣ يتم تعاقد الكابتن السابق "جيمس كونراد" (توم هيدليستون) من قِبل وكيل الحكومة الأمريكي "بيل راندا" (المسؤول الحكومي الكبير عن المهمة الاستكشافية)، ويتم بغرض حمايتهم تحضير سرب من طائرات الهليوموبتر القتالية بقيادة الليوتنانت المخضرم "بريستون باركارد" (الممثل المبدع صموئيل جاكسون)... ثم يبدأ باركارد بإسقاط المتفجرات الخاصة بأحداث اهتزازات للتأكد من تجوف الأرض، وفجأة تتعرض طائرات الهليوكوبتر لهجوم ساحق من قِبل قرد كبير خرافي يقيم في الجزيرة (كونغ)، ثم يباشرون بدفن قتلاهم والبحث عن المفقودين ومن ضمنهم جاك شابمان "توبي كيبيل" الميجور في الجيش الأمريكي ومساعد باكارد، ثم يكشف النقاب فجأة عن الطيار الأمريكي المفقود (هانك مارلو) الذي تحطمت طائرته في العام ١٩٤٤ مع الطيار الياباني، ويلعب الدور بظرافة لافتة الممثل "جون رايلي"، حيث قضى أكثر من ٢٨ عامًا في الجزيرة النائية وتصادق مع القبيلة المحلية التي لا يتكلم أفرادها بل يكتفون بالبحلقة والتهديف بالرماح، وقد أظهرهم الشريط كالعادة كأشخاص متبلدي الحس وقليلي الذكاء... وبدا وكأنه قد تزوج فتاة من القبيلة وأنجب ابنًا، ويحذرهم من وحوش كاسرة تعيش تحت الأرض ويمكن أن تظهر إذا ما تمَّ القضاء على كونغ، ويبدأ العراك فيتصارع كونغ مع أخطبوط كبير هائل وينتصر عليه ويفترس جزءًا

منه، ثم يواجهون في طريقهم حشرات هائلة وجاموسة ضخمة وقد حُشرت تحت هليوكوبتر محطمة، فيقوم كونغ برفع الطائرة وإنقاذها بعد أن تعجز المصورة الفوتوغرافية "ميسون ويفر" عن إنقاذها، ثم يُهاجَمون جميعًا من قِبل مخلوقات زاحفة مجنحة شرسة مما أسفر عن مقتل أحدهم (فيكتور نيفيس وهو ضابط رفيع)... ويعاند باكارد مصرًّا على البحث عن مساعده الميجور "جاك شابمان"، الذي تلتهمه الزواحف المجنحة، ثم يقود كونراد المدنيين للعودة للقارب مع فريق النجاة... ويعاني " كونغ" من جروح خطيرة إثر تعاركه الوحشي مع عظاية هائلة جامحة، فتصر ميسون ويفر (بري لارسون) (المصورة الفوتوغرافية والناشطة البيئية السلمية) على العودة لإنقاذ "كونغ"، والذي يبدو أنه وقع بحبها أو أُعجب بها، ويضمها بحنان داخل يده الهائلة ويواصل اقتتاله الدامي مع العظاية "الديناصورية" الفتاكة، ويبقى محافظًا على سلامتها وهي بحالة إغماء... ويرفض باكارد بصلف الاستسلام لهيمنة كونغ، وتغلب عليه شهوته للانتقام، ويأمر بتفجير المكان، ونراهم يهرولون سريعًا نحو الشاطىء، فيما يعود"كونغ" لإنقاذهم، ويقتل الزاحفة المتوحشة أخيرًا ممزقًا أحشاءها بفمه، سامحًا لهم بالهروب وكأنه يتواصل معهم معبِّرًا بنظراته التي تشي ربما "بروح واعية"!

نرى في المشاهد الأخيرة مارلو وهو يعود أخيرًا لأرض الوطن ليلتقي بزوجته وابنه المندهشين من عودته اللامتوقعة، ونسمع جدالاً مع كل من كونراد وويفر ولين والآخرين، ليصلوا لقناعة مفادها بأن "كونغ" ليس هو الوحش الوحيد الذي يزعج العالم وكأنهم يبررون فائدته للتوازن البيئي الحيواني داخل الجزيرة النائية، ولا يمكن أن نغفل عن دور العالمين المرافقين للرحلة الاستكشافية وهما "كوراي هواينكس" العالم الجيولوجي الشاب خريج جامعة يال وصاحب نظرية في الاهتزازات، ثم "جينغ تيان"

بدور "سان لين" عالمة البيولوجيا الشابة ، وإليهما يعود الفضل في إقناع الحكومة الأمريكية بالقيام بالرحلة ودعمها بالعناصر الكفؤة والقتالية المرافقة، لكن دورهما يختفي أثناء الرحلة ويضيع في متاهة الأحداث وخضم الأهوال. وفي الختام نرى عرضًا للقطات أرشيفية تصوِّر "كهف غودزيلا وروودان وموكورا والملك جيدورا" ثم تتلاشى تدريجيًا على الشاشة... وأخيرًا نسمع هدير صوت غودزيلا الهائل وضرباته الاستعراضية على صدره!

إنها نفس الجزيرة التي تحدث عنها "إدوارد جاريث" في فيلمه اللافت غودزيلا (٢٠١٤) ، وهناك مؤشرات لوجود مثل هذه الحيوانات المنقرضة من تحليل الهياكل العظمية الكبيرة التي وُجِدت في المقابر والحفائر الجيولوجية للجزيرة ، مثل السحلية الهائلة بلا أرجل التي تعاركت بضراوة مع كونغ في نهاية الشريط، وديناصورات منقرضة من نوع "ترايسيراتوبس" وكذلك عناكب ضخمة ذات أرجل عملاقة ، وحشرات العصا الكبيرة والجاموس المائي العملاق وزواحف مجنحة طائرة ، وحسب قصة الفيلم فقد كشف القمر الصناعي "لاندسات" عن وجود هذه الجزيرة الغريبة في العام ١٩٧٣.

- **انطباعات نقدية:**



يُلقي الفيلم أضواء على تداعيات حرب فيتنام "الخائبة" ، ونرى "بريستون باكارد" (صموئيل جاكسون) وهو يحاول إثبات شيء لنفسه وبأن كل الأرواح التي فُقدت لم تكن عبثًا، ونراه يكاد يتعرض لنوبة جنون في أخر الشريط في مواجهته النارية الشرسة مع القرد العملاق، حيث يضع نفسه ندًّا لكونغ، وقد تبلَّد حسه وتغلبت عليه "هواجس التدمير الذاتي"... كذلك يبدع "رايلي" بدوره المعقَّد وبإظهاره لغرابة الأطوار وحس الهزل والسخرية المبطنة (يفهم الحرب الباردة على أنها الحرب التي تحدث في الشتاء)! أما "هيدليستون" فيظهر عُمقًا ومنطقًا قياديًا وحسًا بالسببية والمغزى، وكل هذه الشخصيات أنقذت الفيلم من السطحية التي كاد أن يهبط إليها ، وأعطته بُعدًا مجازيًا لدراما إنسانية وخيارات مصيرية... والشيء الفريد اللافت في هذا الفيلم أنه بالرغم من الكم الكبير من المعارك النارية والتفجيرات والمشاجرات الوحشية الضارية، فهو يلفت الانتباه ويشد الأنظار وينال الإعجاب والاندهاش، ولكنه غير مخيف ولا مثير بل يقودك كمشاهد لنوع فريد من "التسلية الغريبة الخالصة"... وكما قلت تحدث مواجهة فريدة بين القرد العملاق والكولونيل باكارد في النهاية، وتلتقي نظراتهما وجهًا لوجه التي تشي بالتحدي والتكافؤ والوعي والمغزى، وربما قصد المخرج هنا توجيهنا لتفسير هذا المجاز!

(١٤)

الـرحلـة النملة (٢٠١٥)

أكشن ومغامرات ومطاردات وقتال وخيال علمي
وفانتازيا ودراما وكوميديا وتشويق حابس للأنفاس





يقوم باول رود (سكوت لانغ) بدور الرجل النملة الذي لم يفلح بإيجاد عمل، ولكن العالم المتخصص هانك بايم (مايكل دوغلاس) يمنحه فرصة جديدة ذهبية ، ويسعى جاهدًا لتدريبه مع ابنته المحبطة "هوبفان داين" (الممثلة ايفانجلين ليلي)، المهتمة نفسها بأن تلبس البدلة الخاصة المصغرة، ثم يفاجئها (ويفاجئنا كذلك كعادة أفلام مارفيل) والدها بنهاية الشريط بقيامه بتحضير بدلة خاصة لها ، تكريمًا وتخليدًا لذكرى والدتها التي قضت أثناء محاولتها

الباسلة لتفكيك صاروخ سوفيتي طائر متوجه لأمريكا (في استعادة مكررة لثيمة احتقانات الحرب الباردة). هذه البدلة المبتكرة التي صنعها العالم الفذ هانك بايم تسمح بتقلص وانكماش حجم مرتديها ليتماثل مع صغر وحجم النملة، ولكن قوته تتزايد طرديًا، ويسعى بايم جاهدًا للقضاء على الأسلحة الخطيرة ومنها هذه البدلة (وبراءة اختراعها) قبل أن تقع بالأيدي الخطأ، حيث قام سابقًا بتأسيس شركة باسمه، ووقع الفورمولا الخاصة بالتقليص، ولكن مساعده الشرير الطموح سعى لبيعها لأشخاص ينتمون لمنظمة عالمية شريرة تدعى "هيدرا"، وتجنبًا للمخاطر الناتجة يطلب بايم من "الرجل-النملة" مسابقة الزمن للقضاء على الأسلحة وتدمير العينة والملفات الخاصة قبل أن تصل تفاصيل الفورمولا لمنظمة الهيدرا، ويساعده بإتمام مهمته ثلاثة رفاق ظرفاء من "زملاء الكار"، وتقليدًا لفيلم "أفنجرز" الشهير، تظهر هنا أيضًا شخصيات نمطية من أفلام مارفيل السابقة (حيث تظهر هنا بشكل مفاجئ شخصية "فالكون" ويقوم بالدور الممثل أنتوني ماكي)، ولكن هذا الفيلم يتميز عن أفلام السلسلة الشهيرة بأنه أكثر طرافة وتشويقًا وأقل حدة، وربما يتماثل في ذلك لحد ما مع فيلم "حراس المجرة" الطريف اللافت، ويعزى ذلك ربما لبراعة كاتبي السيناريو "ادجار رايت وباول رود"، حيث نجح الجميع بإخراج شريط طريف وجاذب ودامج للأكشن والدراما والكوميديا بآنٍ واحد، ومع وجود شخصيات بارعة مؤثرة كالشرير دارين كروس (كوري ستول)، ومايكل بينا بدور كوميدي جديد، كما بوجود بوبي كانافاني الشرطي المتزوج من زوجة باول رود السابقة ماغي "جودي كرير"، كما لا يمكن نسيان الأداء الطفولي البريء والشقي لابنته (آبي رايدر فورتسن)، وخاصة أثناء متابعتها لمشاهد العِراك الطريفة بين الرجل-النملة ونظيره الشرير "الجاكيتة الصفراء"، والتي دارت حول "لعبة القطار الملون" بغرفة نوم الفتاة الصغيرة.

أسلوب السرد السينمائي المشهدي لافت هنا وشيق ومحكم وتصاعدي وبلا لقطات مجانية، أما المرجعية العلمية للقصة فهي ضعيفة وغير مقنعة، فالنمل معروف بأنه يُقاد من خلال ما يسمى "الفيرمونات" ، أما هنا فتستبدل بالتخاطر الذهني "السحري" ، وكيف يمكن للفيرمونات أن تعمل من خلال خوذة مغلقة بإحكام؟ كما أن الأمر يتطلب من جحافل النمل أن تتمتع بذكاء جماعي يمكنِّها من العمل سويًا لإنجاز أعمال معقدة (كما شاهدنا بالفيلم)... في مشهد محدد يتقلص الرجل-النملة لمستوى حجم الذرة تقريبًا ، ومع ذلك تبقى كل أجهزته البيولوجية تعمل بشكل طبيعي ، وهذا يتناقض تمامًا مع نظرية "الكوانتم" العلمية، ثم يعود لحالته الطبيعية ناسيا كل ما حدث، وهي نفس الحالة التي تورطت بها زوجة بايم السابقة ثم اختفت بلا رجعة، كما يصعب تفسير حالة "فقدان الذاكرة" التي مرَّ بها.

مؤثرات الفيلم الخاصة مدهشة، ويستهل الفيلم بلقطات "فلاش باك" بارعة يظهر فيها مايكل دوغلاس شابًا (بالأربعين من عمره) وحانقًا لفقدان زوجته ومصرًّا على الاستقالة الفورية من منصبه، كما أن هناك لقطة عند النهاية تشير ضمنيًا لفيلم كابتن أمريكا الجديد القادم "الحرب الأهلية".

- **البطل الأمريكي "الضئيل" القادر على تغيير العالم!**

تمامًا مثل معظم أبطال قصص المارفيل المصورة، ذات الشحنة الفنتازية العالية ، مثل كابتن أمريكا وباتمان ، فشخصية "الرجل-النملة" هنا تمثل السلوكية المتفوقة للنموذج الأمريكي ، الذي يسعى دومًا لتجاوز الحدود والطاقات الطبيعية، وبطريقة معاكسة هنا للفكرة الدارجة تتمثل بقيام "شخص ضئيل جدًا" قوي بتغيير العالم ، ويتناول بطرافة مغامرة الرجل-النملة "الأصغر من الدبوس" وتمكنه ببراعة من التسلل عبر أنابيب المياه والصرف

الصحي ، كما بتحت كعوب الفتيات الجميلات الراقصات بملهى الديسكو ، وبالحد الأدنى من المخاطرة وبدون أن يصيبه الأذى المتوقع، كما أن معظم حوارات الفيلم لافتة وذات مغزى وطريفة أحيانًا، ولكنه كمثل أفلام السلسلة المعروفة يستعيد نفس الشخصيات المكررة مثل شخصية العالم المتردد النادم والزوجة المفقودة والابنة البارعة الحزينة ، والرومانسي العبثي والحنين الجارف للم الشمل مع ابنته الظريفة، وانتهاء بحالة "العد التنازلي" للقنبلة الحمراء المزروعة بمركز الأبحاث، كما بشخصية الشرير الأصلع الطموح الذي يسعى لجلب الفوضى العشوائية للعالم والسيطرة وجنون العظمة، وهنا لاحظت أن محاولات هذا الأخير لتملك تقنية التصغير بدت ساذجة ورثة بالبداية وربما غير منطقية وصادمة ، وخاصة عندما مارسها ضد أحد معارضيه وحوّله "لمضغة لحمية حمراء" بعد خروجه من الحمام، ثم مسحها بورقة تواليت وألقاها بالتواليت، ثم استمرار محاولاته العنيدة التي تكللت أخيرًا بقدرته على تصغير "حمل وديع"!

- **فيلم "وثائقي- تحريكي" عن النمل!**

أبدع المخرج "بايتون ريد" بطريقة إخراجه وأغرقنا بقصة سردية شيقة حافلة بالطرافة والكوميديا والأكشن، ولاقى مراجعات نقدية عالية، كما أبدع مايكل دوغلاس بدور العالم وباول رود بدور الرجل-النملة وأضفى على الدور روح الدعابة والمرح، كما نجح بدمج الأكشن والدراما بالكوميديا الخفيفة والبُعد العائلي الحميم... أمَّا مأخذي النقدي "الخاص" على هذا الفيلم فيتمثل في ضعف التماسك والكيمياء ما بين الجزء الدرامي والجزء الآخر المتمثل بالمغامرات مع النمل، حيث بدا وكأنه فيلم وثائقي آخر مدهش مع كم كبير "غير مسبوق" من المؤثرات الخاصة، ولم نقتنع تمامًا كمشاهدين بعضوية

وتماسك وانسيابية الأحداث ما بين الشخصيات بحالتها العادية وما بين مشاهد النمل المتنوعة (التي بدت كأنيميشن/تحريك)، بالرغم من أن بعض المشاهد بالحق كانت لافتة وجذابة مثل تعاون النمل لإسقاط مكعبات السكر بكوب القهوة، أو تعاونه لقهر ومضايقة الأعداء، وطريقة تنقل الرجل–النملة طائرًا ممتطيًا جناح نملة طائرة، والمشاهد الرائعة لطريقة جرف المياه للرجل–النملة داخل حوض الاستحمام، أو بانتقاله داخل أنابيب المياه، وبدا الفيلم أحيانًا وثائقيًا (كأفلام ناشيونال جيوغرافي) وهو يستعرض أنواع النمل الناري والمفترس والاستوائي وسلوكياته المتوحشة... أما فكرة خروج البطل من السجن بعد قضائه ثلاث سنوات لإقدامه على السرقة بالرغم من كونه مهندسًا كهربائيًا بدرجة الماستر؛ فلم تكن مقنعة تمامًا... وكذلك قيام "ايفنجالين ليلي" ابنة البروفيسور بتدريبه على الملاكمة والتقلص والتخاطب مع النمل.

وانتهى الفيلم بلقطة ساخرة بدت كنكتة تمثلت بقيام الطفلة خلسة بإطعام نملة ضخمة قابعة تحت مائدة الطعام وكأنها حيوان أليف منزلي.

أفلام "ترفيهية / تجارية" تحفل بالفنتازيا الكثيرة والقليل من الخيال العلمي وتحمل مضامين ورسائل ذات مغزى



كما أن بعض أفلام الخيال العلمي تحفل بالفنتازيا واللامنطق ، وتحمل مضامين ذات مغزى "توفيقي-خلاصي"، تسعى ربما لإيجاد الحلول لمشاكل الازدحام السكاني والتلوث البيئي والأبحاث الطبية المخبرية السرية "المشبوهة" ، ولرغبتنا الجامحة بالسيطرة على الأرض والمجرة، ثم لعبثنا النووي المرعب وانفلات توازن التسليح النووي، الذي ما زال يهدد البشرية، ومنها فيلم "غودزيلا" اللافت (٢٠١٤)/١ : والذي تتحدث فقرة منه عن قيام "مسخ نووي" يدعى "الموتو" المؤنثة باستهلاك الرأس نووي، بينما تمكنوا من نقل الرأس النووي الآخر جوا لمدينة "سان فرانسيسكو" ووضع على قارب، فقام "الموتو" الذكر بسرقة الرأس الآخر أيضًا ، ثم بنت الأنثى "عشًا" حوله بمركز سان فرانسيسكو... وبعد أن هُزم الجيش بمواجهته العسكرية الضارية مع "غودزيلا" على جسر "البوابة الذهبية"الشهير ، وافق الأدميرال "سننتز" أخيرًا على فكرة السماح لغودزيلا بمصارعة "زوجي الموتو" المجنحين الشرسين، وبينما تدور معركة طاحنة بين الوحوش، يستغل فورد ذلك للتسلل

مع فريق متخصص لتفكيك الرأس النووي داخل العش هابطًا بالمظلة، ثم يلتحم الرأس الحربي ولا ينجح فورد وفريقه من تعطيل مفعول القنبلة الزمنية لذا ولتفادي الانفجار الموقوت يتم نقل الرأس النووي بالقارب لتفجيره بعيدًا بالبحر... وينجح فورد بتدمير "العش" عازلاً الأنثى، فيما ينجح "غودزيلا" بالانفراد بالذكر وقتله برميه بقوة كاسحة باتجاه ناطحة سحاب تنهار باتجاهه، فيما تقوم "الموتو الأنثى" بقتل أعضاء الفريق وتدمير القارب، ثم يقوم"غودزيلا" غاضبًا بقتل الأنثى بواسطة "أنفاسه النووية" المرعبة، مما يؤثر على طاقته فينهار مؤقتًا!... هكذا ينجح فورد (بطل الفيلم) أخيرًا بالذهاب بعيدًا بالقارب المحمل بالرأس النووي، متزامنًا مع اقتراب ميعاد التفجير، كما يتمكن بأعجوبة من النجاة بواسطة إخراجه بسرعة فائقة بواسطة طائرة يرسلها فريق الإنقاذ وفي اللحظات الأخيرة الحابسة للأنفاس.

أما المخرج الفرنسي "لوك بيسون" فقد "فقد" بوصلته بطريقة إخراجه لفيلم "لوسي"/٢ الذي يتحدث بؤس الاستخدام الكامل للطاقة الذهنية، ويستند لمقولة علمية "غير صحيحة" وثبت فشلها، فتشتت جهوده وتبعثرت ما بين فيلم مطاردة حركي مثير وحابس للأنفاس، وخيال علمي شيق مطعم ببعد وثائقي غريب، حيث نرى لوسي في أخر الشريط وقد وصلت لحالة "المائة بالمائة" من الاستغلال الذهني، حيث تختفي فجأة بشكل غامض وتذهب لبُعد فضائي زمني جديد وكأنها أصبحت مخلدة، تاركة وراءها بزة سوداء فارغة وسوبركمبيوتر أسود "عنكبوتي الشكل" يمتد عبر "فضاء الغرفة" كوحش روبوتي خارق، ولكنه نجح ربما بإظهار حالة "التوسع الذهني الجامح" لدى ممثلته "سكارليت جوهانسون"، فأظهرت ببراعة تداعيات هذه الحالة وبشكل مقنع، وتقمصت حالة "التمدد الذكائي" فيزيائيًا وتخاطريًا، وبدا وكأن بيسون يوجه من خلالها رسالة تحذر البشرية من التلاعب مستقبلاً بالقدرات الذهنية

التي قد تصبح شرًّا مطلقًا فيما إذا انطلقت بلا ضوابط "أخلاقية وسلوكية" من عقالها!

ونذهب لفيلم "سبايدرمان" الرجل العنكبوت (العودة للمنزل) (٢٠١٧)/٣ فهو فيلم مراهقين بامتياز ، ويحفل بفنتازيا–ترفيهية "لا يمكن أن تحدث"... ويتضمن كمًا كبيرًا من الأحداث والصراعات الخارقة والمطاردات اللاهثة، فهناك عصابات تبيع الأسلحة الفضائية المحظورة يكمن عرينها السري في محطة وقود، وهم يسرقون شاحنة كبيرة لهذا الغرض، وقد خططوا لتفجير قنبلة "نسيجية" جديدة متطورة تصدر طاقة متوهجة كبيرة في استاد رياضي كبير يضم مسابقات مدرسته الرياضية... كما يبدع سبايدرمان في إنقاذ صديقته ولصقها قبل أن تسقط للأرض، وينجح بمهارة برفع المصعد الهابط في اللحظات الأخيرة من علو ١٧٠ مترًا من ناطحة السحاب "النيويوركية"، وتحدث في المشاهد ما قبل الأخيرة مواجهة مصيرية بينه وبين الرجل المجنح الحديدي البارع "ميكل كيتون"، الذي يحمل في بزته المتطورة نظام قتل فوري مبتكر، ويقول له باستهزاء: "أنت تعبث بأشياء لا تفهمها"!... ثم نرى جهود السبايدر مان الخارقة لإعادة تركيب الباخرة المنقسمة لنصفين، وهو مجرد فتى في الـــ١٥ من عمره!

ويتحدث فيلم كونغ/جزيرة الجمجمة (٢٠١٧)/٤ عن تجربة سينمائية ومغامرة مماثلة: عن نفس الجزيرة التي تحدث عنها "إدوارد جاريث" في فيلمه اللافت غودزيلا (٢٠١٤)، وهناك مؤشرات لوجود مثل هذه الحيوانات المنقرضة من تحليل الهياكل العظمية الكبيرة التي وُجدت في المقابر والحفائر الجيولوجية للجزيرة، مثل السحلية الهائلة بلا أرجل التي تعاركت بضراوة مع كونغ في نهاية الشريط، وديناصورات منقرضة من نوع "ترايسيراتوبس"، وكذلك عناكب ضخمة ذات أرجل عملاقة، وحشرات

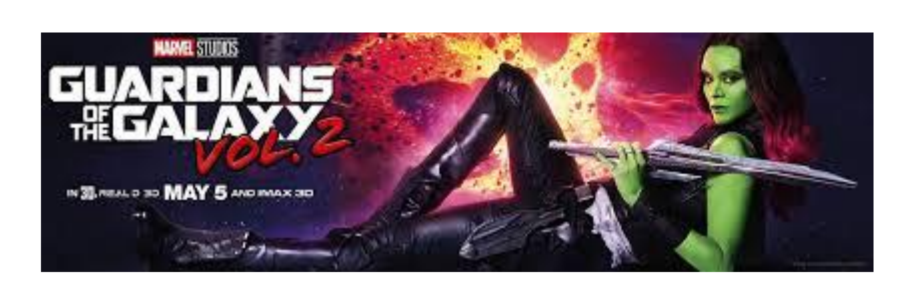
العصا الكبيرة والجاموس المائي العملاق وزواحف مجنحة طائرة، وحسب قصة الفيلم فقد كشف القمر الصناعي "لاندسات" عن وجود هذه الجزيرة الغريبة في العام ١٩٧٣.

ويتطرق فيلم "حرب لأجل كوكب القردة" (٢٠١٧)/٥ لقصة أكثر غرابة: فبعد اقتتال ضاري شهدناه سابقًا في فيلم "كوكب القردة"، تحول قيصر (آندي سيركيس) وزملائه القرود إلى ما يشبه الأسطورة، ويبقى محافظًا على صمته وغموضه، فلا أحد قادر على توقع خططه وأفكاره، ولكن تركيزه الأساسي يبقى منصبًا على الحفاظ على جماعته ودرء المخاطر الظاهرة والكامنة، فهو يرفض فكرة الاستكانة والسلام لأن البشر الآخرين يرفضونها بإصرار، ويرفضون فكرة التعايش مع القرود كمخلوقات جديدة ذكية ندًّا لهم... وهذا ما يحدث تمامًا عندما يهاجم العقيد "وودي هارلسون" مخيم القرود، ويقتل بعضًا من أفراد عائلة قيصر تحديدًا (زوجته وابنه)، وهذا ما يولد في داخله مشاعر الحزن الشديد وكذلك الحقد والرغبة بالانتقام، حيث يسعى جاهدًا للانتقال لقاعدة الجنود الغامضة، ويجدون خلال رحلتهم فتاة صغيرة بكماء جميلة أسموها نوفا (أميا ميلر)، تبدو معظم مشاهد الفيلم كخليط جديد من نمط سينما الويسترن والحرب وأفلام الطريق بالإضافة لإبداع "الخيال العلمي والفنتازيا"، ويتحدث عن مجموعة مقدامة (من القرود الشجعان) تصر على اكتشاف الحقائق وكشف المجهول، هنا يتم اكتشاف حقائق مروعة حول التغييرات والطفرات الجينية التي عبثت بالقرود في مختبرات البحث العلمي وحوّلتها لمخلوقات ذكية (بأحداث طفرة جينية)، كذلك العرق والعنصرية والعواطف الإنسانية والشراسة والتطهير العرقي، وقد نجح "ريفيز" بطرح هذه الثيمات متداخلة وبشكل انسيابي بلا خطابة وتنظير وملل وتطويل وانجراف للثيمات الجانبية.

أما شريط "فيكتور فرانكشتاين" (٢٠١٥)/٦ فيمزج "الحدوتة الأسطورية المعروفة" بالخيال العلمي والفانتازيا "الصعبة التصديق"، حيث في القرن الثامن عشر يقوم عالم طب متطرف يدعى "فيكتور فرانكشتاين" (الممثل جيمس ماكافوي)، وتلميذه اللامع المطيع "ايجور شتراوس" (دانيال رادكليف) باختراع كائن حي تحقيقًا لرؤيتهم النبيلة "العلمية" الاستبصارية لخدمة الإنسانية، وينغمسان بعمل بيولوجي جريء وخارق (على أساس أنه إذا كانت الحياة مؤقتة فيمكن للموت أن يكون مؤقتًا أيضًا)!... لكن التجربة تأخذ منحى كابوسي بالحالتين، الأولى عندما نجح فيكتور بتخليق "مسخ" حيواني هجين (كريه ومنفر)، وقد جمع أعضاءه من بقايا "المسالخ"، والأخرى عندما استغل فيكتور جثة صديقه المدمن "المقطوع"، وحوَّلها لمسخ أسطوري بشري (يدعى بروميثيوس بالأساطير اليونانية، ويتشابه بالشكل تقريبًا مع نفس الكائن الأسطوري بفيلم "بروميثوس" لريدلي سكوت)، بعد أن قد قلع عيني الجثة قبل ذلك ليجري عليها تجارب عصبية بمعونة صديقه... وقد قام بكل ذلك بتمويل سخي من صديقه الثري البريطاني المهووس الذي يضمر بأعماقه الشر له ولصديقه للاستئثار بالاختراع المذهل واستثماره للهيمنة والسيطرة... وقد تمَّ كل ذلك بقلعة أسكتلندية منعزلة أسطورية، مستعينًا بشحنات الكهرباء الهائلة المولدة من البرق، التي تمكَّن من تسخيرها تقنيًا بواسطة المناطيد وجلبها لمركز العملية بغرض شحن قلب "الوحش البشري" بالطاقة الكهربية اللازمة لإحيائه... ولكنه يدخل في صراع ضاري معه بعد أن يعتقد بالخطأ أنه يحمل روح أخيه الأكبر المتوفى مبكرًا، وينجح بصعوبة كبيرة مع صديقه المخلص لقتله نظرًا لقوته الخارقة ولتمتعه بوجود "قلبين" نابضين داخل جوفه... ثم يتخلى يائسًا وربما مؤقتًا عن مشاريعه، تاركًا صديقه الوفي لكي يستمتع مع صديقته الجميلة "لاعبة السيرك السابقة" التي كان قد أنقذها سابقًا من الموت بعد سقوطها بفضل معلوماته الطبية المتقدمة!

ويتطرق فيلم "حُرَّاس المجرة" (٢٠١٧/٢)/٧ ، الذي هو بمثابة : كوميديا فضائية حافلة بالأحداث والمؤثرات والشخصيات ، وهو من إخراج "جيميس كوون" وكتابة "دان آبينيت" ، وتمثيل كل من " كريس براث ، زو سالدانا (بدور يتيمة كائن فضائي غريب تسعى للخلاص من خطايا جرائمها السابقة وتمَّ تدريبها كقاتلة محترفة) ، وديف باوتستا" بالأدوار الرئيسية : اللورد الفضائي "بيتر كويل" ، والفتاة الجامحة "جامورا" و"دراكس" المقاتل الشرس الظريف ، ثم أصوات كل من "فان ديزل" للكائن النباتي الشجري الصغير الطريف "جروت" ، وصوت "برادلي كوبر" للراكون الذكي "روكيت" ، كما يدخل على الخط كل من "كورت راسل" بدور ايفو والد "بيتر كويل" (الأب الأناني الخالد الشرير) ، ثم الممثل الشهير "سيلفستر ستالوني" بدور شخصية "ستاكر اوغورد" الداعمة والمتآزرة مع حراس المجرة ، واليزابيت ديبيكي بدور "عائشة" الإمبراطورة الطويلة الغريبة المهيبة (قائدة الشعب المستقل ذوي الجينات الخاصة ذات الطول المهيب الذي يتجاوز المترين مع الحذاء الطويل) ، ولا أدري حقًا المغزى الخفي من تسمية هذا المسخ الفضائي الطاغية الذي يملك قوة ضاربة ويهدد وجود "حراس المجرة الأبطال" "بعايشة"؟ وهو اسم عربي – إسلامي! ثم هناك "ميشال روكر" بدور "يوندو اودونتا" صاحب الجلد الأزرق البليد– المطيع ، وكارين جيلان بدور "نيبولا" الفتاة المتبناة لثانوس ، والتي نشأت مع جامورا كتوأم ، كما يوجد "بوم كليمنتيف" والتي نشأت وهي تفتقد للتفاعل الاجتماعي الذي تحاول تعلمه من الحراس... وقد تجاوز عدد الممثلين في هذا الشريط الفضائي الممتع سبعين ممثلاً رئيسيًا وثانويًا ، وهذا عدد كبير نسبيًا ومربك للمشاهدين ، وتصعب إدارته وتوجيهيه للتناغم ، وهذا ما نجح المخرج بتحقيقه مع طاقمه الإنتاجي.
تكمن جاذبية الفيلم ببعده المشهدي الأخاذ وبأسلوب السرد والحوار الكوميدي الطريف ، وبطريقة تكوين "الكيمياء التفاعلية" وتوزيع الأدوار بين معظم

الأبطال بتناغم عجيب ، وكذلك بإبداع الموسيقى التصويرية المتنوعة. أما تركيبة الحراس فهي ذات مغزى وليست عشوائية، فهم مكونون من العنصر البشري والمسوخ الفضائية المتعاطفة والحيوانات والنبات (جروت بدوره الحيادي الداعم عكس حماس "روكيت" التفاعلي). يلعب "كريس سوليفان" دور قائد المتحولين "رافاجيرس" كشخصية غبية جامحة، ويأخذ مكياجه أكثر من ثلاث ساعات ليظهر بشكله المعبر ، كما يلعب "سين جون" دور "كراجلين" القائد الثاني في الترتيب، ويبدع "سيلفستر ستالومي" بدوره القصير كضابط كبير في مجموعة ال "رافاجيرس" وكصديق قديم ليوندو، أما الممثل "كورت راسل" فيلعب دور "ايجو" ، ومن الضروري للقارئ النبيه معرفة أسماء الشخصيات المختلفة هنا لكي يفهم تفاصيل الحبكة المتداخلة.



ويتطرق الجحيم/ انفيرنو(٢٠١٦)/٨ لفكرة غريبة مفادها أن "الإنسانية هي المرض والجحيم هو العلاج": حيث تبدو معظم مشاهد الفيلم مكررة كما في قصص "دان براون"، وبالرغم من أداء توم هانكس الفاتر، إلا أن حماس وانغماس الممثلين الآخرين بأدوارهم يجذبك كمشاهد لمتابعة الأحداث بلهفة، حيث يبدع كل من: سيدسي بابيت كندسين (رئيسة منظمة الصحة العالمية)، وبين فوستر وعرفان خان وجو راسيك بارك وعمر ساي بأداء وتقمص أدوارهم بشكل بارع ومؤثر. يتمحور الفيلم حول البليونير البيلوجي الشرير المغامر "بيرنارد زوبربست" (فوستر) ، وهو يبالغ بشرح تأثير الانفجار

السكاني ، حيث يحذِّر في ندوة عالمية من دخولنا كبشر لمرحلة الانقراض السادس ، موضحًا أن سكان العالم سيصل عددهم بعد أربعة عقود إلى ٣٤ مليارًا من البشر ، وأن موارد الأرض المحدودة حينئذٍ لن تكفي لتحقيق مختلف متطلبات حياتهم! ثم نرى العالم البيولوجي وهو يهرب في شوارع فلورانس (خلال الفجر أو الغسق)، مفضلاً إلقاء نفسه من برج شاهق قبل أن يقبض عليه بروشارد (عمر ساي) الذي يعمل كعميل لمؤسسة غامضة... ثم بالصدفة يتواجد هناك في فلورنس بروفيسور هارفارد "روبرت لانغدون"، الذي يتعرض لجرح قطعي نازف في رأسه ، محاطًا بالطبيبة الجميلة "سينابروكس" (الممثلة جونس)، ولا نكاد نعرف ظروف وصوله للمستشفى حتى نرى القاتلة الجامحة "أنا الارو" وهي تصل بشكل غير متوقع لردهات المستشفى، مبادرة بإطلاق النار باتجاه لاندون وطبيبته... حيث تساعده سينا بالهروب ليستقرا في شقتها ، ثم يستخدمان ببراعة كل وسائل المواصلات للوصول قبل الجميع والظفر بالكيس البلاستيكي الغامض "المليء بالفيروسات"المرعبة التي تتهدد الجنس البشري بحال إطلاقها خلال ٣٤ ساعة فقط ، ولكن المفاجأة تكمن في تواجد الكيس في اسطنبول بدلاً من فينيسيا ، ثم يدخل لحلبة السباق "كونسرتيوم" شرير جامح برئاسة "هاري سيمس" مع منظمة الصحة العالمية برئاسة "اليزابيت سنسكي".



القسم الثاني

مقالات ودراسات في أدب الخيال العلمي

لماذا نحن كعرب نهمل هذا النمط من الأدب والفن ؟

لماذا نحن كعرب نهمل هذا النمط من الأدب والفن؟... هل لأنه يرتبط بالتقدم العلمي الذي كان لنا فيه دور لافت في العصور الوسيطة، وبتنا الآن في حالتنا البائسة (كشعوب وحكومات) نعجز عن مواكبته والإسهام فيه... وإن كنا حاليًا كمعظم الشعوب الأخرى نتلهف على استخدام أحدث نتاجات العلم والمعرفة والتقنية، وفي كافة المجالات، لأنها تقدِّم لنا الرفاهية الشخصية والحياتية والمجتمعية، كما تريحنا في كافة أوجه حياتنا وعملنا، وتجعلنا منافسين ورابحين في عوالم التجارة والأعمال وغيرها.

لا أميل أبدًا لقصص "جلد الذات" ولعب دور الضحية، ولكنها الحقائق السافرة هي التي تتحدث هنا، فحتى معظم معاهد الجامعات ومختبرات البحث والتطوير في البلدان العربية هي ذات إنتاج متواضع ومكرر وغير خلاق... ومع اعتماد الاتحاد الأوروبي لعام ٢٠٠٩ كسنة "للإبداع والابتكار" واعتماد ذلك حتى في مجال جوائز الجودة والتميز، فما زلنا بعيدين نسبيًا عن معظم مناحي الإبداع والابتكار والتميز، حيث نعيد أحيانًا إنتاج أعمالنا، مسقطين عليها بالوهم والإدعاء سمات "الإبداع والابتكار والتميز".

- أدب الخيال العلمي أدب خلاق يرفع مخيلات الأفراد إلى عوالم يعيش فيها العقل مستقلاً عن القطيع، إنه ادب "العواطف السامية الممزوجة بحس علمي-إنساني خلاق". أذكر في نهاية عقد التسعينات عندما تقدمت لعضوية رابطة الكتاب الأردنيين عن مجموعة قصص في الخيال العلمي أن تمَّ قبولي وتسجيلي عضوًا بالرابطة في مجال "أدب الأطفال"، بحجة عدم الاعتراف "غير المبرر" حينها بوجود كتابة معتمدة ورائجة في مثل هذا النوع من

الأدب، وأعتقد أن الموضوع لم يتغير حتى الآن ، وهذا ما أثار استغرابي ودهشتي حينها، ولكني لا أفهم سبب تجاهل هذا النمط من الكتابة الإبداعية حتى الآن ونحن على مشارف العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين!

- بدأ الكون صغيرًا ، ساخنًا جدًا ، وهو في توسع مستمر. هذا ما صار يعرف بنموذج التوسع الكوني، بيد أن النموذج الوليد واجه أسئلة ملحة من بينها: هل هذا الكون المتحرك هو في حالة تمدد أم في حالة تقلص؟ وبالطبع تعتمد إجابة السؤال الأخير على أن كانت المجرات تتباعد عن بعضها البعض أم تتقارب.

يوافق الفرض الأول النموذج الانفجاري the big bang بينما يوافق الفرض الثاني النموذج الانسحاقي، the big cranch

سؤال آخر لم تتم الإجابة عنه إلى اليوم: ما هي القوى الدافعة وراء هذا التمدد ؟ يفترض أن الجاذبية بين المجرات وتجمعات المجرات فيما بينها تؤدي إلى تقاربها، أما وهي تتباعد فما هي القوة المسببة لهذا التدافع؟

لاحقًا ومع أعمال ألبرت أينشتاين أُطلق على اسم هذه القوة الغامضة اسم الطاقة المظلمة. لقد أدَّى التحسن في القياسات إلى تقدير عمر الكون اليوم بحوالي ١٣ مليار سنة وهي قيمة مقبولة طبعًا. لقد استمر الصراع بين الفريقين على أشده، أنصار النموذج الانفجاري وأنصار الكون الساكن، ورغم تقدم بطيء للأول على الأخير إلا أن الفيصل بينهما أتى على يد مُوَظفَين لا علاقة لهما بالجدل الدائر ولا بعلم الفلك. بالطبع لم يكن لأنصار نظرية الكون المستقر أي تفسير لهذا الإشعاع الكوني، بينما كان لنموذج الانفجار الكبير تفسير متكامل: في الأزمنة الأولى لحدوث الانفجار الكبير كان الكون ساخنًا إلى درجة أن البروتونات لم تكن قادرة على تثبيت إلكترونات. مع برود الكون حوالي ٣٧٠,٠٠٠ سنة بعد الحدث الكبير (بيغ

بانغ) انخفضت طاقة الإلكترونات وصار ممكنًا تثبيتها ، بالتالي تكونت الذرات... إن التقاط إلكترون من طرف النواة يترافق مع إصدار إشعاع، هذا الإشعاع القادم من كل أنحاء الكون يعود لتلك الحقبة التي تشكلت فيها الذرات لأول مرة. سمي هذا الإشعاع بالإشعاع الخلفي للكون Cosmic Microwave Background. لقد شكل هذا الاكتشاف آخر انتصار أدى إلى اعتماد نموذج الانفجار الكبير من طرف علماء الفلك نموذجًا رسميًا لنشأة الكون واستمراره.(١)

- إن أفكار وتداعيات المعرفة العلمية المتفجرة تطلق العنان لخيالات التفكير العلمي لأن تندمج مع صنوف الإبداع الفكري واللغوي، لتنتج في المحصلة خليطًا إبداعيًا سحريًا يسمو بالفعل الإنساني لآفاق غير متخيلة: لنأخذ كمثال مقولات عالم الفضاء الفرنسي الشهير "هيوبرت ريفز"، الذي طرح ثلاثة بدائل (غير مؤكدة) لمستقبل الجنس البشري بعد انطفاء شعلة الشمس، أي بعد حوالي خمسة بلايين عام، وهي على التوالي الانتقال للعيش حينئذٍ في أحد أقمار عطارد الدافئة نسبيًا، أو تحريك الأرض نفسها (كيف؟)، أو إعادة تزويد الشمس بالوقود بواسطة ضربها بالقنابل الهيدروجينية (باستغلال المخزون الهائل من البلوتونيوم المشع). ثم يحذر نفس العالم من تحول الشمس لتصبح نجمًا أحمر ضخمًا، قاذفة بحممها حينئذٍ وحارقة لجميع الكواكب!

- وهناك من يقول بأن نمط التفكير هذا يعتبر عبثًا غير منطقي، فنحن نتحدث هنا عن زمن "خرافي"(بعد خمسة مليارات عام)، فهل سيكون الجنس البشري موجودًا حينئذٍ بهيئته الحالية ونمط حياته وحضارته بعد هذا الزمن

---

(١) الفقرة مقتبسة بالكامل من مقالة الكاتب سعيد العروة المنشورة في موقع "ساسابوست" بتاريخ ٢٠١٨/٠٢/١٤

السحيق الموغل في البعد الزمني ؟ وما المعنى حقًا من إدعاءات علمية مستقبلية كهذه، وخاصةً أن العالم المذكور نفسه يتحدث عن إمكانية إطالة عمر نظامنا الشمسي في حينه إلى حوالي خمسة عشر بليون عام، فيما لو نجحت التقنيات الهندسية المتقدمة حينئذٍ في إعادة تزويد الشمس بالوقود النووي المطلوب... أما الفكرة الثانية فتبدو هنا أكثر تقبلاً وواقعية وأقل خطورة نسبيًا.

ولكن كل هذه الطروحات تبدو غريبة وأحادية التفكير، إذا ما اخذنا بالاعتبار سيناريو "الانكماش العظيم"، حيث يقدر العلماء أن هذا الانكماش سيحدث بعد حوالي خمسة عشر مليار عام، وهو ربما سيكون نفس الموعد المرتقب لانهيار الكون بصورته المعروفة، ولكن حتى هذه النظرية تفتقد أيضًا للمصداقية العالية إذا ما اخذنا في الاعتبار تأثيرات "الطاقة الكونية السوداء" التي ربما ستقود لاستمرار تمدد الكون بشكل "لا نهائي" إلى ما يربو عن التريليون عام، قبل أن يدخل في دورة مرعبة من الانكماش الطويل، وهكذا دواليك...

كما يبدو هذا الاستنتاج مغرقًا في البساطة، إذا ما اخذنا في الاعتبار آلاف الاحتمالات التي تطرح سيناريوهات محتملة لمصير الجنس البشري بعد كل هذه الفترة الساحقة في المستقبل البعيد، ومنها إمكانية نشوء مستعمرات بشرية على كواكب أخرى وفي مجرات بعيدة، كما بإمكانية حدوث "طفرات جينية" كبيرة لمخلوقات أخرى ربما حيوانية (كالقردة تحديدًا ، لاحظوا قصص سلسلة كوكب القردة التي تتحدث عن مثل هذا السيناريو) بحيث تنافس البشر في وجودهم الحصري ككائنات عاقلة ذكية، كما لا يمكن استبعاد إمكانية تطور البشر جينيًا لكائنات متفوقة أو ربما فناء الكائنات جميعًا والجنس

البشري برمته بتأثير حرب نووية ماحقة أو كوارث فضائية خارقة مثل اصطدام إجرام كبيرة بالكوكب عبر الزمان القادم.

أما الفكرة التالية فهي أكثر تقبلاً وواقعية، وأقل خطورة، ويمكن أن تحدث بعد بضعة آلاف من السنين فقط، وصاحبها هو عالم الفضاء الروسي "أفانيسوف"، والذي قدمها أمام مؤتمر أتمتة الفضاء الذي عقد في واشنطن، وتتلخص في إمكانية نقل ملايين الأطنان من الطحالب الخضراء (المعدلة وراثيًا) لتحمل حرارة وإشعاعات كوكب المريخ... لكوكب المريخ، حيث ستقوم هذه العضويات الدقيقة بامتصاص ثاني أكسيد الكربون من جو المريخ وتحويله لأكسجين، وهكذا سيصبح جو المريخ بعد بضعة آلاف من السنين "ملوثًا" نظريًا بالأكسجين لدرجة مشبعة كافية لعيش البشر فوقه، وفيلم "المريخي" لريدلي سكوت، يقدم فكرة زراعة البطاطا على سطح المريخ باستخدام "الفضلات البشرية" كسماد.

أما السؤالان المهمان هنا، فهما كيف سيتمكنون حينئذٍ (بعد خمسة بلايين عام) من نقل ترسانتهم من القنابل الهيدروجينية للانفجار بالقرب من سطح الشمس؟ ثم كيف سيوفرون بعد بضعة آلاف من السنين الماء الكافي لنمو طحالب المريخ تمهيدًا لتوفر شروط الحياة على سطحه؟...

هذه هي أنماط الأسئلة التي يحاول العلماء طرحها لنجاة البشر من الهلاك المحتوم على المدى المتوسط أو البعيد "الموغل في المستقبل"، وربما من المبكر جدًا طرح هذه التساؤلات حاليًا، فيما تواجه البشرية حاليًا تحديات السلم العالمي وجرائم الحروب والإرهاب والتوحش الإمبريالي الاستعماري الجشع والعدواني... كما من مخاطر عودة الحرب الباردة والاستقطابات والتحالفات وصولاً لإمكانية استخدام السلاح النووي والتسرب الاشعاعي، كما بمشاكل المناخ والأمراض الوبائية القاتلة والتغذية والزراعة والتصحر

وحماية الأنواع النباتية والأصناف الحيوانية ومواجهة الهزات الأرضية والتسونامي، ناهيك عن موجات الكراهية والطائفية والاثنية وانعدام ضمانات السلم العالمي والاحتقانات الدولية وسباق التسلح وغيرها من التحديات المتلاحقة والمتزامنة والتي تعجز دول العالم لحدٍ ما ربما عن إيجاد الحلول التوفيقية لها، ناهيك عن الخطر الماحق المتمثل بإمكانية اصطدام النيازك والكويكبات والإجرام السماوية مما قد يحدث دمارًا رهيبًا غير مسبوق بكوكبنا الأرضي... هكذا يلهث المفكرون والكتاب والفلاسفة والباحثون وراء العلماء لاستنباط مخيلة إبداعية خلاقة قادرة على احتواء التنبؤات العلمية العادية والخارقة وجعلها قابلة للتصديق والتأمل والتعامل، وكل هذا مرتبط أساسًا بإرادة سكان الكوكب في العيش المشترك والتفاهم وتقبل الآخر بطريقة إنسانية سوية بعيدًا عن التعصب والتقوقع والأنانية والنرجسية.

نماذج معبِّرة للتطبيقات المحتملة العميقة الممكنة والقابلة للتطبيق والخيالية الفنتازية "غير منطقية" في بعض أفلام الخيال العلمي الحديثة والجديدة : الرسائل المعلنة والخفية

تتطرق معظم أفلام الخيال العلمي للكثير من الأفكار والتوقعات والتقنيات الخلاقة ، الممكن تطبيقها مستقبلاً ، وأخرى صعبة التطبيق أو بالغة الخيال والفنتازيا ، ومنها : القدرة على قراءة أفكار الآخرين والتخاطر البشري (كما بنسخة الجيداي الأخير من سلسلة حرب النجوم) ، سرعة فهم المعلومات واسترجاعها ، التوجيه عن بعد للأجهزة والسيارات والطائرات والروبوتات ، "الأندرويدات" الفضائية الذكية وقد تتحول لتصبح شريرة ومهيمنة أو ربما طيبة ومتعاونة ومفيدة كحالة "مايكل فاسبندر بفيلم آلين/الميثاق(٢٠١٧)" ، "الهولوغرافيكيات" الشبحية الآدمية المجسمة على شكل "نساء جميلات" (كفيلم بليد رانر ٢٠٤٩) ، المتحولون بقوى خارقة متنوعة (كفيلم لوغان ٢٠١٧) ، استنساخ البشر والذاكرة ، فك نشاطات الخلايا العصبية ، تعلم اللغات بسرعة ، استنساخ الأدمغة البشرية في الروبوتات ، الذكاء الصناعي ، الروبوتات البيولوجية والميكانيكية ، استبدال الأعضاء والجراحة الروبوتية عن قرب وعن بعد (كحالة البطلة في فيلم بروميثيوس التي تجري إجهاضًا جراحيًا للتخلص من جنينها المسخ) ، الحاضنات الصحية والرقاد الصناعي الطويل الأجل (كفيلم بروموثيوس٢٠١٢) ، إعادة تصميم وتركيب الأعضاء البشرية بقطع غيار صناعية ، إطالة الأعمار ومكافحة أمراض وأعراض الشيخوخة ، وسائل النقل الفضائية ومنها السيارة الطائرة ، السفن الفضائية والسفر عبر الكواكب والمجرات باستخدام "الثغرات الدودية" كما بفيلم "عبر النجوم"

لكريستوفر نولان ، المحطات والمستعمرات الفضائية القريبة والبعيدة وإمكانات الصيانة الدورية واستبدال رواد الفضاء وإجراء كافة أنواع البحوث على متنها (كما بفيلم جرافيتي)، الرقود والبيات لسنوات طويلة في حاضنات فضائية (كفيلم الركاب ٢٠١٦) ، تقنيات حرب النجوم المذهلة والمتنوعة كما ظهرت في السلسلة المكونة من ثمانية أجزاء حتى الآن ، ثم تطور التقنيات المتقدمة في مجالات الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي والموبايلات (الهاتف الخلوي الذكي) وكما ظهرت بفيلم الدائرة (ذا سيركيل)/ ٢٠١٧ لتوم هانكس... وكما في مجالات الأقمار الصناعية والتحكم بالطقس والمناخ وتقنيات الاستمطار ، وفي مجالات تطوير أنواع الطاقة المستدامة والزراعة وتنقية المياه، مزارع الغذاء البديلة للبروتين مثل "مزارع الدود" (كما ظهرت في فيلم "عداء النصل ٢٠٤٩")... الخ.

ويكفينا كبداية أن نشهد في القريب، وربما في عشرينات هذه الألفية ولادة جديدة للصناعة المتناهية الصغر، وكيفية المزاوجة بين تقنيات النانو والبيئة مع التكنولوجيا الحيوية بغرض إنتاج سلع جديدة مبتكرة... كما أن بعض أفلام الخيال العلمي قد حفلت بالأفكار الخيالية- العلمية المذهلة (وربما غير القابلة للتصديق أحياناً) ومنها: تخزين البرامج الحاسوبية داخل أدمغة البشر، حاضنات العلاج والترميم الروبوتية، الدراجات الفائقة السرعة ذات النفث الهوائي، التخمر الحراري السريع لصناعة الخبز، تجميع الحامض النووي لكافة الكائنات لإعادة استنساخها مستقبلاً ، مصاعد ضخمة عامودية هائلة تعمل بالجاذبية الأرضية، العبث بالجينات الوراثية لمنع الأمراض وتحسين النوع، اكتشاف مصل السعادة، تقنيات التصغير (كما ظهرت في فيلمي "الرجل النملة"/٢٠١٥ و"التصغير"/٢٠١٧ ، وكما ظهرت أفكار "خيالعلمية" مذهلة في فيلم "بين النجوم" لكريستوفر نولان تتعلق بالثقوب الدودية والبُعد

الخامس، حيث الانتقال بسرعات خارقة عبر ما يسمى "الثغرات الدودية" قد تتجاوز "سرعة الضوء" للسفر عبر المجرات وتقريب المسافات، انكشاف مفهوم "الزمكان": حالة اندماج الزمان بالمكان، الاتصالات "الهولوغرافية" المدمجة والفائقة السرعة... الخ، واستغلال طاقة الاندماج النووي كبديل للطاقة الاحفورية بأشكالها.

وباعتقادي فإن مجال التقدم العلمي يبقى مفتوحًا على كل الاحتمالات، وقد يحمل لنا الكثير من المفاجآت "غير المتوقعة"، وعلى المفكر والكاتب والروائي والسينمائي الحصيف الحذر أن يراعي كافة الأبعاد بشكل متكامل عندما يغوص في متاهة "الخيال العلمي"، وأن يحاول الخروج من شرنقته المحدودة ورؤاه القاصرة وربما الساذجة بالخوض في تفاصيل العلم والتجارب والأدب، مستخدمًا قوى الخيال الإبداعي والنتائج العلمية في آنٍ واحد، وهذا بالحق ليس سهلاً... وبالرغم من التقدم المذهل الذي نشاهده في شريط "الاستذكار الكامل" على سبيل المثال، وخاصة في مجال المواصلات والتنقل والاتصالات والتلاعب البيولوجي بالذاكرة والعقل البشري، إلا أن سلوكيا ت البشر تغلب عليها غرائز التفوق والغدر والعدوان والجنس، وعلى سبيل الطرافة فالهاتف الخلوي قد يتحول لشريحة سيليكونية تُزرع داخل اليد حسب الطلب وطبيعة الوظيفة، وتعمل السيارات الطائرة تحت ضغط شافط هائل على ارتفاعات شاهقة كوسيلة للتنقل السريع... كما ينتقل البشر عبر القارات بواسطة أنفاق مصعدية شافطة من تحت الماء، وتخضع بعض العاهرات للعبث جينيا بأثدائهن لإظهار ثدي ثالث إضافي لزيادة المتعة والتسعيرة! والغريب أن مخرج الفيلم "لين وايسمان" قد استعرض في تحفته الخيالية معظم الأجناس البشرية من أفارقة وصينيين وأوربيين ولاتينيين إلا العرب اللذين لم يظهر أحدًا منهم ولو بالصدفة العابرة، كما لاحظت "تغييب

العرب" كجنس سكاني من معظم أفلام سلسلة حرب النجوم وحتى بنسخته الأخيرة (الجيداي الأخير) ، حيث ظهرت نماذج من العرق الأصفر والأفريقي والقارة اللاتينية بالإضافة للعرق الأبيض المهيمن على مجرى الأحداث، ولا أدري إن كان ذلك مقصودًا أم عفويًا!

أما بالنسبة لإمكانات إطالة أعمار البشر طبيًا، فيظهر ذلك جليًا بفيلم "استيقاظ القوة"(حرب النجوم)/٢٠١٥ حيث يبدو ذلك واضحًا في الفقرة التالية: "... وبالأثناء يصل فريق "الفالكون" لكوكب "تاكودانا" ويقابلون القرصانة العجوز الخالدة"ماز كاناتا" (التي يزيد عمرها عن ألف عام) والتي تقدم لهم المساعدة اللازمة والنصيحة الحكيمة" (أفاد رئيس الاستثمارات في شركة "غوغل" بأن عيش الإنسان لمدة ٥٠٠ عام بات أمرًا ممكنًا)، أما فيلم "ذا سيركيل"(٢٠١٧) (وهو من بطولة توم هانكس أيضًا) فهو فيلم "رؤيوي" بامتياز، يتحدث عن "يوتوبيا" تقنية قادمة، عندما تتحول الراحة الرقمية لكابوس مؤرق، مثل "سحق الخصوم والسعي لتراكم الثروة بكل الوسائل"، فالبطلة المتحمسة أصبحت لا تملك إلا ثلاث دقائق فقط للذهاب للمرحاض بلا رقابة، ونجد الدليل حاليًا متمثلاً بحالات بث جرائم القتل بصنوفه، وكذلك الممارسات السادية الشريرة وحالات الانتحار على الفيسبوك، مما يؤكد صحة مزاعم هذا الشريط "التحذيري" ورسالته الخطيرة، أما الطريف والجديد هنا فيتمثل هنا بكاميرا "بعد النظر" الكروية الصغيرة، التي يمكن تركيبها ببساطة في أي مكان، لتبث لاحقًا وبشكل انتقائي ما يسمى أيضًا "فيديو بعد النظر" وهي التي أطلقها المدير بحماس أمام الحضور الكبير للجمهور الشغوف، مطلقًا شعارًا وهميًا "نحن نسعى لشفاء كل الأمراض فلا حدود لإمكاناتنا"... ثم إطلاق مقولة مفادها أن "الأسرار هي مجرد أكاذيب خفية وهي تسمح بانتشار الجرائم وبعدم المحاسبة".

كما توقعت أفلام الخيال العلمي هيمنة الروبوتات الذكية وعدوانيتها الماحقة، حيث يظهر ذلك جليًا في الجزء الأخير من نسخة "رجل التدمير"/٢٠١٥: حيث بالعام ٢٠٢٩ يقوم قائد المقاومة الإنسانية المسلحة جون كونر (الممثل جيسون كلارك) بحملة عسكرية كبيرة ضد ما يسمى "سكاي نيت" (الذكاء الروبوتي الصناعي) الذي يهدف لإبادة ما تبقى من البشر، بعد أن أدت حرب نووية ماحقة بإبادة أكثر من ثلاثة مليارات إنسان، وسيطرة "البشر الآليين المتحولين" على بقايا الجنس البشري، كما توقع هذا الفيلم "العودة بالزمن" لتغيير منحى القدر: وقبل أن تنجح المقاومة بمحاولتها، يتم تشغيل آلة الزمن التي ترسل "مبيد آلي" يسمى "تي ٨٠٠" رجوعًا للعام ١٩٨٤(زمن إصدار النسخة الأولى اللافتة من هذه السلسلة) لقتل والدة جون"سارة كونر" (الممثلة ايميلي كلارك)، ثم يتطوع الساعد اليمن لجون وهو كارل ريس (جاي كورتيني) للسفر بالزمن للوراء لحمايتها من الاغتيال... وعند دخول كايل للمجال المغناطيسي للماكينة المرعبة، ينطلق الهجوم المدمر على جون وتشحن ذاكرته بذكريات مؤثرة لطفولته بالعام ٢٠١٧، يتضمن الفيلم رسائل تحذيرية من خطر تحكم الآلات بالبشر مستقبلاً.

أما فيلم "ريدلي سكوت" اللافت "بروميثيوس/٢٠١٢"، فيطرح جملة تساؤلات مثيرة للجدل: ما هي أصولنا ومن أين جئنا ككائنات ذكية متميزة؟ حيث تبدو فكرة تكون بذرات الحياة من خارج مجرتنا فكرة عبثية، تصطدم وتتلاعب بالمفاهيم اللاهوتية والدينية، كما أنها تثير تساؤلاً منطقيًا: لماذا يقوم هؤلاء "الفضائيون الغرباء" بمحاولة العودة لتدمير مخلوقاتهم بعد مضي أكثر من ٣٥٠٠٠ عام على زيارتهم الأولى لكوكب الأرض؟ وهل كانت رحلة مركبة الـــ"بروموثيوس" ذات طابع استباقي "رؤيوي"؟ بحيث أنها استفزت نواياهم الشريرة وداهمتهم قبل أن يباشروا بهجومهم المرتقب في نهاية القرن الحادي

والعشرين ! ولماذا يخاطر رجل أعمال ثري ومهووس (ويلاند) بتمويل رحلة فضائية باهظة التكاليف (تريليون دولار) وحافلة بالمخاطر غير المتوقعة ؟ ولماذا لا يتضمن الفريق الاستكشافي المتنوع المغامر ضباط حراسة أشداء ومهندسي صيانة مهرة تحسبا للطوارئ؟ يبدو هنا تأثر كل من المخرج وكتاب السيناريو والقصة بمؤلف كاتب الخيال العلمي السويسري الشهير " ايريك فون دانيكن" عربات الآلهة الذي صدر في العام ١٩٦٨ ، وهو الكتاب الذي لاقى رواجًا كبيرًا ، والذي أشار فيه بوضوح لدور افتراضي محتمل لفضائيين كونيين في إنجازات الحضارات القديمة (كالمصرية والانكا على سبيل المثال) ، وساد اعتقاد مؤكد عبر العصور بأنه من الصعب تحقيق المستوى الحضاري الذي وصلنا إليه بدون مساعدة (خارجية) ما... وفي النهاية التراجيدية المتوقعة تقوم المسوخ الفضائية الشريرة والشرسة بمهاجمة الفريق الإنساني ، ويُقتلون جميعًا ولا يتبقى إلا العالمة الجريئة "شو" وبقايا الروبوت "دافيد" (التي تقوم شو بتجميعها وتركيب رأسه) ، ليقوما برحلة مثيرة جديدة لموطن الفضائيين الأصلي ! اما اللقطة الأكثر إثارة للجدل في هذا الخيال العلمي الجامح والفريد ، فتكمن في اكتشاف الرواد بالصدفة بتشابه مناخ "القمر" الجوي مع مناخ الأرض ، وذلك عندما يلاحظ أحدهم بعد إزالته لخوذته الفضائية أنه يتنفس بسهولة تامة ، وربما يفسِّر هذا سبب اختيار "المهندسين الغرباء" لكوكب الأرض تحديدًا لزرع بذور حامضهم النووي في غابر الزمان.

أما في فيلم ديفرغينت (الاستعصاء)(٢٠١٤) ، فهنا تدخل القصة منعطفًا جريئًا بتصنيفها للبشر بواسطة فحص دمائهم وعلنًا بواسطة احتفال عالمي لأربع فئات رئيسية : الأدباء وهم بأعلى الهرم ، والشجعان الخارقين (والشريط يتحدث عنهم تحديدًا وعن بطولاتهم) ، والنكران وهم هؤلاء اللذين

يقومون بالتضحيات من أجل الآخرين ويقومون بإنقاذهم إن تطلب الأمر بلا تبجح وتباهي (وأين موقع العلماء ضمن هذا التقسيم الساذج غير المنطقي)؟

أما في فيلم "رجال الاكس"(٢٠١٤) فثيمة الفيلم تناقش فكرة احتمالية تغيير المستقبل من خلال إمكانية تغيير "الماضي–الحاضر"، حيث ينجح "كسافير" بإقناع "ميستيك" بعدم قتل "تراسك" والسماح لها و"لماغنيتو" بالهروب... هكذا يتم إلغاء برنامج الحراس الروبوتيين وتغيير مسار المستقبل افتراضيًا، لتحقيق صلح استراتيجي بين البشر والمتحولين!

أما في في فيلم الوصول اللافت (٢٠١٦): حيث تهاجم كوكب الأرض بشكل متزامن ١٢ سفينة فضائية غامضة ضخمة تشبه "العدسات اللاصقة"، ويطلب منها الكولونيل "فيبر" بأن تنضم لفريق متخصص لبحث أسباب وصول هذه المراكب الفضائية للأرض، ويصاحبها في مهمتها عالم الفيزياء الكونية "ايان دونلي"، ويحدث أن يدخل العالمان للمركبة كل ثمان ساعات عندما تفتح دوريًا من خلال مصعد خاص، وعندئذٍ تتواجه لويزا مع رفيقها الفيزيائي مع كائنين فضائيين ضخمين بسبعة أطراف كالسحالي وتسمى "هيتابودز"، ويسميهم ايان "آبوت وكوستيلو"... ثم تكتشف لويزا أن الغرباء يستخدمون "لغة مكتوبة" ذات رموز دائرية معقدة، وتحاول جهدها لتعليمهم الرموز المرتبطة بمفرداتهم البدائية بغرض التواصل، ونلاحظ أنها كلما توغلت أكثر في معرفة أسرار لغتهم الدائرية الغريبة، تداهمها "تخيلات حلمية" تتعلق بحياتها وذكرياتها القصيرة الحزينة مع ابنتها الصغيرة المتوفاة.

أما في فيلم "الفنتازيا والخيال العلمي": "خيالات دكتور بارنسوس" (٢٠٠٩)، حيث يملك دكتور بارناسوس (العجوز المعمر) موهبة خارقة تتمثل في قدرته على نقل التخيلات للآخرين بواسطة السحر ومهارات مجموعته الكرنفالية المتنقلة، والمكونة من قزم حكيم ماهر ومساعد محترف متعدد

المهارات وابنته الباهرة الجمال ، حيث يقدم للزبائن فرصة الانتقال لعالم خيالي مدهش بواسطة مرآة سحرية وبأسعار باهظة ، وتسمح له علاقته المزمنة مع ممثل الشيطان (مستر نيك) بإنجاز هذا الانتقال والعودة ثانية ، وذلك مقابل أن يحظى هذا الأخير بابنة الدكتور (ذات الستة عشر ربيعًا) ، ولكن فالنتينا تحب توني الغريب الجذاب.

أما فيلم سبايدرمان المذهل (٢٠١٤) فهو كما بمعظم أفلام الفانتازيا والأكشن والخيال العلمي الأمريكية الحديثة كالعادة ، يثير المخاوف الكارثية المزمنة من تعطل مركزي شامل للطاقة الكهربائي (عصب الحياة العصرية بمدينة ضخمة كنيويورك) ، ومن مخاوف احتمالية سرقة البلوتونيوم ومن تصنيع الأسلحة البيولوجية الفتاكة ، ثم أنه يغمز بصراحة من قناة"الأشرار الروس" (العدو التقليدي القديم-الجديد) اللذين يثيرون الآن في أمريكا والغرب مخاوف كامنة كقوة عظمى ضارية (استفاقة الدب الروسي) وعودة سُحب "الحرب الباردة"، التي لا بد من مواجهتها يوما ما!

ويتطرق فيلم "سولاريس"(٢٠٠٢) لفكرة بأن تكرار استخدام جهاز "الإبادة" قد قلل تلقائيًا من قدرة مفاعل الطاقة، جاعلاً من المستحيل تحقيق إمكانية عودة المحطة للأرض ثانية ، كما حذرهم من أن المركبة الفضائية الغامضة "سولاريس" قد تضخمت كتلتها بشكل هائل (بفضل استخدام نفس الآلة) مما سيعني أنها ستنجذب باتجاه الكوكب الغامض، وأفادهم بشرح آلية عمل "آلة هيجيز" لتي تعمل على شحن البوزونات وهي المادة المضادة، وبذا تنجح بإبادة وإخفاء "الشخص المثيل" (أي الشبح) نهائيًا! يحاول عندئذٍ "كليفين وجوردون" تجهيز مركبة فضائية صغيرة تدعى "أثينا" للنجاة بأنفسهم والعودة للأرض سالمين.

وفي فيلم "جرافيتي (وهوأفضل أفلام العام ٢٠١٣) : يتحدث الشريط عن تفاصيل المهمة الفضائية الأولى للدكتورة ريان ستون الباحثة الطبية، والتي يساعدها رائد الفضاء الخبير مات كوالسكي في مهمته الفضائية الأخيرة قبل التقاعد... كوالسكي يتنقل بواسطة "دوافع نفاثة" مركبة حول كرسيه الفضائي والتي تسمح له بالتنقل لكافة الاتجاهات والمواقع، وأثناء محاولتهما إجراء صيانة خارجية لأحد أذرع التلسكوب الفضائي هابل ، يحذرهما فجأة قائد المهمة الأرضي من مركز التحكم بهيوستون من اندفاع حطام متسارع بفعل تدمير الروس لقمر صناعي متعطل بواسطة صاروخ مما أدى لسلسلة من التفاعلات غير المسيطر عليها ، وتطلب ذلك إنهاء المهمة فورًا والعودة للمحطة الفضائية ، ولاحقًا بفقدان الاتصال بالمركز الأرضي مستمرين بمحاولات يائسة للاتصال، ويؤدي تأخرهما لفصل "ستون" من المركبة تاركًا إياها تحوم تائهة ومرعوبة في الفضاء ، ولكن "كوالسكي" يسارع لنجدتها متجهين للمركبة، التي يتبين أن الركام المندفع قد دمرها وقد قتل باقي الفريق المرافق! ثم يستخدمان النفاث للتوجه للمحطة الفضائية العالمية التي تدور حول الأرض على بعد مئة كيلومتر ، ويقدر "كوالسكي" بخبرته أنهم يملكون تسعين دقيقة فقط قبل أن يكمل الركام دورته ليعود ليهاجمهما مهددًا حياتهما.

أما في فيلم الخيال العلمي اللافت "الوصول"(٢٠١٧)، فيتحدث عن سيناريو محتمل لكيفية التواصل مع الكائنات الفضائية المحتملة (التي ربما ستزور كوكب الأرض يومًا ما) : تهاجم كوكب الأرض بشكل متزامن ١٢ سفينة فضائية غامضة ضخمة تشبه "العدسات اللاصقة" ، ويطلب منها الكولونيل "فيبر" بأن تنضم لفريق متخصص لبحث أسباب وصول هذه المراكب الفضائية للأرض، ويصاحبها في مهمتها عالم الفيزياء الكونية "ايان دونلي"، ويحدث أن يدخل العالمان للمركبة كل ثمان ساعات عندما تفتح دوريًا من

خلال مصعد خاص، وعندئذٍ تتواجه لويزا مع رفيقها الفيزيائي مع كائنين فضائيين ضخمين بسبعة أطراف كالسحالي وتسمى "هيتابودز"، ويسميهم ايان "آبوت وكوستيلو"... ثم تكتشف لويزا ان الغرباء يستخدمون "لغة مكتوبة" ذات رموز دائرية معقدة، وتحاول جهدها لتعليمهم الرموز المرتبطة بمفرداتهم البدائية بغرض التواصل، ونلاحظ أنها كلما توغلت أكثر في معرفة أسرار لغتهم الدائرية الغريبة، تداهمها "تخيلات حلمية" تتعلق بحياتها وذكرياتها القصيرة الحزينة مع ابنتها الصغيرة المتوفاة (إنه فيلم الخيال العلمي الجديد للكندي-الفرنسي "دينيس فيلينوف"، من كتابة "أريك هايسدر"، واستنادًا لقصة قصيرة بعنوان "قصة حياتك"، من كتابة "تيد شيانغ"، ومن تمثيل كل من "آمي آدامز، جيرمي رينير وفورست ويتاكر"، وقد تمَّ افتتاح الفيلم في مهرجان فينيسيا الدولي... مدح النقاد الفيلم لسياق قصته الغريبة وأجواءه الشيقة، وكذلك أثنى معظمهم على أداء "آمي آدامز" المذهل، وقد حقق الفيلم ٩٣ مليون دولار من العروض العالمية).

أما في فيلم التصغير "داون سايزنغ"/٢٠١٧ (من إخراج ألكسندر باين)، فيتحدث عمومًا عن "رفاهية نموذجية وطبقية عشوائية وطرافة افتراضية في "ديستوبيا خيالعلمية" غير منطقية": ويحدث ذلك عندما ينجح علماء نرويجيين بإجراء عمليات التصغير على البشر ليصبح حجمهم خمس انشات فقط، بعد أن نجحت التجارب الأولية على الحيوانات، ينبهر العالم لاكتشاف هذه التقنية البيولوجية الرهيبة التي يتم تعميمها، والقادرة على حل مشكلة الاكتظاظ السكاني وارتفاع تكاليف المعيشة، ثم يقتنع بطلنا "باول" (الممثل مات ديمون بدور لافت)، وزوجته "اودري" (كريستن وييغ)، يقتنعان بالفكرة، ويقرران ترك حياتهما الصعبة وعملهما المتعثر المضطرب حتى يتقزمان، ويسكنان في مجتمع مثالي مرفه للأقزام الأثرياء، ولكن هذا الخيار المصيري الغريب

يشعل سلسلة من التحديات الحياتية والتغيرات غير المتوقعة... ثم أن المخرج "ألكسندر باين" قد خلط في هذا الفيلم الترفيهي الطريف مواضيع كثيرة جدلية مثل : الاحترار العالمي ، والاستهلاك الجماعي للموارد ، والازدحام السكاني ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، كما أشاد بأبحاث العلماء لاجتراح أساليب للعيش والتواؤم مع التحديات الحالية والقادمة، وركز على امتيازات البيض كجنس أوروبي متفوق على الكوكب ، ثم لدور النساء البائسات الكادحات ولانتشار الفقر في الضواحي.

أما فيلم النسيان (اوبليفيون–٢٠١٣): فهو عبارة عن لغز فضائي يفك رموزه بالتدريج : حيث هناك هليوكوبترات (مروحيات) قديمة مستحدثة ، أنماط مشابهة لطائرات الدرون ، "مركبة فقاعات" مستأجرة من وكالة الناسا ، مشاهد ساحرة مصورة في أيسلندا حيث ضوء النهار يستغرق وقتًا طويلاً ، مناظر خلابة لبراكين خامدة ، وحدة قاتلة "سيريالية" لرائدي فضاء ينجزان مهمة أخيرة حاسمة فوق "منزل" فضائي معلق خرافي التصميم ، تداعيات ذكريات قديمة... بقايا دمار عالمي كبير ، مسوخ ونابشي قبور مرعبين... هذه هي مكونات الفيلم الجديد للمخرج الشاب جوزيف كوسينسكي الذي يقدم هنا ملحمة فضائية تجمع بين الشاعرية والخيال العلمي ومصير كارثي متوقع لعالمنا الأرضي ، ولكنه بالرغم من تأثره الواضح بأوديسا الفضاء لكوبريك ومحاولة استحداث مشاهد مماثلة وأكثر ابتكارًا إلا أنه لا يرقى لرؤية كوبريك بتحفته السينمائية الخالدة... يلمع الممثل توم كروس بفيلم النسيان ، ويبدو كاكاوبوي "متوحد" مستقبلي خيالي يمتطي طائرات الدرون المستحدثة بدلاً من الخيل في سهول وهضاب الويسترن ، حيث يستبدله هنا ببقايا عالم مدمر ومقفر وسيريالي عجيب ، وتتحدث القصة عن مستقبل افتراضي كارثي لكوكب الأرض الذي دمر بطريقة مرعبة ، وحيث يسعى ميكانيكي فضاء

شجاع ليقوم بإصلاح طائرات الدرون المعطوبة واستخلاص بقايا بعض الموارد الأرضية الهامة ومواجهة مسوخ فضائية عدائية من التعرض للمحطات الأرضية المتبقية.

أما فيلم الرعب والخيال العلمي "ريسيدنت ايفل" (الشيطان المقيم/٢٠١٦)، فيخلط الرعب والفانتازيا والزومبي بالخيال العلمي لينتج فيلما "استهلاكيًا- مسليًا" لا يمكن تصديقه: حيث تبدأ القصة من أن الدكتور "جيمس ماركوس" المؤسس الأصلي لشركة المظلة، كان له ابنة صغيرة تحتضر من الشيخوخة المبكرة، وقد وقَّع اتفاقًا مع الدكتور "تشارلز أشفورد" على اعتماد "الفيروس تي" (المصنع مخبريًا) كوسيلة علاجية لكافة الأمراض، وعندما رفض ايزاك (ألبرت ويسكر) استخدام هذا الفيروس لأغراض عسكرية خاصة، تمَّ الايعاز بالتخلص منه. ثم تخبر الملكة الحمراء (الطفلة ايفر جابو، وهي ابنة ميلا ذات التسع سنوات) بأنه يتوجب عليها العودة سريعًا لمدينة "راكون" خلال ٤٨ ساعة، حيث نجحت منظمة "المظلة" بتطوير "أنتي فايروس هوائي" قادر على قتل كافة الأحياء/الأموات المصابين بفيروس "تي" لضمان نجاة البشرية... وفي الطريق يأسرها "د.اسحق" (ايان غلين)، ويخبرها ساخرًا بأنها سبق وقتلت مستنسخًا عنه، ثم يربطها بعربة مصفحة كبيرة لتركض مهرولة وتتبعها "جحافل الزومبي" للقضاء عليها، ولكنها تنجح بمهاراتها "القتالية- البهلوانية" من الاستيلاء على دراجة نارية محمولة لتصل بسرعة لمشارف مدينة "راكون" المدمرة... لتنتقل إلى ما يُسمى "جحر الأرنب" الذي هو بمثابة خلية سرية تحتوي على ترياق لعلاج الفيروسات القاتلة، التي حولت معظم سكان العالم لزومبي متوحشين (الأحياء/الأموات)، ثم نسمع خطابا شوفينيا لإيزاك المصاب بجنون العظمة يبلغنا فيه بأنه عازم على تطهير المعمورة من بقايا الجنس البشري من أجل التمهيد لحكم أقلية مختارة

مبررًا ذلك بتهديدات الإرهاب العالمي المتزايد والتلوث والمجاعات والازدحام السكاني والآثار الاجتماعية المرعبة المترتبة على ذلك!

أما بتحفة حرب النجوم الثامنة: الجيداي الأخير، حيث يتعايش البشر الأذكياء الذين يطورون التخاطر كوسيلة للتواصل والتأثير مع كل من الحيوانات المسخية الغريبة المستأنسة والروبوتات الذكية اللماحة في إطار حياتي مستقبلي حافل بالصراعات والحروب : حيث تعود هنا في هذا الجزء الشخصيات الروبوتية والحيوانية الطريفة مثل "ري٢- دي٢" و "سي-٣بي او"، والشمبازنزي الظريفة "تشوباكا"، فيما يفتخر فين (جون بويغا) بكونه "حثالة المقاومين" ولا نعرف لماذا؟ ونشاهد المبتدئة الصينية الملامح روز (كيلي ماري تران) التي تعمل كميكانيكية ماهرة وجريئة، ثم يظهر الممثل الميكسيكي المبدع "بينيسيو ديل تورو" بدور لص مبتز وخبير فك الشفرات الذي لا يمكن الوثوق به، كما يظهر الطيار بو داميرون (أوسكار اسحق) مع مخاوف وشكوك خاصة تتعلق بمصير المقاومة وسؤ الظن تجاه النائبة الأدميرال هولدو (لورا ديرن) الأوتوقراطية النزقة العنيدة التي استلمت القيادة بعد أسر ومرض الجنرال ليا، وللمفارقة فهذا الجزء يقدم وداعًا خاصًا لكاري فيشر التي رحلت قبل عام، والتي أبدعت بدورها منذ بداية السلسلة، ومزجت فيه ما بين الكوميديا الخفيفة والعمق الدرامي، ولكن يبقى "هاميل" الذي أعطى ربما هنا أداء حياته المهنية، وقدَّم تقمصًا أيقونيًا فريدًا متكافئًا مع البُعد الروحي والعاطفي المطلوب (حتى شبهه البعض بدور هاملت الشكسبيري الخالد)، كل هؤلاء الممثلين المبدعين ساعدوا بالحق المخرج "جونسون" على تقديمه لهذا "السرد المدهش الغرائبي" بأسلوب مبهج واستثنائي، لتكاد تظهر هذه النسخة الأخيرة وكأنها الأفضل من بين أفلام المجموعة.

وعودة لفيلم "بليد رانر" (عداء النصل)/٢٠١٧، الذي يتضمن أفكارًا مستقبلية ممكنة الحدوث بعد حوالي الثلاثة عقود: حيث في العام ٢٠٤٩، تمَّ دمج البشر المستنسخين بيولوجيًا مع المجتمع، وإن كانوا لا يزالون يواجهون تمييزًا واضطهادًا من البشر العاديين، واحد منهم وهو البطل يدعى "كيه" (عداء النصل الممثل غوسلينغ) يعمل لمؤسسة خاصة تدعى "لابد"، ويقوم بصيد المستنسخين القدماء والتخلص منهم... ويعيش حاليًا مع رفيقته الجميلة "الهولوجرافيكية المجسمة" (الممثلة آنادي أرماس)، والتي تدعى جوي وترافقه دومًا كظله في شقته، ويتحكم بها بواسطة "ريموت كونترول" خاص (فكرة مذهلة من الخيال العلمي الممكن تحقيقه).

أما فيلم آلين -- كوفننت/(الفضائي/ الميثاق)(٢٠١٧)/ فهو يعتبر الجزء الثالث الأخير من السلسلة الفضائية الشهيرة ذات البعد المشهدي اللافت والتنبؤات الكارثية والتشويق المرعب النادر، والخيال العلمي الجامح: ثلاثية "آلين وبروميثيوس وكوفننت" المتكاملة والشيقة ويكاد يكون "هراء فضائي كاسح وتحذير من الذكاء الروبوتي الجامح":... يموت كابتن السفينة الفضائية "جاكوب برايستون" (جيمي فرانكو) أثناء "السبات الرقادي الطويل"، تاركًا زوجة مخلصة مرعوبة "كاترين ووترستون"، مع مساعد ضعيف الشخصية اورام (بيلي كرودوب)، فيما لا يزال حوالي ٢٠٠٠ مستوطن يرقدون في حجرات السبات مع الأجنة المجمدة... أما فاسبندر الذي يلعب دور الأندرويد "دافيد" في فيلم "بروميثيوس"، فيعود هنا ليلعب دور "والتر" كنسخة جديدة للشخصية "الروبوتية" الخارقة "دافيد"، مع بعض التحوير العاطفي والشخصي وكم كبير من الطيبة الخالصة، حيث تظهر الطيبة "الخيرة" مع الشر الشيطاني في التوأم الروبوتي... وهنا نرى في هذا الشريط (الذي لم يلقى الرواج الضروري) كل التقدم البشري المذهل بعد مئة عام، يذوب بمواجهة

"الغباء البشري المزمن" ، وهكذا ينتصر الروبوت الشرير "فاسبندر" (بدور الأندرويد القديم دافيد) ، ويتفوق بذكائه وحيلته وخبرته على الجميع ، ويموت معظم رواد الفضاء المرعوبين ، واحدًا تلو الآخر في مطاردة جحيمية وهيجان لا يرحم (والفيلم يؤكد ربما هنا مقولة العلماء العصريين الأذكياء ، التي تحذر البشرية مستقبلاً من الذكاء الصناعي وقدراته اللامحدودة وإمكانية تمرده على صانعيه البشر) ، وللتنويه فعندما أطلق سكوت الجزء الأول (آلين) من هذه السلسلة الشهيرة في ثمانينات القرن الماضي ، ولاقت نجاحًا غير متوقع ، علَّق عالم الفلك الشهير حينئذٍ "الراحل كارل ساغان" على فكرة ظهور الكائنات الفضائية الزاحفة بهذا الشكل الوحشي الغريب بأن "هذا مجرد هراء سينمائي ولا احتمال لوقوع ذلك أبدًا على ارض الواقع مستقبلا" ، وأيده سكوت مبررًا نجاح الفيلم حينئذٍ لبراعة السيناريو المحكم وللهوس الإخراجي ولبراعة التمثيل والمؤثرات حينها... والخلاصة أن هذا الفيلم يستند لمقولة فضائية حكيمة : "في هذا الوقت ، في الفضاء الخارجي لن يسمعك أحد وأنت تصرخ"!

كما أن توقعات صناع السينما كانت خائبة تمامًا أحيانًا ، فعلى سبيل المثال : ففيلم "اليوم السادس" شريط إثارة وخيال علمي مستقبلي ويتناول موضوعًا مثيرًا للجدل حاليًا ومستقبلاً وهو استنساخ البشر ، والطريف بالموضوع أن الفيلم الذي أُنتج بالعام ٢٠٠٠ غير واقعي إطلاقا لأنه يتحدث عن أحداث تجري بالعام ٢٠١٥ الذي تجاوزناه ، ودون أن نسمع أو نعرف قصصًا عن مثل هذا النمط من استنساخ البشر ، وهذا يدل على خيبة التوقع وبطلان التنبؤ.

كما يقدم المخرج سبيلبيرغ فيلما استباقيا عن الذكاء الصناعي في العام ٢٠٠١ ، حيث يتناول هذا الشريط اللافت إمكانية تطوير ذكاء صناعي

للحاسوب ووعي بالوجود يشبه الوعي البشري تقريبًا ، وذلك عندما يتمكن العلماء بخمسينات هذا القرن من إنتاج رجال آليين يتمتعون بمثل هذا الذكاء الصناعي الجديد مع وعي مدمج مماثل، حيث يتفوق هنا الفتى الآلي "دافيد سويتون" (الصبي اللامع هالي جويل اوزمينت)، ويطور إمكانيات تحوله لأكثر من مجرد آلة صنعت لتسلية رجل وامرأة غير قادرين على الإنجاب لتحقيق رغبتهما العارمة بالحصول على صبي رائع.

ويتناول "جيمس كاميرون" بتحفته الشهيرة "آفاتار"(٢٠٠٨) مواضيع الطاقة واكتشاف المعادن الغريبة واستعمار شعوب فضائية أخرى واستيطان الكواكب بطريقة "مثيرة للجدل": حيث يحل معدن نادر يسمى "اوتابتانيوم" (Utabtanium) محل النفط في هذه الحرب الفضائية الجديدة، وهو معدن يكفل تزويد كوكب الأرض بمصدر لا ينضب للطاقة، أما المدهش هنا حقًا فهو تقبل السكان "الفضائيين–المتخلفين" الأصليين لفكرة وجود غُزاة وأغراب على كوكبهم، بل والتعامل معهم بشكل برجماتي واقعي يستند لمفهوم الأخذ والعطاء وروح السلم والتوافق طالما بقي وجودهم ونمط حياتهم سلمي و"غير مهدد" لهم، بل يتجاوز ذلك بوقوع "أميرتهم الخضراء اللون وذات السحنة الغريبة" بحب "ضابط البحرية "المقعد" الذي يُرسل لاكتشاف أسرارهم، ولكن بالرغم من كونهم مسالمين إلا أنهم يملكون قدرات بدنية فائقة ومهارات على القتل السريع الخاطف باستخدام أسلحة بدائية نظرًا لقوتهم البدنية ورشاقتهم وطولهم الفارع (الذي يزيد عن الثلاثة أمتار!)، كذلك لتمكنهم من استخدام السموم الطبيعية في أسلحتهم، وللتمكن من إتقان التعامل مع "الديناصورات الطائرة" لمواجهة طائرات الغزاة المتقدمة والفتاكة. وعلى أنه بالرغم من كونهم محاربين أشداء إلا أن فطرتهم مسالمة وطيبة ويتمتعون بذكاء "اجتماعي–تفاعلي" وليسوا منغلقين على أنفسهم كما يتوقع المرء.

في اعتقادي أن أكثر ما كان يخشاه كاميرون هو صعوبة رواج القصة ربما لعدم استنادها لأي مفهوم سينمائي دارج ونمطي (حتى ضمن مفهوم الخيال العلمي) ، ما ترتب عليه بذل جهود خارقة لفرض سيناريو غير مسبوق مشحون بمفردات ومؤثرات سينمائية متقدمة ومدمجة بشكل فريد لبناء وعي سينمائي جديد لدى المشاهدين ، وقد نجح لحد بعيد في خلق مشاهد إبهارية متجددة لأول تسعين دقيقة على الأقل حيث لا ينقطع المرء عن الاندهاش بل والعجز أحيانًا عن التقاط الأنفاس والاستمتاع بمشاهد سينمائية تفاعليه غير مسبوقة ، وهذه أول مرة يتم فيها الحديث "سينمائيا" عن كائنات فضائية أقل منا تطورًا ، وكما نعرف فأحداث السيناريو الغريب تحدث في القرن الثاني والعشرين ، عكس الكثير من أفلام الخيال العلمي التي تتحدث عن هذا القرن ، وهو يطلب هنا من المشاهدين والنقاد تقبل هذا السيناريو المدهش بكل ملابساته وتناقضاته ، ومن ضمنها قصة الحب الغريبة بين فتاة طويلة "خضراء اللون" تشبه القطة نوعًا ما مع رجل مزيف (مصنوع مخبريًا) ، ومؤهل جينيًا للحياة في كوكب "البانادورا" (وهو في الحقيقة أحد أقمار كوكب ألفا- سينتاوري).

وفي العام ٢٠١١ تمَّ إنتاج فيلم الخيال العلمي المرعب "أبولو ١٨" : رسميًا فأبولو ١٧ التي انطلقت برحلة مأهولة للقمر بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ كانت أول وأخر رحلة بشرية معلنة للقمر ، ولكن الحقيقة المخفية تقول إنه وبعد عام تقريبًا ، قام رواد فضاء أمريكيين بمهمة سرية للقمر (أبولو ١٨) موّلتها هذه المرة وزارة الدفاع الأمريكية ، تمت الرحلة "الغامضة" في شهر ديسمبر من العام ١٩٧٣... يكشف هذا الفيلم "الغريب" خفايا وملابسات هذه الرحلة السرية وما شاهده الرواد هناك ، وبينما تصر وكالة الفضاء الناسا على أنكار حدوث هذه الرحلة (وتجاهل عدم عودة المركبة للأرض) ، يصر

آخرون على أن خبرة ومشاهدات الرواد كانت السبب الرئيسي وراء إلغاء فكرة الرحلات المأهولة للقمر. يتحدث هذا الفيلم الغريب الذي هو مزيج من الخيال العلمي والفنتازيا والرعب والذي صور في فانكوفر بكندا وكولومبيا البريطانية ، ومن إخراج جونزالو لوبيس-جاليكو (صاحب شريط "ملك المرتفعات") ، ويبدو أنه نجح "لحدٍ ما" بإخراج شريط رعب غامض مؤثر مستندًا لحدث فضائي"واقعي" ، ولكن يشك كثيرًا في مصداقيته ودقة وقائعه، وهو لم يلقى الرواج على أي حال، كما يثير هذا الفيلم الغريب العديد من التساؤلات : حيث أرفقت وكالة الناسا صورة واضحة لجسم طائر مجهول يبدو كمركبة فضائية، كان رواد أبولو ١٧ قد شاهدوه فوق سطح القمر بالعام ١٩٧٢ ، كما أن هناك تساؤلات غامضة تتعلق بوجود فرق كبير بين زمن الذهاب للقمر وزمن العودة للأرض ، فالمركبة أبولو وصلت للقمر بعد حوالي ٢٦ ساعة بينما استغرقت نفس المسافة برحلة العودة ٧٦ ساعة، فهل تمَّ احتجاز المركبة بمكان ما في رحلة العودة للأرض ؟... أما ما يثير الشبهات حقًا بوجود "نظرية المؤامرة والتضليل الاعلامي المقصود" فهو ما حدث بعد عودة الرواد الثلاثة للأرض ولقاءهم مع أصدقائهم وعائلاتهم، فقد لقي الثلاثة مصرعهم بحوادث غامضة ولم يعثر على جثثهم : فأحدهم قُتل بتحطم طائرة خلال طلعة تدريبية بولاية "تينيسي" ، والآخر تحطمت طائرته بالمحيط الباسيفيكي ، أما الثالث فقد قُتل بحادثة "تفريغ هوائي" ببحر الصين الشرقي.

أما فيلم "سولاريس" (٢٠٠٢) إخراج ستيفن سودربيرغ : فهو إعادة شاعرية لتحفة أندريه تارتوفيسكي التي أخرجها بالعام ١٩٧٢، وهو مزيج من الخيال العلمي المفعم بالفلسفة ، مع المزيد من الإيجاز والرومانسية ، منتهيًا بحزن "ميتافيزيقي" يدعو للتأمل ، نرى دومًا مشهدًا رائعًا للمحطة تسبح بالفضاء ،

كما نعلم عن نظام ذكاء صناعي معطل وعن استنفاذ خلايا الوقود بمفاعل المركبة، وعن ضعف متزايد للمحركات التوربينية، وعن تضخم حقل هيغز بفضل "بوزونات المادة المضادة"... لا يحتوي الفيلم على الكثير من المؤثرات الخاصة والأحداث والأكشن التي توضح بجلاء كل ما يحدث، وإنما تتم معظم المشاهد داخل المحطة ومع الكثير من الحوار والتأمل والتفكير ونوبات الهوس والحلم والأرق والوسواس القهري، ثم القتل والانتحار ومحاولات الهروب، ومن حوارات ومشاهد الفيلم اللافتة:

- نقلع نحو الكون: حيث العُزلة، المشقة، الإرهاق، الموت.
- لا أريد عوالم أخرى، بل مرايا.
- ليست هناك سيادة على الموت.
- معك حيث نسكن... شقتنا مظلمة جدًا، فلا لوحات ولا صور.
- نحن البشر الوحيدون المدركون لفنائنا.. لن تكون للموت هيمنة بعد الآن.
- الأرض بدت غريبة بالنسبة لي.. كم مضى على غيابي وعلى عودتي؟
- كنت مخطئًا بخصوص كل شيء،
- ثم يكاد ينهار ويجن لمشاهد الطفل الصغير "غير الحقيقي" وهو يسعى لإنقاذه مادًّا له يد العون بلا طائل.
- وتناديه زوجته وهو بالمطبخ، يذهب لمصدر الصوت مذهولاً: ماذا؟ هل أنا حي أم ميت؟
- أخيرًا فلم نعد بحاجة للتفكير في ذلك، فقد نلنا الصفح عن كل ما اقترفناه!

أما فيلم "شكل الماء" (٢٠١٧) الحاصل على أوسكار ٢٠١٨، فهو بالحق تحفة سينمائية يخلط فيها "الفانتازيا والرومانس والجاسوسية بالخيال العلمي" بطريقة فريدة أخاذة:



يتلقى المختبر السري مخلوقًا غامضًا ضخمًا في حاوية، ويُعتقد أنه تمَّ أسره من نهر ما في أمريكا الجنوبية ، ويقود العملية الكولونيل "ريتشارد ستريكلاند"، وتكتشف إلسا الفضولية أن المخلوق عبارة عن كائن "برمائي- روبوتي" ذكي ، ثم تبدأ بزيارته سِرًّا ، مشكلة صداقة خفية معه... وسعيًا لاستغلال مزايا المخلوق المحتملة في سباق الفضاء، يوجه الجنرال "فرانك هويت" أوامره لستريكلاند لتشريحه بشكل سري ، ولكن عالم واحد وهو "روبرت هوفتسيللر" يعارض ذلك ، لكونه يعمل سِرًّا لحساب السوفيت ، ويناشد بإلحاح لإبقاء المخلوق للمزيد من الدراسات والأبحاث، ويُفاجأ بأوامر السوفيت لقتله ببطء ودراسة حالته... ثم تعرف إلسا ما يُخطط للمخلوق من أذى ، فتقنع صديقها جايل للمساعدة في تحريره، ويعلم هوفستيلر بخطتها ويختار مساعدتها، كما تتورط صديقتها زيلدا في عملية التهريب الجارية... وتحافظ إلسا على المخلوق مؤقتًا في حوض استحمام شقتها باستخدام مواد

كيماوية خاصة لتكييف الماء (يعطيها إياها العميل السوفيتي هوفستيللر)، كما تخطط قريبًا لإطلاق سراحه في قناة مائية قريبة بعد أن تفتح مجاريها على المحيط خلال أيام... وكجزء من محاولاته الحثيثة لاستعادة المسخ البرمائي، يستجوب ستركلاند كل من إلسا و زيلدا على حدة... وعودة للشقة يكتشف جايلز أن المخلوق الجائع قد افترس واحدة من قططه، ثم يهيج المسخ فيضرب ذراع جايلز بحدة، ويهرب من الشقة متخلصًا من الأغلال المعدنية، ويهرب للطابق السفلي قبل أن تجده إلسا وتعيده للشقة، فيلمس برفق على رأس جايلز الأصلع وعلى ذراعه المجروحة، فيكتشف جايلز في اليوم التالي بأن شعره الأسود قد نما وبأن جروحه في الذراع قد التئمت وشفيت، وبعد ذلك تنضم إلسا للمخلوق في الحمام ويمارسان الجنس... ثم تُحدث إلسا فيضاناً في حمام الشقة بغرض تجربة الجنس مع المخلوق تحت الماء، وفي الأثناء يهدد هويت حياة ستريكلاند إذا لم ينجح بإعادة المسخ الهارب في غضون ٣٦ ساعة فقط، كذلك يخبر رئيس هوفستيللر الجاسوس السوفيتي بأنه سيتم تهريب المخلوق خلال يومين، ثم مع اقتراب موعد إطلاق المخلوق تبدأ صحته في التدهور بشكل سريع مفاجئ... وفيما يتوجه "هوفستيللر" إلى لقاء رئيسه السوفيتي، يتبعه ستركلاند بحذر، ويحدث تبادل لإطلاق النار يقتل فيه المعلم السوفيتي، ثم يبادر ستريكلاند بتعذيب هوفستيللر بغرض كشف المعلومات الخاصة بمكان المسخ، فيكشف له هذا الأخير تورط كل من "إلسا وزيلدا" قبل أن يموت متأثرًا بجراحه البليغة، فيهدد ستريكلاند زيلدا في منزلها، مسببًا الرعب لزوجها الذي يكشف له بأن إلسا ما زالت تحتفظ بالمخلوق، فيبحث ستريكلاند بشقة إلسا ليكتشف مذكرة تكشف فيها مكان أخذها للمخلوق... في المشاهد الأخيرة الشيقة: عند القناة المائية، وبينما تقوم كل من إلسا وغايلز بوداع المخلوق قبيل إطلاق سراحه، يصل سترايكلاند فجأة ويطلق النار مبادرًا باتجاه "المخلوق و إلسا" فينجح

المخلوق بشفاء جروحه ذاتيًا، ثم يقتل سترايكلاند، ومع وصول سيارات الشرطة في اللقطات الأخيرة، يقفز المخلوق بإلسا إلى القناة المائية، حيث يشفيها من ندباتها في العنق ويحولها لخياشيم تتنفس بواسطتها... ويكشف جايلز خاتمة تؤكد بأن المخلوق وإلسا قد هربا معًا.

الفيلم من أستاذ الرؤية السينمائية المكسيسكي: "جويليرمو ديل تورو" يخرج لنا هذا الشريط الفريد "شكل الماء"، ليصور على خلفية احتقان أحداث وتوترات الحرب الباردة في العام ١٩٦٢، حيث تجري الأحداث في مختبر حكومي سري معزول...

• • • •

- في آذار عام ١٩٨٩ عبر كويكب سيار بحجم حاملة طائرات، بلغت سرعته ٤٧٠٠٠ كيلومتر في الساعة مدار الكرة الأرضية، وحسب تقديرات معهد علوم الطيران الأمريكي، فإنه لو حدث واصطدم هذا الكويكب بالأرض لانبعثت منه طاقة تصل إلى ما بين ١٠٠٠—٢٥٠٠ قنبلة هيدروجينية، تقدر قوة الواحدة منها بمليون طن من الديناميت سريع الانفجار (تي أن تي)، ويساعدنا "جيري جراي" بالمحافظة على تفاؤلنا عندما يقول"نحن نمتلك التكنولوجيا والوسائل التي تمكننا من إبعاد هذا الخطر الماحق بإنزال سلاح نووي على أحد جوانب الكويكب السيار وتفجيره": إنه استخدام إيجابي وارد لأسلحة الدمار الشامل يعزز المصلحة المشتركة للوجود الإنساني.

تؤكد لنا إنجازات العلماء الخارقة في مجالات الفضاء والفلك والتكنولوجيا إمكانية تحقيق هذه الأفكار "الخيال-علمية"، وحسب تسلسلها الزمني... إذن هو "خيال-علمي" ممكن التطبيق، لكنه مرتبط أساسًا بإرادة سكان المعمورة (التائهين-المتخبطين-الضائعين) بالعيش المشترك وبناء حضارة عالمية

"واحدة" متقدمة، في "أجواء" راقية من"التوافق والانسجام والتفاهم والتسامح والتفاؤل والتضافر والحكمة" الآن ومستقبلاً وعلى مدى الزمان السرمدي.

وإذا كان خير الكلام ما قل ودل: فلا أجد في ختام هذه المقالة "البحثية" الطويلة (الحافلة بالنماذج والتفاصيل) أحسن من عبارات الأديب الفلسطيني الراحل "اميل حبيبي"، للدلالة على مضمون أفكار هذه المقالة: "أتراني، وغيري متفائلين بتداعيات الثورة العلمية الحالية، التي نتوقع أن يتجاوز الفكر الإنساني فيها لأول مرة عقدة برج بابل"!



لحظات مرور كويكب "بحجم ٣ ملاعب" بجوار الأرض!

- **المراجع:**

١. مقالة للكاتب "سعيد العروة" منشورة في موقع "ساسابوست" بتاريخ ٢٠١٨/٠٢/١٤.

٢. تفاصيل حيثيات الأفلام المذكورة (التي استعرضها الكاتب بالوصف والنقد السينمائي).

٣. مقالات مختلفة على الإنترنت حول مصير البشر وكوكب الأرض في المستقبل البعيد.

بحر النيتروجين



في العام ١٩٨٧ لاحظ علماء الفلك في "الناسا" أن عدسة "فوايجير ٢" الموجهة نحو قمر نبتون الأكبر "تريتون" توضح سهولاً من الترسبات العضوية البيضاء والملونة فوق بحر من النيتروجين السائل، وتؤكد هذه المشاهدات طبيعة التفاعلات الكيماوية التي حدثت في النظام الشمسي بعد نشأته بقليل (اي بعد الانفجار الكوني العظيم)، معززة بذلك نظرية الباحثة "ديليتسكي" التي تقول إن قمر "تربتون" قد يكون شبيهًا بكوكب الأرض عند نشأته، من حيث احتواءه على مركبات عضوية معقدة... فهل يتوجب علينا أن نقطع ثلاثة مليارات ميل للحصول على معلومات مفيدة تلقي الضوء على ما جرى في جونا الأرضي عندما كان ما يزال في طور التكوين؟

وضمن نفس السياق هل يمكن للبشر عمليًا أن ينتقلوا للعيش في القمر بعد أربعة أو خمسة بلايين عام، بعد أن تتطور بيئته العضوية ويتأهل مناخه ليصبح شبيهًا بالأرض الآن ؟ وهل سيسمح التلوث البيئي الخطير الذي

ستعاني منه الأرض مستقبلاً ببقاء بيئة ومناخ الأرض صالحين للعيش البشري حينئذٍ ، وماذا سيحدث بعد عقود من الزمان (ولا أقول مئات أو آلاف السنين)؟...

يقول الأكاديمي الروسي كابيتسا :"نحن سنطير إلى المريخ كي نفهم بوضوح أكبر تاريخ كوكب الأرض ومستقبله" ، وبالفعل يخطط الروس والأمريكان منذ الآن للقيام برحلات مشتركة ومتتابعة للكوكب الأحمر... حيث يمكن لهذا التوجه المشترك لو استمر أن يتوج بإرسال رحلة مأهولة للمريخ قبل العام ٢٠٢٥

ستيفن هوكينغ و إيلون موسك يحذران :
الروبوتات الذكية يمكن أن تتسبب في فناء البشرية[1]

يحذِّر العلماء من حدوث وشيك لسباق عالمي تسارع فيه جميع الدول بالتسلح بأسلحة مستقلة القرارات (روبوتات) تعتمد على الذكاء الاصطناعي، ما لم تحظر الدول تطوير مثل هذه الأنواع من الأسلحة.

وقد وقَّع كل من الملياردير "إيلون ماسك"، وعالم الفيزياء "ستيفن هوكينغ" ومشاهير علماء التكنولوجيا في العالم خطابًا مفتوحًا محذرين فيه من مخاطر بدء سباق التسلح العالمي في أسلحة الذكاء الاصطناعي (AI)، ودعوا الأمم المتحدة لفرض حظر على الأسلحة التي لن يكون للبشر أي "تحكم حقيقي فيها". وصدرت الرسالة عن مؤسسة "مستقبل الحياة" Future of Life، وجري عرضها يوم ٢٧ يوليو/تموز في المؤتمر الدولي المشترك للذكاء الاصطناعي في بوينس آيرس، بالأرجنتين.

وجاء في نص الرسالة: "السؤال الرئيسي للبشرية اليوم هو: هل ينبغي البدء في سباق تسلح AI عالمي لأسلحة الذكاء الاصطناعي المستقلة القرارات، أم أن على العالم منعه قبل أن يبدأ... إذا ما قامت أية قوة عسكرية كبيرة بدفع تطوير هذا النوع من الأسلحة إلى الأمام، فسباق التسلح العالمي سيصبح أمرًا لا مفر منه تقريبًا، ونقطة النهاية لهذا المسار ستكون واضحة، أسلحة الذكاء الاصطناعي ستصبح كلاشينكوف الغد، وسيشكل هذا الأمر خطورة أكبر من خطورة الأسلحة النووية".

---

(١) المصدر : لايف ساينس.

حتى الباحثون في مجال تطوير الذكاء الاصطناعي أنفسهم عبَّروا عن مخاوفهم بشأن الكيفية التي يجري تطوير هذه الابتكارات في هذا المجال، حيث تحدثوا عن مدى خطورة مجرد التفكير في الأسلحة المستقلة الذاتية القرارات، مثل الطائرات من دون طيار، التي يمكن أن تحلق وحدها وتقتل الناس باستخدام خوارزمية التعرف على الوجوه، وهذه التكنولوجيا يمكن أن تكون بالفعل في متناول الجميع في غضون سنوات قليلة قادمة.

علاوة على ذلك يمكن لهذه الأسلحة الآلية المتطورة أن تصبح في أيدي جميع التشكيلات العسكرية تقريبًا على كوكب الأرض، لأن آلات القتل الرهيبة هذه لا تحتاج إلى تكلفة عالية، كما أن مواد صناعتها سهل الحصول عليها. ويخشى الباحثون من أن يتطور الأمر حتى تقع هذه التكنولوجيا في أيدي القتلة والإرهابيين والعناصر الشريرة الأخرى، التي تستطيع شرائها من السوق السوداء واستخدامها لأغراض إرهابية خطيرة.

لنقلِّد طرائق إبداعهم



يقول ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الإنساني في مقدمته الشهيرة :"إن المغلوب مولع أبدًا بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده". ولو تأملنا هذا القول لوجدناه حقيقة واقعة، فنحن ومنذ عقود نقلِّد الغرب في كافة مظاهره وتقليعاته ونُظمه، فلماذا لا نقلدهم إذن بطرق إبداعهم؟! وأحدث هذه الأساليب الخلاقة للتدريب على الابتكار والإبداع هو المشروع الكبير الذي تقدمت به مؤسسة التقنية في "ماشوستس" بهدف "تطهير" المهندسين الشباب من أفكارهم المسبقة، حيث تمَّ إنشاء مكتب خاص لتطبيقات علوم المستقبل ، حيث يطلب من العلماء والمهندسين الشباب مثلاً أن يقوموا بتخطيط مشروع سيارة أو مسبار تسير أو يسير على سطح كوكب غير الأرض، أو على كوكب جوه من غاز الميثان، أو على كوكب سكانه ليسوا بشرًا وإنما مخلوقات فضائية غريبة! وبهذا تتحرر المخيلة البشرية وتضيء فيها شعلة الإبداع.

علينا أن لا نندهش كثيرًا وأن نتمتع بحس التفاؤل الإيجابي ، فماضينا الحضاري يؤكد القدرة الخلاقة للعقلية "العربية – الإسلامية" الفذة، ويعترف الرئيس الفرنسي الراحل ميتران بإبداع الماضي عندما يقول : "... ومن المُجدي أن نذكر ما تدين به أوروبا والحضارة الغربية للفلاسفة والأطباء العرب – المسلمين ولاكتشافاتهم التي خلدها التاريخ، انتهاءً باستيعابهم للجزء الإغريقي من ذاكرتنا (ويقصد أوروبا) الفلسفية، وهو جهد أنقذ هذا التراث من النسيان".

والأمثلة لا يمكن حصرها ، فبينما كانت أوروبا (الغرب حاليًا) تغط في ظلمات وخرافات القرون الوسطى ، كان علماء العرب والمسلمين روادًا لحضارة العالم طوال ٧٥٠ عامًا ، حاملين مشعل النور والعقل. وتعكس الأمثلة التالية هذه الحقيقة بجلاء ، فبينما تقترب معطيات "القزويني" من الأُسس العلمية الحديثة لعلم الجيولوجيا فيما يختص بأسباب تكوين التلال والكثبان الرملية، نجد ان رأي "بطليموس" حول نفس الموضوع يقترب كثيرًا من الخرافة ولا يمت للعلم بأدنى صلة... وبينما يُنسب لوليم هارفي اكتشاف الدورة الدموية، تؤكد كافة المراجع المعتمدة أنه مسبوق بهذا الاكتشاف بثلاثة قرون للعالم العربي الجليل "ابن النفيس"... كما أبدع "الخوارزمي" علم الجبر حيث يُعد مؤلفه "الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة" اللبنة الأساسية في العلوم الحديثة.

يُواجَه المبدعون عادة بالإحباط والإهمال، ولكن عنصر المثابرة المتأصل في نفوسهم ، ورغبتهم الدءوبة في العمل الصامت تقودهم بالنهاية لإثبات نظرياتهم، وربما كان العالم الهنغاري (غير المعروف) "زيلارد" هو الجندي المجهول في مشروع "مانهاتن" الشهير لصنع القنبلة الذرية، فقد اضطر هذا العالم لاستدانة ٢٠٠٠ دولار لاستقراض غرام واحد من الراديوم المشع

بغرض إثبات نظرية "الانشطار النووي" عام ١٩٣٩، وبالرغم من أن معظم علماء هذه الفترة كانوا يهزأون من فكرته وعلى رأسهم العالم الشهير "روذرفورد"، وعندما عرض فكرته على البحرية البريطانية لم يكترث أحد لأفكاره، وحتى عندما اضطر للاتصال مباشرة بالرئيس روزفلت(بواسطة أينشتاين)، فقد تشكلت حينئذٍ لجنة (صورية) لم تعمل لعام ونصف لأن الأمر لم يؤخذ على محمل الجد. وكلنا يعرف بعدئذٍ نتائج الانشطار النووي الرهيب فوق هيروشيما وناجازاكي عام ١٩٤٥.

أزهار الشر والضفادع المضللة

دعوة للتحرر والانعتاق والطيران



بدأت القصة بمنظر السماء الأزرق الرائع المشكل بغيوم "ثلجية الشكل" ، متوهجة تقتحم عنان السماء... وزاد من روعة الأشياء هواء منعش يميل للبرودة قليلا ويذكر بأواخر الخريف أو بداياته، وقدح زناد الفكر بومضات وخواطر ورؤى:

- سنذوب في بحر الحضارات المتلاطم، إن بقينا هكذا نقتل بعضنا هكذا بوحشية استنادًا لمرجعيات ظلامية – قروسطية – طائفية حاقدة، وإن لم نعي أهمية السلم والتوافق الاجتماعي واستثمار المعلومات والمعرفة في القرن الحالي! والشيء الوحيد الكفيل باستمرارنا كدول وكيانات حُرة وعرب أحرار هو انفتاحنا على آفاق الحضارة الإنسانية وتقبلنا للتنوع الثقافي- الديني – الطائفي- الاثني والفكري.

وحتى نحافظ على نبض وعينا الوجودي والمعرفي، علينا أن نعمل ليلاً ونهارًا لبناء إنجازات إنتاجية وحضارية ومعرفية جديدة، وأن نشغل شعوبنا التائهة بذلك بدلاً من التضليل "الديني- الطائفي -العنصري - الإقليمي

والجهوي" الذي يحرك المتخلفين والمرضى النفسيين والمتعصبين لحز الرقاب وإثارة "غرائز وشهوات التدمير والتنكيل الوحشية"... فالإسلام دين تسامح وحضارة وانفتاح وسلام وليس دين قتل وسفك ودماء، كما أنه لا يجوز التكبير وحز الرقاب، والله عز وجل بريء تمامًا من كل ممارسات الفتك والقتل والذبح والإعدام والتفجير والقصف وتخريب الأوطان! وعلينا أن نلجأ لإسماع صوت الحق ولا نخشى أحدًا في ذلك، وخاصةً أن كان الأعداء المتربصين هم الذين سيستفيدون من دمار الأوطان واستنزاف المقدرات، وكما قال "ادموند بيرك" : الشيء الوحيد الضروري لانتصار الشر، بقاء الخيرين مكتوفي الأيدي!

يقول "ولتر رستون" في أفول السيادة: إن أرنبًا يركض طلقًا في المرج ليس ثروة، بل يصبح ثروة نتيجة لمعلومات تطبق على عمل الصياد، ويتحول عمله حينئذٍ إلى قيمة مضافة بسبب إمكانية تحويل الأرنب إلى شواء مغذ! هكذا انها المعرفة وكيفية تطبيقها هي التي تقودنا لاستثمار الثروات، وكما يقال "اعمل بذكاء وليس بمشقة" !

هكذا فنحن نواجه في الحقيقة تحديين بارزين: تحديًا ثقافيًا يكمن في انقطاع عامتنا عن الفكر والثقافة ولجوءهم المريح للخرافة والأسطورة والقناعات المضللة، ثم في التداخل الكبير بين المثقفين الحقيقيين (المتواضعين- الزاهدين- المسالمين) وأدعياء الفكر والثقافة (المتشنجين والمنتفخين غرورًا ونرجسية وزهوًا). نتطلع إلى اليوم الذي تصبح فيه الثقافة زادًا حقيقيًا للإنسان لا يستغني عنه مثلما لا يستغني عن الماء والهواء، وأتوقع أن يكون هذا اليوم بعيدًا، وخاصة بعالم تعصف به الأُمية ويتحكم الجهل بمفاصله. لا يجب أن نغفل كذلك عن ضعف مساهمتنا العالمية في خلق الثروات والقيم المضافة، بالرغم من وجود طاقات بشرية مبدعة وثراء الأرض العربية

واحتواءها على العديد من الخامات والمعادن والفلزات والمواد الأولية والبترول، ولكن عناصر "الواسطة والمحسوبية والفساد والطغيان والتسلط" تعمل معًا كطاقة معطلة، وكثقب أسود كاسح يمتص كل الطاقات والإمكانات والثروات!

وهكذا فنحن (وكما يقول بودلير) بدأنا نشاهد أزهار الشر تنمو في بلاد العرب وتنتشر في حقول "الضرر والخطر"، ولا نجد من يحذر من الكارثة القادمة التي ستأكل الأخضر واليابس، بل نجد بالمقابل الحماس والاصطفاف والاحتقان والتحريض المتواصل، فيا حكماء العرب اتحدوا... !

في إحدى التجارب تقدم للضفدع قطع زجاجية متحركة تشبه الذباب، فيقوم الحيوان المسكين بالتهامها بنهم متصنعًا اللذة مع أنها تؤذيه وتدميه... كل ما أخشاه أن نكون قد أصبحنا بالفعل مثل هذه الضفادع المخبرية البائسة، نستهلك فكرًا وخرافات وأضاليل وأشياء مؤذية، غير واعين بخطرها الكامن الذي يتربص بنا ويعيث خرابًا في عقولنا وأحشائنا ومنظوماتنا الحياتية والفكرية والاجتماعية! ومن قال إن دهاقنة الغرب اللئيم ينظرون إلينا بغير نظرتهم وتعاملهم مع "الضفادع وفئران التجارب"؟ ومتى كان هذا الغرب "الاستعماري- الاستشراقي" اللئيم يتمنى الخير لنا ولوجودنا ولحضارتنا، وكل ما يهمه أمن وسلم وتفوق إسرائيل؟!

وهل يجب أن تبقى رؤيتنا للعالم الكبير الواسع حولنا ضيقة وقاصرة، فنحاكي مرة أخرى الضفدعة الرابضة في قعر بئر مهجور، لم ترى من زرقة السماء الشاسعة إلا تلك الدائرة الصغيرة المحيطة بفوهة البئر؟!

هي دعوة للتحرر والانعتاق والطيران... كما أنها دعوة للتسامح والحوار والانفتاح والسلم الاجتماعي.

كيوريوسيتي و فيليكس

مسبار فضائي أمريكي ومغامر فضائي نمساوي



على ذكر تطبيقات المسبار الفضائي الذي سبق توضيح فكرته النظرية ، فنحن بانتظار أن نشاهد فيلمًا وثائقيًا أو روائيًا جديدًا يخلِّد تجربة هبوط المسبار الفضائي "كيوريوسيتي " على سطح المريخ (والصعوبات الجمة التي رافقت عملية الإنزال الصعبة وتمَّ التغلب عليها) : فها نحن نرى المسبار "كيوريوسيتي" يزودنا بصور لسطح المريخ تضاهي بنقائها صور وادي رم في جنوب الأردن! فهل تعلم أيها القارئ النبيه أن مدير مختبر الدفع النفاث التابع لوكالة الناسا هو عالم لبناني أصله من زحلة واسمه الدكتور "شارل العشي" ، وهو الذي أشرف بنجاح على عملية إنزال وتحريك المكوك الفضائي على سطح المريخ ، كما أن العالم المشرف على صناعة المسبار واسمه "كمال الودغيري" أصله مغربي من مدينة فاس ، هكذا تبدو هذه

التجربة الفضائية المعجزة وكأنها نتاج لخلاصة العبقرية البشرية، وفيما تبدو هنا أيضًا بصمات العلماء العرب الأفذاذ فاعلة وواضحة، مشيرة لإمكانات العقل العربي إذا ما أُتيحت له الظروف والبيئة المناسبة...وفيما يسعون بواسطة مسبارهم الخارق لتفتيت صخور المريخ بهدف اكتشاف أسراره، يتصارع العرب بضراوة فيما بينهم ساعين للفتك وحز الرقاب وتفتيت الجماجم والأدمغة فيما أُسميه مجازًا "بازار القتل العربي الكبير"!

أما المغامر النمساوي "فيليكس بومجارتنر" (٤٣ عامًا)، فقد حطَّم الرقم القياسي لأعلى ارتفاع يصل إليه بالون مأهول بعد أن ارتفع بالونه ٣٧ كيلومتر فوق نيوميكسيكو، وكان داخل كبسولة أُلحقت ببالون ضخم مزود بغاز الهيليوم، ليصبح بذلك أول إنسان يحطِّم سرعة الصوت في سقوط حر غير مسبوق، حيث ارتدى بدلة فضائية خاصة للقيام بهذه المهمة الخطيرة الريادية، وستخلده هذه القفزة الجريئة مدى التاريخ نظرًا لأنه حطم القواعد الفيزيائية للقفز الفضائي البشري وكسر حاجز الصوت بجسده فقط ودونما محركات وأجهزة تحكم! والغريب أن كاتبة عربية مغمورة كتبت مقالاً "غير منطقي" أنكرت فيه حدوث التجربة وفندت بدقة معظم الحيثيات والتفاصيل، مدعية بحماس غير مفهوم أنه مجرد "فرقعة أعلامية كاذبة"! والمدهش أن نفس هذه الكاتبة وغيرها من النساء يُحرم عليها في بلدها الأصلي سواقة السيارة، كما تتعرض الكثير من النساء في عالمنا العربي – الإسلامي البائس للتجهيل والحرمان من المدارس والعمل وحتى للحرمان من الميراث أحيانًا!... كما أن معظم المقالات والتعليقات العربية الأخرى التي تعرضت لتجربة "فيليكس" انغمست في جلد الذات، وفي مقارنات ساخرة لا معنى لها مع أكبر أكلات عربية حطمت الأرقام القياسية لموسوعة "غينيس" في مجال الفلافل والتبولة والكبسة والمسخن... الخ !



أخيرا هل من الممكن أن نخرج من بؤسنا الإنساني وفوضانا "اللا خلاقة" ومتاهتنا الحضارية الراهنة ، كما من مجازرنا اليومية الرهيبة وخلافاتنا المذهبية والعقائدية، وأن نتخلى بجرأة عن طرق تفكيرنا التقليدية العقيمة في عصر الجيل السادس لتكنولوجيا المعلومات والحواسيب ، والذي تجاوز إمكانية الجيل الخامس الذي حلَّق عاليًا للقيام بمليون عملية استدلال في الثانية الواحدة؟!

على هامش استمرارية التلسكوب "هابل" لعقدين ونصف:

ومضات العقل البرَّاقة



(دعوة جديدة لإنشاء "دماغ عربي مشترك")

عندما أُطلق تلسكوب الفضاء الأمريكي منذ حوالي عقدين ونصف ، توقع العلماء اكتشافات توازي أهمية اكتشافات كولومبس ، فهل حقق "هابل" التوقعات المنتظرة منه، وخاصة مع كثرة مشاكل التي واكبت إطلاقه، ومنها: اللوحات الشمسية ، وغطاء الحماية ، وضعف التوجيه ، وتعطل منظارين... ومع حدوث رجات غير متوقعة وتعطل واحد من هوائيي المركبة ، مما أثر سلبًا على توصيل المعلومات والمعطيات الفلكية ، وبالفعل فقد نجح أخيرًا بإرسال بعض الصور الجيدة للأرض!

هكذا من معرفة كونية بالغة التعقيد لمعرفة داخلية بالغة القرب ، فهل تمَّ اكتشاف مجاهل "الدماغ البشري" ؟ حيث يتحدث علماء الدماغ عن احتمال مستقبلي مذهل ، عندما نتمكن من التحدث إلى دماغ بشري غير متجسد عن طريق استئصاله بعد الوفاة والحفاظ عليه في سائل خاص.

لقد تمت أول تجربة بشرية لمحاكاة طريقة عمل "القشرة الدماغية" بواسطة الحاسوب المسمى "جحيم" الذي أُنجز عام ١٩٥٩، والذي تمكن من كشف الملامح والتعرف على النماذج... ويؤكد العلماء أن ازدياد القشرة الدماغية حجمًا وتعقيدًا هو العلامة الجوهرية على تطور الدماغ البشري، ولقد أثبت عالم اللسانيات "شومسكي" أن القواعد اللغوية العالمية موجودة مسبقًا في الدماغ البشري بشكل وراثي مما يؤكد توفر آلية الإبداع العقلي لدى جميع الشعوب دون تمييز.

ولو اندفعنا بالغوص في مجاهل الدماغ البشري لذهلنا من الفروقات المكتشفة لطبيعة عمل نصفي الدماغ الأيسر والأيمن: أن أهم رابط بين نصفي الكرة الدماغية هو حبل مسطح من الألياف العصبية يسمى "الجسم التقني"، تتلخص وظيفته في وصل الأجزاء المتوافقة للنصفين الأيمن والأيسر، ويستخدم أساسًا لنقل المعلومات ولتنسيق النشاطات، وهو مؤلف من مليوني "ليفة عصبية". وقد لاحظ الباحث "روجيه سبري" أن البتر التام للنصف الأيسر المسيطر يمكن أن يترك المصاب في حالة من "الترقب والمسؤولية والذكاء"، وهذا يثبت أن النصف الأيمن ليس "عجلة احتياط" فقط، وإنما تتوفر لديه الإمكانيات لتوفير وعي ذكي بالرغم من أنه "أبكم"، وهذا بمثابة احتمال وارد لاكتسابه وظيفة اللغة عندما يكون الدماغ بحالة نمو، وفيما تنحصر قدرته عادة بالتعابير التلقائية، بينما يتميز الشطر الأيسر بالكفاءة الفصحى غير المحدودة... إن النصف الأيمن من الدماغ هو الذي يتعرف على الوجود، كما يتفوق في الإدراك الموسيقي، ولكن نجاحه العظيم يكمن في قدراته البصرية الفراغية، فقد لوحظ أن أصحاب الإصابات في النصف الأيمن تتكون لديهم صعوبات جمة في مجال الفكر البصري الفراغي، كما تصبح رسومهم ومخططاتهم غير منتظمة وعديمة الشكل، ويجدون صعوبة في العثور على منازلهم، وفي إدراك الفراغ المتشكل من قبل أجسامهم.

ترتبط الأحلام مباشرة بتشكيل النصف الأيمن للدماغ، ولكن النصف الأيسر هو الوحيد القادر على التحدث عنها، ويمنعنا نشاطه النهاري من أن نكون واعين لأحلامنا. لقد تحدثت كتابات كثيرة عن التفاعل المتبادل بين العقل والبديهة بغرض إنتاج الأفكار الخلاقة، وحتى فيما يختص بالفكر العلمي الأكثر موضوعية وبرودة فإنه كثيرًا ما يوصف على أنه يتضمن ومضات من البديهة النابعة من أعماق النفس، ويمكننا في هذا الصدد أن نذكر مثالاً شهيرًا من الحدس في مجال الكيمياء وهو اكتشاف البنية الكيميائية للبنزين، فبعد أن انكبَّ العالِم الكيماوي"فريدريك كيكول" لفترة طويلة من الوقت على حل هذه المشكلة، بدت له فجأة في حالة من الحلم "نصف الواعي" صورة بصرية لمجموعة من الثعابين، يعضّ كل واحد منها ذنب التالي بحيث تشكل في مجموعها حلقة، وعندما استيقظ شعر بأنه اكتشف أخيرًا البنية الكيماوية "الحلقية" التي كان يبحث عنها طويلاً... ويفسِّر ذلك على أن العقل الذاتي يكون بصورة أفضل عند حافة النوم لأنه يكون متحررًا من طغيان العقل الموضوعي... كذلك توصل العالم الفيزيائي "دوبروي" لنظرية "التيرموديناميك الخطي للجسيمات" أو يسمى "الميكانيك التموجي" عن طريق الحلم، وأصر في معظم كتاباته على أن للإحساس والحدس دورًا مهمًا في الاكتشاف والإنتاج المعرفي.

إن استحواذ الشطر الأيسر من الدماغ على وجودنا العقلاني يجعلنا محصورين في عالم مادي بحت، وعندما نسترخي يبدأ الجزء الأيمن بالنشاط وتختفي عاداتنا بالتسارع اليومي الروتيني، ويحل شعور أكمل بالطواف "اللازماني"! وقد ثبت تجريبيًا أنه حينما يكون الناس في حالة انتعاش فإنهم يستطيعون التأثير على سقوط "زهر النرد"، وقد كان العالم "هلموت شميت" هو أول عالم يعرض حقيقة قدرات "الحاسة الإدراكية الفائقة" والتأثير

الروحي، كما أكد ما سبق وأن استنتجه عالم النفس "يونغ" عن وجود قوى خلاقة كامنة في العقل البشري مرتبطة بشكل ما ضمن نشاطات ذاكرة الجنس البشري الجماعية.

يقول "كولن ولسن" بكتابه "ما بعد الحياة"(١٩٨٩) : إن استحواذ الشطر الأيسر على الحاضر وعلى الوجود يجعلنا محصورين في عالم من الأشياء المباشرة والتافهة كما لو أننا محاطون بحائط رقيق من الزجاج العازل للصوت، وبينما نسترخي في داخل الشطر الأيمن من المخ، تتزحزح الحوائط الزجاجية بصمت ونجد أنفسنا فجأة على اتصال بالعالم الحقيقي، وتختفي عادة التسارع اليومي، وتتوقف الساعة عن الدق المستمر، ويحل محلها شعور "بالطواف اللازماني"!

في تشرين الأول لعام ١٩٨٧ صمَّم العالم النفسي "راسيل تارغ" (من المختبر القومي للإدراك غير الحسي في كاليفورنيا) تجربة رائدة غرضها جمع المعلومات عن الرؤية البعيدة ومعرفة الأشياء بالإدراك الخارج عن الحس: ومن بين الــ٥٠٠ شخص اللذين استجابوا للدعوة لامتحان طاقاتهم النفسية، أحست امرأة أن الهدف المقصود هو جسم "معدني"، وتوالت صور أخرى في ذهنها... الهدف ساطع، يحدث ضجيجًا موسيقيًا، ثم كتبت إنه "بوق فرنسي" وكانت مصيبة تمامًا ، وفي هذا الصدد أورد "كولن ولسن" النص التالي بنفس كتابه: "... ثم لعل أكثر العوامل أهمية في البحوث الإنسانية هو الاعتراف بأننا نمتلك كل أنواع القوى التي لا ندركها بوعينا العادي، بدءًا من التخاطر والتسلط الروحي، وانتهاءً بالظهور النوراني والمعرفة المسبقة بالمستقبل... "!

لقد استند العرب للعقل منذ قديم الزمان، واعتمدوا على "ومضات البصائر"، فقد أوجز ابن المقفع في كتاب "الامتاع والموانسة" لأبي حيان التوحيدي،

فقال واصفاً العرب "أهل بلد قفر ووحشة من الإنس، احتاج كل واحد منهم في وحدته إلى فكره ونظره وعقله". وتكمن مشكلة البشر عمومًا في أنهم "ذاتيون للغاية" ، وهم بحاجة ماسة لتحقيق ما يسمى "الوعي الموضوعي" الذي يمكنهم من النظر بحيادية ورصانة تجاه الأشياء، فعلى سبيل المثال سأل مشاهد سبعيني مثقف مخرجة الفيلم الوثائقي التسجيلي حول مدينة عكا الفلسطينية "ولكنك لم تصوري منزلنا ، ولا المساجد والكنائس القديمة"... وعلّق أستاذ سينما أردني على فيلم "فيم فيندرز" العالمي المدهش "أجنحة الرغبة" بأنه سبق وسكن لمدة ١٥ عامًا في موقع برليني ظهر بالفيلم الشهير، متجاهلاً الكثير من اللقطات التعبيرية الشاعرية الساحرة في الشريط!

يحذر "جورج طرابيشي" في مقال نشر بالعام ١٩٩٤ قائلاً: "إن عذابات هائلة تنتظر شعوب هذه الأمة إذا لم تحرّك ساكنًا"... كما يصف أدونيس العودة للماضي بمقال آخر نشر في نفس العام "... كأن أصحابها يريدون الخروج من الحاضر ومن المستقبل"!

يقول ديكنز : "إذا لم تحب حياتك فيمكنك أن تغيّرها"... كما وضح ديكارت دور العقل المحوري بمقولته الشهيرة "أنا أفكِّر إذن أنا موجود".

هكذا فتعرفنا على كيفية عمل دماغنا البشري يضعنا على الطريق الصحيح للاستخدام الأمثل للعقل ، ويطرد من عقولنا مخزون قرون طارئة من الظلمات والجهل ويقودنا للتعود على الأساليب الكفؤة لاستغلال طاقات المنطق والحدس التي نتمتع بها ولا نحسن استخدامها... إنها السلاح الأكثر فتكًا الذي يجب أن نستهل به "الألفية الثالثة" ، متخلين عن تخلفنا الفكري "السائد" وأساطيرنا وغيبياتنا الظلامية وشعوذاتنا المكررة، كذلك عن تقاعسنا وكسلنا العقلي المزمن ، وكذلك إتكالنا "المخجل والمخيب" على إنجازات غيرنا من الشعوب "النشطة الذكية الطموحة".

إن عصرنا الحالي هو عصر التكتلات والتجمعات الاقتصادية والصناعية، والأجدى أن نبادر ونباشر في صنع ما أدعوه (كمبادرة غير مسبوقة) "دماغ عربي مشترك" تنحصر وظيفته الرئيسية بالتحكم الخلاق بكافة أنشطتنا "العلمية والثقافية والاقتصادية وكذلك السياسية"... فهل من أحد جاهز لحمل هذه المسؤولية والخروج من نفقنا الجاهلي المزمن؟!

١٠ حقائق لا تعرفها عن العقل البشري





إذا كان العالم حولنا مجهولاً ، فالعقل البشري أيضًا لا تزال به الكثير من المناطق التي لا يعرف العلماء وظيفتها تحديدًا ، وحتى ينتهي العلماء من بحثهم، تعالوا نخبركم ببعض الحقائق "العقلية" المثيرة :

١- يتكون الدماغ البشري بنسبة ٧٥% من الماء ويحتاج إلى طاقة كهربائية للعمل تقدر بـــ١٠ واط، ويعمل العقل بأقصى طاقته أثناء النوم وهذا ما يفسِّر كثرة الأحلام خصوصًا لدى الأذكياء.

٢- يبلغ وزن العقل البشري ٣ باوند (الباوند= ٤٥٤ غرامًا) ويمثل ٢% من الجسم، الأمر الذي يجعله أضخم عقل وسط الكائنات وفقًا لنسبته من الجسم. الجدير بالذكر أن الفيل هو صاحب أضخم عقل لكنه لا يمثل من جسده إلا ٠,١٥%.

٣- يزن جلد الإنسان ضعفي وزن العقل البشري.

٤- يتكون العقل البشري من ١٠٠ ألف ميل من الأوعية الدموية، كما أنه يعتبر أبدن عضو في الجسم حيث تشكِّل الدهون ٦٠% منه.

٥- يتوقف نمو العقل لدى الإنسان وهو في الثامنة عشر من عمره.

٦- نشوء الطفل في بيئة محفزة على التفكير يزيد قدرته على التعلم بنسبة ٢٥%، أما إذا نشأ في بيئة خاملة وغير محفزة فقدرته على التعلم تقل بنسبة ٢٥%.

٧- الطفل الذي يتعلم التكلم بلغتين قبل سن الخامسة يحدث لديه تغيير في هيكل العقل.

٨- أول حاسة يكتسبها الإنسان هي اللمس ويكتسبها وهو داخل الرحم.

٩- إذا قمت بدغدغة نفسك فلن تضحك لأن عقلك يستطيع أن يفرق بين لمستك وأي شيء خارجي.

١٠- قلة النوم تضعف من قدرة العقل على الاحتفاظ بذكريات جديدة، وأيضًا عدم تذكرك أي حلم لا يعني أنك لم تحلم.

- **المصدر : ثقافة كافيه**

http ://www.tacafacafe.com/2015/04/The-human-mind.html#ixzz3yjrX9w73

معلومات خاطئة نردِّدها عن الدماغ البشري

الدماغ من أكثر أعضاء الجسم البشري تعقيدًا في الطريقة التي يعمل بها، وهو المسؤول عن التفكير والتحكم في أفعالنا الإرادية وبعض الأفعال اللاإرادية، ويتكون من شبكة ضخمة من الخلايا العصبية التي تنسِّق العمل فيما بينها عصبيًا عن طريق شحنات كهربائية ومواد كيميائية.

قد نسمع الكثير من الحقائق والمعلومات عن الدماغ وكيف يعمل وأشياء مثيرة عن طريقته في العمل، إلا أن ليس كل ما نسمعه صحيحًا، وهذه سبع معلومات غير حقيقية نسمعها عن عقولنا :

١- أننا لا نستعمل إلا ١٠% من أدمغتنا

الحقيقة أن الإنسان يستعمل دماغه بالكامل لكن ليس في وقت واحد، وقد روَّج لتلك المعلومة الخاطئة المعالجون الروحيون ليثبتوا أنهم يستعملون جزءًا من التسعين بالمائة غير المستخدمين في التواصل الما ورائي أو الاتصال بالأشباح.

٢- الكحول يقتل خلايا الدماغ

الكحول لا يقتل خلايا الدماغ، لكن الكثير منه قد يقود إلى نقص في فيتامين "ب" الذي يؤثر بدوره على الخلايا العصبية في الجسم ومن بينها الدماغ، ويتسبب ذلك في تصرفات الشخص غير المتزنة وبطء ردود الفعل وطريقة الكلام غير العادية.

٣- الدماغ يظل يعمل حتى بعد انفصال الرأس عن الجسد

وقد شاعت تلك النظرية لأن بعض اللذين تمَّ إعدامهم بتلك الطريقة يُشاهَدون وهم يحركون جفونهم، إلا أن العلماء يعزون ذلك إلى أنقباضات لا إرادية في العضلات، وليس تحركات إرادية من الدماغ، لأنه فور أن ينقطع الدم المحمل بالأكسجين إلى الرأس فإن الدماغ يدخل في حالة من الغيبوبة ويبدأ في الموت تدريجيًا، ولا يمكن اعتبار الدماغ المفصول عن الجسد قادرًا على إدراك أي شيء أو القيام بأي فعل أو تفكير.

٤- الدماغ يتعامل مع المعلومات التي تأتيه من الحواس الخمس

الحقيقة أن الدماغ يتعامل مع المعلومات التي تأتيه من أكثر من حاسة من الحواس الخمس، فإذا كان اللمس والسمع والبصر والشم والتذوق هي الحواس الرئيسية فإن هناك حواسًا أخرى قد تشمل اثنين منهما أو أكثر، فالألم قد يتضمن الإحساس باللمس والتذوق، وهناك حاسة إدراك الإنسان لوضعه في الفضاء مثلاً، وهي كلها حواس ثانوية يستخدم الدماغ كل البيانات الصادرة عنها ويعالجها.

٥- لون الدماغ بالكامل رمادي

في الواقع يحتوي الدماغ على الألوان الأبيض والرمادي والأسود، والسبب في ذلك الاعتقاد أن من يرى الدماغ في عبوات المعامل والمتاحف لا يراه في حالته الطبيعية وإنما في حالته المحفوظة التي يكون لونه فيها رماديًا من الخارج، لكنه أيضًا يحتوي على ألوان أخرى من الداخل، لأن الدماغ مُقسَّم إلى أجزاء مختلفة.

٦- أن الدماغ يستجيب إلى الرسائل التي توجه إلى اللاوعي دون إدراك الشخص

في إحدى التجارب تمَّ عرض إعلان مكتوب في دار عرض للسينما لمدة قصيرة جدًا لا يدركها العقل - نحو ١/٣٠٠ جزء من الثانية - تحث المشاهدين على شراء المياه الغازية والبوشار ، وزعم صاحب التجربة أن ذلك حقق زيادة في المبيعات وصلت إلى ٥٧%، وكان الاستنتاج أن العقل يستقبل رسائل اللاوعي ويعمل عليها دون أن يشعر الإنسان لكن صاحب التجربة اعترف بعد ذلك بأنها لم تكن نتائج صحيحة، ولم يثبت أي شيء من هذا القبيل.

٧- الموسيقى الكلاسيكية تجعلنا أذكى

قامت جامعة كاليفورنيا في التسعينيات بعمل دراسات موسعة وأبحاث حول الموسيقى الكلاسيكية وتأثيرها على الذكاء ، وسرى اعتقاد بأنها ترفع من مستوى الذكاء عند الأطفال ومن أجل ذلك لجأت بعض الأمهات إلى تشغيل الموسيقى الكلاسيكية باستمرار إلى جوار أبنائها، والحقيقة أن أيًّا من هذا لم يثبت علميًا أن له نتيجة على معدل الذكاء، وإنما يحسِّن من قدرة العقل على حل المشكلات بشكل لحظي.

- **المصدر : ثقافة كافيه**

http://www.tacafacafe.com/2015/04/The-human-mind.html#ixzz3yjsIHuQG

السينما و الفلسفة

مقال للكاتب : د. بوشعيب المسعود

صرَّح جيل دلوز: إن السينما ممارسة جديدة للصور والعلامات، ويجب على الفلسفة أن تؤسِّس النظرية الخاصة بها، باعتبارها ممارسة مفهومية، لأنه لا يكفي وجود التحديدات التقنية ولا التطبيقية ولا التأملية لتشكيل مفاهيم السينما ذاتها... هذه مقدمة لكتاب "حوار الفلسفة والسينما" من ترجمة الدكتور عز الدين الخطابي، والذي أراد به المترجم تفعيل شعار "التفلسف مع السينما" ولم يقصد التفلسف في السينما واختار نصوصًا عديدة تمثل اجتهادات عدد من الفلاسفة أمثال: برغسون ودولوز وفليني وغودار وغيرهم...

والسؤال الذي طرحه عبر هذه النصوص وهو بأي معنى يمكن للسينما أن تكون موضوعًا للتفكير الفلسفي؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة في نفس السياق، هل هناك تباعد أم تقارب بين حقل السينما وحقل الفلسفة؟ وما مدى تأثير الفلسفة على السينما؟ وما موقع الفلسفة مقارنة مع السينما؟...

إن مغامرة السينما بدأت كمغامرة الفلسفة: كهف أفلاطون وصور مضاءة من الخلف وقاعة مظلمة مع صور بالأبيض والأسود أو بالألوان متحركة. فهل هذا هو الواقع الحقيقي أم الواقع المزيف والخادع، فبالنسبة للفيلسوف فنحن مقيدون داخل الكهف والسينما تقيدنا كذلك بصورها وتشدنا إليها، حسب قيمة وقوة العمل الفني، ويمكننا في بعض الأحيان أن ننسى الجانب الميكانيكي للعرض ونتفاعل مع العمل السينمائي كالعمل المسرحي، أما

سجين أفلاطون فهو لا يصفق ولا يحتج ولا يطرح أي سؤال. وظلال الكهف صور فاسدة وليست صورًا خادعة عكس صور السينما المزيفة ومع ذلك فالمشاهد يغوص في العرض إن كان جيدًا ويتفاعل معه ويشارك في الأحداث.

إن شقاء الفلسفة ينبع من إلزام مزدوج: الفكر يوجد خارج السينما لأنه يهتم بالجدية وليس بالترفيه، والسينما تشكِّل الآخر الشاعري. إن السينما تحرج الفلسفة، وهذا ما تبين من خلال فحص التمثيل المجازي الأفلاطوني الذي يلزمنا بالخروج من الكهف مهما كان الثمن.

وقد أصبحت العلاقة بين السينما والفلسفة ذات معنى عندما قرَّر الإنسان الذهاب إلى السينما. وقد تحول كهف أفلاطون إلى القاعة السينمائية. إن الفيلسوف وهو يشاهد فيلمًا لا يراه كإنسان عادي، فليس لديه نفس المرجع وليس له نفس الاهتمام ونفس المعنى. ولكنه في نفس الوقت يكمن بداخله الإنسان العادي الذي يضحك ببلاهة على منظر مسلي.

لقد طرح سؤال عميق هل الفلسفة والسينما على توافق؟ إن التخيل والأحلام وتفسيرها عبر أفلام السينما يسقطون في طرح مفاهيم واستفسارات مبنية على أحكام شخصية تؤرخ للحظات فلسفية محضة، من طرف أشخاص عاديين، وعلى مفاهيم فلسفية عميقة متطورة من طرف نُقَّاد وفلاسفة يرون ما لا يراه الشخص العادي.

إن السينما تعتبر أدبًا متجددًا فهي تهم الفلاسفة بسبب الثيمات التي تعالج في الاقتباسات وفي تجسيدات السينما للعدد الكثير من الكتاب والفلاسفة. ولكن هل هذا التجسيد أمينًا وممثلاً بشكل جيد؟

إن لدور السينما دور فني بالمعنى العميق ووظيفة السينما شعرية وفنية. إن الفيلم يحوي لوحات شعرية ذات معنى وأفلام مثل "ماتريكس وترومان

شو"... الذين يطرحون تساؤلا كبيرًا عن الحياة وعن الوعي وعن الواقع وعن المعايير وعن المنطق وعن المشاعر... إنه منهج فلسفي في الحياة للبحث عن معناها الملموس والغائب وكثيرة هي أفلام هيتشكوك التي تمرُّ عبر تفسير الأحلام، والغوص فيها والتعريف بمحاورها الفلسفية. إن فيلم "الشمس المشرقة الخالدة لعقل نظيف" يطرح عدة إشكاليات ولا يجيب عليها: فهل يمكن أن نمحو كل ذكرياتنا؟ كيف تبدو الحياة بدون ذكريات؟ ما هي الحياة التي ترفض الزمن وترفض التجربة وترفض إذن المعاناة؟ فيلم "ريو برافو" أو فيلم "القطار يصفر ثلاث مرات" يتساءلان عن معنى الحياة وعن الأخلاق وعن السياسة. وما الذي يجمعنا ويجعلنا نعيش سويًّا على الرغم من خساسة الناس وبؤسهم؟

لقد استفادت السينما من القيم الدينية والأخلاقية وعلاقة البشر بعضهم بالبعض، وولَّدت نقاشًا حادًا وسط المجتمعات، غاص النُّقاد فيه يمينًا وشمالاً وخلقت أفكارًا جديدة وتصورًا فلسفيًا جديدًا للعالم الذي نعيش فيه ممزوجًا بذكريات الماضي مع حلوها ومُرها مرورًا بمشاكل الحاضر وتمنيًا بحصول التغييرات في المستقبل. فتحليلنا للأفلام في الوقت الحاضر ينقسم بين التحليل الظاهر للفيلم ولمقوماته وتقنياته، وبين التحليل الباطني للبحث عن الشاعرية لضبط التنافر والمضادات الخارجية والظاهرية للفيلم.

لقد صرَّح أستاذ مدرس للفلسفة لتلاميذه بأن المنهج الفلسفي يمكن له أن يدرس عن طريق السينما، وأن البداية تبدأ بمشاهدة الأفلام والذهاب إلى السينما، وأخذ الوقت الكافي للتفكير في الأفلام وإجراء مقارنات مع أفلام أخرى ومع كتب ومقالات أخرى. إن المنهج الفلسفي يفترض أن لا يكون المُشاهد مجرد مستهلك. لا شك في أن بعض السينمائيين هدفهم الربح المالي والمعادلة الربح التجاري/الربح الأدبي الفلسفي صعبة المرادفة وصعبة

التحقيق والتسويق لجمع الاثنين معًا ، هناك نماذج ولو قليلة. إن بلوغ أسمى القيم الثقافية والكتابية صعب المنال.

والفلسفة باهتمامها بالسينما تفتح مجالاً مغايرًا لطُرقها القديمة والأكاديمية وخروجها من كهف أفلاطون عمليًا. إن للفلسفة جمالية وللسينما جمالية ، والفلسفة لصيقة بالفكر والعقل والسينما لصيقة بالرغبة والمتعة. إن مفارقة غودار التي مفادها أننا نجد النظرية داخل الأفلام أكثر مما نجدها داخل النظريات تعتبر غير مقنعة، وكما يقول باشلار : " إن المشاكل لا تطرح من تلقاء ذاتها في الحياة العملية". إن بازان يهتم بالكشف عن الدلالات المثالية وراء الظواهر وهذه الظاهرة تقوم بإبراز الوجود الفردي للأشياء ككائنات وتحدد موقع المُشاهد وحريته في علاقته مع العالم.

لقد تطور العمل السينمائي. فقد كتب بازان بأن السينما في المرحلة الصامتة كانت توحي ما كان المخرج يريد قوله. وهناك تعابير أخرى من قبيل : "يكتب مباشرة بلغة السينما" و "على قدم المساواة مع الروائي"... وهذا ما يوحي تحرر السينما من التقاليد ويبرز شاعريتها وجماليتها. لقد قال دانييل باروشيا : "إننا نخترق لبعض لحظات عالمًا أثيريًا، شفافًا، منبثقًا وراء المادة والمكان والزمان، عالم أعيد إنتاجه من طرف الذاكرة والأخبار وتشكيله من طرف الانفعالات الحية التي تجردنا منها، والتي تظل قائمة بشكل آخر مع ذلك، عالم مناسب للمغامرة وللولاءات الجديدة.

ولا تنسى الاستتيك في السينما فلها مكانة هامة للتأمل في العمل الفني السينمائي، ولقد كان أرنايم من الأوائل الذين ألحوا على فكرة السينما كفن ولكنه ركز على جودة الإنتاج السينمائي. وتأسف كثيرًا على أنه لم يحصل التمييز بين العمل الجيد وبين العمل غير الجيد، فأغلبية الكتاب لا يميزون في الحقيقة بين الجودة العالية وبين النجاح التجاري.

وأسَّس جان ميتري جزءًا كبيرًا على فكر السينما كفن (جمالية وسيكولوجية السينما ، ١٩٦٦). إن أبحاث الجمالية تتضمن نظريات مختلفة ومتناقضة ، وتباعد المفاهيم والأهداف بالنسبة لنظريات السينما يطرح مشاكل على المستوى المنهجي وعلى المستوى المضموني ، ومع ذلك تظل تأملات غنية بالعِبر مثال ذلك الرهان الأنطولوجي وبعد الحقيقة لدى غودمان.

وهكذا انتقلت السينما من التاريخ والنقد إلى النظرية ، وجب عليها الانفتاح على أنماط جديدة من التفكير. وعندما سطر أفلاطون أسطورة الكهف فقد مهَّد بدون قصد إلى تقارب السينما والفلسفة. وقد صاغ هذا المعنى غودار : "إني أفكِّر ، إذن فالسينما موجودة" ومع ذلك فالسينمائي يصنع صورًا وأصواتًا حيَّة، بينما الفيلسوف يعالج مفاهيم مجردة وغير مرئية.

عندما ولدت السينما اعتبرت في بداية الأمر ترفيهًا ، ولم تتعجل الفلاسفة بملاحقة هذا الشيء العجيب المستخرج لترفيه الشعوب. ولكن كيف استطاعت هاتين الحالتين أن تقتربا ؟ الحركة الفنية الشابة والمعرفة النظرية القديمة وأم العلوم. لقد أنشأت الفلسفة مع السينما علاقة غريبة متقاربة ومتباعدة ومتشابكة ، واستثمرت الفلسفة السينما في شخصيات كثيرة مثل برغسون ودولوز وغودار... وخلقت عدة علاقات مثيرة ومتناقضة ناهيك عن المناقشات التي جرت في هذه "الكهوف" العصرية وهذه القاعات المظلمة المسماة "قاعة سينمائية". وقد حظيت السينما بنماذج كثيرة من العلوم الإنسانية ، ولو كانت المواضيع علمية صرفة ودقيقة جدًا ، فقد اشتغل عليها الفيلم الوثائقي منذ بدايته.

وقد بسطت السينما ، كما يعرف الجميع ، جناحيها على جميع المواضيع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية.

وتدخل الفلاسفة في جميع عناصر الفيلم وصناعته. يعرف عن أندي بازان أنه من المناهضين للتوليف المنتج وهو المتأثر جدًا بالفكر البرغسوني. كما أكد دولوز على التفريق والتمييز بين الصورة–الحركة والصورة في الحركة، وحركية الكاميرا لا تغيِّر من المبادئ المؤسسة للسينما.

ولما تطورت السينما على مدى ما يزيد عن القرن من الزمان وبرز دور دولوز ودور فيليني في خلق عوالم وأزمنة متطورة ومستقلة. وقد قال دولوز: إن السينما لا تعرض صورًا فقط فهي تحيطها بعالم محدد. ونجد عوالم فيليني ساحرة وممتعة ومتعلقة بالحياة. ويقول سارتر بهذا الصدد لقد قذفت بكل شيء ، بعالمي عالم الوعي وعالم المعرفة والذكريات وعالم الوجود، باتجاه عالم متخيل ضمن الصورة...

وهكذا فقد مارست السينما منذ ظهورها تأثيرًا قويًا على رجال الأدب والفنانين والمثقفين والفلاسفة بعدما كانت تعتبر ترفيهًا ومتعة شعبية.

وقد كتب روبير دينوس سنة ١٩٢٥ : إن ليل السينما العظيم لا يقدِّم لنا فقط معجزة الشاشة كبلد محايد تعرض فيه أحلامنا بل يمنحنا أيضًا الشكل الأكثر تشويقًا للمغامرة الحديثة. ومن جهته، فإن السوسيولوجي ادغار موران اهتم بنظرة المشاهد الذي فاجأته ألاعيب الظلال والأنوار حيث أصبح تائهًا أمام تعقد الواقع واللاواقع. ويعتبر أن السينما حالمة ومستيقظة في نفس الوقت وأنها تجمع بين الحلم والواقع.

ورغم كونهما منبثقتين من عالمين مختلفين فإن السينما والفلسفة تتقاسمان لغة مشتركة داخل عالم محايد شرحه دينوس. وعلاقة السينما بالفلسفة علاقة الصورة بالمفهوم (دلوز) ، والسينما تصلح القطيعة الواقعة بين الإنسان والعالم حيث نرى التصالح داخل الفيلم وإن كانا غير متصالحين خارجه

وبذلك يحصل التبادل بين الواقع والصورة وتبرز نظرية المكان والزمان المهمين في السينما والمحددين للمفاهيم الفلسفية.

- المراجع:

- حوار الفلسفة والسينما، ترجمة الدكتور عز الدين الخطابي
- بعض دفاتر السينما
- جيل دولوز: الصورة– الزمان. الصورة–المكان

- **المصدر : الفوانيس السينمائية**

القسم الثالث

السينما الفلسفية

إذا كانت الفلسفة هي تقييم الحركة في الفكر ، فإن السينما هي تقييم الحركة في الصورة ، ليس في مفردها ، بل في علاقتها مع باقي الصور... فالسينمائي يصنع صورًا وأصواتًا حيَّة عبر ممارسة معينة للعلاقات والتفاعلات والتقنيات ، أما الفيلسوف فيبدع مفاهيم مجردة غير مرئية عبر تأسيس رؤية خاصة.

لا يمكن حقًا عزل السينمائيين الكبار عن صنف المفكرين ، لأن التفكير لا ينحصر في الانشغال بالماهيات والعِلل الأولى ، بل يكون بواسطة نمط جيد من مفهوم ثلاثي تفاعلي مكون من عناصر : الصورة / الحركة / الزمن... فالسينما تحث على التفكير من خلال الصدمات التي تحدثها على مستوى الفكر : أنا أرى ، أنا أسمع... أنا أحس!

فكل فيلم من وجهة نظر "فيلليني" الإيطالي ، يعبِّر عن الواقع المنبثق من الذاكرة ، حيث يوفر إمكانية التفكير بطريقة مغايرة في ذواتنا وفي العالم ، من خلال خلق صور مبتكرة للحياة في تقاطعها المؤثر مع الخيال.

من خلال شواهد معلمية من تاريخ السينما ، قدَّم كبار المخرجين أمثال : أيزشتاين ، وبازوليني ، وغودار ، وفيلليني وغيرهم ، تحفًا سينمائية فلسفية تثير الجدل.

وعن التأويل السينمائي ، فلماذا نقول إن أحد أفلام هيتشكوك (على سبيل المثال) يساوي بطرحه ما بين الجنون والريبة والعقل والتبصر ، ثم نذهب مباشرة لتحليلات فرويدية ؟!

فهناك الأفلام الأولى للروسي "تاركوفسكي" ، التي يتساءل فيها عن معاني الذاكرة والحلم والوطن والحنين ، إلى أفلام بيرغمان الأولى ، التي يطرح فيها أسئلة عن الوجودية واللاهوت ومغزى الحياة والموت ، وصولاً لأفلامه المتأخرة عن العواطف والعلاقات الإنسانية.

فالسينما لا تعبِّر بفجاجة عن الفلسفة، وإنما تواجه الأسئلة الفلسفية بطريقتها الخاصة.

أشار الفيلسوف "إيمانويل كانط" إلى أن الفلسفة تحاول الإجابة على ثلاث تساؤلات رئيسية هي: ماذا باستطاعتي أن أعرف؟ وما يجدر عليَّ فعله؟ والى ماذا آمل (من الأمل)؟، وهذه التساؤلات تمثِّل بداية جديدة متينة لربط الفلسفة بالسينما.

تبدأ الفلسفة السينمائية من الصورة المتحركة، التي تنتج صيغة سينمائية كقناة اتصال وطريقة تواصل، وحامل للمعلومة والدلالة اللغوية، إنها بمثابة صورة علمانية للفن.

ما هي السينما؟... سؤال يمزج "الفينومونولوجيا بالأنطولوجيا"، انها إعادة تشكيل للمعرفة، التي تتعلق هنا بتجميع أجزاء مختلفة من الصور بغرض "وظيفي- تعبيري".

ينحصر فلاسفة السينما الأوروبيين الكبار في عدة أسماء مثل: تيودور أدورنو، والفرنسي جيل دولوز، وهنري بيرغسون، وجاك دريدا وآلان باديو، ثم معاصرين أمثال: سلافوي جيجيك وجاك رانسيير وجورجيو أغامين، وصولاً لنقاد ومنظرين كبار أمثال: أندري بازين، كريستيان ميتروجان، وبازوليني وايريك رومير...

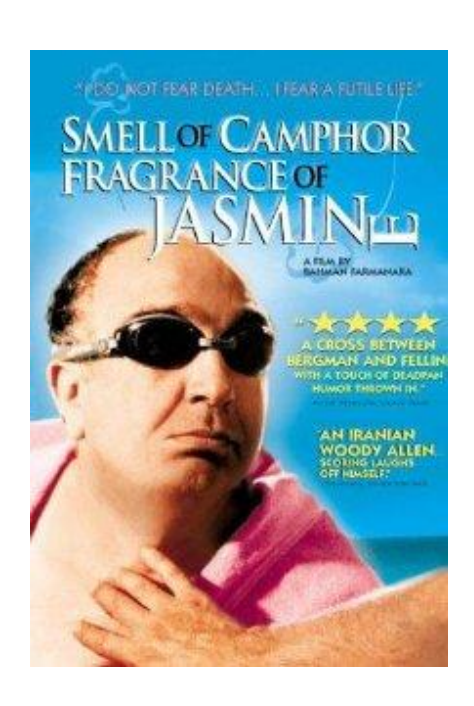
إن تحفاً سينمائية خالدة تثير دومًا التساؤل والتأمل على مَرِّ الزمان، بل تزداد قيمتها، مثل أفلام كل من "تاركوفسكي، بيرغمان، فيسكونتي، انطونيوني، كوبريك، غودار، وبارجانوف وأيزنشتاين (على سبيل المثال لا الحصر)...

وأخيرًا في هذه العجالة التعريفية الملخصة والمركزة، لنستشعر مقولة "جان لوك غودار" الخالدة: "إن السينما هي أجمل خدعة على الإطلاق"!

أربعون نموذجًا لافتًا لأفلام فلسفية
ذات مضامين ظاهرة وخفية ومجازية

(١)

الفيلم الإيراني : "رائحة الكارفور... عطر الياسمين"



يدور هذا العمل المدهش حول حياة المخرج نفسه "بهمان فامانارا" الذي يعتبر "وودي آلن" إيران بلا منافس، حيث يلعب "فارمانارا" الدور الرئيسي، فهو مخرج سينمائي عاطل عن العمل ، ويشعر بالألم كلما قام بحركات بسيطة، ويعاني من مرض مزمن بالقلب، كما أنه مصاب بالإحباط لتراجع

المردود المادي والمعنوي لعمله "شبه المتوقف". وتتفاقم حالته حين تموت زوجته، فيقوم بشراء قطعة أرض صغيرة قُرب قبرها ويوصي بدفنه فيها، وتستحوذ رائحة الكارفور (التي نكاد نشمها كمشاهدين)، حيث ضمخ به رائحة سرير الزوجية قبل رحيل زوجته؛ علما بأن المسلمين بإيران عادة ما يغسلون الموتى بالكافور والماء!

كما يدخل عطر الياسمين لحياته حين يزور أمه المريضة المُسِّنة، ولدى ولادة حفيده، هكذا تثير هذه الروائح إحساسه بالماضي وتوجسه من المستقبل مما يحفزه ويعيد له إقباله وحُبه للحياة... لكن الفيلم اللافت يتوقف هنا، مرسلاً سحرًا خاصًا وروائح عطرة تسترجع رغبات الحياة وهيبة الموت ورائحته، تاركًا البطل والمشاهدين بحالة محيرة غامضة!

يحيط الموت ورائحته بالبطل اليائس "باهمان" المخرج الذي توقف عن الإخراج منذ أربعة وعشرين عامًا (لتشدد ومضايقة الرقابة السينمائية)، كما يكتشف بالصدفة أن شخصًا ما قد دُفن بجانب رفاة زوجته بالمكان المخصص له، ويسعى جاهدًا للبحث عن قريبه وصديقه الذي غاب فجأة عن المنزل، باحثًا عنه بالعديد من المستشفيات ومتقصيًا "الجثث" للتعرف عليه، ويتزامن ذلك مع اشتداد مرضه القلبي المزمن، فهل هو حقًا جاهز للموت؟!

يبدو مقتنعًا تمامًا بأن حياته ستكون قصيرة، لذا فهو يسابق الزمن مخططًا لمشروع مهم ينهي به حياته المهنية الخائبة، مواجهًا تعنت السلطات الرقابية الصارم، وينغمس خلال ذلك ببحث تفاصيل طقوس الموت، ويقابل امرأة غامضة وتشاركه مجبرًا بسرها الخفي المريع، كما تورطه معها بلا قصد بأخطاء ترتكبها.

الفيلم فلسفي النكهة وبطيء الإيقاع، وينغمس بثيمة الموت بطريقة مؤثرة ومبالغ بها، ويقدم عملاً تجريبيًا معبرًا وبعض اللقطات السيريالية الأخاذة،

وهو كعنوانه ذو نكهة خاصة أصلية، وربما قصد أن يقدم لنا "بورتريه" متكاملاً لثيمة الموت الرهيبة، بحيث تنزل ستارة الحياة وكأننا نشاهد الفصل الأخير من مسرحية الحياة!

(٢)

"الممثلون" يتقمصون شخصياتهم! (٢٠١٤)

(الفيلم المرشح لأوسكار الإخراج والتمثيل)

مقارنة انطباعية مع فيلم "بيردمان"



عندما يطلب "جان- بيار ماربيل" إناء من المياه الساخنة ، يتجاهله النادل اللئيم بأحد مطاعم الشانزليزيه ، فينتظر بلا جدوى... فهل يعود السبب إلى مؤامرة ضد الممثلين "المتقاعدين" أم لأن نجمه قد أفلَّ ولم يعد جذَّابًا وشخصية هامة ؟ هذا هو المشهد اللافت الذي يستهل به فيلم "الممثلون" للمخرج الفرنسي "برتران بلييه".

ثم تشتعل الخلافات وتنشأ المشاكل ، ويختفي الوئام والانسجام بمثل هذه الأجواء النكدية الطاغية : فيتشاجر جان كلود بريالي مع بيار أرديتي ، كما يُكنُّ سامي فراي وأندريه دوسوليه الكراهية لبعضهما البعض ، ولا تتردد جوزيان بالاسكو بالانضمام لجوقة الكراهية أحيانًا ، في حين يفرط "ميشال بيكولي" بتناول الكحول بإدمان ، كما يزعج "كلود ريش" الجميع بمزاجه النكد المتقلب ، كما انضم للفريق النجم الفرنسي الشهير "جون بول بلموندو" بكاريزميته وطاقته المعهودة...

هكذا تتعرى الشخصيات الحقيقية للممثلين (بقصد) وكأنهم يقفون أمام "مرآة" كاشفة ، ونصل لحالة متدحرجة متضخمة من الإزعاج والنكد ، حيث تبدو "الحالة النكدية" وكأنها وباء معدي لا علاج لها!

يعود المخرج الفرنسي المبدع "برتران بلييه" ليقدِّم بعد غياب طويل هذا الفيلم الغريب، الذي يجذبك لمشاهدته لأنه يعكس طبائع البشر وخيباتهم وإحباطاتهم ونكدهم المعدي ، وينجح بالغوص بحيوات الفنانين المليئة بالجروح والندوب والمعاناة ، مقدمًا ممارسات ومهارات إخراجية فذة ، ومتلاعبًا بالمشاهد "المنجذب" عبر مواجهة ما يعرفه الناس عن الممثلين وما يعرفه هو عنهم وما يعرفونه هم عن أنفسهم وطبيعة مزاجهم... فيلم تجريبي لافت وممتع!

أفضل ما في هذا الفيلم الغريب نجاح "بلييه" في دمج المشاهد بالأحداث ، ودفعه للتفاعل والقلق تجاه مصائر هؤلاء الممثلين (نخبة من النجوم المشهورين سابقًا) الذين بدأوا يعانون من الفراغ والتهميش والإقصاء مع دخولهم القسري لمرحلة التقاعد أو اقترابهم التدريجي من الشيخوخة والموت فهو يدفع الأمور بعيدًا بشريطه المميز ، وينجح بإعطاء "ممثليه" الموهوبين مرآة صافية تعكس لهم صورهم ووجوههم وسلوكياتهم، وتكاد تبدو كمرآة أو "كشمس" كاشفة تعكس للجميع المخاوف والهواجس بلا تنميق وتجميل وبجرأة مطلقة.

وقد وجدتُ تشابهًا لحدٍ ما مع التحفة السينمائية الحديثة "بيردمان" ، الذي يتعرض لحياة وهواجس ممثل مسرحي "قديم" يستبسل لاسترجاع مجده الاستعراضي (وكذلك عائلته وكيانه الشخصي) ، بعد أن أفل نجمه أو كاد ، حيث يغوص بنا المخرج المكسيكي الفذ "اليخاندرو انياريتو" في "منولوج طويل صادم" مستعرضا إحباطات وهواجس "الممثل العجوز" الذي بدا وكأنه يتفوق على ذاته (مع باقي الممثلين وخصوصًا ابنته والممثل اللامع إدوارد نورتون ، الذي ظهر بشخصية جديدة وتمَّ التعاقد معه خصيصًا لإنجاح المسرحية)... هذا الفيلم الغريب الذي يتناول قصة ممثل سابق (أبدع بتقمص الشخصية مايكل كيتون) كان يؤدي دور بطل خارق ، وهو يحاول هنا جاهدًا استعادة شهرته وكاريزميته النجومية كممثل مسرحي ، وقد صُور بطريقة "مسرحية" عبر "مونولوج" إيقاعي متصاعد طويل مستعرضًا بشكل مشوق ومبتكر خيبات وهواجس واستعدادات الممثل "المتقاعد" والمنسي ، والذي يسعى ثانية بحماس لإعادة إطلاق مجده "المطفي" عبر مسرحية جديدة ، مستخدمًا ممثلاً شابًا مشهورًا جذَّابًا للنساء وعابثًا ولا مبالي ، وعبر أجواء سينمائية فريدة مدمجة مع لقطات فانتازية وموسيقى معبِّرة لاهثة وحوارات "غير مسبوقة" ذكية ومعبِّرة وساخرة ، حيث نرقب بالتدريج خفايا المشاعر وتطورات حالة الممثل والمحيطين به وانطباعات الجمهور بتلقائية معبِّرة ، كما بحالة مغادرته للمسرح "شبه عاري" بعد أن انغلق الباب فجأةً من الداخل، أو كما بتصوره لهلوسات والكائنات "الخرافية الروبوتية" لأفلام الخيال العلمي السائدة حاليًا ، أو كما بطيرانه "الفانتازي" المفاجئ بأنحاء الحي ، حتى تصل الأمور لذروة متوقعة وصادمة عندما يطلق الرصاص على أنفه قاصدًا الانتحار (بالمشاهد قبل الأخيرة) وهو يتقمص دور الزوج المغدور والبطل الخائب ، أو عندما يختفي من شرفة غرفته بالمستشفى وكأنه قذف بنفسه من النافذة ، فيما تشير إيماءات ابنته المذهولة "ايما ستون" لكونه

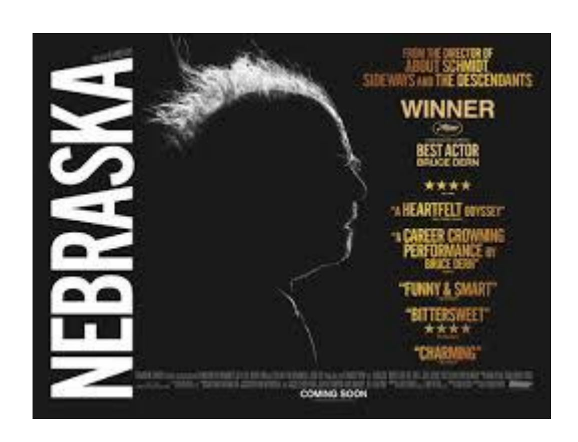
طار من النافذة "كرجل طير خارق" وكأنه تحرَّر أخيرًا من كل الضغوطات والهواجس والخيبات والإحباطات بعد تأكده من النجاح الساحق الذي حققته مسرحيته أخيرًا...

ولكن أليس الموت بحد ذاته يُعدُّ (فلسفيًا) تحررًا من عبء الحياة وخيباتها؟ وخاصةً بعد وصول المبدع لذروة مجده ونجاحه، وربما يختلف هذا الشريط (المتفاءل نسبيًا) عن فيلم المخرج الفرنسي بهذه النقطة تحديدًا التي تزرع الأمل في النفوس، وإن كان التركيز "النرجسي" هائلاً وغير مسبوق بهذا الفيلم، كما بدا للبطل وكأنه يتوهم بتمتعه ببعض القدرات الخاصة الخارقة!

وجدتُ نفسي منساقًا بشكل عفوي للمقارنة بين هذين الفيلمين الغريبين الشيقين بالرغم من قِدم الأول الذي أُنتج بالعام ٢٠٠٠ وحداثة الثاني (المرشح لعدة أوسكارات) والمنتج بالعام ٢٠١٤، ولو أن "الكوميديا السوداء" هي السمة العامة لهذين العملين الرائعين، إلا أن الفيلم الفرنسي يغوص بحالات متدحرجة من التشاؤم والنكد وربما الواقعية "المحتملة الحدوث"، فيما يميل شريط المخرج المكسيكي للإبهار والطرافة والفانتازيا، وهنا يكمن الفرق.

(٣)

"نبراسكا" : دراما كوميدية وشخصيات كرتونية



عرضتْ لجنة السينما بمؤسسة شومان بعمَّان الفيلم الأمريكي اللافت نبراسكا من إخراج أليكسندر بين، وهو نفس المخرج الذي قدم بالعام ٢٠٠٢ التحفة السينمائية "حول سميدت" الذي أبدع ببطولته جاك نيكلسون (والذي يتحدث عن معاناة وهواجس رجل أرمل وحيد يسعى جاهدًا لتخريب زواج ابنته الوحيدة من شاب أبله وتافه!) ، كما أنه قدَّم فيلميَّ "عاليًا بالهواء والأحفاد" (من بطولة جورج كلوني) بعد حوالي عقد من الزمان، وتتميز أفلام هذا المخرج جميعها بتعمقها بالبعد الإنساني لأبطاله التائهين المعزولين، وبقدرته الفنية على تقديم هواجس الشخصيات ومعاناتهم ببساطة درامية مؤثرة وبدون حذلقة وتعقيد!

يتحدث فيلم نبراسكا عن العجوز المدمن على الكحول وودي، الذي يدَّعي أنه ربح جائزة المليون دولار ، لذا عليه أن يسافر مئات الكيلومترات لولاية نبراسكا وتحديدًا لبلدة لنكولن للحصول على الجائزة الثمينة من مكتب

الصحيفة ، ويسعى ابنه الأصغر البار ديفيد لإقناعه بالعدول عن فكرته ، محاولاً إقناعه بأن الجائزة مزيفة ، ولكنه عنيد صعب الإقناع ، كما أنه يجد بالسفر فرصة للهروب من واقعه البائس وللهروب من زوجته النكدة المستبدة سليطة اللسان... ويمرّان بطريقهما على مسقط رأسه ليلتقي بأقربائه وأصدقائه القدامى ، وتلحق الزوجة والابن الأكبر بهما للزيارة العائلية ولتقديم الاحترام للأقرباء بمقبرة البلدة ، وهنا يقدّم لنا الشريط مشاهد ساخرة كوميدية لذكريات العائلة وجشع الأصدقاء والأقرباء عندما يعلمون بقصة الجائزة.

وينتهي الفيلم كما كان متوقعًا بفشله بالحصول على الجائزة المجزية ، وبربحه لقبعة رياضية مضحكة بدلاً عنها ، ولكن الابن البار الكريم يتأثر كثيرًا بدوافع والده لنيل قيمة الجائزة ، والتي تتضمن شراء "بيكآب وكمبرسر" ومن ثم ترك مبلغ كبير لعائلته لتوريثهم بعد موته ، فيسعى كتعويض لخيبة أبيه ، أن يحقق حلم والده فيشتري له سيارة نقل صغيرة (مستبدلاً سيارته الصغيرة) ، كما يشتري له مضخة مياه جديدة بدلاً من القديمة التي سُرقت! كما يطلب من أبيه أن يقود السيارة أمام سكان القرية "الانتهازيين-السذج" ليثبت لهم صحة إدعاء والده وليرفع من معنوياته وليعيد له رغبته بالحياة!

صُور هذا الفيلم بالأسود والأبيض وكأنه يتماثل مع أفلام ستينات القرن الفائت الكلاسيكية ، وربما ليذكرنا بالبؤس وشيخوخة الحياة وبساطة العيش بالبلدات الصغيرة المنسية ، وبمصاحبة موسيقى نائمة ريفية معبِّرة ، وقد نجح بتقديم فيلم اجتماعي كوميدي ساخر شيق ومبهج ، كما قدم شخصيات كرتونية نمطية وبسيطة وذات بُعد واحد ، وسلَّط أضواءً كاشفةً لعلاقة استثنائية فريدة بين أب عجوز بائس خرف وابن شاب ذكي حساس وكريم ، ومثّل نموذجًا نادرًا لأفلام الطريق ، كما عبَّر ببراعة ساخرة عن سوء الحظ ومعاناة الشيخوخة وطريقة التعامل مع الناس ، وحافظ ببراعة على توتر ممتع

متصاعد ، وتماثل لدرجة كبيرة مع نمط أفلام المخرج الفرنسي الفذ "جان رنوار" الذي يتجنب عادة بأفلامه تقسيم البشر ما بين جيد وسيء ، وإنما يغوص بالنفس البشرية ويتعاطف مع الدوافع والنزعات الإنسانية المتغيرة، التي تقود الشخصيات أحيانًا للتصرف بغرابة وأنانية وجشع، وهو بذلك ربما يختلف عن النمط السائد المعهود بالسينما الأمريكية الذي يركز كثيرًا على "الأخيار والأشرار" بمعظمه.

ربما كان إيقاع الفيلم بطيئًا أكثر من اللازم، ولكنا لم نشعر كمشاهدين بالملل نظرًا لبراعة التمثيل وتماسك السيناريو وطرافة القصة وزخم الأحداث ، ولكن كل هذه الإيجابيات لا تبرر الحفاوة الكبيرة التي استقبل بها هذا الفيلم والتي ترتبط كثيرًا ربما بخصوصية المجتمع الأمريكي والغربي عمومًا ، وطريقة تعاملهم مع المرضى كبار السن.

(٤)

الفيلم السويدي السائح (قوة قاهرة/Force Majeure) (٢٠١٤)

دراما سايكوعاطفية : تداعيات السلوك الأناني وخفايا العلاقة الزوجية!



يتناول هذا الفيلم اللافت تفاصيل الأحداث التي تعرَّضت لها عائلة سويدية خلال أسبوع بمنتجع فاخر يقع بالألب الفرنسية، حيث يستعرض حياة رجل الأعمال توماس وزوجته ايبا وابنيهما الصبي الصغير هاري وشقيقته الكبرى فيرا (وهما شقيقان كذلك بواقع الحال)... ويبدو وكأن المخرج السويدي روبين اوستلوند يستمتع بوضع أبطاله أمام تحديات صعبة لكشف الخفايا غير المتوقعة لشخصياتهم، فالفيلم "استفزازي" بامتياز، ويستهل بمشاهد السائحة السويدية وهي تشرح لصديقتها ظروف رحلتهما : "لأن زوجي يعمل كثيرًا، لذا فهو سيسخر خمسة أيام لعائلته"! وتمهيدًا ذكيًا لما سيحصل لاحقًا ، فقد

نجح المخرج في إظهار الوئام والتماسك والهارموني العائلي وذلك من خلال لقطات طويلة لنومهم الصباحي الكسول وأسلوب تنظيفهم لأسنانهم بالمساء.

ولكن الحادث المفصلي الذي يدور حوله الفيلم ، يقع باليوم الثاني وأثناء تناولهم لطعام الغذاء على شرفة المنتجع ، حيث يحدث انهيار ثلجي كبير تدريجي غير متوقع ، وبينما تهرع الام للبقاء وحماية أطفالها تلقائيًا ، يختفي الأب ببساطة آخذاً موبايله وقفازيه، ناجيًا بنفسه، ثم يعود لاحقًا بعد استقرار الوضع وكأن شيئًا لم يحدث ، وبلا شعور بالذنب... وتأخذ الأمور بعد ذلك منحى سيئًا بتأثير تداعيات ما حدث ، وبنفس المساء وأثناء جلوس توماس وايبا مع سائحة متزلجة وصديقها ، تشرح ايبا ما حدث خلال الغذاء ، بينما ينكر توماس أنه هرب وجبن.

وخلال الأيام التالية يسعيان عبثًا لإيجاد رؤية مشتركة للأحداث ، وتفقد ايبا تدريجيًا شعورها بالأمان بعلاقتها مع زوجها "الوسيم" المحب لأطفاله ، فهي لا تستطيع حقًا فهم أنانيته الكامنة وجُبنه... وعندما يزورهما باليوم الثالث صديقهما النرويجي وصديقته الشابة ذات العشرين عامًا ، ينغمسان بجدال عقيم حول رؤيتهما المتناقضة لما حدث وما الذي كان يجب أن يحدث... وهنا يدخلنا المخرج الذكي لمتاهة فلسفية "فالأهم هنا ليس هو ما تفكر به حول نفسك ، لأنه من الصعب أن تقسو على نفسك ، ولكنه من الصعب أيضًا إقناع الآخرين بأنك مثالي ولو افتراضيًا"! ويؤثر تكرار الموضوع نفسيًا على توماس ، فيصاب بالأرق ليلاً ، فنحن نبقى كبشر عاجزين عن التحكم بالكوارث الطبيعية ، ولكن ربما الأصعب هو التحكم بالتأثيرات النفسية الكامنة للشخصية البشرية!

تم استخدام لقطات ثابتة بمعظم المشاهد ، وكان التصوير رائعًا وكأنه يصحبنا لموقع الأحداث بالمنتجع الألبي الخلاب ، تمَّ تحركت الكاميرا لاحقًا لتكبير

بعض اللقطات هنا وهناك، ونجح المصور بإظهار الأجواء الثلجية والضبابية ومنزلقات التزلج بمهارة فريدة، كما أَضاف المخرج لقطات سيريالية تدعم الحالة النفسية المرهقة للبطل ، عندما يجد توماس نفسه بالنادي محاطًا بمجموعة مختلطة من المحتفلين الصاخبين، الغرباء والعراة والسكارى!

الفيلم مكون من ستة مقاطع، حيث يستعرض يومًا كاملاً بكل مقطع، ويستهل الأحداث بمقطوعة كلاسيكية رائعة ، ويبدو وكأن صديقه النرويجي الكهل الملتحي، يتقمص دور الراوي بسياق القصة، فنسمعه يشرح ما حدث وكأنه فعل جيني غريزي، لا علاقة له بمفهومنا التقليدي عن الشجاعة والبطولة، كما أن صديقته الشابة تسقط ما حدث على وضعه كمطلق هارب من عائلته... ويتعاطف هو مع توماس فيتقرب منه لمواساته ودعمه ، حيث يقومان باليوم الرابع برحلة تزلج صعبة يواجهان فيها خطر الانزلاق على منحنيات خطيرة، وكأنهما يمتحنان شجاعتهما وإقدامهما "الذكوري"، كما نراه يشجع توماس لإطلاق كبته وإحباطه بالصراخ عاليًا في الفضاء الثلجي... كذلك تجد الزوجة فرصتها الذهبية لإدانته واضطهاده ، فنراها بلامبالاة تحبسه لساعات خارج الغرفة، لتذهب مع طفليها، ثم لتتصادق بالصدفة مع امرأة متحررة تحاول إقناعها بأنها قادرة على إقامة علاقات متوازية بالرغم من كونها متزوجة ولديها أطفال!

وبعد أن تنجح الزوجة المثابرة في كيدها، وتضعه أخيرًا على تخوم الانهيار العصبي، فيصرخ منفجرًا نادمًا وساخطًا من سلوكه الجبان ومحتقرًا لذاته، يجد أخيرًا المواساة الكاملة من زوجته وأطفاله، وبدا وكأنه نجح باجتياز عملية تطهير "نفسية/عصبية" شاقة ، ثم يقوم هو وعائلته (وربما بقصد) بالمشي والتزلج بأجواء ضبابية سيئة بظل انعدام الرؤية، فنراه هو وأولاده ينجحون باختراق الممر الثلجي الخطر ، فيما تتخلف الزوجة ، وتطلب

الاستغاثة، فنراه يهرع برباطة جأش لينقذها، ويعود بها محمولة على كتفيه، وكأن المقصود هنا استرجاع دوره الذكوري وإعادة الاعتبار لشجاعته وتحقيق التوازن والتوافق العائلي الذي اهتز بسبب حادثة الانهيار الثلجي.

وينتهي الفيلم باليوم السادس بطريقة مفاجئة، عندما نرى الزوجة تصرخ مذعورة بسائق الباص مستغيثة وطالبة منه الوقوف فورًا ، ربما لعجزه عن التحكم بالباص في طريق نازل لولبي خطير ، ونشعر وكأنها مرعوبة وترغب بالهروب ولا تهتم بعائلتها، وربما يتطابق شعورها هنا مع شعور زوجها عندما هرب من الانهيار الثلجي ناجيًا بذاته! ثم نرى الباص يتوقف لينزل جميع الركاب، حيث يتدخل النرويجي كريستوفر طالبًا منهم جميعًا التصرف بشكل حضاري وبلا هلع أثناء مغادرتهم للباص... ثم نراهم بمشهد أخير معبر يستمرون بالنزول كجماعة مشيًا غلى الأقدام، حيث تذوب الأسرة الصغيرة بالمجموعة الكبيرة.

يتحفنا المخرج وكاتب السيناريو "اوستلوند" بحركات وإيماءات ذات مدلول، ولكنها تبقى خارج السياق الرئيسي، كحالة خادم الغرف الفضولي الصامت، الذي يتطفل على الجميع خلسة بنظراته العصبية وهو يدخن بشراهة ، وبالرغم من أنزعاجهم منه إلا أنه يساعدهم بالدخول لغرفهم بواسطة "بطاقة الماستر"... كما نلحظ بمشاهد أخرى تعرض الصديقين "توماس وكريستوفر" لتحرش فتاة غريبة أثناء وجودهما بالنادي وتناولهما المشروب ، حيث يشعران وكأن الفتاة تهزأ بهما بلا داع... ويبدو لي وكأن المقصود بهذه المشاهد توضيح مدى الفضول والغموض والعبثية المرافق لتصرفات البشر الآخرين ، والذي لا نستطيع التحكم به ، بل علينا قبوله في تفاعلات ومصادفات الحياة اليومية!

ربما يعيد هذا المخرج اللافت للسينما السويدية العريقة ألقها الذي فقدته برحيل عبقري السينما انجمار برجمان.

(٥)

في الطريق إلى الغابة (٢٠١٤)

الحياة لا تحقّق لنا كل الأماني...

سندريلا وليلى والخباز ولعنة الساحرة!



يبحث هذا الفيلم الموسيقي المرح بإمكانية تحقيق الأمنيات، وهو مشتق عن مسرحية غنائية شهيرة للكاتبين: من رواية سوندهايم وكتابة لابين السينمائية، ويتناول بتداخل حميم وشيق خمس قصص: سندريلا والأمير (أنا كيندريك وكريس باين)، ليلا كراوفورد الطفلة ذات الرداء الأحمر، وجوني ديب "البارع" بدور الذئب الماكر، جاك الصبي (جاك هوتيلستون) الذي يسعى لبيع بقرته البيضاء العجفاء بسوق البلدة، وهناك الجميلة المحبوسة "رابونزل"

والعاشق الولهان (ماكينزي ماوزيوجاك جالينهال)، وكلهم مرتبطون بقصة الخباز وزوجته (جيمس كوردن وايميلي بلونت)، ورغبتهما بإنشاء عائلة وولادة طفل، وعلاقتهما المأزومة مع الساحرة (أبدعت ميرل ستريب بتقمص هذا الدور) التي ركبت لهما تعويذة ملعونة أبدية.

الفيلم من إخراج روب مارشال الذي سبق وأخرج التحفة الموسيقية الشهيرة "شيكاغو (٢٠٠٢)، وعاد ليخرج فيلم "ناين" بالعام ٢٠٠٩... الفيلم يتطرق بأسلوب غنائي وعاطفي شيق لطريقة الفهم الطفولي لمواضيع إنسانية/فلسفية مثل: الحب والحزن والتسامح والفراق!

يكمن مغزى هذا الشريط الموسيقي الفانتازي باكتفائنا بتحقيق "نصف التمنيات" فقط، فالحياة قد لا تكون كريمة ومعطاءة كما تبدو، وقد تفاجئنا فتحقق لنا جزءًا من أحلامنا (فقط) وتحرمنا من النهايات السعيدة "الساذجة"، وعلينا كبشر أن نتعاضد حتى نكمل المشوار: فليلى الصبية البريئة تنجو بأعجوبة من بطش الذئب المفترس الماكر، والصبي الفقير يفقد أمه المحبة بعد ظهور "الغولة العملاقة"، والفران البائس المتيم بزوجته يفقدها بالغابة بعد أن يغويها الأمير الفاتن بالصدفة، ليعود ويحتفظ لوحده بالطفل الوليد، والأمير الولهان يفقد كذلك سندريلا بعد لقائهما الحميم، لأن متعة وغموض الانتظار تفوق "شبع اللقاء" (وهي تلخص هنا سوء حظها بالقول: إن كنت تحبني فلما تهت) ؟! والجميلة المحبوسة ذات الجدائل الذهبية الطويلة تفقد فارس أحلامها الوسيم (لدينا فرصة واحدة يفضل أن لا نضيعها)، ثم تلقاه بعد أن تشفيه دموع الحب من العمى الذي تسببت به الساحرة الحاقدة... وكذلك تفقد الثرية المتبجحة فرصة تزويج بناتها من الأمير بسبب الكذب والإدعاء والزيف، وحتى الساحرة الجامحة تفقد سحرها أخيرًا بعد أن تحقق رغباتها وشرورها... ولكنهم يتآزرون أخيرًا لمواجهة عبث الأقدار والفقدان!

فلا مناص لهم من التعاضد بعد أن تظهر لهم الغولة (بشكل مفاجئ) وتحطم آمالهم وأمانيهم... أربع شروط "تعجيزية" تضعها الساحرة أمام الفرّان وزوجته لضمان نجاح الحمل: الرداء الأحمر، خف ذهبي، كمان وبقرة بيضاء قادرة على "أكل" هذه الأشياء لكي تدر حليبًا يفك التعويذة ويعيد الساحرة لشبابها وجمالها، وتتداخل الأحداث والشخصيات، فالرداء الأحمر تملكه الصبية الصغيرة البريئة الذاهبة للغابة للقاء جدتها، والتي يلتقيها الذئب الماكر ويفترس جدتها أولاً قبل أن ينقذها الفرّان بالصدفة (حيث يقول لها: ابقي طفلة طالما كان بوسعك أن تبقي طفلة)! أما الخف الذهبي فتفقده سندريلا الهاربة خلسة من الحفل، ثم البقرة البيضاء العجفاء التي تملكها أم الصبي الفقيرة المعدمة، والتي تطلب منه الذهاب لسوق البلدة لكي يبيعها بالرغم من أنه يحبها ولا يريد أن يفرّط بها، لكن الفرّان يستغفله ليأخذها مقابل "خمس" بذار سحرية...

الحياة كالغابة مليئة بالمفاجآت، ولا أحد قادر على حمايتنا بعد أن نخوض غمارها، وحيث لدينا فرصة واحدة فقط، وعلينا أن نحسن استخدامها، كما أن مغريات الغابة الكثيرة (مجاز يقصد به الحياة)، يجب أن لا تجعلنا نتوه ونفقد أحباءنا، وعلينا أن نحذر دومًا فهناك "غولة عملاقة" قد تظهر فجأة وتدمر معظم أحلامنا ومقاصدنا، أما الطفولة فهي أيقونة الحياة الغالية "ابقي طفلة، طالما بوسعك أن تبقي طفلة"!

أعتقد أن روب مارشال يسعى دومًا لإعادة الألق والإبهار للقصص والمسرحيات الغنائية، ويجعلك كمشاهد تأخذ الأمور على منحى الجد وتستنتج المغزى والمجاز، مستمتعًا بالحوارات والمنولوجات البليغة والإيقاعية، كما يدخلك لفنتازيا مشهدية ساحرة وممتعة.

(٦)

عالم عارضات الأزياء

تفاحة حمراء جميلة ينخرها الدود من الداخل!



أناس قلقون يدعسون باستمرار على روث الكلاب الموجودة في كل مكان... أجواء مخملية راقية، وأناس تافهون، مدعون ومزيفون، لا يودون بعضهم البعض! عالم جشع تحكمه معادلات الربح والخسارة، والشهرة هي الأساس، والعارضات الحسناوات ما هن إلا أدوات لا قيمة لهن ككائنات بشرية، حيث يظهرن في استعراضات عرض الأزياء كقطيع من المخلوقات الآدمية الجميلة، كما تظهر طريقة العرض آلية، خالية من الدفء والتفاعل البشري، تصحبها موسيقى صاخبة يقصد منها أن تشد الحضور للاستعراض الآلي... وأنت كمشاهد ربما لا تتذكر وجه أية عارضة بعد كل شيء، لأنها خالية من التعبير و تسير كالروبوت بتمايل جنسي مقصود (مشية القطة الشهيرة)، هذا ما يقدمه المخرج الأمريكي الطليعي الراحل روبرت ألتمان في فيلمه الرائع "عارضات الأزياء" (حسب الترجمة المجازية لعنوان الفيلم بالفرنسية: جاهز لكي يلبس)... الفيلم لا يخلو من النجوم المشهورين مثل ماسترورياني وصوفيا لورين وجوليا روبرتس وكيم باسنجر... ولكن إيقاعات الأحداث هي التي تهيمن ، والأبطال يؤدون أدوارًا تخدم السيناريو المحكم ولا يوجد مكان للاستعراض والنجومية.

يقدم هنا ألتمان (الذي تثير أفلامه عادةً جدل النُقَّاد) عالم الأزياء الباريسي على حقيقته بلا تزيين وتلميع، وبالرغم من روعة وبهاء أمكنة التصوير الحقيقية وبذخ مظهرها، إلا أن سلوكيات الممثلين والممثلات خالية (ربما بقصد) من التشويق والجاذبية، فهو عالم مصالح وشهرة ومال وجنس وإثارة ومصالح متبادلة، مليء بالسخافة والسطحية والابتزاز والتظاهر، حيث لا يوجد إلا مكان صغير للصدق والعاطفة وعمق المشاعر.

تدور أحداث هذا الفيلم حول "التركيبة البوليسية" لحادث مقتل مصمم الأزياء الشهير (زوج صوفيا لورين)، عندما يغص فجأة بقطعة لحم أثناء وجوده مع صديقه الروسي، حيث يفزع الخياط الروسي (ماسترورياني) ويهرب مذعورًا قافزًا لنهر السين، مما يؤدي لإلصاق تهمة القتل به وهو البريء منها، وحيث تشمت الزوجة "غير المخلصة" بموت مصمم الأزياء هذا بل وتفرح، تاركة الحزن للعشيقة، ويبدو حادث الموت كمحور أساسي لأحداث الفيلم.

لن أغفل عن ذكر قصص الجنس والشذوذ والعجز التي يحفل بها هذا الفيلم الشيق، والتي تصنع هذا العالم المليء بالحكايات والإشاعات... ولقد برع ألتمان حقًا بالتقاط جوهر هذا العالم، وركب فيلمًا مسليًا سريع الإيقاع، خاليًا من الملل، محكم السيناريو، مشوق لحد ما ومليئًا باللقطات الجميلة الأنيقة والمفارقات الكوميدية المضحكة، وتكمن المفارقة اللافتة في أنه بالرغم من أن جميع الأبطال يتحدثون مع بعضهم البعض، إلا أنهم لا يتحاورون أبدًا (تمامًا كالطرشان)! فالكل يتحدث عما يرغب ويريد ولا يترك مجالاً للتفاهم والتجاوب والتفاعل الإنساني... ثم هناك اللمسة السحرية للمخرج ألتمان: فهو يركز كعادته على الإحساس الجغرافي بالمكان، فهو ينقلنا لباريس وصخبها الرائع، ويدخلنا ببراعة لقلب المدينة وأروقتها الراقية-الباذخة، حيث تدور الأحداث وتكاد تمثل جزءًا مترابطًا من معالم المدينة المشهورة.

سينما ألتمان في اعتقادي تشبه لحد كبير أدب الأمريكي بول اوستر (الذي كتب عدة روايات أثناء إقامته بطنجة في المغرب) ، ما يسمى بالواقعية الصريحة الفاضحة التي تكاد لا تخفي شيئًا والتي تمل بُعدًا فلسفيًا مجازيًا كامنا، حيث تتحول الجغرافيا المكانية لتصبح جزءًا عضويًا مهمًا من الحدث ذاته، وكما قال الباحث الشهير "بشلار" في كتابه جماليات المكان: إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها ، يحتوي على الزمان مكثفًا أو مضغوطًا، وهذه هي وظيفة المكان! وحتى نشعر بصحة هذه المقولة الفلسفية لنحاول ببساطة تذكر أحداث مرَّت بحياتنا معزولة عن بعدها المكاني ، فالحنين للمكان هو جزء لا ينفصل عن التسلسل الزمني للأحداث الحياتية، من هنا تنبع قيمة الديار والأوطان!

لن أحمِّل هذا الشريط الممتع أكثر مما يحتمل، ولكني لا أبالغ إن قلت إنه يقصد أن يصدم المتفرج العادي وربما الناقد أيضًا بمظاهر الثراء الباذخ والفاحش ، مركزًا على تفاهة وسخافة الشخصيات التي تلهث وراء المال والجنس والشهرة، وكأنه يشير مجازًا لعالم خفي آخر غير متوازن، تنهشه المجاعات والحروب والانتفاضات المسلحة والكوارث، كما التفاوت الرهيب في توزيع الثروات والفرص بأنواعها.

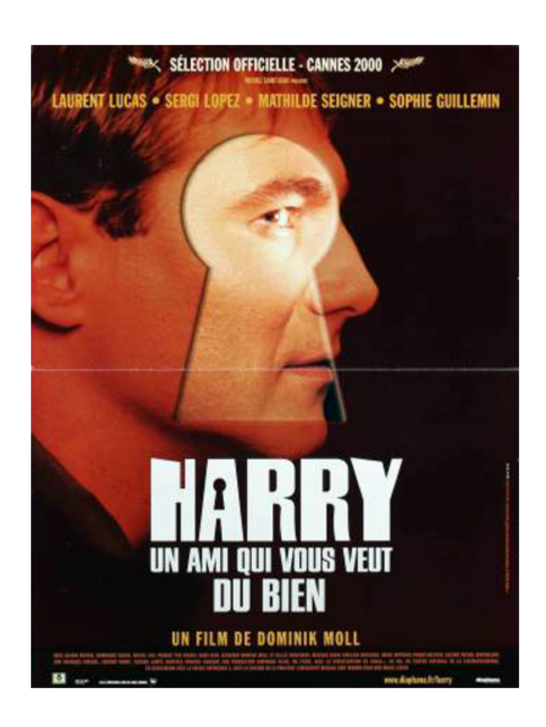
لقد قُدِّم هذا المضمون العميق المجازي ضمن إطار جمالي بالغ الشفافية فيه إمتاع للحس والذوق... ولكنه للأسف لم ينجح تمامًا في إيصال رسالته الفنية الإبداعية ، فالفيلم لم يحظَ برضى النقاد ولا عامة الجمهور ، بالرغم من تضمينه اللافت لدقيقتين كاملتين من العري النسائي الخالص ، وذلك باستعراضه لمشية عارضات عاريات تمامًا يتمخترن بمشية "القطة" في خاتمة الشريط!

(٧)

هـاري : الملاك القاتل : هيتشكوك بالنكهة الفرنسية

(الفيلم الحائز على السعفة الذهبية بكان ٢٠٠٠)

احذر "الشر الغامض" المغلف بالكرم والمظاهر اللطيفة!



يلتقي ميشال (لوران لوكا) بصديقه القديم هاري (سيرغي لوبيز) بالصدفة في أحد المراحيض العامة، وسرعان ما يقحم صديق أيام الدراسة نفسه بحياة ميشال تدريجيًا، ويبالغ بإظهار الود والكرم فيشتري لصديقه القديم سيارة جيب عصرية جديدة بدلاً من سيارته القديمة التي تتعطل باستمرار، كما يقنعه بمواهبه القديمة ويحفزه للمباشرة بإنجاز كتاب كان قد باشر بكتابته عندما كانا طالبين، ويستمر بتماديه وتسلطه فيقنعه أخيرًا أن زوجته وبناته

الثلاث الصغيرات لسنَّ سوى عبء كبير على حياته ، نظرًا لأن القلق المستمر الذي يعاني منه ميشال ناتج للضغوط التي يتعرض لها من عائلته المزعجة! هذه هي الثيمة الغريبة التي يستند لها المخرج الألماني–الفرنسي دومينيك مول بفيلمه الغريب "هاري صديق يريد الخير لكم"، ساعيًا لأحداث انقلاب بالقيم والعواطف بحياة صديقه القديم ليفتح المجال لطريق الجحيم أمام العائلة الوديعة محرضًا ومدمرًا لوجودهم الآمن المستقر.

فيلم مدهش "بنفس تشويقي هيتشكوكي" واضح ، ومتجانس فنيًا من حيث براعة السيناريو والإخراج والتمثيل: إنه بمثابة خلطة فريدة تجمع ما بين الكوميديا السوداء والرعب والجمال والتشويق ، فهاري "المتطفل" يجسد النزوة البشرية المتوحشة المخلوطة بالعبث والتحريض، ويبدو كرجل مستقل لا يعتمد على أحد ، بينما يكمن شيطان داخله يدفعه للحقد والحسد والتدمير، وعلى النقيض يمثل ميشال الرجل لمنعزل الشكاك والمسكون بوسواس قاهر وبطاقة سلبية كامنة تزدحم بالأفكار المزعجة، ولا يهدأ حتى يدمر حياته العائلية التي توفر له الاستقرار والأمان والحب، حيث ينجح صديقه "الملاك المدمر" بدفعه لحافة الهاوية وتدمير عائلته.

هذا الفيلم يُحدث صدمة مزعجة بوعي المشاهد بالرغم من متعة مشاهدته، بالرغم من كونه لا يخلو من الأفكار السوداء المرعبة، وببساطة لأن المخرج العبقري مول يثير مسائل الانفصام والتناقضات والهواجس السوداء الغامضة بالعلاقة المعقدة بين هاري وميشال ضمن إطار استحواذي يجمع ما بين الانبهار والاشمئزاز ، ويقودك ببراعة لكي تعيش المعاناة حتى تكاد تتفاعل معها بوعيك وحسك كمشاهد حيادي!

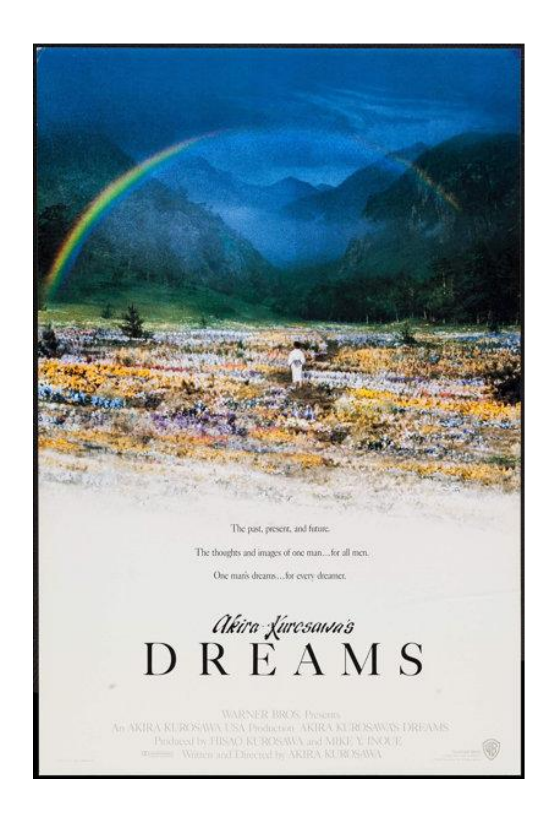
هذا الفيلم هو أكثر من مخيف ومقلق ومرعب بل هو استحواذي بكل معنى الكلمة ، بل يكاد يتفوق على أفلام هيتشكوك النفسية لأنه أخذنا كمشاهدين

لمناطق وحدود سيكولوجية جديدة نادرًا ما تأخذنا السينما إليها ، وتجاوز صبغته "التشويقية–الترفيهية" ليتحول إلى تحفة سينمائية "سايكو–اجتماعية" بجدارة يستحقها : من هنا نفهم تعصب لوك بيسون (كرئيس للجنة التحكيم بمهرحان كان للعام٢٠٠٠) وتصويته له لكي ينال جائزة السعفة الذهبية!

(٨)

أحلام "كوروساوا" الثمانية (١٩٩٠)

أسلوبية "مسرح الكابوكي" في عروض سينمائية مدهشة تشمل: احتفال الثعالب وبستان الخوخ ولوحات فان جوخ الخلابة والتسلق الجليدي والعسكرة والإشعاع النووي وطواحين المياه



الحلم الأول واسمه "الشمس تشرق من خلال السُّحب"، يبدأ الحلم بوجود طفل صغير أمام منزله مع بداية عاصفة مطرية، وتحذِّره أمه المنشغلة بتحريك الأشياء من الخروج، ولكنه يصر ويخرج ليستعرض احتفال الثعالب في الغابة بموسم التزاوج، ولكنها لا تريد للفتى الصغير أن يراها، وعندما يختبئ ويشاهدها خلسة من وراء أشجار حمراء ضخمة، عليه أن يطلب

الغفران أو يقتل نفسه بسيف صغير خاص... يسجل "كوروساوا" هنا المشاهد بلقطات طويلة ويشعرنا بالمطر والغابة والاحتفال، مسجلاً غموض الطبيعة الساحر مع إحساس غامض بالأرواح المحيطة!

الحلم الثاني وهو بعنوان "بستان الخوخ"، يستعرض بجمالية فائقة أرواح الأشجار الغاضبة وتزهيرها البراق الربيعي، التي بدت وكأنها تلوم الصبي لحياديته تجاه جمالها الصارخ الطبيعي، وتضمن المشهد تشكيلات فولوكلورية تاريخية زاهية لقدامى أباطرة اليابان.

الحلم الثالث يتحدث عن عاصفة ثلجية عاتية تواجه أربعة متسلقين يائسين، حيث تشتد ويدب الخوف واليأس بنفوسهم، حتى يسود الانجماد والصقيع، ثم تظهر فتاة كملاك أبيض وتبشرهم بقرب انقشاع العاصفة وبجو دافئ قادم، ثم تطير وتختفي كشبح بعد أن تحوم فوق رئيسهم لتشجعه على المقاومة، ويدفعه ذلك لكي يوقظهم من الاستسلام والنوم والانجماد القاتل، ليشاهدوا بمعجزة قرب مخيمهم الذي لا يبعد إلا بخطوات عن موقعهم، ليدب الأمل في نفوسهم!

الحلم الرابع بعنوان "النفق"، يتحدث عن جنرال تائه يدخل نفقًا مظلمًا ليواجه بكلب شرس أسود مدجج بالقنابل حول جسمه، ثم يفاجئ بظهور أشباح أعضاء كتيبته العساكر القتلى واحدًا تلو الآخر، وكأنهم عادوا من الموت، يطالبون بالغفران لأنهم أُبيدوا في المعركة عن بكرة أبيهم، ويخطب فيهم مشيدًا ببطولاتهم وتضحيتهم، متحسرًا على خسرانهم لحياتهم الثمينة مقابل "العسكرة الخائبة"، ثم يطلب منهم العودة للرقاد الأبدي في مارش عسكري حزين!

الحلم الخامس "الغربان" يستعرض الرسومات الخلابة الزاهية للفنان الهولندي الشهير "فان كوخ"، ومن ضمنها لوحة أخيرة بهذا العنوان، وقد مثل الدور

بشغف واستحواذ المخرج الأمريكي الشهير "مارتن سكورسيزي" ، ونرى الراوي الياباني الهادئ السلوك يتبعه لاهثًا وراءه وهو يرسم بسرعة الحقول والمشاهد الطبيعية ، وكأنه يسابق الزمن ويقاوم الموت الأبدي القادم مبررًا بعبارات غامضة سبب إقدامه على قطع أُذنه في نوبة جنون إبداعي ، وبدا "الراوي" وكأنه يسير على لوحات الرسام الشهير الفائقة الجمال والخلابة الألوان والمذهلة التشكيل.

الحلم السادس يتحدث عن انفجارات نووية مفاجئة تضرب جبل "فوجي" الشهير ، ونعلم من المسؤول البيروقراطي المتحذلق الذي يغلبه الشعور الطاغي بالذنب ، أن ستة مفاعلات نووية قد انفجرت بدون أنذار مسبق ، ونرى جموع الناس يهرعون بهلع للنجاة بأنفسهم ، وتركز المشاهد على أم مرعوبة مع طفلين صغيرين ، ثم نرى المسؤول يقدم على الانتحار بقذف نفسه في المحيط، بعد أن يتحدث بالتفصيل عن تداعيات ومخاطر الإشعاعات النووية (بعد حوالي أربع سنوات من كارثة تشيرنوبل الشهيرة التي هزت الثقة بسلامة المفاعلات النووية)، وهنا لابد ان نتذكر بألم أيضًا كارثة مفاعل "فوكوشيما" بالعام ٢٠١٠!

الحلم السابع وعنوانه "الشيطان الباكي" ، ويتعرض لنفس ثيمة التأثير الإشعاعي القاتل ، حيث يؤدي ذلك لتشوه الطبيعة وتضخم الزهور ثم لتحول الناجين لشياطين مرعبة بقرون ، تقضي حياتها وهي تتعذب وتعاني وتأكل بعضها بعضًا في بؤس أبدي خالد!

الحلم الثامن الأخير وهو بعنوان " قرية طواحين الماء"، ويحوي بصيص أمل وانفراج ويستعرض الحياة الوديعة الهانئة لقرية ريفية تحوي عددًا كبيرًا من "طواحين الماء" ، وينقلنا للأجواء الزراعية الخلابة والزهور البديعة ، حيث نسمع عجوزًا تجاوز المائة بقليل وهو يتحدث للراوي عن روعة الحياة

الطبيعية البسيطة بعيدًا عن صخب المدن وتلوثها ، ونراه منغمسًا بإجراء الصيانة الوقائية لطاحونة مائية متهالكة، ثم يستعرض طبيعة السكان البسطاء الطيبين اللذين يحتفلون مع موسيقى معبِّرة بجنازة امرأة عجوز توفيت في الــ٨٨ من عمرها ، ونسمعه يعتذر ليواكب الاحتفال الطريف ، وبأسلوب "حمال أوجه" يسخر أخيرًا بدعابة من موت المرأة العجوز ، شامتًا بها عندما يذكر أنها حطمت في السابق قلبه عندما كان شابًا عندما فضلت عليه شابًا آخر ، ولكنه يؤكد لصديقنا الراوي المندهش بأنهم بالمقابل يحزنون تمامًا بحالة وفاة الشباب والأطفال ، وهو ربما يشير مجازًا هنا أيضًا "لظاهرة الشيخوخة المستفحلة" بالمجتمع الياباني وتداعياتها المستقبلية الخطرة!

استخدم كوروساوا الأحلام هنا للتعبير الخلاق عن تداعيات طفولته المنقضية وارتباطه الحميم بالطبيعة اليابانية الساحرة ، كما حاول بمجاز ذكي فض مكنونات نفسه وتوصيل "الرسائل التحذيرية" ، وعبر انطباعاته المتراكمة عبر السنين ، فتحدث عن تداعيات الكارثة النووية المرعبة وعن مخاطر المفاعلات النووية ، وكأنه استبصر بحكمة كارثة "فوكوشيما" قبل حوالي عقدين من وقوعها... ثم تطرق للعسكرة التي جلبت الكوارث للأمة اليابانية، ولم ينسى سحر رسومات "فان جوخ" وأنهى شريطه الفريد هذا بالحديث عن روعة العودة للطبيعة وبساطة العيش.

الكثير من اللقطات الشيقة تذكرنا بفن المسرح الياباني البطيء الراقص "كابوكي" وتشكيلاته اللونية الإيقاعية الأخاذة ، متضمنًا تفاصيل الحركة والميكاب والمكياج ونظرات العيون والإيقاع الحركي الراقص البطيء والاحتفالي الفريد ، أخيرًا فقد قدم لنا هذا المخرج العبقري في أواخر أيامه فنًا سينمائيًا استحواذيًا ، جامعًا البساطة بالتعقيد وطارحًا وجهات نظره "الاستبصارية" (الفلسفية) المختلفة.

أسرار الإبداع السينمائي عند الياباني "أكيرا كوروساوا" كما وردت في كتابه دروس مجانية في الإخراج لدى أسطورة السينما اليابانية : "عرق الضفدع"



- الاعتراف بفضل المعلمين الكبار وتقديرهم
- الدقة والبساطة والصراحة والذاكرة الحية واللمسات الإبداعية ودور المخرج.
- تأثير السيناريو وطريقة إدارة الممثلين والانتماء للكرة الأرضية.
- مشاهدة التحف السينمائية القديمة ، من أيام السينما الصامتة.
- كوروساوا بمواجهة الماركات التجارية اليابانية العالمية التي تخنق "ذاكرة الإنسان المعاصر"!

عرض شيق مفيد لأهم فقرات الكتاب:

- يموت أكيرا كوروساوا (إمبراطور السينما اليابانية وشاعرها الكبير دون منازع) في العام ١٩٩٨ بعد صراع طويل مع المرض.
- فيلم "الساموراي السبعة" (١٩٤٥) هو مجرد دعوة للتأمل في لعبة الحياة بواقعها ومتخيلها.
- ربما يعد فيلم "راشمون" بعُرف البعض تحفة نادرة من القرون الوسطى، بمزيج درامي ذي نكهة "أكزوتيكية" بحتة.
- *أما "كاغيوشا"–ظل المحارب ١٩٨٠، فهو تراجيديا تاريخية متأملة في سحر السلطة، كما أن فيلم "دودسكادن"(١٩٧٠)، فهو لا يحمل نظرة جوانية لما تخفيه النفس البشرية، ان عرفنا ظأنه فيلمه الملون الأول.
- *كوروساوا يترك لنا في "عرق الضفدع" ما يشبه السيرة الذاتية، كما يكشف لنا أسرار أفلامه اللاحقة وطريقة إخراجه، حيث الكتابة عنده تحفل بالغموض ذي النكهة اليابانية أحياناً، كما بالبوح التفصيلي لأدق ذكريات طفولته ونشأته.
- *الكتابة عند كوروساوا تذكره بالغموض الياباني، وتشبه الضفدع "المسكين" المتروك في علبة محاطة بداخلها بالمرايا التي تعكس له تشوهات صورته وتعددها، فيفرز خائفاً حينئذٍ "العرق" الذي قد يتحول إلى "نقيع مغلي"، يساعد على مداواة الجروح والحروق!
- إذا كنت بحاجة إلى سيف، فخذ إذن هذا السيف المصقول، سيف "التنين الأسود"، إذن فأنت تريد أن تشرب الحكمة ذاتها... إذن، اقرأ لـــ"لدزورو" الربيع والخريف!

- صدرية "الكيندو" وصندلي الخشبي، استخدمتهما في أول فيلم لي "سانشيرو سوغاتا" ، لأظهر ارتقاء البطل في طريقه لإتقان "الجودو" ، وقد استخدمتهما لاواعيًا ، فاللاوعي يعمل على تحفيز الخيال ، باستيلاده من الذكريات.
- "مهما تعاليت، سيأتي من هو أعلى منك"، فالضفدع في البئر لم يسمع عن المحيط!
- إنها ظلامية الروح الإنسانية.
- عندما يغمض الإنسان عينيه أمام الأشياء المرعبة، فإن الخوف يتملكه من الداخل، وإذا ما رأيت كل شيء بعينين مفتوحتين، فلن تخاف أبدًا!
- وفي السينما ، التقيت المخرج "كادجيرو يأماموتو" ، الذي فتح لي أبواب اللغز-السينما ، وجون فورد ، التفت لي أيضًا ببصيرته النفاذة، وأعطاني دفعًا معنويًا كبيرًا للتقدم ، وأضم إلى هذه القائمة أسماء خمسة مخرجين يابانيين كبار راحلين (وقد ذكر أسماءهم) ، وعندما أتذكرهم ، أحس أني أريد أن أصرخ من كل قلبي: أوجه لكم الشكر ، أيها المعلمون المحترمون الذين نمجد ونحب... لكن أحدًا منهم لن يسمعني الآن!
- أنا مثلاً في أي بلد أحل به لا أحس نفسي غريبًا عليه رغم أنني لا أعرف لغة أجنبية واحدة، فالكرة الأرضية هي مسقط رأسي... ولو رأى البعض المآسي التي ترتكب بحق البشرية في هذا العالم ، لتوقفوا عن الزعم بخصوص "مسقط الرأس".
- مجرد أن تعيش فهذه هي الإثارة بحد ذاتها.
- شاهد حوالي مئة فيلمًا أجنبيا مميزًا من إنتاجات الأعوام ما بين ١٩١٩ وحتى العام ١٩٢٩ لكبار المخرجين العالميين كسيسيل دي ميل ، ديفيد غريفث ، سيرغي ايزنشتاين ، رينوار ، جوزيف فون شتيرنبرغ ، لويس بونويل، وآخرين غيرهم.

- أصبح شقيقه الأكبر (الذي انتحر في الثلاثين من عمره) مفسرًا للأفلام الصامتة، لا يتقن حرفته وحسب، بل حاول المشاركة في الحدث وتقديم ما يحدث على الشاشة فنيًا (ربما بنفس أسلوبي الانطباعي الفريد بنقد وتحليل الأفلام).
- بدأ عصر السينما الناطقة، وسأظل أذكر بعض الأفلام التي شاهدتها في تلك الأيام: كل شيء هادئ على الجبهة الغربية/ تحت سقوف باريس/ الملاك الأزرق/ وأوبرا القرون الخمسة، حيث أن ظهور الأفلام الناطقة قد وضع حدًا للسينما الصامتة، ومعها ولَّى دور المفسرين. (ص.١١٦)
- المخرج هو آمر الخطوط القتالية، وله أن يتملك التكتيكات الحربية، وعليه أن يعرف كل أصناف القتال.
- إذا أردت أن تصبح مخرجًا فتعلم أولاً كتابة السيناريو (ص.١٤٣)... أن يكتب المرء صفحة واحدة كل يوم، فإنه يستطيع أن يكتب سيناريو من ٣٦٥ صفحة على مدى عام.
- المونتاج هو الملامسة الأخيرة للفرشاة، وهو شيء آخر أيضًا، هو بث الحياة في الشريط السينمائي. (ص.١٤٤)
- حتى يصبح المرء مخرجًا، ينبغي له أن يجيد إدارة الممثل، وكل شيء يحدث في موقع التصوير، وهذا أقل شيء يفعله حتى يتمكن من صنع الفيلم... ثم عليه إعطاء التعليمات الضرورية لطاقمه خلف الكاميرا: الإضاءة، الصوت، الديكور، الأزياء الاكسسوارات، الماكياج، وفي الوقت نفسه أن يتولى إدارة الممثلين. (ص. ١٤٥)
- إذا حاول المخرج إرغام الممثل على الشيء الذي يرغب به، فإنه سوف يحصل على نصف النتيجة، ولكن إذا دفعه في الاتجاه الذي اختاره الممثل نفسه، فإنه سوف يحصل على اضعاف ما بداخله من انفعالات. (ص١٤٦)

- كيف ستفسر لي نظريًا اختيارك لهذا المكان للتصوير بالضبط ؟ أجبت بلامبالاة وملل: أنا متعب، ولا أرغب بأن اتحرك من مكاني قيد أنملة – أجبت بهدوء. (١٥٠)
- وتحت رحمة جبل "فوجي" صورنا طيلة النهار فوق الثلوج التي تتطاير مع هبات الريح، فتزداد لسعاتها، وكانت أيادينا ووجوهنا تتشقق لهطول هذا البرد. كنا ننطلق صباحًا قبل أن تشرق الشمس، وما أن نصل القمة حتى تكون الأشعة قد تسللت للتو. (١٥٥)
- مشهد سينمائي "جدلي": "بوابة المصنع مفتوحة على مصراعيها، تلتهم القادمين إلى عملهم من العمال الشبان. (١٦١)
- الشمس تساقط بأشعتها، والقمر يتقل في السماء، والنبع يتجلل بضباب غامض، فإذا ما أحسَّ أحد بأن اللوتس يتفتح في الليل، فإن هذا نذير شؤم. (١٧١)
- آه في الذهاب سرور، وفي العودة رعب وشرور. (١٧٣)
- قصص مع تأثير الرياح: عندما صورت "الكلب المسعور" هب إعصار مدمر، أتى على الديكور كله، وفي جبال "فودجي" أثناء تصوير "ثلاثة أشرار في القلعة المخفية"، هبت علينا عواصف دمرت الغابات التي اخترناها للتصوير، حيث امتد برنامجنا من عشرة أيام إلى ثلاثة أشهر. (١٧٤)
- عندما يتكون لدي إحساس بأنني انتهيت، اصور مرات أكثر من المادة التي صورتها في الواقع، عندئذٍ أشعر بأنني اكتفيت... (١٧٤)
- من التقليدي في اليابان أن يخضع المخرج لامتحان كي يتم تصنيفه في قائمة المخرجين...(ملاحظة من كاتب المقالة: فهل يتم خضوع المخرجين لامتحانات بعد التخرج في عالمنا العربي كما هو الحال مع الأطباء؟)
- السمكة تقترب مرة واحدة فقط من الصنارة نفسها. (١٨٠)

- التقيت قتلة وسفلة وقذرين ، والغريب أن وجوههم كانت عادية جدًا ، وهيئاتهم مريحة للنظر ، وكلماتهم مقنعة ومزوقة... (١٨٣)
- ولو أن الإمبراطور دعا في خطابه إلى الموت البطولي، لوضع الناس في الشوارع حدًا لحيواتهم بالسيوف المسلولة من قرابها ، فنحن ربينا على إنكار الذات. (١٩٠)
- فيلم "ياماسان" يتحدث عن الأسواق السوداء، التي نبتت مثل شجر البامبو بعد هطول مطر شديد ، وتفتحت في حواليها منظمات الإجرام "ياكودزا". (٢٠٥)
- أردت من هنا أن أعاين ظاهرة "ياكودزا" تحت المجهر ، والمناخات التي يترعرع فيها أفراد عصابات الإجرام ، رجال المافيات ، ما الذي يعنيه العنف الذي يتفاخرون به لهم. (٢٠٥)
- اخترنا هذا المكان في طرف المدينة ، وهو حفرة ضخمة مليئة بالمياه الآسنة، والحشرات المستنقعية، لها هيئة التقرح، والمرض الذي ينهشها، ومعنى هذه الشرور يتوضح أكثر في وعينا. (٢٠٥)
- فيلم "المبارزة الصامتة" لم يكن مفهومًا من الجميع، لأني أنا نفسي لم أكن على دراية كاملة بالمشكلة التي يبحثها، ولم أكن قد أحطت نفسي بالوسائط التعبيرية الملائمة والمساعدة. (٢١٧)
- موباسان" قال لي: "لتحل نظراتك إلى حيث لا تصل نظرات أحد غيرك... وابق واقفًا في مكانك، تحدق في ذلك الشيء حتى يتوضح، ويصبح قريبا من الجميع". (٢١٧)
- أنا مقتنع بأنني أصبحت مخرجًا ، لأن هذه المهنة إما أن تكون عقابًا ، أو مكافأة على شيء أنجزته في حياتي الماضية!

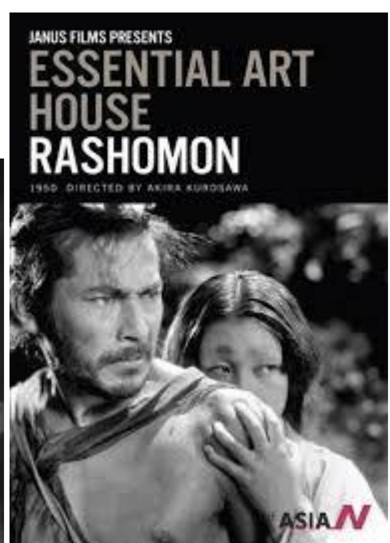
- لكن نفس الممثل "ميغوني" سلب الألباب بأدائه لدور مختلف عن سابقيه... حتى أن مظهره العام قد تغير ، ومثل دور البطل التراجيدي بطريقة أذهلتني. (٢١٢)

▪ سيناريو فيلم "الكلب المسعور"

• أخذتُ الرواية، وقرأتها من جديد، كانت تبدأ هكذا: "هذا اليوم هو الأشد قيظًا في الصيف كله"... هذا ما أريد، قلت لنفسي، وقررت البداية بطريقة أخرى: لقطة قريبة لكلب يدلف لسانه أمامه، ويتنفس بصعوبة، يسمع صوت الراوي "هذا اليوم الحرارة فيه لا تطاق"، ثم لوحة تحمل عنوان "دائرة البوليس الأولى": – ماذا؟ سرقوا مسدسك؟، ثم يرفع المسؤول جسمه بتثاقل من وراء مكتبه، فيما يقف التحري أمامه...

بعد أن ولفت المادة المصورة بهذا التتابع، حصلت على بداية مبشرة للغاية، لكنها مؤثرة: فالدراما موجودة الآن أمام المشاهد، ويمكن له أن يتحسسها بالطريقة التي يريد، مشاهد الكلب المختنق سببت لي متاعب جمة، لا تحصى، فقد شاهدتنا أمريكية تنتمي لجمعية الرفق بالحيوان ولم تصدقنا، فقد أخذنا الكلب من حظيرة الكلاب، وراعينا "إرضائه وتدليعه وماكياجه"، ليصبح منظره وحشيًا ملائمًا للتصوير، وما أن كان يدلق لسانه ويلهث حتى نباشر بتصوير المشهد، وهكذا... (ص.٢١٨).

▪ عن خفايا إخراج فيلم "راشمون" : (الفلسفي)"





• بنينا ديكورًا عملاقًا ، وقد شيدنا فقط نصف بوابة بشكل تاريخي مهيب ، ومع ظهور السينما الناطقة ، نسينا جماليات السينما الصامتة وأسلوبها الفذ بالتعبير وقد كان "راشمون" بمثابة حجر "البروفا" للعودة إلى نبع ورونق السينما الصامتة التي افتقدناها ، وفي محاولتي لتفسي السيناريو للمساعدين ، قلت لهم بأن الطبيعة الإنسانية هكذا ، فالإنسان مغلق أمام ذاته ، حتى عندما يتحدث عن نفسه... فهو لا يستطيع ، ولا يود العيش دون كذب ، ثم لاحظت ان هذه الميزة الإنسانية مفقودة بعمق في السيناريو ، وأنهيت محاضرتي بالقول : "خذوا العالم الداخلي للناس ، فهو بحد ذاته أحجية ، ويقينًا سوف تفهمون الفيلم".(ص./٢٢٦/٢٢٧/٢٢٨/٢٢٩)

• بدأنا التصوير بالقرب من (تارا) والغابة كانت مليئة بالقراد الذي كان يعلق بجسومنا، ويمتص دماءنا، ولم يكن سهلاً أن ينزعه المرء عن جلده، وحتى لو نجح، فان المكان الذي علق به يظل محمرا لفترة طويلة، ثم يظهر المطر الصناعي على مستوى ارتفاع البوابات، وهمي الأول كان أن تبدو البوابة حقيقية ، وهنا ساعدتني مراقبتي واستطلاعاتي الدائمة لبوابات المعابد البوذية.(ص.٢٢٨/٢٢٩)

• والمشكلة التي صادفتنا، كانت لالتقاط الشمس بالكاميرا، فهي الشمس التي تبعث لنا الضوء وتولد الظلال، فلعبة الظل والضوء هي الوحي الأساسي في الفيلم، لذا قررت ان اصور الشمس نفسها، وخلال الأعوام المنصرمة، أصبحت عادة توجيه الكاميرا نحو الشمس، عادة طقوسية، يا للروعة! فقد دخلت الكاميرا بين الأشجار، وفي عالم الضوء والظل، في أعماق الروح الإنسانية، وفيما بعد، فقد قالوا في مهرجان البندقية، ان الكاميرا في هذا الفيلم تتغلغل في أعماق الغابة بطريقة خلاقة... في اللحظة التالية، حدثت المعجزة، فقوينا الموسيقى من جديد، وانسابت مستمرة، لتتطابق مع المشهد "بهارمونيا" منسجمة، وولدت عندي اضطرابا غريبا، وإحساسا بالخوف، لا ادري كنهه... وأخيرًا نال "راشمون" جائزة "الأسد الذهبي" في مهرجان البندقية، وقد أصبح حجة لدي لكي اغوص ثانية في الجوانب الخفية من النفس البشرية.(ص.٢٣٠-٢٣٣)

• فيما بعد حصل هذا الفيلم على جائزة أفضل فيلم أجنبي من الأكاديمية الأمريكية للفن السينمائي، لكن الصحافة النقدية اليابانية عدت ا اسباب منح الجائزتين (اكزوتيكية) بحتة تتعلق بطبيعة علاقة الشرق والغرب... ولقد

سبب لي هذا التفكير الإحساس بالمرارة. فلماذا اليابانيون لا يقدرون وا هو ياباني؟ ولماذا ننحني أمام كل ما هو أجنبي؟(ص.٢٣٣)
(ملاحظة من كاتب المقالة : فليس العرب وحدهم الذين يملكون هذه العقدة أمام الإبداع الأجنبي؟!).

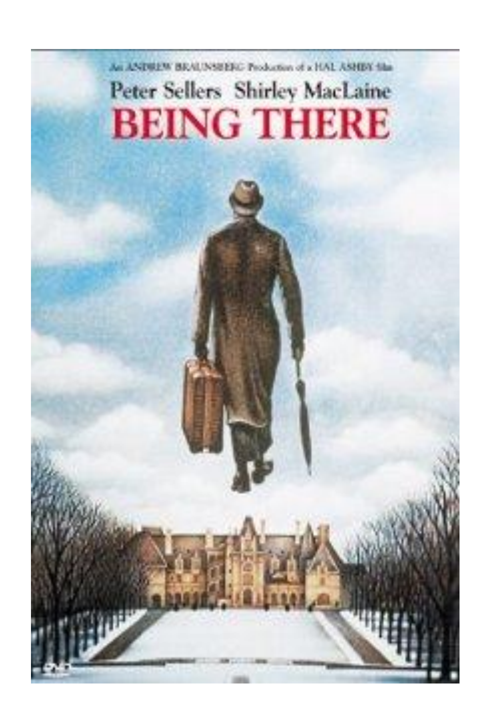
• ثم رأيت على الهواء مباشرة تلك اللعبة التي حاولت أن أكشفها في الفيلم: فمن الصعب على الناس أن يقولوا الحقيقة عن أنفسهم... وأخيرًا فقد أصبح "راشمون" البوابة التي خرجت منها إلى العالم الفسيح كسينمائي، فأنا موجود مع كل هؤلاء الأبطال بكاملي... ولا شيء في العالم يمكن أن يكشف المبدع مثل إبداعاته نفسها...لا شيء إطلاقا.(ص.٢٣٣/٢٣٤)



(٩)

التواجد هناك (١٩٧٩)

دراما كوميدية حافلة بالمضامين الفلسفية



(عندما لا أمثِّل أصبح لا شيء) ... "بيتر سيلرز"

يعيش شانس (بيتر سيلرز) بالبيت الريفي لرجل عجوز ثري ومريض بجوار واشنطن، إنه بسيط العقل والتفكير، وقد عاش حياته كلها بهذا المنزل، حيث كان يعمل كحدائقي مطيع ومخلص، وتنحصر كل معرفته بالحياة بما يشاهده يوميًا على جهاز التلفزة، حيث يقوم أحيانًا بتقليد الحركات ميكانيكيًا...

وعندما يموت مستخدمه؛ يُجبر "شانس" على مغادرة المنزل واكتشاف العالم الخارجي. وبينما كان يتجول تائهًا بلا هدف مرتديًا ملابس قديمة باهظة، يمرّ بالصدفة على محل بيع أجهزة التلفزة فينبهر، ويشاهد نفسه عَبْر كاميرا المحل، ثم يتراجع عندئذٍ مذعورًا حيث تصدمه حينئذٍ سيارة فارهة يملكها رجل أعمال ثري اسمه راند (الممثل ميلفين دوغلاس)، وتبادر زوجته الجميلة ايف التي تجلس بالمقعد الخلفي (شيرلي ماكلين) لتوصيله لمنزلها لمعالجة الرضوض البسيطة التي أصابته للتعافي... حيث يقوم بشرب الكحول بالسيارة الباذخة لأول مرة بحياته، وتتوقع ايف من هدوء تصرفاته وملابسه الفاخرة، أنه ربما "رجل أعمال" من الطبقة العُليا عندما تفهم اسمه بالخطأ... كذلك فهي تفسِّر أقاويله حول الحدائق والطقس وكأنها حِكم مجازية بليغة، ولا تفهم أنها تعكس واقع عمله اليومي المتواضع.

هكذا يحوز بفضل صمته الغامض وأقواله المكررة على ثقة السياسي الكبير (جاك واردن) وتتحول مقولاته لحِكم حياتية واقتصادية وسياسية... ويتقدم "شانس جاردنز" الذي يصبح اسمه الرسمي ويصبح من مشاهير الإعلام والميديا والتلفزة، وتتم استضافته ببرامج الحواريات الاستعراضية المتلفزة ويقفز بسرعة لواجهة مجتمع واشنطن المنافق... ولكنه يبقى شخصية غامضة حيث لم تفلح أجهزة البوليس السرية (إف بي آي) بالإطلاع على ملفاته وتاريخه الحقيقي، كما ينال بسرعة إعجاب الرأي العام بآرائه البسيطة المجازية المعبِّرة...

ثم تحاول "شيرلي ماكلي" إغرائه جنسيًا ولكنها لا تفلح، لأنه يبدو كالطفل الذي يقلِّد الأوضاع التي يشاهدها على جهاز التلفزة لا غير! وقبل أن يموت "راند" بالأنيميا الحادة، وينصح زوجته ايف بالبقاء قرب "شانس" والحفاظ عليه بالمنزل.

وفي جنازته الفخمة المهيبة وبينما كان الرئيس يلقي كلمة عزاء ووداع، كانت الإشاعات تدور بين الحضور حول فرصة نجاح شانس بأن يصبح خلفًا للرئيس الأمريكي.

ونرى في المشاهد الأخيرة شانس وهو يتجول بمهابة بأرجاء وممتلكات راند وحدائقه متمكنًا من السير فوق البحيرة ماشيًا، وكأنه يحقِّق معجزة عصية على التفسير لإبهار الحضور... وتبدو هذه اللقطات بالغة الدلالة وغامضة وكأنها تفسِّر معجزة وصول شانس لقمة الهرم السياسي والاجتماعي بتلقائيته وسذاجته "وكاريزميته" الغريبة.

وربما تُركت هذه المشاهد السينمائية الأخيرة بلا تفسير بقصد لكي تحرك مخيلة المشاهد وتصيبه بالذهول والدهشة.

صُنفِت هذه التحفة السينمائية كواحد من أحسن مائة فيلم أمريكي، ورُشح "بيترسيلرز" لجوائز الكرة الذهبية والأوسكار، ولكن داستن هوفمان سرق الأوسكار منه بفيلمه اللافت "كرامر ضد كرامر".

أبدع "سيلرز و أشبي" مع باقي فريق التمثيل، وقدَّموا هنا عملاً سينمائيًا خالدًا لا يفقد بريقه مع مُضي عشرات السنين.

(١٠)

أن تصبح "جون مالكوفيتش" (١٩٩٩)

جنون الشهرة وهيستيريا الكاريزما



يبدو هذا الفيلم الكوميدي الممتع والفلسفي العميق من إخراج "سبايك جونز" وكأنه أشبه برحلة سريعة ومسلية في عالم سيريالي غير معهود... فهذا الفيلم المبتكر لا يسعى لإيصال أية رسائل واضحة، بل للغوص بتناقضات البشر والتركيز على نقاط ضعفهم تجاه "الشهرة والكاريزما"، وتبدو فكرته استباقية في حينه، ولكن الأمر قد استفحل حاليًا ، حيث نرصد الكثير من الممارسات الجامحة بطريقة التعامل مع النجوم المشهورين و"الكارزميين"، وقد ساعدت الدعايات ووسائل الميديا المختلفة والفضائيات والإنترنت والفيسبوك واليوتيوب على تغول هذه الظاهرة ؛ بل على الترويج لها!

تدور قصة هذا الفيلم الغريب حول سعي الناس لعشق الشهرة بواسطة دفع مبلغ محدد من المال، بغرض الدخول لعقل الممثل والمخرج المعروف "جون مالكوفيتش" ولمدة ١٥ دقيقة فقط، وذلك ربما استلهامًا لمقولة مشهورة للفنان الأمريكي الراحل أندي وارهول"، تطرَّق فيها لعصر التلفزيون وهيمنته على العقول.

يبدو بطل الفيلم كرايغ (جون كوساك) كشخص فاشل وعاجز عن تحقيق أحلامه وطموحاته بالعمل والحياة، كما أنه يعاني من الإحباط وعدم التفاهم بحياته الزوجية، فهو متزوج من لوت (كاميرون دياز) التي تهتم بالحيوانات لدرجة "مرضية وسواسية وشغف قاهر" ، حيث أنها تنام بالقرب من شيمبانزي (يبدو مرعوبًا وكأنه يعمل بمحرك الدُّمى، ولا ندري إن كان حقيقيًا ؟!)

ذات يوم يتم فيه قبول كرايغ للعمل كموظف إداري في شركة "ليستر كورب" التي تؤمن للناس فرصة الدخول إلى عقل "جون مالكوفيتش" مقابل المال، ويكتشف كرايغ "مندهشا" أن جميع الناس "المعنيين بذلك" مخبولون ، كما يكتشف أن الموظفة ماكسين (كاثرين كيينر) هي حب حياته الحقيقي ، ويكتشف "بالصدفة" خلف باب مكتبه؛ نفقًا غامضًا يؤدي إلى الآلة التي تسمح بدخول عقل "مالكوفيتش"... (حيث أعلن مؤخرًا عن قيامه بتمثيل وإخراج فيلم "غرائبي" مع المخرج روبرت رودريغس ليتم وضعه بكبسولة للعرض بعد ١٠٠ عام)!

مع تطور الأحداث باتجاه النهاية يصبح معظم الناس مقتنعين بأن مجرد "تحريك الدمى" هو فنٌّ راقٍ وممتع لمجرد أن شخصًا مشهورًا مثل "مالكوفيتش" يؤمن بذلك...

ثم تتعقد الأمور بشكل متداخل مع تباين وتقاطع رغبات أبطال الفيلم، كما يسعي كرايغ إلى الحلول بشكل دائم في جسد "الممثل المشهور" سعيًا لنيل إعجاب "ماكسين"، المعجبة بدورها بجون مالكوفيتش، والذي يسعى بدوره إلى الحلول في جسد "ماكسين" المثير جنسيًا!

لا أدري لماذا تمَّ اختيار الممثل والمخرج "جون مالكوفيتش" للقيام بهذا الدور تحديدًا، وهو ربما ليس الأكثر وسامة وتمتعًا بالكاريزما "النجومية"، وربما لنظرات عينيه وقوة وغموض شخصيته، وربما لأنه يمثل بحق موسوعة سينمائية متكاملة ولكثرة شغفه بالسينما... وقد نجح المخرج (سبايك جونز) في اختيار طاقم الممثلين الذين برعوا تمامًا في أداء أدوارهم الغريبة، وأقنعونا كمشاهدين بأن الغرائبية المشهدية تتماثل لحد بعيد مع "واقعية" الأحداث، مع نكهة "سيريالية" جاذبة بل وممتعة... كما أبدع "شارلي كاوفمان" بكتابة سيناريو محكم انسيابي يشد لمتابعة الأحداث بلا ملل، بالرغم من غرابتها وابتعادها عن المنطق الإنساني.

لو أردنا إسقاط فحوى أحداث هذا الفيلم على واقعنا البائس الراهن، لرأينا أمثلة عديدة لحالات الانجذاب الجماهيري لنجوم وأبطال ومغنيين وإعلاميين وسياسيين، وهذا لا يضر إن بقي ضمن الضوابط الإنسانية الطبيعية، ولكن يبدو الخطر الذي تواجهه مجتمعاتنا "ضعيفة الوعي"؛ يبدو داهمًا، عندما يتعلق الأمر بالاستحواذ على عقول العامة والدهماء من قبل "النماذج الكابوسية" لأشخاص وقادة دمويين ودعاة تكفيريين وإقصائيين وأُمراء حرب وشخصيات تراثية "تاريخية ودينية" مفصومة ومتوحدة، وربما "مرضى نفسيين" يتملكهم "جنون العظمة" الهيستري المغلف بالقدسية واحتكار الحق والصواب... من هنا تبدو رسالة هذا الفيلم ذات أهمية قصوى بعصرنا الراهن.

(١١)

السينما اليابانية : معركة رويال وألعاب الجوع (٢٠٠٠)

توارد خواطر أم سرقة أفكار؟!



تُحفة سينمائية من الفوضى والغرابة (وربما الطرافة) والعنف ، ميلودراما مثيرة للقلق ، دموي وصادق ومشوق وأصلي وبلا رتوش تجارية تزويقية مملة ومبهرة ومكررة (كألعاب الجوع الأمريكي بنسخه الثلاث)... هذا هو ملخص انطباعاتي الأولية حول الفيلم الياباني" معركة رويال" (٢٠٠٠)... يدخلنا المخرج الياباني المخضرم "كينجي فوكاساكو" ضمن توليفات ديناميكية ذكية، ويتحفنا بمشاهد مصممة بأناقة وحرفية (تماما كأفلام التحريك اليابانية المشهورة) ، وبالرغم من أنه سبق فيلم "ألعاب الجوع" الشهير بحوالي عقد من الزمان ، إلا أنه تميز بعمق وذكاء وأسلوب معالجة واقعي ، بعيدًا عن النجومية والإبهار والمؤثرات التي تميَّز بها الفيلم الأمريكي، وتتلخص دلالته اللافتة بكونه يتناول المستقبل من منظور عملي واقعي ، حيث يعكس واقعًا

يابانيًا شغوفًا بالتكنولوجيا ، كما يغوص بقضايا التماسك الاجتماعي التي تؤرق المجتمع الياباني الحديث، ويركز على الثغرات "القيمية" بين الأجيال، وخاصة جيل المراهقين الشباب ، ناهيك عن طرحه "الأسود- المزعج" لتوقعات المستقبل القريب.

يتحدث هذا الشريط عن عالم مستقبلي غريب ، تحكمه حالات "متوقعة" لانهيار الاقتصاد وتزايد معدلات البطالة وانتشار شتى صنوف الجرائم ، وتجنبًا للمزيد من الاحتقان الشبابي الجامح ؛ تقوم الحكومة اليابانية حينئذٍ بتشريع قانون (مثير للجدل) يسمح بالقتل ، حيث يتم تجميع طلبة الصف التاسع تحديدًا ، ويُرسلون لجزيرة منعزلة، ويُحشرون كالسجناء، ويُزودون بأسلحة قاتلة، كما يُجبرون على قتل بعضهم البعض دون رحمة حتى لا يبقى سوى شخص واحد فقط.

هناك عيوب واضحة بالأداء التمثيلي هنا وهناك ، لكن الممثل الشهير "تاكيشي كيتانو " أبهرنا كعادته بأداء "بارد وثلجي وغريب"، وجذبنا كقائد ومعلم للمجموعة يبقى وحيدًا على قيد الحياة.

ليس من السهل (سينمائيًا أو حياتيًا) وضع ٤٢ تلميذًا ثانويًا مراهقًا في جزيرة صغيرة معزولة مع خرائط ومؤن طعام وأنواع متعددة من الأسلحة، وخاصة عندما يكون المطلوب منهم التقاتل بضراوة لثلاثة أيام متواصلة حتى لا يبقى سوى شخص واحد أخير على قيد الحياة! ولضمان التقيد بقوانين القتال فقد تمَّ تزويد كل واحد منهم بطوق إلكتروني مبرمج لينفجر تلقائيًا بحال خرق قوانين القتال الصارمة.

إنه عمل مستقبلي- خيالي يصوِّر اليابان وقد فقدت ما يميزها حاليًا من النظام الاجتماعي المتماسك الحضاري إلى القوانين المدرسية الصارمة ، يتميز بواقعية تصويره لردود أفعال البشر في ظل الظروف الضاغطة

والقاهرة، فنرى البعض يرفض الدخول بلعبة "اقتل أو تُقتل"، ساعيًا لإنشاء ائتلاف معارض للقتل والعنف، كما نرى بعض علاقات الحب التي تنشأ بين الفتية والفتيات، تحديًا للآخرين المستمتعين باللعبة الدموية الجامحة...

ترانا نندهش ونستعرب منبهرين من الطرح المرعب، ثم نتساءل: أي طرف سينتصر ؟! ونستحضر ربما الحالة الراهنة التي يمرٌّ بها ربيعنا العربي "البائس- الظلامي"، التي لا تحمل إلا عناوين القتل وسفك الدماء والتدمير، والتي تضعنا أمام نفس التساؤل: أي طرف سينتصر بهذه الحروب الداخلية العبثية ولمصلحة من تنفجر الأجسام وتقطع الرؤوس وتتطاير الدماء؟!

أما الغريب حقًا بفيلم ألعاب الجوع الأمريكي (٢٠١٢) فهو عدم احتوائه على الجوع، وقلة إحساسه بمفهوم "اللعب"، الذي يُقدَّم هنا كرياضة إجبارية متوحشة، كما بدا أن لا أحد يصدق ما يحدث طوال فترة العرض إلا البطلة نفسها (جنيفر لورنس)، بالرغم من أن المخرج المثابر "جاري روس" قد قدَّم كل المكونات الفيلمية المؤثرة والمبتكرة، إلا أن السيناريو يترك المشاهدين بحالة فريدة من الحيرة والخوف وكأنه يأخذهم لغابة متوحشة، كما بدت قصته بالنسبة لي وكأنها "مسروقة" من الفيلم الياباني "معركة رويال"، إلا أنه استرسل أكثر بالفانتازيا الحركية ومشاهد الإبادة الجماعية، لكن كل هذه الهنات لا تجعلنا ننكر روعة الإخراج وبراعة مشاهد الأكشن الحابسة للأنفاس ولا زخم المؤثرات الخاصة المدمجة مع اللقطات، كما تعجبنا هنا أيضًا رسالة الفيلم الناقدة للأبعاد السياسية- الاجتماعية، والتي تسلِّط الأضواء على فكرة استغلال المراهقين الصغار بساحات القتال العبثية، والتي تحذر من مستقبل حالك (وربما واقع راهن ومستقبل قريب بدت بوادره تطل علينا ببلاد العرب والمسلمين)، يقوم فيه الحُكَّام الطُغاة (أو أدعياء الخلافة) ببث الفاشية والرعب، ودفع الناس للاقتتال بهمجية ضارية!

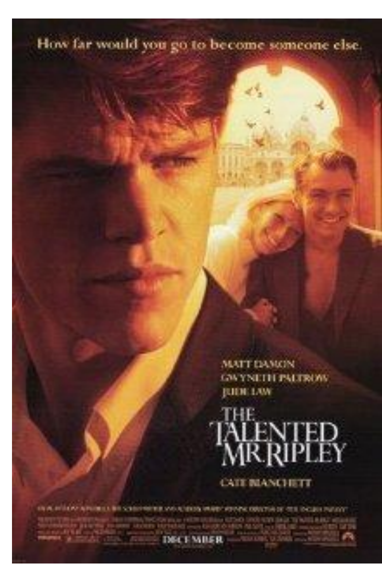


لا شك بأن "معركة رويال" يعد عملاً غرائبيًا طليعيًا حافل بالعنف واللامعقول، وهو ربما يستحضر أجواء رواية "سيد الذباب" لوليام غولدينغ، لقد شعر المشاهد (مرهف الحس) وسيشعر دومًا بقشعريرة رهيبة، وخاصة أمام مشاهد الدماء وتقطيع الأوصال، إلا أن مشاهدته حاليًا لا تثير ربما الكثير من الانفعال، نظرًا لكثرة إطلاعنا على الممارسات الوحشية الدموية الراهنة في بلاد العرب والمسلمين... كما أنه لا يخفى أن المخرج الذكي قد أخفى ضمن هذا العنف الصارخ تصويرًا دراميًا عميقًا ومؤثرًا للمشاعر الإنسانية، لا سيما بسن المراهقة (المحوري بحياة الإنسان)، كما أنه ضمَّن الشريط بُعدًا فلسفيًا أزليًا لتناوله الفذ لمواضيع "البحث عن الذات والسعي للكمال وهواجس الأنانية والفردية والرغبة الطاغية بالتفوق على الآخرين"!

(١٢)

"مستر ريبلي الموهوب" (١٩٩٩)

لعنة الموهبة وعذاب الضمير





مجرد توقيع أنطوني منغيللا كمخرج لهذا الفيلم يثير الاهتمام والفضول، فهذا المخرج حصل على تسع جوائز أوسكار بتحفته السينمائية الشيقة "المريض الإنجليزي" (منها جائزة أحسن إخراج)، عاد منغيللا هنا فاقتبس فيلمه الجديد من رواية باتريشا هايسميث "السيد ريليه"، وذلك للمرة الثانية بعد أن تناولها المخرج الفرنسي الشهير"رينيه كلامان" بفيلمه "شمس كاملة" في العام ١٩٥٩... بهذا الفيلم لعب مات ديمون دور البطل "الموهوب" القاتل، وهو نفس الدور الذي لعبه ببراعة لافتة الممثل الفرنسي الوسيم الشهير "آلان ديلون"، كما حلَّ الممثل "جود لو" مكان "موريس رونيه" بدور الفتى اللعوب

الثري اللامبالي "ديكي غرينليف"... ولكن منغيللا لم يسمح لنفسه بإعادة إخراج الرواية ومجرد تصوير فيلم آخر، وإنما حاول بجرأة وضع بصمته المميزة، وتقديم قراءة جديدة للرواية "المثيرة للجدل"، فوقع فيلمًا مختلفًا لحدٍ بعيد عن فيلم "كلامان" بشخصيات ذات تكوين نفسي مختلف وأظهرها بجرأة لافتة بل وصادمة أحيانًا!

كما أنه اشتغل بنفسه على كتابة السيناريو، وقدَّم ريبليه كإنسان ضعيف هش عصبي غير متماسك، لا أخلاقي وفاقد للقيم (مخالفًا لصورته الظاهرة)، عكس ما ظهر بفيلم "رينيه كلامان" الأصلي كشخص لوطي خجول ومنعزل، كما أظهره وكأنه لم يُقدم عبثًا على قتل "غرينليف" هكذا بدافع ميله الإجرامي بل لأنه (هذا الأخير) "غبي وغد" يهزأ منه باستمرار، ولا يتجاوب مع رغباته وأوامره... ثم يُقدِم على الاستيلاء على أموال ضحيته "المسكين"، ثم ينتقل لإقامة علاقة جديدة مع شاب مثلي جديد، حساس يعشق الأوبرا، ثم يقتله لاحقًا ليغرق بعذاب الضمير!

تتطور حبكة الفيلم بطريقة شيقة تصاعدية، فبعد أن يدعو "ديكي" ريبلي لرحلة بحرية لسان ريمو، يتطور النقاش بينهما ويتعاركان ليقوم هذا الأخير بقتل صديقه الحميم بواسطة ضرب رأسه مرارًا بمجداف، ثم يُغرق القارب مع الجثة، وينتحل لاحقًا شخصيته ويزوِّر توقيعه وجواز سفره، كما يبدو وكأنه تقمص شخصيته ولبسه وأسلوب ونمط سلوكه... ثم يستسهل الإجرام فيقتل كذلك أعز أصدقاء ديكي (بيتر سميث) عندما يكشفه، ويكاد يقتل أيضًا صديقة "ديكي" (ميريديث مارج) عندما تكتشف بالصدفة خاتم ديكي بشقته... ثم نراه يبني بسهولة علاقة غرامية (غير مقنعة) معها...

ثم تتحول القصة بعد ذلك إلى "لعبة القط والفأر" حيث نرى القاتل المنتحل يسعى جاهدًا للهرب من ملاحقة البوليس الإيطالي ومن أصدقاء "ديكي"

المقربين ، ليتحول لفيلم إثارة ذكي نتابع فيه وحش عصري متمدن ، ونكاد نتمنى أن ينجو بفعلته.

لم يتمكن "ديمون" من مقاربة مستوى أداء "ديلون" المذهل بالنسخة القديمة ، ولكنه يملك ابتسامة خبيثة طويلة وعين نسر كاشفة ترسل وميضًا خفيًا مرعبًا وشخصيته غير مريحة وربما تكشف النقاب عن شخصية "كاريزمية" ولكنها غير مريحة ، وهنا تكمن قوة الفيلم الذي يكشف حقيقة "معظم" الشخصيات الساحرة أو الفائقة الجاذبية ، التي تخفي باستمرار شيئًا غامضًا يتمثل بالاعتماد المطلق على الآخرين وبالرغبة الجامحة باستغلالهم والاستهتار بهم والتعالي عليهم ، وقد يتطور الأمر للإجرام وسرقة "الحياة" وانتحال الشخصيات ، فموهبة "التزوير والكذب والانتحال" قد تصبح "لعنة شيطانية" ، إذا ما ترافقت مع شخصية جذابة آسرة لا تعرف الحدود ولا تقيم وزنًا للقيم الخلقية والاجتماعية ، وهذا ما يجب أن نحذر منه ونحاول اكتشافه ، وهنا يكمن البُعد الفلسفي للقصة.

(١٣)

فيلم "ماغنوليا" (١٩٩٩)

تداخل الشخصيات وبؤس العلاقات وطول اللقطات !

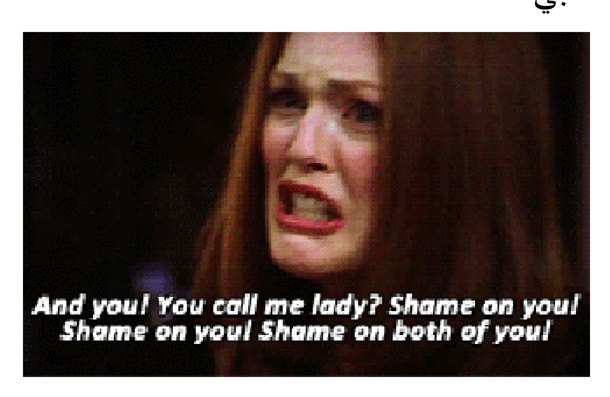


بالرغم من عشقي للسينما وهواية مشاهدة الأفلام ، فأنا لا أحب الأفلام الطويلة التي تزيد مدتها عن ساعتين، بل أجدها ثقيلة الظل والدم، بل ومملة بمعظمها إلا ما ندر ، كما أنه من الصعب جذب انتباه وإصغاء المشاهدين لأكثر من حوالي المائة دقيقة، ولكنك قد تنجذب لمخرج طموح ومجنون مثل "باول توماس أندرسون" لمشاهدة فيلمه الطويل هذا (أكثر من ثلاث ساعات)، بالرغم من كثرة المشاهد المشحونة بالثرثرة والهستيريا والتكرار لسبب وحيد

يكمن بكمية الطاقة المتدفقة المدمجة مع تشويق فاتر ودهشة غير معهودة بمثل هذا النوع من الأفلام!

تتداخل كل واحدة من شخصيات هذا الفيلم مع الشخصيات الأخرى بطريقة "كيميائية" تفاعلية فريدة : فالعجوز المحتضر (جوليان روباردز) يحظى بخدمة متفانية من زوجته المنتجة (جوليان مور)، كما أن ممرضه المخلص (الممثل الراحل فيليب سيمور هوفمان) يسعى بنجاح لمصالحته مع ابنه (توم كروز)، الذي تخلى عنه منذ سنوات.

ونرى عجوزًا آخر (فيليب بيكر هال) الذي يصارع "السرطان" وهو يحاول التقرب من ابنته الحقودة الغاضبة (ميلورا والترز) ، التي تجذب بدورها الشرطي (جون ريلي)... كما نتابع انهيار حياة نجم برامج المسابقات السابق (وليام ماسي) ، فيما نرى صعود نجم جديد شاب مكانه (جيرمي بلاكمان) ، هكذا يبدو وكان وادي "سان فرناندو" (الذي تدور الأحداث فيه) والفيلم نفسه (وربما المشاهد المسكين نفسه) على وشك التعرض لحالة هستيرية مزمنة من الانهيار العصبي!



كان بإمكان المخرج المتحذلق أن يطرح موضوعه السينمائي بحوالي الساعتين لا أكثر ، ولكن هوسه بإلهام وتقليد المخرج المبدع "روبرت ألتمان" بفيلمه الشهير"تقطيعات قصيرة" ، دفعه ربما لإخراج هذه الملحمة المملة

المتداخلة للعلاقات الإنسانية، والتي يمكن تلخيصها بحالة "البؤس المزمنة" التي تعانيها الشخصيات بعلاقاتها المضطربة بالجيل الذي يسبقها، فيما يُسمى حاليًا "بصراع الأجيال"... كما يستطرد أندرسون بعض إعجابه الشديد ببعض الممثلين أو إحدى الممثلات، فتطلق جوليان مور "منولوجًا صراخيًا أوبراليًا غاضبًا"، بعد أن تكتشف فجأة حبها الشديد لزوجها المحتضر، في محاولة مفتعلة لتعزية نفسها، ولكنها لا تنجح القط بإقناعنا بل تتسبب بالمزيد من الصداع لنا كمشاهدين تحملنا معاناة المشاهدة لأكثر من ثلاث ساعات... ولكن فالحق يجب أن يقال فأسلوب أندرسون المجنون بصناعة الأفلام ربما يغفر له بعض الهفوات والثرثرات والاستطراد الممل، فأفلامه السابقة مثل "الثمانية الصعبة" وليالي بوجي" وفرّت له رصيدًا وسمعةً طيبة، لنجاحه بالتعمق "بواقعية درامية لافتة" لقصص الجنس والمقامرين والمخدرات، التي تنخر المجتمعات الغربية، والتي يبدو أنها تعجز عن مواجهتها وإيجاد العلاج لها!

يتحدث هذا الفيلم الغريب بإسهاب عن مواضيع الحزن والفقد والحرمان، وعن مرارة الحياة والندم وتعذيب الذات، كما يتطرق لاختفاء التفاهم وتداعي العلاقات بين الأجيال، ويحشر ببراعة عددًا كبيرًا من الممثلين المبدعين، وينجح بخلق "كيمياء" بينهم بلا تصنع و"فبركة"!... كما يتضمن مشاهد غريبة تبدو كمجرد "صُدف"، مثل الضفادع التي تسقط فجأة من السماء، وكحالات تحطم السيارات أمام الشقق والمستشفيات، ويبدو أن "المؤلف-المخرج" يضعنا أمام متاهة فلسفية مزمنة ومحيرة: ما هو دور الصدف بحياتنا... وهل تحركها قوى غامضة "خارقة" أم هي مجرد صدف عشوائية؟!

(١٤)

الفيلم الفلسفي التسجيلي "لوميير ورفاقه" (١٩٩٥)

جرى إخراج هذه التحفة السينمائية تخليدًا لذكرى الاحتفال بمئوية السينما بالعام ١٩٩٥:

حيث شارك أربعون مخرجًا عالميًا بإخراج فيلم "تسجيلي-روائي" مكون من ٨٨ دقيقة بعنوان "لوميير ورفاقه"، وكان عليهم أن يلتزموا بأن لا تزيد مدة العرض عن ٥٢ ثانية فقط، وبثلاث لقطات فقط، وبنفس الكاميرا البدائية التي استخدمها الأخوان لوميير قبل مائة عام، والغريب أن المخرج "باتريس ليكونت" قد أعاد تصوير نفس اللقطات التاريخية لبداية السينما، عندما صوَّر قطارًا حديثًا سريعًا قادما للمحطة وبلا أشخاص ، فيما كانت مشاهد فيلم"لوميير" التاريخي أكثر تعبيرًا مع وجود أُناس ينتظرون على المحطة الباريسية القديمة...

تتكون مادة الفيلم من ثلاثة أجزاء رئيسية : مقابلات مع المخرجين ومشاعرهم تجاه هذه التجربة الفريدة، ولماذا يمارسون الإخراج السينمائي؟ ومشاهد توضح كيفية قيامهم بإخراج هذه الأفلام، ثم عرض للأفلام التي اخرجت... معظمهم أكد ان السينما كما الحياة فانية، وبعضهم أشار لديمومة إبداعها مع مواكبة وتجدد الحياة الإنسانية، كما أكد معظمهم أن السينما هي مهنته وحياته ولا يتقن شيء آخر قط، كما أن بعضهم تلعثم ولم يجب بوضوح...

أما قائمة المخرجين العالميين المشاركين فتضمنت كل من : سارا مون ، مرزاق علوش ، جابرائيل آكسيل ، فيسنت آراندا ، ثيوأنجيلبولوس ، بيجاس لونا ، جون بورمن ، يوسف شاهين ، الآن كورنو ، كوستا جافراس ، ريموند ديبردون ، فرانسيس جيرود ، بيتر جرينواي ، لاسي هولستورم ، ميشيل هينيكة ،هيوز هودسون ، جاستونكابور ، عباس كياروستامي ، سيدريك كلابيش، أندريه كونشالوفسكي ، باتريس ليكونت ، سبايك لي ، كلود ليلوش ، دفيد لينش ، ميرشانت وايفوري ، كلود ميللر ، ادريسا اودراجو ، آرثر بين ، لوسيان بينتايل ، جاكوس ريفيه ، هيلما ساندرس براهامس ، جيري شاتزبيرغ، نادين ترينتانت ، فيرناندو تروبا ، ليف اولمان ، يوشيشيجي يوشيدا ، جاكو فان دورمال ، ريجيس فارغنير ، فيم فيندرز والصيني زيانغ يمو.

الغريب أنه بالرغم من اختلاف المواضيع وتنوعها ، فقد بدت هذه الأفلام الحديثة وكأنها قديمة ، ربما عملا بمقولة اورسون ويلز الشهيرة "ما السينما إلا أجزاء من الزمن"... وبصراحة وبغض النظر عن مضمون هذه الأفلام وتنوع الثيمات المتفاوت ومستوى الارتجال والتلقائية ، فهذا عمل سينمائي"فلسفي– تاريخي" مدهش ، ويشكِّل مدرسة سينمائية فريدة وغير مسبوقة ، وربما تفيد السينمائيين الحقيقيين أكثر من ورش العمل السينمائية الاستعراضية بكثير!

"أشعر وكأني أخترق نفسي"... جملة معبِّرة قالها أحد المخرجين ، بعضهم يخبرنا قصصًا قصيرة صامتة مثل الصيني زيانغ يمو الذي أدهشنا بمنظر ثنائي راقص بأوبرا بكين يتحول من الرقص الايمائي الصيني القديم البطيء فجأة لصرعات الجنون العصري الراقص عل سور الصين العظيم ، ثم الفرنسي جاك ريفي الذي يظهر فتاة صغيرة في ميدان محاطة بالجرائد ، أما الألماني فيم فاندرز فيتحدث عن "أجنحة الرغبة" مسترجعًا ذكريات برلين ،

والبلجيكي جاكو فان دورميل فيظهر لنا "منغوليان" (بمتلازمة داون) متحابان (شاب وفتاة) ، وهما ينظران للكاميرا ثم يتبادلان قُبلة حارة ، أما الفرنسية "نادين ترينيجيان" فقد ابتكرت ووضعت الكاميرا على كرسي متحرك لتظهر لنا اللوفر والمعمار الفرنسي الكلاسيكي وكذلك الهرم الزجاجي الشهير بساحة اللوفر ، أما "ميرشانت وايفوري" فقد صوّرا مشهدًا لأحصنة من القرن التاسع عشر ثم انتقلا لتصوير مشهد للحركة في مطعم مكدولاند الشهير. المخرج "ريغي فارغنير" يسأل الرئيس الفرنسي الراحل ميتران عن أهم ذكرياته عن السينما ، فيتحدث عن فيلم هنغاري مؤثر فيه أناس يرقصون ، الياباني "يوشيشيغي" يتحدث عن تداعيات قنبلة هيروشيما ويصور يابانيين عجائز وقد نجوا بمعجزة من المحرقة ومبنى متهالك صمد بأعجوبة ، ثم نسمع تسجيل صوتي للرئيس "ترومان" يتبجح بالتقدم العلمي الماحق الذي حققه الغرب وسمح بصنع هذه القنبلة ذات الدمار الشامل! فيما لا يجد مخرج عربي كبير موضوعًا لائقًا : إذ يصور المصري يوسف شاهين "راكب جمل" يهرول باتجاهه صارخًا "التمثيل حرام" ، ثم نرى في المشهد التالي نفس الشخص وهو يهرول مسرعًا باتجاه الكاميرا معيدًا "التمثيل حرام"، مقدمًا على تكسير الكاميرا ، وعلى خلفية نفس المشهد "البائس" نرى الأهرامات ، كما يحدث نفس الشيء مع الإيراني عباس كياروستامي ، فيصوِّر لنا بيضتين أثناء قليهما بمقلاة صغيرة... وتستمر"التفاهة" لدى المخرج الأفريقي "ادريسا اودراجو" فيصور مشهد صيادي سمك "أفارقة"على متن قورابهم ، ويركز بالمقدمة على سباحين يهربون فجأة من النهر خوفًا من "تمساح زائف" ليتبين لاحقًا أن شخصًا يضع قناعًا برأس تمساح ليخيفهم ، ثم يلاحقونه لضربه كالأطفال.. آخر يصور فتاة صغيرة "ظريفة" تريد وزن نفسها وتفشل مرارًا، أما السويدية "ليف اولمان" والمصور الشهير "سيفن نايكفست" فيصوران الكاميرا وهي تصور... المخرج الفرنسي الشهير(صاحب تحفة رجل

وامرأة) يصور كعادته عاشقين مغرمين "رجل وامرأة" ينغمسان بقبلة حميمة ومن جميع الزوايا ، فيما نرى الممثلون الثلاثة "ليام نيلسون وآيدن كوين وستيف ريا" يحدقون بفضول في الكاميرا البدائية، "كوستا غافراس" يتحدث بإسهاب عن "سحر العدسات"... المخرج "الان كورنو" يقدم لنا طريقة اختلاف الألوان بعرض تشكيلي من خلال إيقاعات لافتة لراقصة غجرية، أما المخرج الأمريكي الأسمر "سبايك لي" فيركز الكاميرا على ابنته الصغيرة بإلحاح حتى تبتسم وتقول "دادا"، كما يتحفنا مخرج آخر بمشهد غريب لامرأة عارية ترضع وليدًا جديدًا بالعراء!

لا يمكن لمشاهد واحد مهما كانت شدة انتباهه أن يلم مستذكرا كافة المشاهد للأربعين فيلمًا بهذا الشريط الفريد، وربما يلزم هنا تطبيق تمرين تشاركي فيما يسمى "الطاقة الجمعية" (سينرجي)، وهنا يمكن استرجاع وتجميع معظم مشاهد العرض بواسطة العصف الذهني لمجموع الحضور.

من خصائص التفكير الإبداعي : التجريب والإلهام والارتجال والتخيل والفانتازيا وإطلاق العنان للقدرات ، ومن ثم حب الاكتشاف والتفكير بالإحساس والغموض والزخم، وبالحق فلم تحقق معظم هذه الأفلام الكثير من هذه العناصر ، بل بدا بعضها عاديًا ونمطيًا وحتى وسخيفًا أحيانًا ، كما لم يرقى معظمها لتخوم التجريب الإبداعي ، وكنت أتساءل بفضول افتراضي ماذا كان سيقدم كل من كوبولا وكوبريك وسكورسيزي وبرتولوشي وشبيلبيرغ وآكي كورسيماكي وكيرساوا وأندرسون وترفو وجودار وغيرهم من عباقرة الإخراج السينمائي لو طلب منهم ذلك؟!

لكن فكرة الفيلم تبقى بالحق"رائعة وفريدة" من نوعها، وقد استطاع هذا الفيلم "الوثائقي-الروائي" وخلال ساعة ونصف فقط من عرض البعد "الفلسفي-الإنساني- الترفيهي" للسينما منذ بداياتها المتواضعة ، مسترجعًا أقوال

وانطباعات مخرجين عالميين ضمن حيز زمني قصير جدًا ، مؤكدًا أهمية الزمن الذي يتحول هنا إلى "ذهب" كما قال أحد المخرجين المشاركين معلقًا ، ولنتخيل معًا (افتراضًا) ماذا سيكون انطباع الأخوين "لوميير" لو تمكنا بمعجزة أن يشاهدا أحدث إنتاجات سينما الخيال العلمي العصرية متمثلة بفيلم "حرب النجوم" المذهل بصريًا وسينمائيًا وتقنيًا أو فيلم التحريك المدهش "الديناصور الطيب" (على سبيل المثال) ، ليتأملوا مستوى الإعجاز التقني الذي حققته السينما ، ثم دعونا جميعًا نتخيل أيضًا فيلمًا مماثلاً بالذكرى المئوية الثانية في العام ٢٠٩٥ ، فماذا ستكون الإجابات وعن ماذا ستتحدث الأفلام حينئذٍ ؟!

(١٥)

ماكبث (٢٠١٥)

"الشر خير والخير شر"!

كُن دمويًا وجريئًا وحازمًا



بهذه الكلمات المبهمة الغامضة تعلِّق الساحرات الثلاث على خروج ماكبث من معركته التي استهل بها هذا الفيلم الملحمي منتصرًا!

مخلصًا تمامًا للدراما الشكسبيرية الخالدة وملتزمًا بنكهة سينمائية فريدة، يقوم المخرج (جوستين كورزيل) بصنع هذه الملحمة التاريخية الشيقة، مستغلاً زخم النجومية الطاغي لمايكل فاسبندر، الذي قدَّم أداءً مذهلاً بكل المعايير... إنها الإعادة السينمائية الجديدة لمسرحية شكسبير الشهيرة، تتحدث عن مقاتل جسور وقائد ملهم يتم إحباطه بقمع شجاعته واندفاعه، ولكنه يستند للرغبة الكاسحة والطموح الجشع للقيام بالدور الذي رسمه له القدر... إنه عرض سينمائي مذهل وممتع للحقائق الدرامية التاريخية في زمن الحروب

والفتوحات ، متناولاً واحدًا من أكثر الشخصيات الأدبية شهرةً وجدلاً ، متحدثًا عن الشغف والطموح والخيبة والارتياب بزمن الحروب التي مزقت ذات يوم "أسكتلندا"!

يسحرك كمشاهد الاقتباس السينمائي "الدرامي-الشعري- الملحمي" للمسرحية الأسكتلندية الشهيرة، فيلم دموي وشجاع يحتوي على كمٍّ كبير من المشاعر والدماء والبرود، حيث زوجة جميلة طموحة وجشعة مندفعة، لا يوجد من هو أحسن من فاسبندر كجنرال قاتل مندفع مع النجمة الفرنسية "ماريون كوتيلارد" بدور الزوجة المهووسة بالسلطة والحكم، لا يوجد قط من يستطيع تقديم هذه الملحمة أفضل منهما!

لم يضحي المخرج الفذ بالغموض "الشكسبيري" ليحقق شريطًا شعبيًا ، وقد شاهدت نصف الحضور القليل يغادر القاعة ، وانغمس مصمم الصوت والموسيقى التصويرية بأدق التفاصيل حتى سمعنا "صوت السيف الإسفنجي" وهو يمزق الأمعاء، كما وهو ينفذ للأعناق ويقطع الرؤوس فتنزف الدماء غزيرة... تكامل هذا الأداء الصوتي المثير مع الموسيقى التصويرية المعبِّرة، ومع الرغبة البصرية الجامحة للاستحواذ على الأداء والحوار، مما أنتج فيلمًا متكاملاً صعب الاختراق : فماكبث "فاسبندر" بطل قدري استهلكته القوة والشعور الملح بالذنب لاغتياله الإجرامي للملك بتحريض زوجته ، وهو مرعب في آنٍ ومثير للشفقة، حيث تمَّ تقديم دراسة سيكلوجية (فلسفية) عميقة للجريمة والانهيار الذاتي التدريجي ، تفوق ربما ما قدمه "دوستوفسكي" بروايته الخالدة "الجريمة والعقاب"، كما أبدعت (كوتيلارد) بدور المحرضة التي ولدت العزم الكاسح لدى ماكبث ، ثم انساقت معه بحالة "التفكك الداخلي".

المعالجة السينمائية للرواية كان فريدًا من حيث التأرجح بين النزعة لخلق الحياة والمجد وبين الرغبة الكاسحة بتدميرها... لا أؤيد هنا رأي بعض النقاد "المتسرعين" للفيلم بأنه أعطى الأولوية للأسلوب على حساب المضمون، بل أعتقد أنه حافظ بمهارة على توازن دقيق متصاعد وحابس للأنفاس، مراعيًا عناصر " الطموح والخوف والريبة والشعور بالذنب امتدادًا للجنون التدميري الماحق"، وقد اقتحم العصور المظلمة بجرأة نادرة، مصورًا عمق المأساة التراجيدية في "فرادة" درامية "مخيفة وممتعة"!

كذلك لا أتفق مع التبسيط الساذج للملحمة الذي كتبه أحد الروائيين: "... القائد ماكبث الذي اغتال حاكمه ليجلس مكانه، يشاهده الحارس فيقتله خوفًا من تفشي السر، ثم يشاهده ثلاثة حراس آخرين وهو يقتل الحارس، فيقتلهم خوفًا من انكشاف أمره، وبين الخرائب المتراكمة في الطرائق فهو يقتل بجنون كل من يلتفت إليه خوفًا من أن يكون قد شاهد القتل... ثم يصل لنتيجة "مضللة" وهو ينهي الأقصوصة: "في الليل سقط ماكبث قتيلاً وهو مضرج بدماءه"!

يقود ماكبث القوات الملكية بالمعركة الأخيرة، محققًا الظفر للملك "دونكان"، ويشعر بالغيرة والحسد من تنصيب الملك لابنه "مالكولم" كأمير وولي عهد، وتحرضه زوجته الطموحة لكي يقدم على ما أضمر في سره، فيقدم على قتل الملك بمقصورته بعدة طعنات نجلاء مخضبًا يديه بدمائه، ثم نرى أن ابن الملك قد شاهده بعد مقتل الملك، ولأسباب نجهلها نراه يتركه ليهرب ممتطيًا حصانه... ثم يذهب "ماكبث" لزوجته ويعطيها الخنجر، فتلتقيه لاحقًا بالكنيسة لغسل أيديهما الملوثة بالدماء، وكان بالماء "سحر" قادر على غسل ذنبهما الكبير... ثم يقدم"ماكبث" على ذبح الخدم الثلاثة النائمين حتى لا ينكشف أمره ويصيح بتبجح: "أنا ملك أسكتلندا".

ولكن تداعيات مقتل الملك تستولي على ذهنه وأفعاله لاحقًا ، فيعود يشكو من عبثية "قتل الملك دونكان" لأن الملك سيذهب لبانكو وابنه حسب النبوءة... هكذا يدعو"بانكو و ابنه الصبي" لحفل العشاء الفخم المقرر لتنصيبه ملكًا ، فيعده "بانكو" بالحضور بعد أن يقوم بجولة مهمة مع ابنه الصبي ، فيرسل مجموعة فرسان ثلاثة لاغتيالهما ، فينجحون ويقطعون رأسه ، ولكن ابنه الصبي يهرب للغابة ناجيًا بنفسه ، وتعلمه المجموعة بالاغتيال وبنبأ هروب الابن ، فنراه بلقطات معبِّرة يرى "مهلوسًا" بانكو وكأنه موجود برفقة ضيوف الحفل الكبير ، ونراه يذهب متحدثًا "للشبح" الذي لا يراه أحد سواه ، وتحاول الليدي ماكبث تهدئة الجمع المذهولين بحجة "أن زوجها ليس على ما يرام" ، ولكن ماكبث" يستمر بهذيانه العصبي ، مما يستدعي مغادرة "ماكدوف" القاتل وزوجته للحفل بالرغم من إصرار الملك على بقائهما ، ويتوتر الجو فتأمر"الليدي ماكبث" جميع الضيوف بالمغادرة ، وتأخذ ماكبث لغرفتها محاولة تهدئته من مخاوفه وهلوساته ، ثم يهرب خلسة للغابة ليلاً ليتحدث ويستشير ساحرات الغابة الثلاث (مع ابنتهن اليافعة) ، لكنهن لا ينجحن بتهدئة مخاوفه المستفحلة بل يزدنها... ثم يعطي الأوامر الصارمة لعصابته بأسر عائلة ماكدوف وأطفاله وخدمه ، ويقوم بحرقهم بعد تعليقهم على نواصي خشبية أمام جمع مؤيديه... فيشتعل الحقد بقلب "ماكدوف" بعد علمه بالمذبحة متوعدًا بانتقام شديد ، ويتعاون مع ابن الملك الهارب لتشكيل جيش عرمرم مكون من عشرة آلاف مقاتل لغزو أسكتلندا... ثم تعود الليدي ماكبث لقريتها ، خائبة ومتروكة وحزينة ، وتتجه للكنيسة للاعتراف بخطاياها ومشاركتها بالجريمة ، فترى شبح ابنها الميت ، وتذهب عبر الغابة لترى الساحرات الثلاث ، وتسري إشاعة في القلعة بأن ماكبث قد جن مما يفسِّر هوجه وسلوكياته المتسلطة وغضبه الهيستيري الشديد ، ثم يخبر بأن زوجته قد ماتت غمًّا ، فيحمل جثتها ويسير بلا هدى محاولاً احتضانها "واقفة" في لقطة "تراجيدية" معبِّرة...

يخبره الحرس بأن مالكولم يقود جيشًا ضده، ويحرق"ماكدون" غابة بيرنام، وبينما تتجه "الأدخنة والرماد" باتجاه القلعة الملكية، وتتحقق النبوءة، يغادر "ماكبث" القلعة لمواجهة جحافل الجيش المهاجم، ويدخل في نزال مع "ماكدوف"، واثقًا من انتصاره الكاسح عملاً بالنبوءة التي تقول "أن لا رجل مولود من امرأة سيستطيع قتله"، ولكن "ماكدوف" يفاجئه بالقول بأنه قد "اُنتزع من رحم أمه قبل ولادته"، ثم يستغل اندهاش وتشتت ماكبث ليطعنه في أحشائه طعنة قاتلة، ولكن ماكبث كعادته يرفض الاعتراف بالهزيمة والموت السريع، فيعيد "ماكدوف" الكرة، ويطعنه عدة طعنات قاتلة، ليموت "ماكبث" واقفًا في ساحة المعركة في مشهد تراجيدي آسر، ليصبح مالكولم ملكًا شرعيًا لأسكتلندا... ثم نرى الساحرات الثلاث وقد شهدن المعركة الفاصلة ومقتل ماكبث وهن يغادرن والحيرة تملأ وجوههن ليختفين عبر الضباب نهائيًا... في المشهد الأخير المعبر، نرى "مالكولم" وهو يغادر قاعة العرش بينما يقوم "ابن بانكو" الصبي الشجاع بأخذ سيف"ماكبث" مغادرًا مسرح المعركة ومختفيًا عبر الدخان...

يحفل هذا الفيلم الرائع بالاقتباسات "الشكسبيرية" البليغة والمعبِّرة والتي تصدر بمعظمها عن ماكبث كما عن الشخصيات الأخرى كزوجته والساحرات وخصومه، وقد لاحظت انها تنسجم بالسياق مع قوة الشخصيات والمواقف وتراجيدية الأحداث وفق التصاعد الزمني: أنا توغلت بالدماء... عقلي مليء بالعقارب... إذا كنا سنفشل فلن نفشل! هذه اللوحة تحديدًا منحوتة من مخاوفك... ما الحياة إلا ظل متحرك... هناك الشرف والحب والأصدقاء... ولكن أيضًا "الموت واللعنات"! لا يوجد لدي كلمات، وصوتي يكمن داخل سيفي... ما أُنجز قد أُنجز... أجرؤ على القيام بكل ما هو بطولي، ومن يجرؤ على بذل المزيد "لا أحد"! يقولون بأن الدم سيولد الدماء... حرقنا

الثعبان ولم نقتله... والتعبير البليغ: "النجوم تخفي نيرانك، فلا تدع الضوء يرى رغباتي العميقة المظلمة"... ثم قول ماكبث الأخير قبل مقتله: "سأقاتل بعظامي وحتى يخترق لحمي"، وبالفعل فهذا ما حدث تمامًا بمنازلته المثيرة الأخيرة!

هذه الدراما التراجيدية هي إنتاج "بريطاني- فرنسي- أميركي"، وقد عرضت للمنافسة على السعفة الذهبية لمهرجان كان للعام ٢٠١٥، وبالإضافة للدورين الرئيسيين، قام كل من "بادي كونسيداين وسين هاريس وجاك رينور واليزابيت ديبيكي ودافيد ثيوبس ورون أندرسون بأدوار كل من "باركو، ماكدوف، مالكولم، الليدي ماكدوف، والملك دونكان، وروسي بأداء متناغم بديع ومتكامل.

(١٦)

المخرج شاندور بفيلمية المميزين :

"النداء الهامشي" و "فقدان كل شيء" (٢٠١٣)

البحار الثري اليائس في متاهته وحيداً !

(الشيخ والبحر بنسخة عصرية)



قصة هذا الفيلم المدهش بسيطة للغاية فهي تتحدث عن ثري مجهول يتعرض قاربه للتدمير بفعل اصطدامه مع باخرة شحن في المحيط الهندي أو ربما بقايا حطام ياباني ناتج عن زلزال وتسونامي ٢٠١١ ، وحيث يبدأ القارب بالغرق ويتعطل الراديو وسيلة الإرسال الوحيدة للاتصال بالعالم وطلب

النجدة ، الفيلم من بطولة الممثل المخضرم روبرت رادفورد ومن إخراج شاندور نفس المخرج الذي قدَّم قبل ثلاث سنوات الفيلم المميز الوحيد الذي تعرض للأزمة المالية العالمية بوول ستريت واسمه "النداء الهامشي" ، وهو هنا يتحدث عن كارثة بحرية ألمَّت بشخص واحد ويتحدث هناك عن تداعيات الكارثة المالية الكبرى وأثرها المدمِّر على الأشخاص والشركات.

تكمن فرادة هذا الشريط بوجود ممثل واحد وبانعدام الحوار والكلام حتى أن مادة الفيلم لم تتعدى الواحد والثلاثين صفحة فقط ، كما أن التصوير تمَّ بشاطىء "روساريتو" بخليج المكسيك ، وبنفس الأستوديو الذي تمَّ فيه تصوير التيتانيك ، وقد اعترف رادفورد بأن أُذنه تعرضت للعطب أثناء التصوير ، وقال مؤلف الموسيقى التصويرية أنه واجه تحدي التعامل مع عناصر بحرية كالريح والماء والمطر والشمس ، وكان عليه أن يدمج هذه المكونات ويخلق منها صوتًا فريدًا للتفاعل مع الممثل الوحيد الذي حمل أعباء الفيلم.

نال هذا الفيلم الغريب تقدير النقاد بمستوى ٨ من عشرة ، وأثبت قدرة ممثل واحد على تملك الشاشة لوحده بلا أي دعم تمثيلي من آخرين ، كما أثبت باعتقادي المتواضع أن السينما هي فن التصوير والأداء الصامت والمؤثرات بأنواعها وليست أبدًا فن الحوار والثرثرة والانفعال كما نشاهد عادة بالأفلام الهندية والمصرية والعربية عمومًا.

يعدُّ بعض النقاد هذا الفيلم واحدًا من عشرة أفضل أفلام للعام ٢٠١٣ ، جنبًا إلى جنب مع أفلام مثل جاتسبي العظيم وجرافيتي والكابتن فيليبس.



بعد أن يكاد يفقد مخزونه من المعلبات القليلة، تلوث مياه البحر المتسربة بقايا مياه الشرب التي يملكها، فيقوم باستخدام التبخير "العدسي" لأشعة الشمس للحصول على قطرات ماء صالحة للشرب... ثم نراه وقد وصل لخطوط الإبحار الدولية وتقاطع وجود قاربه بالقرب من مرور سفينتي شحن ضخمتين، ولكنهما لم تلحظا وجوده بالرغم من استخدامه للإشارات المضيئة، وفي اليوم الثامن على محنته البحرية، يقوم بكتابة رسالة ووضعها بقنينة وقذفها بالبحر ليلقاها أي شخص بالصدفة... ثم لاحقًا بتلك الليلة لاحظ وجود أضواء عن بُعد، ربما من سفينة أخرى ولم يستطع لفت الانتباه بعد أن نقذ مخزونه المحدود من القذائف التحذيرية سوى بإضرام النار بقاربه بواسطة حرق أوراق الصحف والكتب والخرائط، ثم خرج الحريق عن السيطرة وحرق قارب النجاة، فقفز للماء ناجيًا بنفسه، ولكنه كان من الضعف وحاول السباحة بأقصى طاقته المتبقية، وشعر بفقدانه لأي أمل بالنجاة، وخارت قواه فترك نفسه للغرق، ثم لاحظ من تحت مياه المحيط المرعبة وجود قارب بأضواء يقترب من قاربه المحترق، فكافح عندئذٍ للوصول للسطح، ولكن المخرج قطع باقي المشاهد بقصد قبل أن نلاحظ

وكأن أيدي قد تدلت من قارب النجاة باتجاهه، وربما قصد ذلك لكي يترك المشاهد المذهول والمذعور بحالة غموض ولكي يعطيه الفرصة للتكهن بمصير البطل "المجهول" !

يستهل الفيلم بمشهد الإبحار بمكان ما بالمحيط الهندي ، ونسمع البطل المجهول الاسم (روبرت رادفورد) وهو يتحدث ويعتذر لشخص آخر كما لو كان يتحدث للمشاهد نفسه: أنا آسف حقًا وأعرف أن ذلك لا يعني شيئًا الآن، ولكني آسف وأعتقد بأنك توافقني الرأي بأني قد حاولت، وللحقيقة فقد كنت أرغب أن أكون أقوى... ألطف وأن أحب... وأن أكون مُحقًا... ولكني لم أكن... ثم يعترف: لقد فقد كل شيء! (وتبدو هذه التعبيرات القليلة وكأنها رسالة ندم أخيرة، كما أنها تنسجم مع كل ما سيحدث فيما بعد، بمعنى أنه سيفقد قاربه وحياته وكل شيء)...

- **كاريزما الأداء وبلاغة الصمت المعبر!**

يبدأ الفيلم برادفورد وقد استفاق من غفوة ليتحقق من وجود ثغرة كبيرة بقاربه كنتيجة لاصطدامه مع سفينة شحن كبيرة في المحيط الهندي، يتحدث المخرج هنا عن التيه بالمحيط بدلاً من الفضاء الخارجي كما في فيلم جرافيتي، ومع غياب شبه مطلق للحديث والحوار الإنساني حيث اُستبدلت الأصوات البشرية بصوت الأعاصير البحرية وحركة القارب وطقطقات الأشياء وبالموسيقى التصويرية المعبِّرة "لأليكس ابريت" التي دمجت ببراعة صوت الجيتار بالريح وأصوت الحيتان وأسماك القرش الهامسة... في ظل هذا الصمت البحري يتساءل المشاهد بفضول: من أين أتى؟ لماذا هو هنا؟ بماذا يفكِّر هذا البحَّار التائه؟ وما هي حركته المقبلة والمتوقعة؟... يعود هنا الممثل الكاريزمي الشهير ليثبت جدارته في فن الأداء التمثيلي وبسن السابعة

والسبعين... يجذبك كمشاهد ويدعوك لكي تحملق وتتربص بحركاته الباردة اليائسة ولكل ما يفعله ويقدم عليه للنجاة بنفسه، ولكن بلا جدوى! إنه فيلم غير اعتيادي يعتمد بالمطلق على التعبير الصامت والحركات المعبِّرة الدرامية والتي حولت مغامرته البحرية لصراع وجودي عبثي بمواجهة جبروت المحيط والطبيعة والأعاصير مع خذلان عناصر البقاء كالقارب ومستلزماته العادية والتقنية والغذاء والماء (وكأنه نسخة عصرية من فيلم "الرجل العجوز والبحر")، وحتى الراديو وسيلة الاتصال والإنقاذ الوحيدة فقد تعطل بفعل الاصطدام والمياه التي غمرته، ويحاول جاهدًا استخدام البوصلة البحرية وخريطة لتحديد موقعه ومساره معتمدًا على تيارات المحيط لتوصيله باتجاه المسارات البحرية، ثم يواجه أعاصير بحرية هائجة... يشبه الفيلم مغامرة "حياة باي" عندما يواجه الفتى اليافع أهوال المحيط الهندي وحيدًا بقارب مع نمر متوحش يتربص به وبلا مؤنة وزاد... كذلك فهو يمثل تحديًّا سينمائيًا نادرًا مع عدم وجود ممثلين آخرين لا في البداية ولا في النهاية ولا في سياق القصة، كذلك لا توجد حبكة تثير الفضول وتبعد الملل، فنحن وحوالي الساعتين لا نشاهد إلا حركاته ومعاناته وهمهماته ونسمع مرة واحدًا صراخه يأسًا "سحقًا"... وربما يثبت روبرت رادفورد بهذا السن المتقدم وقبل أن يفوت الأوان أنه واحد من كبار عمالقة التمثيل بجيله المخضرم وأنه أستاذ بفنون التعبير السينمائي كما مارلون براندو وآل باشينو.

المخرج المتميز"جي سي شاندور" يقدِّم هنا فيلمه الثاني بعد نجاح فيلمه الأول (مارجين كول ٢٠١١) الذي تحدَّث بعمق وصراحة عن بدايات الأزمة المالية العالمية التي أدَّت لكارثة انهيار المؤسسات المالية بوول ستريت، ويستعرض بفيلمه اللافت هذا تداعيات ذلك وخلال ٢٤-٣٦ ساعة متواصلة من خلال ممارسات "الذعر والسهر والمتابعة الحثيثة فمن ثم التآمر والتحالف

والتوافق والاسترضاء" التي تقوم بها سِرًّا إدارة وموظفو مؤسسة مالية استثمارية كبرى، ويعرض ذلك بأسلوب درامي فني وشيق وبسياق سلوكيات الموظفين ومدرائهم وذلك عندما يطلع موظف مطرود أحد زملائه فجأة على تفاصيل الوضع الائتماني المتردي للمؤسسة، ومن ثم يكشف الفيلم تداعيات متلاحقة شيقة تقود لشبكة ومصفوفة الفساد ببداية الأزمة المالية والتي تمثلت "بالسرية والكتمان والشللية والخداع"!

يثبت شريط "الفقدان" قدرات التصوير السينمائي المتقدم بأجواء غير عادية ويكفي للدلالة على ذلك منظر القارب التائه بعرض المحيط وقد تمَّ تصويره ببراعة من أسفل المياه تحيط به أسماك القرش من كل جانب، وقد استقدم لهذا الغرض مصورًا سينمائيًا متخصصًا، كما أنه يقدِّم "أكشن ومغامرات" بلا عناصر التشويق والأسلحة والقذائف والحركات البهلوانية والأصوات والأشرار، فقط شخص مجهول تائه بمواجهة أهوال المحيط وخطر الغرق، كما يؤكد فلسفيًا على أن العزلة والفقدان هي المحصلة الأخيرة لحياتنا البشرية!

(١٧)

الـمثـيـل (٢٠١٣)

كوميديا سوداء صادمة وذكية



ضمن فعاليات أسبوع الفيلم البريطاني بعمان

بدأ الناقد السينمائي البريطاني أيان سميث منبهرًا كثيرًا بهذا الفيلم الغريب واسمه "المثيل" ، وقد طرح سؤالين بالبداية : كيف يشعركم الفيلم ؟ ولماذا يشعركم بذلك ؟! وبعد انتهاء العرض بدت لي الإجابة بسيطة ومقتبسة من طيات السيناريو المتداخل ، فعندما نجا بطل الفيلم من الموت بأعجوبة بعد أن

أقدم على الانتحار بالقفز من طوابق عُليا، قال لمرافقه ولفتاته وهو في سيارة الإسعاف : أحب أن أشعر أني فريد، ولا أحب أن تُسرق مني شخصيتي! وهذا بالحق هو ملخص الشريط... كما أنه يفيد بأنك إذا لم تكن مدعيًّا وجريئًا ووقحًا وانتهازيًا فقد تعجز عن تحقيق طموحاتك بالحياة والعمل، وقد يُسرق منك جهدك كما قد تُسرق فتاة أحلامك... وقد يكون هذا واقعًا مريرًا ومؤلمًا، وقد عرض الفيلم هذه الحيثيات بطريقة فنية معبِّرة وربما صادمة!

قصة الفيلم الفريد هذا المقتبسة عن قصة قصيرة للروائي الروسي الشهير "ديستوفسكي"، تدور كلها حول نفس الموضوع، وتتحدث عن دور موظف مثابر بسيط (يلعب الدور الممثل "جيسي أيزنبيرغ")، يلتقي بالصدفة بمن يعتقد أنه نسخة مطابقة له ويعمل بمكتبه تحديدًا ، وتحدث معه جملة تداعيات وتعقيدات وإرهاصات تقوده أخيرًا للجنون ومحاولة الانتحار، لاعتقاده بأن مثيله رئيس العمال "المتحذلق-المتعالي" هذا يحاول أن يهمشه وينتزع مكانته بالحياة والعمل!

يعاني هذا الفيلم من افتقاده لهوية محددة فهو خليط متداخل من "الخيال العلمي/الفلسفي والسيكلوجيا والتشويق والفانتازيا الغرائبية، ونجد السخرية المبطنة والكوميديا السوداء في الكثير من السلوكيات والمشاهد والأحداث التي يحفل بها هذا الفيلم المعقد، وتبدأ القصة بانحباس شنطة الموظف المثابر "سايمون جيمس" بباب القطار أثناء مغادرته، حيث لا يستطيع أن يعرِّف على شخصيته عند دخوله لمبنى العمل، كما يُفاجئ بعدم تعرف "البواب" الصارم عليه بالرغم من تواجده لسبع سنوات بعمله الروتيني، ونلاحظ أن معظم الأحداث فيما بعد ترتبط بحالة "عدم التعرف عليه"، وكأنه كائن شبحي غير مرئي (أو خشبي مثل اللعبة بينوكيو)، ويبدو وكأنه خارج نفسه وكيانه، كما يبدو مديره المقيت "بابادوبولس" وكانه يقرِّعه دومًا لسوء الأداء

والتقصير بالعمل، ويستمر ذلك حتى يظهر مثيله الانتهازي اللئيم الذي يسرق عمله وجهوده وحتى فتاته الجميلة، كما ينجح ببراعة من أن يحوز على إعجاب المدير وجميع العاملين! وبمشهد لافت نراه يدخل للمطعم مع مثيله، وحيث تتجاهل النادلة الوقحة طلبه البسيط المقتصر على مشروب غازي، بينما تقدم قهوة وبيضًا مقليًا لبديله نظرًا لجرأته!

وحتى عندما تموت والدته بسكتة دماغية نرى البديل يسارع لتقمص شخصيته، وهنا يكاد المخرج "ريتشارد أيوادي" أن يفقد خيوط السيناريو فيدخلنا بمشاهد سيريالية جديدة ليستكمل "كوكتيل" السرد ابتداءً من مشاهد الدجاجة المذبوحة إلى حالة الدفن حيًّا بمنتصف الليل التزامًا بوصية الوالدة المرحومة... وحتى عند حضوره الحفل يحدث إرباك واضح بين دوره ودور البديل وخاصة أثناء التفاعل مع صديقته الجميلة التي لا يتجرأ على إعلان حبه لها، فيما يدخل البديل على الخط ليسرق حبيبته وابنة مدير الشركة "ميلاني" وبجرأة وبلا تردد.

بدا المخرج متأثرا بقصص كافكا السوداوية وروايات جورج أوريل المستقبلية حول نمذجة الوجود الإنساني والحكومة العالمية القاسية التي تتجسس على البشر (تمامًا كقصص التجسس الأمريكي الراهنة على الإنترنت والمكالمات الهاتفية والموبايلات)، يتحدث الفيلم عن الوشاية وطباعة نسخ التقارير بأسلوب فعال عصري، لينتهي بمقولة "منافقة" تظهر بشكل تهريجي متناقض من فم مديره المتشدق "بابادوبولس "فالناس هم المورد الأساسي"!

بدا بطل الفيلم خجولاً ومتوحدًا ومترددًا، فهو يفكِّر في الانتحار، ويعاني من العُزلة والوحدة، ويعرف بأعماق نفسه بأنه يحظى بالحياة مرة واحدة فقط، وتقوده عزلته ووحدته لكي يتلصص على العالم من حوله بواسطة المنظار

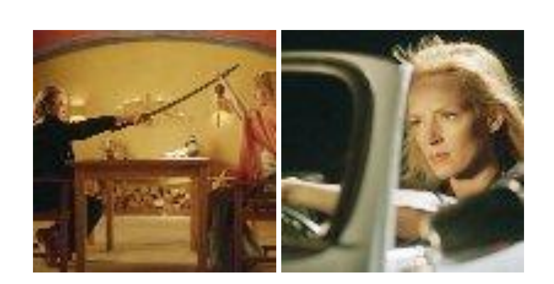
المركب بمحاذاة نافذته المطلة على السكان والشارع، حيث يرى حالات انتحار، والغريب أن المنتحر يلحظ أنه يراقبه فيسلِّم عليه بإيماءة من يده قبل أن يقفز من الشرفة، كما نلاحظ أنه يلجأ بنهاية الفيلم "نفس طريقة الانتحار" بعد أن يقهره بديله، والغريب أنه ينجو بطريقة غير مفهومة، ليلخِّص "بسذاجة" قصة حياته لفتاته الجميلة التي تصحبه بسيارة الإسعاف: أحب أن أشعر أني فريد... ومن لا يحب ذلك!؟ كما يعاني البطل من "فوبيا المثلية" المتفشية ببريطانيا، كما يبدو فنراه يضع قواعد لركوب الدراجات وخاصة إذا كان السائق ذكرًا.

اقتبس المخرج مشاهد عدة من أفلام شهيرة وسلك طرقًا متعرجة ومعقدة لإيصال فكرته، وكان بإمكانه أن يلجأ لأساليب سينمائية مباشرة أكثر جاذبية ومرحًا وأقل غموضًا وكآبة.

(١٨)

"ثيمة الدفن حيًّا" في ثلاثة أفلام أمريكية

(اقتل بيل و الغراب و الظلال المظلمة)



تناولت هوليوود عبر العديد من أفلامها هذا الموضوع المرعب ، ولكن ما يهمني هنا هو إلقاء الضوء على ثلاثة أفلام عصرية رائعة ، تناولت هذه الثيمة بطريقة مختلفة ومدهشة ومشحونة بالمغزى والمدلول الدرامي الفلسفي وحتى الكوميدي ، ناهيك عن طريقة الإخراج المذهلة والحابسة للنفاس ، التي تكاد تقنعك كمشاهد بالرغم من كونها غير منطقية ولا واقعية.

من الأفلام العصرية التي استعرضت هذه الثيمة ببراعة متناهية ، فيلم "اقتل بيل" (بجزئيه الأول والثاني ٢٠٠٤/٢٠٠٥) للمخرج الأمريكي "كوانتين تارانتينو" ، حيث يتم دفن العروس (بطلة الفيلم الممثلة اوما ثورمان) وهي حيَّة في حفرة عميقة وبعد توثيقها بإحكام ، وتقوم من داخل قبرها بسلسلة من الحركات البهلوانية الخارقة المستمدة من رياضة اليوجا والرياضات الشرقية – اليابانية ، وبعد مشقة لافتة ومشاهد تحبس النفاس تتمكن أخيرًا من الخروج حيَّة وسليمة ، لتفاجئ خصومها ومنهم رئيسها السابق ، وتدخل معهم في معارك بهلوانية بالسيف تنتصر فيها.

لا يمكن منطقيًا الاقتناع بمثل الحركات البطولية الخارقة، ولكن المخرج المتمرس والممثلة البارعة يقنعانك بهذه الإمكانية الخيالية الافتراضية، وتكاد تشعر بالاختناق والرعب وكأنك أنت المدفون! أما المفارقة الفلسفية المجازية في الفيلم فتكمن في أن الفتاة (الخيِّرة) قد تفوقت على الأشرار وانتصرت عليهم، ربما عملاً بمقولة أفلاطون الشهيرة: لا تصاحب الشرير، فإن طبعك يسرق من طبعه، وأنت لا تدري.





أما في فيلم "الغراب" الذي يتطرق للأيام الأخيرة للشاعر الأمريكي الشهير "ادجار الآن بو" (الذي مات مبكرًا في الأربعين من عمره في العام ١٨٤٩)، حيث يقوم قاتل متسلسل بارع باختطاف حبيبة الكاتب من حفل راقص لإجباره على مجابهته، ومن ثم يقوم بدفنها حيَّة تحت الأرضية الخشبية لغرفته، سامحا لها بالتنفس عبر شقوق مموهة، وينجح أخيرًا باستدراج الشاعر والقاص البائس، ويعقد معه صفقة غريبة تسمح له بإنقاذ حبيبته مقابل تناوله لسم قاتل بطيء المفعول، وبالفعل تنجو الفتاة، ويتم العثور لاحقًا على ادجار الآن بو بحالة صحية بائسة، قبل أن يتوفى في المستشفى بعد ساعات.

أبدع جوني كوساك في تقمص شخصية الشاعر الغريب الأطوار/المدمن للكحول، والغريب أن القاتل المتسلسل يستلهم معظم جرائمه وطريقة تنفيذها الغريبة من قصص بو نفسه المنشورة بالصحف في لعبة بوليسية متداخلة ومثيرة، كما أن عنوان الفيلم مقتبس من إحدى قصائد "ادجار بو"الشهيرة التي نُشرت في العام ١٨٤٥، وتكمن الكوميديا السوداء (الفلسفية الطابع) بكونه يعد حبيبته بعد معاناتها المرعبة وتضحيته بنفسه بإنقاذها "لأنه سيتزوجها لاحقًا في الجنة"!



أما الفيلم الرائع الثالث واسمه "الظلال المظلمة " ومن بطولة "توني ديب " الذي يتماهى عادة بشغف مع أدواره الغريبة المتنوعة، فالأمر يتعلق بساحرة فتَّاكة خالدة، عاقبت ديب لتعاليه ورفضه العنيد لحبها في العام ١٧٧٢، ولقيامه بتفضيل فتاة جميلة وبريئة عليها، وتمكنت أخيرًا بسحرها الأسود الطاغي من أن تفجِّر حقدها الدفين تجاهه، وهكذا دفنته حيًّا بعد أن كبَّلته بسلاسل حديدية متينة، وبعد أن حوَّلته بسحرها الخرافي لمصَّاص دماء قاتل.

وتسنح له الفرصة بعد مائتي عام تحديدًا وفي العام ١٩٧٢، وبفضل أعمال إنشاءات وحفر في موقع مهجور تمسُّ مباشرةً قبره المنسي، فيخرج متعطشًا

للدماء من قبره الأبدي، مهاجمًا بضراوة عشرة عمال مساكين لإرواء عطشه المزمن للدماء، ثم يحصل صراع مافيوزي- أسطوري جديد بين عائلته (التي تعمل في تجارة السمك) من جهة، والساحرة المتنفذة التي عادت بشخصية جديدة مزيفة من جهة أخرى، رغبةً منها في إحياء حقدها القديم ولتدمير عائلته ونفوذها، والطريف أنها تتمكن منه للمرة الثانية (بالإيحاء والمعاشرة والسحر)، وتنجح بدفنه حيًّا بعد أن تغطي رأسه بسروالها الداخلي الأحمر (كتذكار للمغامرة العاطفية الأخيرة)، وذلك قبل أن ينجح صبي يافع من الأحفاد في فك قيوده وإنقاذه من الدفن حيا لمائتي سنة أخرى كما وعدته الساحرة الشريرة.

نجح هنا المخرج العبقري "تيم بيرتون" مع "جوني ديب" وباقي الفريق السينمائي في إخراج فيلم أسطوري حافل بالمؤثرات المدهشة، ومليء بالمشاهد المتنوعة الخارقة والقفشات الكوميدية المجازية، مستغلاً عنصر الزمن وعودة مصَّاص دماء مهووس وبرجوازي عتيق للعيش ثانية مع أحفاده في قصره القديم المهجور في سبعينات القرن الماضي، بوجود ساحرة خالدة حقودة مهووسة.. وقد مكنته الشخصيات المتعددة الخرافية والعصرية، ومستويات الأجيال، والصراع المزمن المتجدد لمعالجة سينمائية مجازية ممتعة ومشوقة لحالتي"الضوء والظلال المظلمة".

لكل الأسباب التي أسهبت في شرحها فأنت سترغب بالتأكيد كمشاهد ذواقة للعودة ثانية لمشاهدة هذه الأفلام والتمتع بمكوناتها الفنية المختلفة، كما أني أنسب ذلك لمعظم السينمائيين العرب لكي يتعلموا عناصر الادهاش والإثارة والإمتاع والإقناع، ولكي يتعلموا طرائق الإبداع والتجديد في فن السينما، ولكي يتواضعوا فيشاهدوا أفلام المبدعين المتمرسين.

(١٩)

الناجي لـ"توم هانكس" (٢٠٠٠)

غياب التشويق وهيستيريا العُزلة



تتحطم الطائرة التي يستقلها تشاك نولاند (توم هانكس) أثناء قيامه بإنجاز مهمة عاجلة ليلة عيد الميلاد بجنوب المحيط الهادئ، لكنه ينجو بأعجوبة وينجح بالوصول لجزيرة معزولة، حيث يضطر للعيش وحيدًا لأربع سنوات معزولاً ومحرومًا من كل مكونات الحياة العصرية، ويسعى جاهدًا للمحافظة على حياته وصحته العقلية، فيما يفترض زملاؤه وخطيبته كيللي (هيلين هانت) أنه مات... وتجبره حالته المأساوية على تعلم كيفية البقاء حيًّا بظروف قاهرة والمحافظة على تماسكه النفسي.

يغامر المخرج روبرت زيميكس بفيلم "الناجي" بتقديمه مغامرة استكشافية للنفس البشرية والجزيرة المعزولة على حد سواء، يركز بطلها أولوياته للبقاء على قيد الحياة في ظل ظروف صعبة وبيئة طبيعية بدائية قاهرة، ويضطر

الممثل البارع هنا توم هانكس للتركيز على مهارات التعبير بلغة الجسد وتعابير الوجه وبالحد الأدنى من الحوار، تمامًا كحالة روبرت ريدفورد بفيلم ضياع كل شيء(٢٠١٣) مع اختلاف التفاصيل والملابسات، حيث يتحطم قارب الأخير بسبب عاصفة بحرية هوجاء ويتوه بالمحيط لعدة أيام ولا نعرف بالتحديد مصيره، ونراه يكافح مستبسلاً للبقاء على قيد الحياة، تائهًا بمياه المحيط ومحاطًا بأسماك القرش التي تتربص به بالأسفل.

تكمن فرادة "ريدفورد" بقدرته الفذة على التعبير الصامت واستخدامه الفذ لحركات وتقاسيم الوجه والعينين مع مراعاة سنه الذي تجاوز ربما الخامسة والسبعين، فيما يزعق توم هانكس "الثرثار" بوجهنا بأحيان كثيرة، كما يحادث باستمرار لعبة صنعها للمحافظة على سلامته العقلية مع اعتبار الفترة الطويلة التي قضاها منعزلاً بجزيرته النائية... كما يختلف فيلم ريدفورد عن فيلم هانكس باحتوائه على قدر من التشويق والترقب والغموض، فنحن لا نعرف سبب إقدامه على الإبحار وحيدًا بالمحيط، وبدا وكأنه يخاطب شخصًا ما معتذرًا ويائسًا ومُحبطًا في بداية الشريط، فيما ينعدم ذلك التشويق تقريبًا بفيلم "الناجي"، مع التنويه بأداء هانكس المميز وبراعة باقي الممثلين "وكاميرا التصوير الدقيقة"، كما برع المخرج بتقديم عمل سينمائي فريد بطريقة فنية رفيعة مستغلاً نجومية هانكس لجذبنا، وبالحد الأدنى من المؤثرات الخاصة التي برع باستخدامها بفيلم "فوريست غامب" ودون أن يشعرنا بالملل، ولكنه عجز عن الغوص بأثر العُزلة الرهيبة على النفس البشرية والسلوكيات الاجتماعية، فقدَّم لنا فيلمًا تجاريًا نمطيًا مسليًا (عكس ما فعل المخرج شاندور بفيلمه اللافت)... وللمقارنة فقد استعاض المؤلف الموسيقي البارع "أليكس ابريت" بأصوات الأعاصير البحرية والمطر وحركة القارب وطقطقات الأشياء وهمسات الأسماك المفترسة ودمجها ببراعة مع

صوت الجيتار بفيلم "فقدان كل شيء" ليخرج لنا بموسيقى تصويرية أخاذة شيقة تصلح بديلاً لأي حوار أو ثرثرة ! ولكننا لا يسعنا سوى الإعجاب بعملي "زيميكس وشاندور" من منطلق قدرتهما على تصوير "العناد والاستبسال البشري" بمواجهة الأقدار وقوى الطبيعة الجامحة، والتي توصل لنا بذكاء رسائل عدة أهمها "أهمية التواصل البشري" للإنسان العصري التائه والمأزوم.

(٢٠)

الفيلم الفرنسي التاريخي: الملكة مارغو (١٩٩٤)

خيال ترانيم الموت المقدسة:

عندما يتحول القتل لفلسفة "استئصال لحياة الآخرين"

دواعشهم سبقوا دواعشنا بأربعة قرون



الملكة مارغو هي الوحيدة التي تتسلح هنا بالإيمان والحب في مواجهة طغيان الحقد الديني المتأجج بين البروتستانت والكاثوليك، وهي الوحيدة ذات الحب الهائل الذي يقاوم كراهية "الأم القاتلة" التي يبدو وكأنها عوضت عن فشلها بالحب بسيلٍ من الحقد والتحريض والقتل... فيلم "الملكة مارغو" عبارة عن ملحمة سينمائية تظهر إمكانات وعبقرية السينما الفرنسية كما وقدرتها الهائلة على منافسة نظيرتها الأمريكية في حال توفر الميزانيات الضخمة وهي هنا ٣٠ مليون دولار.

لا تلزم إلا شرارة الحقد الطائفي والديني لكي تؤجج شرارة التطهير الطائفي الكاسح من قبل زمرة محدودة من الأشرار المعقدين والمنافقين والمتوحشين

الشهوانيين لكي تنشعل نيران تأكل الأخضر واليابس، ولا تجد من يوقفها بفعل قانون "الاندفاع الذاتي والزخم الإجرامي"!

في تشكيلات إبداعية تشبه اللوحات الكلاسيكية الخالدة المحفوظة في متاحف باريس، تمَّ تصوير مشاهد الزفاف الباذخ في المشاهد الاستهلالية، ثم ننتقل تدريجيًا لأجواء الحرب التي تظهر فيها حالات القتل ضمن إيقاع موسيقي أوبرالي يشبه الترانيم الدينية، وكأن القتل والتنكيل أصبح طقسًا مقدسًا حيث تتحول المجزرة إلى نوع من الصلاة الجماعية التي لا يوقفها شيء، وكل ذلك يجري باسم "يسوع" وهو واحد في كلتا الطائفتين.

يبدأ التحضير للمجزرة في خضم توافد الجمهور المكثف من البروتستانت للاحتفال بزفاف الملكة الكاثوليكية مع عريسها البروتستانتي "نافارو" (الممثل دانييل اوتيل بدور الملك هنري الرابع)، الذي يتم لأهداف سياسية تتحصر بالسعي لإنهاء الحرب الدينية فيما بعد، ثم تقع الملكة الأُم في شرِّ أعمالها عندما يُقتل أحب أبنائها الثلاثة بالسمِّ الذي وضعته خلسة بكتاب الصيد، وذلك بدلاً من زوج ابنتها البروتستني الفلاح المكروه (حسب وصفها له)... وتبقى "مارغو" نبرة الحب الوحيدة في خضم هذا الكم الهائل من الحقد والضغينة، لكن كل توسلاتها لا تستطيع أن تحفظ لها عشيقها البروتساني الفلاح الوسيم المسكين الذي وجدته بالشارع (الممثل فنسنت بيريز)، فتكتفي بالاحتفاظ برأسه الملطخة بالدم بعد قطعها، بعد أن يقوم صانع "العطور والسموم" بتجميله وتحنيطه بالعقاقير الحافظة، ثم تجيب على سؤال الفتى الذي يقودها للهروب: ولكن ملابسك ملطخة بالدماء، فتكتفي بإجابة مقتضبة: المهم أن تنظر لابتسامتي... ثم تقول مارغو في أحد المشاهد: إني أشتمُّ رائحة موت... هكذا يغلب نمط الحوار الشكسبيري الشعري المأساوي بالرغم من قسوة الأحداث ودمويتها.

مهما قال النُّقاد عن هذا الفيلم من أنه لم يتعمق في النسيج الاجتماعي للأحداث وبالغ بإظهار حالات وتفاصيل المجازر والإبادة، وحوّل أُم الملكة إلى زعيمة مافيا بمواصفات القرون الوسطى (القرن السادس عشر تحديدًا). ومهما قيل في هذا الفيلم التاريخي، فهو باعتقادي ملحمة سينمائية بصرية، تجمع ما بين مهارات الإبداع المسرحي والتصوير السينمائي الخلاب في آن واحد، كما أنه يبتعد عن الاستعراض والخطابة والمبالغة بالرغم من تصاعد وتيرة القتل وتراكم الجثث في خضم المذبحة الدينية المتأججة، حيث يُقال إن عدد القتلى بليلة واحدة قد وصل لأكثر من أربعة آلاف بروتستانتي، ولكن المغزى السردي لهذه المشاهد الفظيعة يبرِّر وجودها ، وقد وصل العدد الإجمالي لضحايا المجزرة لأكثر من خمسين ألف بروتستنتي دُفنوا بمقابر جماعية.

وبالرغم من أن اساس المجزرة "ديني – طائفي" إلا أن الدين ذاته يبدو هنا وكأنه شعار خال من المغزى، فالأشخاص يتصرفون هنا بلؤم ووحشية وكأنهم وثنيون لا يؤمنون بأي دين أو عقيدة، وذلك ضمن أجواء متداخلة من الأكاذيب والخداع والدسائس والاغتيالات والمؤامرات والشهوات الجنسية المتمثلة بالزنا والاغتصاب وبلا حدود... حيث يدرك زوج الملكة مارغو أنه "مشروع قتيل" متحرك، فيتم قتله لاحقًا بالسم، كما قُتل معظم الآخرين الذين يرتبطون معه بأية علاقة.

حصد هذا الفيلم (الذي أخرجه باتريك شيرو ويستند لرواية تاريخية كتبها ألكسندر دوماس بالعام ١٨٤٥) العديد من جوائز مهرجان كان، وأبدعت إيزابيل أدجاني بدور الملكة مارغو وأبدت شجاعة كبيرة لإلقاء نفسها بدور كبير كهذا، وأعطت الدور بُعدًا إنسانيًا- بطوليًا- نموذجيًا جريئًا غير مسبوق

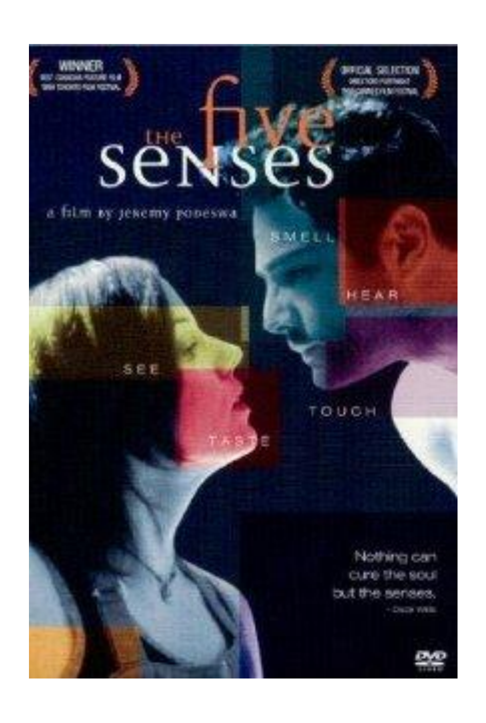
وبدت وكأنها تعيش في غابة وحشية... ولكن جائزة التمثيل الأولى ذهبت لفيرنا ليسي بدور أم الملكة "كاترين دي ميديسي"!

تنبع المفارقة التي تشبه الكوميديا السوداء المرعبة من أن حالات القتل والتنكيل تتحول بفضل البراعة السينمائية الإخراجية إلى مشاهد فنية إبداعية، بينما يصب على رؤوس الناس بواقع الحياة دمارًا وبؤسًا وتنكيلاً لا نظير له، وما نشهده بعالمنا وخاصة بشرقنا العربي (منذ حوالي الثماني سنوات) لا يختلف ربما كثيرًا من حيث الجوهر عما حدث قبل أربعة قرون بفرنسا وبعاصمة النور تحديدًا ، ولا مناص إلا بالعودة للمنابع الروحية النقية في الضمير البشري ، بعيدًا عن أهواء السياسة والمصالح والتحالفات والأحقاد التلمودية والدينية والطائفية والعرقية والإثنية... فيا حكماء العرب اتحدوا وحذار من المجازر القادمة والتحالفات المشبوهة والمؤامرات اللعينة.

(٢١)

الحـواس الخمس (١٩٩٩)

شخصيات ضائعة وحواس ضعيفة



تتمحور قصة هذا الفيلم وأحداثه حول الحواس الخمس: النظر ، السمع ، الحس، اللمس والتذوق... حيث يروي الشريط قصة خمس شخصيات: روث وراشيل ورونا وروبير وريشار ، خمس رجال ونساء يعيشون بمبنى واحد ويعاني كل منهم أزمة عاطفية ونفسية، ويفتقدون للتواصل فهم لا يعرفون بعضهم!

وتبدأ القصة الشيقة عندما تفقد راشيل الطفلة الصغيرة التي كلفت بمراقبتها في إحدى الحدائق العامة، حيث تبدأ عندها عملية البحث عن الطفلة بلا طائل... وخلال ثلاثة أيام متوالية، تنفجر الأزمات النفسية التي تستوطن الشخصيات الخمس المتجاورة، وتنطلق رحلة استكشاف ذواتهم والآخرين عبر حواسهم الخمس، وضمن تداعيات مترابطة تقودهم لحل الألغاز والإشكالات الوجودية وتنتهي باكتشاف لغز الطفلة المفقودة.

تتمحور فكرة الفيلم الذكية بربط إحدى الحواس بكل من شخصيات الفيلم الرئيسية الخمس، ضمن مصفوفة ذكية متماثلة أُفقية وعمودية تعني باستخدام كل حاسة لإخراج الشخصيات من مأزقها العاطفي- النفسي والبحث عن هوية ذاتية جديدة... لقد نجح المخرج الكندي "جيريمي بوديسفا" بجعل المشاهد يشعر بقلق الأبطال وهواجسهم والتيه الوجودي لمصائرهم، واستخدم لتحقيق ذلك التصوير البطيء المُعبِّر والموسيقى الحالمة الهادئة، مما أضفى على الفيلم أجواء شاعرية ممتعة ومريحة.

يكمن ذكاء السيناريو بحسن اختياره للشخصيات والحواس المطابقة... كأهمية حاسة اللمس لامرأة تعمل بالتدليك، وأهمية حاسة الشم لشخص يعمل بالتنظيف أو بشم العطور، وأهمية حاسة التذوق لامرأة تعمل بإعداد الكيك، وأهمية حاسة السمع لطبيب العيون العجوز "المنفصل عن زوجته" الذي يعشق الغناء الأوبرالي "الغامض" الآتي من الشقة المجاورة، والذي يسعى جاهدًا لتسجيل الذكريات قبل أن يصبح أصمًّا.

نلاحظ سخرية لاذعة بمشاهد الفيلم ناتجة عن ضعف الحواس تتمثل بصنع كيك رديء، وبفقدان حاسة السمع لطبيب عيون متخصص، كما نلاحظ البحث عن "رائحة الحب" لإيجاد الشريك الملائم، وحيث الزوجة المتخصصة بشم روائح العطور والتي تعاني من ضعف حاسة الشم تدريجيًا، ثم كيف يتم

استبدال ضعف التواصل اللغوي (لضعف الإنجليزية والإيطالية) بواسطة استخدام لغة "الجنس" كبديل للتواصل الإنساني العالمي! كما نلاحظ أن "روبرتو" العاشق لا يكتفي بذلك بل يبحث عن التواصل بواسطة "الشغف والطعام"... كما نلاحظ معاناة محترفة التدليك "روث سيراف" مع ابنتها المراهقة واضطراب علاقتها مع هذه المتمردة المشاغبة، والغريب أننا لا نلاحظ استعراضًا حقيقيًا لحاسة النظر المهمة إلا بقصة ملاقاة راشيل للمتلصلص روبير (روبرتو) الذي علمَّها لاحقًا متعة مراقبة الآخرين (التي تسمى البحلقة بثقافتنا العربية الشعبية)، وربما قصد المخرج ذلك باعتبار أن هذه الحاسة الفائقة الأهمية هي التي قادت مجازًا لاكتشاف الطفلة الصغيرة الضائعة "إيمي لي" بنهاية الشريط.

كوميديا رومانسية تتناول العلاقات البشرية بشكل سطحي

(وأفلام مغربية حديثة مبهرة إخراجيًا وبصريًا ومثيرة للجدل كمضمون)

أبدع الممثلون بتقديم أدوارهم بتكامل وانسجام ودون أن يحاول أحدهم الاستئثار باللقطات وسرقة الكاميرا، وقدَّم المخرج كوميديا طريفة ورومانسية بفكرة خلاقة فلسفية ترتبط بفصل الحواس الخمس والتركيز على دور كل منها، ولكنه كان عاجزًا عن التعمق فيها بشكل مجازي مؤثر وشمولي، حيث بقي تناوله سطحيًا بلا مغزى... كما بالغ المخرج بإظهار اللقطات العارية التي لا تخدم السيناريو وجُمل بقصد الشذوذ الجنسي المزدوج وكأنه يوجه رسالة لتأكيد دور هذه الشخصيات المنحرفة بالمجتمع... وللأسف فقد لاحظت انبهار بعض المخرجين العرب بهذا النمط السافر من الأفلام وبعضهم يحاول تقليده، وكأنه يحاول أن يقنعنا بتحرره الزائد وانفلاته من

القيود الاجتماعية وربما الخُلقية، ولقد لاحظت ذلك حديثًا بأفلام "أيام الفيلم المغربي" في عمان (١٦-١٨ /٤/٢٠١٨)، وتحديدا بفيلمي "بورن آوت" و"غزية" (٢٠١٧) اللافتين، للمخرجين نور الدين لخمري ونبيل عيوش، حيث استعرضا بعمق درامي مبالغ به وغير مفهوم كافة المشاهد الجنسية بجرأة غريبة، وربطا ذلك بانتشار الفقر والطبقية الحادة والفساد المتفشي والنفاق والبيروقراطية والشذوذ والإجهاض (بأنماط معالجة سطحية وغير مقنعة)، وصولاً لمبالغات تتعلق بإهمال التعليم بالأمازيغية للصغار وهيمنة اللغة العربية (وكأنه يبرر هنا ضعف وتخلف التعليم)، والتعصب الديني المتزمت العشوائي والانفلات الجنسي الغريب، وكذلك ممارسات اغتصاب الأطفال واستخدام العنف بحقهم، وبؤس حياة ومعاناة الفقراء والشحاذين وبشاعة استغلالهم، ثم لتصنع قصص معاناة الطائفة اليهودية المنعزلة والمرفهة واللامبالية وغير المنتمية ومندمجة مع المجتمع، ولعبث ولامبالاة وسفالة وازدواجية معايير المسؤولين ورجال الأعمال على حد سواء، وصولاً لتداعيات احتجاجات الربيع العربي البائس والمدمر، الذي أوقد شعلة الفوضى والخراب والانتقام في كل مكان، وخلط الأجندات والمشاكل والأولويات... وبمضمون شيق سينمائيا وبصريا ومسليا بطروحاته الجاذبة الصادمة والرومانسية على حد سواء (ومنها قصة صنع فيلم كازابلانكا الشهير الذي لم ينتج حتى في الدار البيضاء، والذي تعرض لمشاكل اخاجية وافتقد حتى للكيمياء بين بطليه الرئيسيين)، ولكن يفتقد كُليًّا للإقناع والعمق، وبدا وكأنه يصدر من عيون "استشراقية- متفرنسة" بالغة التشويه للمجتمع المغربي (العربي-الإسلامي، ومن منطلق "وشهد شاهد..")... وأشعر ككاتب وناقد وباحث سينمائي، وكأن هؤلاء المخرجين يسعون بهذه الأعمال غير المقنعة وغير الصادقة لاسترضاء الغرب ونيل التمويل والشهرة على حساب سمعة أوطانهم ومعاناة شعبهم الفقير المكافح، وكذلك ربما للعرض في

المهرجانات الدولية، ولنيل الجوائز التقديرية العالمية، وقد استغربت حقًا من بعض المشاهد الصادمة ، التي قدَّمها الفيلمان بطريقة استعراضية إيمائية لافتة، مثل الجنس الفمي، واغتصاب الأطفال، وعبث مراهقة في الخامسة عشر من عمرها بجسمها جنسيًا ، وكذلك المشي شبه العاري في شوارع الدار البيضاء وعلى الشاطئ، كما بالسخرية اللاذعة من بعض السلوكيات الإسلامية الحميدة كالدعاء المستفيض للموتى في المدافن، وتجنب الجلوس فوق القبور، والحجاب العادي الساتر والعملي، الذي حتى سمح به في العديد من الدول الأوروبية، والسخرية والتحرش بامرأة جميلة بدينة ترقص في حفل شبابي، لمجرد أنها لا تحرك جسمها بطريقة مثيرة جامحة... والغريب أن مخرج فيلم "غزية" يعزى تخلف بلده للممارسات الاجتماعية/الدينية المتحفظة السائدة في دولة علمانية/ليبرالية ، وكذلك للنفاق والبيروقراطية (متجاهلاً الفساد وجذوره المجتمعية والمؤسسية ، والقمع وعدم الانتماء وكراهية الذات والتراث، وأسباب أخرى لا يتسع المجال هنا لذكرها...)، وناسيًا أن دولاً إسلامية كبيرة كإندونيسيا وماليزيا على سبيل المثال، قد حققت معجزات الاقتصادية ريادية، بدون أن تسمح للمعيقات الاجتماعية/ الثقافية بأشكالها المختلفة لأن تمنعها عن تحقيق أهدافها، ولنأخذ كذلك الهند مع كل التفاوت الهائل المتنوع الذي تعاني منه كمثال صارخ.

وأخيرًا فقد أكَّد فيلم "الحواس الخمس" الغريب هذا على أهمية تكامل الحواس البشرية وتداخل العلاقات والبحث عن الذات والانسجام لبشر متجاورين "باردين" لا يعرفون بعضهم البعض، كما على الحس العاطفي والتواصل الإنساني، ولكنه عجز عن التعمق بفلسفة هذه الثيمة الإنسانية البالغة الأهمية واكتفى بمعالجة درامية سطحية ممتعة لا تنطبع بالذاكرة.

(٢٢)

سنـدريـلا (٢٠١٥)

" تحلي بالشجاعة وكوني طيبة "

فانتازيا رومانسية خلابة مع خيال تحريكي مدهش

بطة جميلة بيضاء تركض فرِحَة أمام عربة الأحصنة، التاجر الناجح بمملكة ايلا ، العائلة السعيدة ، الفتاة الجميلة البريئة ، أجواء بهيجة تحفل بالسعادة والضوضاء، موسيقى تصويرية خلابة، ثم تموت الأم بمرض مفاجئ وتفقد الأُسرة سعادتها ، يضطر الأب الأرمل بعد فترة للاقتران بزوجة الأب الشريرة، التي تدخل حياة الأُسرة بلباس أسود وأداء ساحر "كامن"، ثم تدعي أنها ستعيد الحياة للمنزل، قطها السمين الأزعر يلاحق الفئران الودودة بمكر جيني، وعندما يغادر الأب في أخر رحلاته التجارية، وكأن الابنة العطوفة تشعر بأنها تراه للمرة الأخيرة، توصيه : أحضر لي أول غصن يلامس كتفك... ويقول لها: أترك دائمًا جزءًا من ورائي، فأمك المرحومة ما زالت هنا وروحها تملأ المكان... ولا يعجب هذا الكلام الحزين الشفيف زوجة الأب الحقودة، فتفيض غيظًا وغيرة، وخاصة عندما يقول لابنته المحبوبة: وداعًا ايلا سأبقى أحبك... ثم نرى ونسمع صوت الغربان وهي تنعق مبشرة بأيام قادمة حالكة، وتتوالى الأخبار السيئة، فنعلم عن موت الأب بعيدًا أثناء رحلته، وكيف يلتزم بإحضار "الغصن الأخضر" كذكرى لابنته، ثم تكشف زوجة الأب عن وجهها الكريه بلا تحفظ، فتأمر ايلا للنوم في العلية مع أصدقائها الفئران، وتتقبل ايلا الطيبة الشجاعة واقعها الجديد بلا تذمر، وهي

التي تفيض حُبًّا للحياة والعمل والطبيعة، فهناك بالعلية لا يوجد قط عدواني بغيض ولا أختان كسولتان مقرفتان.

أبدعت "كيت بلانشيت" في تأدية الدور كزوجة أب غيورة حقودة، وبعد أن مرض الأب ومات، صرفت الخدم الأوفياء توفيرًا للتكاليف، وحوّلت الابنة الجميلة لخادمة مطواعة، كما أساءت هي وبنتاها معاملتها، وقامت بتسميتها "سندريلا" (بعد أن سخرنَّ من منظرها المغَّبر بالرماد، وتعني: ايلا الرماد)، ثم قالت لها بتعالي بغيض: لا يمكن لكِ الجلوس معنا.

ثم أن للأسماء تعويذة سحرية قد تقود لحظ جيد ومصادفة رائعة، فبعد أن تغادر حانقة وهائمة على وجهها، تجد فجأة مجموعة صيادين يستهدفون ظبيًا بريًّا ضخمًا جميلاً، ثم تصادف أميرًا متواضعًا، ما زال لديه الكثير لينجزه بحياته حيث يخبرها (دون أن يكشف عن هويته) بأنه يعيش في قصر باذخ، ثم أنها تعيد على مسمعه بسذاجة الحكمة التي تناقلتها عن والدتها المرحومة: "لنتحلى بالشجاعة ونكون طيبين"... وانبهر الأمير بجمالها وبرائتها، فأبلغ والده الملك، ودعا لحفلة موسيقية عامة صاخبة لكي يختار عروسًا ملائمة، وعندما علمت زوجة الأب بالأمر قامت بمنعها من حضور الحفلة، لكي تحظى ابنتاها "ديزيريلا وانستازيا" بفرصة لقاء الأمير، وفوجئت بحقد زوجة الأب: لن تذهبي للحفلة!... فأخفت سندريلا غضبها ووصفت الابنتين ببشاعة الباطن وجمال الظاهر... وتاهت بائسة محتارة، فظهرت لها فجأة ساحرة بشكل عجوز متسولة، وطلبت منها القليل من الحليب قائلة: الحليب لا شيء ولكن الطيبة هي التي تعطي المعنى لكل شيء... ثم قالت لها: "أنا عرَّابتك الجنيّة وسأحقق أمنيتك"... ومارست سحرها "المستحب"، فحوّلت يقطينة ضخمة لعربة ذهبية فخمة، وحوّلت أصدقاءها الفئران لجياد بيضاء جميلة، والعظايات الصغيرة لخدم بلباس ملكي أبيض، أما الأوزة البيضاء الجامحة

فقد تحولت لتصبح سائق العربة، ثم صنعت لها رداءً فتّانًا أزرق... وترافق ذلك المشهد الخرافي مع موسيقى صادحة وانطلاق فراشات جميلة، وصنعت لها أخيرًا زوجًا من الأحذية الزجاجية الملونة... وحذرتها قائلة : سيدوم مفعول هذا السحر مع أخر صدى لجرس منتصف الليل ، فاحذري وعليكِ العودة قبل ذلك...

ثم انطلقت العربة الذهبية مع الأجياد المسحورة بقيادة الأوزة البهية للحفل الملكي وقبل فوات الأوان ، ليعود الأمير فينبهر بوجودها المفاجئ، ولتفوز بقلبه ، ولكنها تختفي هاربة مع جرس منتصف الليل ثم تفقد بسبب تعجلها إحدى فردتي الحذاء الملون اللافت... ويجري الأمير الولهان مسحًا شاملاً لكشف صاحبة الحذاء المفقود ، ولا تفلح محاولات زوجة الأب الحاقدة والغيورة لإخفاء سندريلا في دهاليز المنزل ، فينكشف الأمر أخيرًا ، فتعود للأمير المتلهف، ليتزوجا وتصبح الملكة، ولكنها تسامح زوجة الأب الشريرة وابنتيها وتقول بالمشهد الأخير المعبر : "أسامحكِ... بلا انتقام" ، وكأنها تسترجع وصية والدتها المرحومة: كوني طيبة وتحلي بالشجاعة وسيكون كل شيء على ما يرام!

أعتقد أن سحر قصة سندريلا ينبع من فكرة "الإذعان السلمي" للأمر الواقع، وهي سمة قدرية- صوفية (ذات طابع فلسفي) ، وأن الرسالة تكمن في أنه مهما حدث في حياتك ، ومهما بدت لك الأشياء مزعجة ظاهريًا ، فإن الله سيفتح لك دربًا جديدًا إذا ما بقيت "طيبًا وشجاعًا ومكافحًا ومتفائلاً"... يعني ذلك أن تنظر للشوكة وترى الوردة، وأن تنظر إلى حلكة الليل وترى ضوء الفجر ، وهذا ما فعلته سندريلا.

الفيلم الذي شبَّهه النقاد بـــ"قرصان الكاريبيان" لكونه تحفة بصرية سينمائية شاملة، حافظ على النكهة الأصلية للرواية الشعبية المعروفة، وأظهرت فيه

الممثلة الجميلة الشابة "ليلي جيمس" مواهب تمثيلية فريدة، وأقنعتنا بوجود "كيمياء خاصة" وبالحب من أول نظرة مع الممثل "ريتشارد مادن" (الأمير الولهان)، كما أبدعت كيت بلانشيت كعادتها بدور زوجة الأب الطاغية- الخبيثة، وتفوق "ديريك جاكوبي" بدور الملك المريض.

تظهر مهارة وعبقرية المخرج "كينيث براناه" بقدرته على دمج هذه الفانتازيا الرومانسية الممتعة مع خيال تحريكي حيوي، بحيث لا نعرف الحدود بين الواقع والخيال، كذلك بقدرته على إدخالنا لقصته السينمائية بأسلوب تصوير استحواذي ومؤثرات بصرية مدهشة، ناهيك عن روعة الموسيقى التصويرية وبراعة تصميم الملابس والإنتاج.

(٢٣)

La Antena (٢٠٠٧)

فيلم أرجنتيني يسترجع الحنين للسينما الصامتة
والهوس السيريالي/الفلسفي والنقد الاجتماعي اللاذع





صبي بلا عيون ومغنية بلا وجه وسُكان بلا صوت !

يبدأ الفيلم بفتاة صغيرة اسمها "أنا" تتمسك بحبل منطاد يرتفع يقوده رجل سمين غريب (يبدو كمهرج) وهو (ضمن مجموعة منطلقة من المناطيد) يروج لمنتجات غذائية في سماء المدينة، ونراها تعجز عن إحكام قبضتها الصغيرة فيما يهترئ الحبل تدريجيًا، وتسقط مقلوبة على كومة لينة، وتنطبع على يديها لطخة تخديش محتقنة ذات دلالة رمزية، ثم نرى نفس الطبعة

مرسومة أيضًا على يدي والديها (فني تصليح البث التلفزيوني ومطلقته)، ثم نرى مرارًا الطفل الأعمى "توماس " الذي يظهر بلا عينين، ومباراة محتدمة للملاكمة، وشابة تتحول لامرأة عجوز بعد أن تصاب برصاصة، وخط إنتاج أغذية يتوقف فجأة ، ورجل جرذ ، ومدينة سُكانها خُرس لا يتحدثون ، ثم أخيرًا ينطق صوت توماس في نهاية الشريط، فيستيقظ الموتى الساقطين في الشوارع، وتتعالى الأصوات فجأة ، ويعود للمدينة البائسة صوتها المفقود... هكذا تبدو معظم مشاهد هذا الفيلم السيريالي العجيب كلها ذات دلالات رمزية، شريط متقن صامت على الأغلب يحفل بالجماليات المشهدية والنساء الجميلات والرقص الجذاب والغناء النوستالجي بين الحين والآخر ، يستعرض حالة مدينة يفقد سكانها القدرة على الحديث ، مع وجود شخصية استبدادية فاسدة تهيمن عليها تدعو المستر "تي في" أي تلفزيون ، يبدو كشخصية مافيوزية شريرة يدخن السيجار دومًا ويلبس بزة مخططة أنيقة ، ويتحرش بالنساء الجميلات ولا يبالي بأحد إلا بمصالحه وأمواله ومصنع الأغذية وأجهزة إعلامه المتسلطة، ويتجول بسيارته القديمة الأنيقة في أزقة وشوارع وساحات المدينة البائسة ، مستعرضًا تعبيرات وجهه "المافيوزي السحنة" ووجاهته وتصلفه وجفاءه وسخريته ذات المغزى.

يتحدث هذا الفيلم الغريب أحادي اللون والصامت تقريبًا عن تغول وسائل الإعلام ، ويسترجع بذكاء أطروحات المخرج الفرنسي "جورج ميليس" في فيلمه الصامت "رحلة إلى القمر" ، كما يتشابه برؤيته للمدينة مع طرح المخرج الألماني الشهير "فريتز لانغ" بفيلمه المميز "متروبوليس" ، حيث تدخل الشخصيات فجأة لسياق القصة بلا تمهيد وتفصيل ، وكأن المخرج الأرجنتيني هنا يريدنا أن نتأثر بمقولة "إنك لم تسمع شيئًا بعد"!.

بطل هذا الفيلم بلا منازع هو أسلوب السرد الغريب "الملتوي والواهي والصعب المتابعة والمتداخل" ، حيث لا توجد عناوين داخلية ولا فقرات سردية دارجة، وحتى خارج نمط الأفلام الصامتة التقليدية، فمنهجية السرد الغريبة هذه تفرض نفسها على كل من العمل والمشاهد بطريقة مشتتة واستحواذية في آنٍ واحد.

تقع أحداث هذا الفيلم الغريب في مكان ما لعالم مستقبلي "ديستوبي"، حيث يفقد فيه جميع السكان أصواتهم، بتأثيرات غسل لدماغ لمحطة التلفزيون الوحيدة (بشكل كاسح وشرير) ، وحيث يملك هذه المحطة قطب إعلامي يسمى "مستر تلفزيون (تي في)، وهذا المستبد يخطف الشخص الوحيد في المدينة الذي ما زال يملك صوتاً وهو مغن متواضع "مسكون"، يملك طفلاً بلا عيون، ويكمن الحل الوحيد للنجاة والخلاص من طاغية التلفزة المستبد هذا بإيجاد "الهوائي المفقود" وإعادة تشغيله.

يحمل هذا الشريط مضامين كبيرة صادمة، كمشهد الطفل بلا عيون وهو مصلوب على نجمة داوود السداسية (بصراحة لم أفهم تمامًا المغزى من هذه اللقطة سوى تماهي الصبي مع تضحية السيد المسيح وربما هذه مبالغة سردية في غير مكانها)، والفيلم يطرح رؤية ريادية تدفع بالخروج من آفاق الممكن للمستحيل الفريد.

كوميديا سوداء درامية الطابع من كتابة وإخراج "ايستيبان سابير"، هنا يسعى المخرج لتحذيرنا جديًا من سيطرة وسائل الإعلام المتغولة، يتماثل نمط إخراجه مع المدرسة التعبيرية الألمانية، حيث يخبرنا قصة المجتمع الذي فقد حرفيًا قدرته على الكلام، بعد أن تعرض إلى وابل مستمر من البث المزعج (ربما كحالنا البائس اليوم) والدعاية المكررة لكافة المنتجات المتنوعة (ومنها الغذائية) في كل بيت ومكان (لنتذكر فقط كم الدعايات الكبير والمكرر

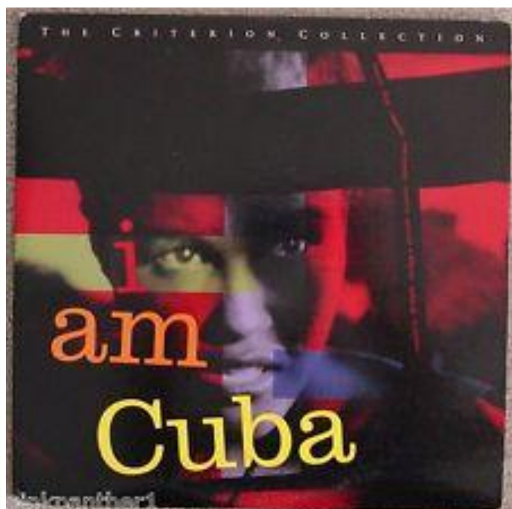
وأحياناً السخيف الذي يقطع المسلسلات الرمضانية) ، حيث ندخل للسنة "اكس" بلا أصوات في المدينة، أما الفرد الوحيد الذي ما زال يحتفظ بقدرته على نقل وتوصيل الأفكار من خلال الكلام فهو المغنية الغامضة "فلورينسيا راجي"، وهي مغنية وراقصة بلا وجه، وحيث تسمع أغانيها المهدئة الجميلة على واحد من أكثر البرامج شعبية، الذي يملكه بدوره المستر "تي في"، ينتشر هذا الصوت الناعم في أجواء من التهديد والترقب، عندما يأخذ فريق السيد "تي في" مع الدكتور "واي" على عاتقه مهمة السيطرة الكاملة على كافة محطات البث التلفزيوني في المدينة لتنفيذ خططهم الشائنة. ولكن خطتهم الخبيثة تواجه عقبة غير متوقعة، عندما نكتشف أن صوت الابن توماس (جوناثانساندور) الذي وُلِد بلا عيون، يملك قوة وتأثير النطق والكلام، فيقوموا حينئذٍ باختطافه (السيد "تي في" مع السيد "واي")، وينفضح أمرهم أخيرًا عندما يهرع المخترع (رافائيل فيرو) لإنقاذ توماس، واضعًا خطة لإنهاء سيطرة "تي في" على وسائل الإعلام، بمساعدة الفتاة الصغيرة أنا (سول مورينوم) والممرضة المخلصة (جوليتا كارديناللي)، ويقوم المخترع بتطبيق خطة لإنقاذ واستعادة الأصوات، قبل أن يبادر السيد "تي في" للسيطرة الكاملة على عقول سكان المدينة، غير أن المحقق يدرك متأخرًا أن خطة السيد "تي في" لا تنسجم مع طريقة تفكيره بأية حال، لذا يثابر على إنجاح خطته للخلاص بأي ثمن.

(٢٤)

الفيلم السوفيتي الكوبي : "أنا كوبا" (١٩٦٤)

انطباعات بصرية مذهلة تتماهى مع لوحة "لاجورنيكا" لبيكاسو





بعد ٥٢ عامًا ، أوباما للكوبيين : جئت لأدفن بقايا الحرب الباردة

يبدأ هذا الفيلم المدهش بمشاهد باذخة لهافانا ما قبل "كاسترو" ، حيث تحوم كاميرا ذكية ما بين السابحات الفاتنات على السطح ثم نزولاً عموديًا لسطح آخر مرافق لبركة السباحة، ثم تتجول في بار وتتابع نادلة توزع المشروبات على السُّياح ، وتسير معها لبركة السباحة حتى تغطس بنا لداخل المياه...

هكذا يستهل هذا الشريط ويغوص بكل هذه المشاهد بلقطة واحدة متلاحقة في أسلوب تصوير ثوري غير مسبوق... صنَّف معظم النُّقاد الغربيين هذا الفيلم على أنه فيلم دعائي ضد أمريكا، فيلم يمجِّد الثورة الكوبية الناشئة التي قادها فيدل كاسترو بعنفوان ثوري ريادي... أخرج هذا الشريط المخرج السوفيتي "ميخائيل كالاتوزوف" بالعام ١٩٦٤، وقد فاز نفس المخرج بالسعفة الذهبية في مهرجان كان عن فيلمه الرائع "الرافعات الطائرة" للعام ١٩٥٧.

يُقال إن المخرج السوفيتي الشهير قد أخرج هذا الفيلم متأثرًا بتحفة الإيطالي "فيلليني" "الحياة الحلوة"(١٩٦٠)، وقد تمكن من المحافظة على أحسن تقاليد الواقعية الاشتراكية، مُسلطًا الأضواء على مساوئ الإمبريالية الأمريكية، ومتطرقًا لثيمات معبِّرة ذات دلالة مثل المقاومة المتمثلة بمزارعي القصب الشجعان وطلاب الجامعات الجامحين، منهيًا بمشاهد معبِّرة لأبطال الثورة الكوبية المقاتلين الأشداء في التلال والمرتفعات والمحاطين بالمزارعين الكادحين.

تبدأ مشاهد الاستهلال بالنادي الليلي، ومرأى اليانكي المتبجحين بصحبة العاهرات الكوبيات، حيث يصرُّ أحدهم على غير المعتاد على مرافقة صديقته لمكان عيشها بضواحي هافانا البائسة، ثم يشتري منها قلادة الصليب، لتفاجأ أخيرًا بقدوم خطيبها "البريء-الساذج" بائع الفواكه المتجول، الذي كان يعتقد أنها ما زالت عذراء... ثم نرى البحَّارة الأمريكان يتجولون وهم سكارى ويغنون بحثًا عن النساء بشوارع هافانا، وننتقل لنشاهد مزارع عجوز كادح بائس وهو يحرق مزرعته اليتيمة بدلاً من تسليمها طواعية "لشركة الفواكه المتحدة"، وتقودنا الكاميرا الساحرة لمشاهد المقاومة الباسلة في شوارع هافانا، ومقاومة الطلبة وطريقة توزيعهم للمنشورات الثورية، ثم نرى أحدهم يسقط متضرجًا بدمائه بعد أن يقدم قائد الشرطة البدين الكريه

على استهدافه بدمٍّ بارد مستمتعًا بقنصه، فيما نرى نفس الشاب المقاوم يتردد في قنص نفس هذا الضابط عندما تتاح له لفرصة ، متأثرًا بحالته كأب يحتضن طفليه ويتناول الفطور على شرفة منزله بصحبة عائلته.

يبدو هذا الشريط المبهر كخلطة كوكتيل غريبة مكونة من السياسة والدعاية والشعر ، ضمن مشاهد أخَّاذة يبدو بعضها كهذيان ، وكأن المخرج "ميخائيل كالاتوزوف" يتلاعب بالكاميرا ويقدِّم ملحمة مبهجة وفاتنة وحزينة بالأسود والأبيض كتحية سينمائية للثورة الكوبية ، وربما كاد أن ينجر لتقديم "تنويم بصري–مغناطيسي" لطريقة تلاعبه مع المصور السينمائي الفذ للمشاهد الطبيعية الجمالية وللظلال والضوء، وقد نجح بتقديم تحفة سينمائية لافتة.

صنَّف بعض النُّقاد هذا الفيلم على أنه "مذهل سينمائيًا وساذج سياسيًا"، ولكني بالحق رأيت فيه بُعدًا ثوريًا نادرًا للفن السينمائي الحقيقي ، وربما خلط المخرج بقصد مكونات " الجدية السلافية مع الشهوانية اللاتينية"، ولكنه نجح بالتأكيد بتقديم صورة واقعية فريدة لبؤس وتناقضات "هافانا الدكتاتور باتيستا" الطاغية المكروه ، مراوحًا ما بين مشاهد الرقص المحموم والانحطاط الجنسي السافر وصور الفقر المدقع والبؤس المحلي ومشاهد القمع القاسية، ونجح باستعراض كل هذه الثيمات في أربع قصص معبِّرة انسيابية متصاعدة تلخص وقائع وأسباب الثورة الكوبية الجامحة، وتمكنت الكاميرا البهلوانية في أخذنا كمشاهدين مأخوذين لرحلة قطار ملاهي تصيبنا بالدوار الممتع، حافلة بالجماليات المائية ثم تنتقل للمزارع الجميلة لكي تحدثنا عن بؤس الفلاحين المعدمين ، وممارسات الشرطة الفاشية القاسية ، وصولاً لمقاومة الطلاب المثقفين المعارضين وانتهاءً ببسالة الثوار المقاومين.

(٢٥)

الفيلم السويدي: "حمامة جلست فوق غصن تتأمل الوجود"

متاهة إنسانية وجودية وسخرية فلسفية وكوميديا سوداء تشويقية





سيريالية وجودية أعجبت النقّاد، ولم تنل إعجاب الجمهور، كوميديا سوداء صادمة، تتناول مواضيع الحب والتقدم بالسن والديون المالية وخيبات الحياة والوحدة... تتناول ثيمة الفيلم "الوجود الإنساني" بالكثير من الحرفية العالية، تحفل بالفكاهة السوداء "الحلمية"، ترتبط بتجارب البائعين المتجولين الفاشلين "سام وجوناثان"، حيث يأخذانا بجولة غريبة فنتازية وحقيقية في آنٍ واحد، لنكشف النقاب عن الحلقات العبثية لمصائر البشر: كغناء بقاعة مطعم بأربعينات القرن الفائت وتقديم القُبلة للساقية الجميلة بدلاً من دفع ثمن المشروب، وتجربة معلمة "الفلامنكو" التي تتحرش بتلميذها الوسيم، وقصة

الملك السويدي "شارلز الثاني عشر" الذاهب للمعركة، كما لم ينسى المخرج الفذ "روي أندرسون" استعارة ذكريات المجازر والمحارق البشعة للاستعمار الأوروبي لأفريقيا، وركَّز على إظهار التجارب العلمية على قردة مقيدة بائسة معذبة تذكرنا "بالقردة "لوسي" بالفيلم الأمريكي الشهير (من إخراج الفرنسي لوك بيسون)، والتي تمَّ اكتشاف رفاتها بحفريات شرق أفريقيا"، والتي يعتقد أنها أصل الإنسان القديم!... إنها رحلة تكشف النقاب عن جماليات اللحظات الآنية للوجود الإنساني المؤقت"، كما تسلط الأضواء على الدور المهمل لصغائر الأمور بالوجود البشري، ولا تغفل تذكيرنا بعظمة الحياة، مغلفة كل ذلك بروح الدعابة التلقائي والتراجيديا اللافتة.

تروي لنا الأحداث الرئيسية بهذه التحفة السينمائية تفاصيل سفر رجلي المبيعات سام (الممثل نيلسن ويست بلوم) وجوناثان (هولجر أندرسون)، اللذين يعملان بمجال أعمال ومنتجات الترفيه، ويسوِّقان أشياء غريبة كأنياب مصاصي الدماء المصنعة والأقنعة البلاستيكية المخيفة وأكياس القهقهة بحجة رغبتهما بمساعدة الناس وإضحاكهم، وحيث تتراكم ديونهما المستحقة القديمة من متاجر مختلفة ببلدة "غوتنبيرغ"، ثم نرى تهرب المديونين منهم لفشلهم ببيع هذه المنتجات الغريبة... ويتحدثان بالليالي بغرفتهما عن خيباتهما المختلفة بالحياة، ويتشاحنان لاختلاف طريقة تفكيرهما، ثم لا يلبثا أن يتصالحان.

يبدأ هذا الفيلم الغريب بثلاثة مشاهد للموت: الأول يتعلق بسقوط الزوج ميتاً فيما كان يحاول فتح قنينة نبيذ، فيما نرى الزوجة على بعد أقدام منه بالمطبخ تعد العشاء بلامبالاة، والمشهد الثاني يتعلق بامرأة عجوز على فراش الموت ترفض التخلي طوعًا عن شنطة مجوهراتها، معتقدة بإصرار أنها ستأخذها معها للسماء بعد الموت بينما يصرُّ أبناؤها على سحب الشنطة منه لأنها

تحتوي على ساعة ذهبية ثمينة للأب الراحل، والمشهد الثالث يتعلق بزبون كافتيريا متوسط العمر، يسقط ميتًا بعد الانتهاء من حساب تكاليف وجبته، ولا يوجد أحد مستعد لكي يستفيد من وجبته المدفوعة إلا عجوز يأخذ البيرة فقط.

وهناك مشهدان آخران يشدان الانتباه، حيث تضع معلمة رقص بدينة محترفة (لوسي- تورنروس) يدها على جسم تلميذها الوسيم المتدرب أوسكار (سالومونسون) متحرشة به بوقاحة سافرة فيما تحاول تعليمه إتقان الحركات، ثم لقطة لبنت صغيرة موهوبة تظهر على المسرح بمدرسة وتصف للحضور ومعلمها شعرًا كتبته عن الحمامة بدلاً من إلقائه... أما المشهد الثالث اللافت هنا فيتعلق بالملك شارلز السابع (الممثل فيكتور جالينبرغ) وحادثة سقوطه عن ظهر فرسه، كما يقوم جنوده المهزومين باضطهاد ورفس عاملة البار الشابة وجلد عامل آخر، بينما يتناول الملك المياه المعدنية ويتحرش بعامل البار بعد عودته مهزومًا من حملته العسكرية.

يتماثل هذا الفيلم الثالث للمخرج السويدي مع نمط أفلام الفنلندي "آكي كوريسماكي" التي تناقش عبثية الوجود الإنساني، وتتضمن مناظر خلابة وشخصيات مثيرة للدهشة وأحداثًا غريبة، ويحتوي على وجبة دسمة من الإثارة والإرباك والاستفزاز والطرافة، وهو يستحق بجدارة "جائزة الأسد" الذهبية بمهرجان كان لعام ٢٠١٤.

معظم لقطات الفيلم مصورة بكاميرا ثابتة، وتتوالى المشاهد اللافتة المجازية، كمشهد الأُم التي تجلس بمحاذاة سياج في حديقة عامة وهي تلعب مع طفلتها الرضيعة، ثم المشهد البالغ الدلالة لجنود بريطانيين استعماريين، يقودون مجموعة بائسة من العبيد السود لداخل أسطوانة معدنية ضخمة مزروع على محيط سطحها "أبواق"، ثم يغلقون الباب الفولاذي بإحكام، ويشعلون النار

تحتهم ليتم شواؤهم ببطء، وتنطلق الصرخات وآهات العذاب كالموسيقى الصاخبة عبر الأبواق، بينما نرى حشدًا من العجائز البريطانيين البيض وهم يحتسون النبيذ بهدوء ويستمتعون بفضول وسادية بمشاهدة المنظر المرعب وكأنه فيلم سينمائي وثائقي... ويختتم الشريط بلقطة تعبِّر عن جماليات اللحظة الراهنة وأثر مرور الأيام على وعينا البشري، حيث نرى فيها أربعة أشخاص على الرصيف بمحاذاة محل حلاقة، حيث ينظر أحدهم للأعلى ونسمع هديل حمامة، ثم يتساءل مستفسرًا ومؤكدًا أنه يوم "الخميس" ويجيبونه بأنه "الأربعاء"، ولكنه يصرُّ قائلاً ولكنه يبدو وكأنه يوم "الخميس".

المخرج أندرسون لا يبدو مهتمًا بتفسير فيلمه وتقديم إجابات لكل هذه المشاهد المتلاحقة المجازية، ويستكمل بهذه التحفة السينمائية ثلاثيته بعد فيلميه اللافتين "أغنية من الطابق الثاني" و"الحياة"، ويتحفنا هنا بهذا الزخم المشهدي الشيق بالحافل بالدلالات المجازية، ربما ليدفعنا للتساؤل عن موقعنا في هذا العالم، وربما لمعاينة وجودنا البشري ولقياس ضميرنا الإنساني ولإضحاكنا وتسليتنا إبداعيًا من منطلق "شر البلية ما يضحك".

(٢٦)

وداعًا يا بيتي الحبيب (١٩٩٩)

عبثية تبادل الأدوار وسكينة تقبل المصائر



أعجبني هذا الفيلم الفرنسي الكوميدي القديم، الساخر والجاد بآنٍ واحد، وهو يتحدث عن شاب غني يقرِّر أن يغامر لمعرفة خفايا حياة التشرد والفقر والجريمة بالحي الباريسي المجاور (بلانشيه ديفاشيه)، فالبطل هنا نيكولاس (ويقوم بالدور الممثل نيكوتاريلا شفيلي)، الذي يعتبر الابن الأكبر لعائلة ثرية مفككة، تديرها والدته الثرية "ليلي لافينا"، وهي صاحبة أعمال ناجحة ولديها جدول انشغال دائم، وتستخدم مروحة خاصة لتنقلاتها ولعقد الصفقات، أما والده فهو عجوز متقاعد مهمش، حيث يلعب الدور المخرج الجورجي الأصل اوتار يوسيلياني (الذي هاجر لفرنسا بسبعينات القرن الفائت، وهو نفسه كاتب السيناريو)، ويبدو في الشريط كمدمن على النبيذ، يعيش منعزلاً

بغرفة باذخة معزولة داخل القصر، ويهوي اللعب بنماذج القطارات الحديثة، التي تدور دومًا بلا هدف فوق طاولة واسعة مخصصة لها، كما أنه يملك كلبًا لطيفًا، ويبدو ودودًا خفيف الظل ومسالم مطيع وراض بحياته، ويمارس بشغف رياضة القنص "الوهمية" على أطراف الحديقة المجاورة للقصر بالتعاون مع خادم ظريف غريب الشكل والأطوار، ويبدو ضعيف الشخصية أمام هيمنة زوجته المتنفذة، التي تحشره أحيانًا بغرفته لكي لا يلتقي بأصدقائها الكثيرين، وكأنها تخجل منه.

يظهر ابنه نيكولاس وكأنه يملك مشاعر متضاربة حول نمط حياة أسرته الباذخ وطبيعتها المفككة، ويظهر كمتمرد ورافض لذلك، لذا فهو يصادق شحاذًا مشردًا، كما أنه يعمل بكد في مقهى، ويغسل الأطباق وينظف النوافذ بمطعم مجاور، محاولاً أن يجذب انتباه ابنة صاحب المقهى، التي تفضل عليه شابا آخر مزيف يدعي الغنى والثراء، ويلبس ملابس باذخة يلتقطها خلسة من حاويات الشوارع، ويقود دراجة نارية ثمينة مستعارة، يتنقل بها بأنحاء باريس، والشابان لا يعرفان بعضهما وإن كانا يلتقيان أحيانًا بالصدفة. وفي ليلةٍ ما ينجح الشاب الثري بإيواء جماعة من المشردين المدمنين على الكحول، ويدخلهم خلسة لقبو النبيذ الفاخر الخاص بعائلته، وينضم والده الفوضوي المدمن بدوره للجماعة، كما يتصادق مع عجوز مشرد يهوي الغناء والشرب... لكن تبعات صداقة "نيك" مع الطبقة السفلى ذات الأسبقيات تقوده بطبيعة الحال للشبهة والسجن، وخاصة عندما يتورط معهم بسرقة بقالة بالجوار، ويخرج من السجن يائسًا وساخطًا، وشاعرًا ربما أنه لا ينسجم حقيقةً مع هؤلاء ونمط حياتهم المشرد البائس الإجرامي، مقدِّرًا أخيرًا حقيقة كونه ينتمي لأسرة ميسورة راقية...

ثم تهب بمشاهد الفيلم الأخيرة رياح الحرية والانطلاق : فالأب العجوز المهمش المدمن يهرب أخيرًا من عزلته ، ويلتحق بصديقه المدمن العجوز بقارب ينطلق بنهر السين الباريسي ، والابن يعود تائبًا للقصر بعد أن مرَّ بتجربة مريرة، كذلك تتحرر خادمة الأسرة من التجبر وبؤس الخدمة بالقصر وتنطلق لتعيش بحرية لتمارس هواية تسلق الجبال مع صديقتها، وكذلك نرى الشاب الأسود الذي كان يعمل حمَّالاً وقد تحرَّر أخيرًا من بؤس عمله اليومي المضني ، كما تدعو الأم الثرية المهيمنة صديقها وعشيقها رجل الأعمال الثري ليعيش معها علنًا بالقصر ، وحتى طائر اللقلق الكبير الطريف الذي تتباهى الأم باقتنائه وتعرضه طليقًا بحفلاتها الباذخة ، نراه مستكينًا يعود للعيش في قفص كبير ، أما الابن "بطل القصة" فيبدو على غير ما توقعنا ، وكأنه يستنسخ مكرِّرًا دور والده المدمن ، وقد اقتنع أخيرًا بحياته ومصيره كشاب ثري لا يحتاج ربما للعمل والكد ، كما نرى الخادم الطويل غريب الأطوار يعود فيكرر بإخلاص دوره بتفاني وشغف مع الابن ، ويبدو وكأنه الشخص الوحيد الذي لم يتغير.

ثيمتان متوازيتان ومتناقضتان!



صمَّم المخرج فيلمه اللافت هذا بطريقة هندسية ، فلجأ لثيمتين متوازيتين ومتناقضتين ، وقد شكل حولهما محور الأحداث ببراعة وتمكُن ، وتقع الأولى

في بداية الشريط، وتتحدث عن تبادل الأدوار، حيث تبدو معظم الشخصيات الرئيسة وكأنها غير راضية عن نمط حياتها وتحاول الهروب من مصيرها، ثم تعود بشكل متواز في نهاية الشريط لتعيش حياتها المقدرة لها بحرية ورغبة وشغف، وربما يخلص كاتب السيناريو (وهو هنا نفس المخرج) لمغزى فلسفي سرمدي مفاده "أنه لا جدوى حقيقة من افتعال الأحداث وتبادل الأدوار وتزييف الحقائق"! فالأهم هو أن يعيش الإنسان حياته المقدرة له، وأن يتقبل مصيره المتاح له، وأن ينسجم مع توجهاته ونمط انتمائه الطبقي والثقافي، وربما لن يلقى مثل هذا الطرح الجريء إعجاب المفكرين الماركسيين، لأنه يتناقض مع طروحاتهم بتغيير المجتمعات تبعًا للرؤية الطبقية الصارمة، وربما اشتق المخرج أفكاره هذه لكونه جورجي الأصل وعاش فترة من حياته في كنف الاتحاد السوفيتي البائد، وأنا هنا لست بصدد مناقشة جدية طرحه، لكنه نجح بالتأكيد بعرضه الشيق الممتع لقصص حية واقعية تدور أحداثها في حي باريسي يعج بالحياة والتناقضات والمفارقات، وأدخلنا بأجواء طريفة وكوميدية ساخرة عديدة، ومنه المشهد السريالي الجميل الذي استهل به فيلمه والذي تضمن المرأة الثرية وهي ترقص بغرابة وانسجام مع طائر اللقلق الكبير المطيع، وبالرغم من انقضاء عقد ونصف على تقديم هذا الفيلم الجميل، إلا أنه يبدو بطروحاته وأحداثه عصريًا بكل معنى الكلمة.

(٢٧)

"في الوقت : In Time" (٢٠١١)

افتراض تحول الزمن لنقود في المستقبل

خيال علمي طريف شيق





في المستقبل القريب عندما تتحول النقود لوقت وعندما يتوقف عمر الإنسان عند سن الخامسة والعشرين ؛ تكون الطريقة الوحيدة للبقاء حيًّا في استعارة وقت إضافي أو في كسب الوقت أو سرقته...

يعيش بطل القصة "ويل سالاس" دقيقة بدقيقة حتى تحدث مصادفة تكسبه زمناً طويلاً (أكثر من مائة عام) مما يؤهله لدخول عالم الأثرياء وملاقاة فتاة جميلة ثرية ليتفقا معًا على تدمير "نظام الزمن" الفاسد وإعادة توزيع أعمار الناس بالعدل.

هذه القصة السينمائية هي مزيج من الخيال العلمي والفنتازيا والحركة والمغامرات، والفيلم من بطولة كل من أماندا سايفرايد، جوستين تايمبيرلاك،

سيليان مورفي ، فنسنت كاتهيسر واو ليفياوايد ، ومن إخراج النيوزلندي المولد "أندرو نيكول".

يستفيد كاتب ومخرج الفيلم "أندرو نيكول" من افتراض تحول الزمن لنقود في المستقبل ، ويبني على هذا الافتراض قصة وحبكة سينمائية جذابة يدور محورها في أنك تستطيع الخلود إذا ما كنت ثريًا بالوراثة أو شاطرًا وفهلويًا فاسدًا ، وفيما عدا ذلك فانك قد تموت مبكرًا و مقهورًا في سن الخامسة والعشرين... وتخيلتُ مصير الثورات العربية المزعومة لو طبق هذا الخيال الجامح عليها : إذا لاشترى الطغاة والمجرمين وأمراء الحروب والزعران أعمار الخلق والعباد (بالفساد والسرقة والقمع والرعب) طمعًا في الخلود والديمومة.

الفيلم مصنوع ببراعة من لقطات سريعة متتابعة تجعلك تركض لاهثًا ملتقطًا الأنفاس لسبر أغوار القصة التي تكشف عن غموضها شيئًا فشيئًا ، مستعينًا بالمؤثرات والديكورات المستقبلية المدهشة، مقابل المشاهد الكالحة لجيتو أو وكر معزول مقارنة مع مشاهد الثراء البراقة والنساء الجميلات في الحي الراقي الذي يحتكر "الثروة الزمنية"، والمخرج متمرس بهذا النمط من الخيال العلمي فقد سبق وأن قدَّم في تسعينات القرن الماضي شريطين متميزين وهما "جاتاكا " و"عرض ترومان" كسيناريو ثم عاد ليقدم فيلم سيمون في العام (من تمثيل استحواذي لآل باشينو) في العام ٢٠٠٢ ... لكن هذا الفيلم بالرغم من فنتازية قصته الغريبة فهو يطرح مجموعة تساؤلات ولا يجيب عليها بشكل مقنع أهمها : لماذا يتوقف الزمن عند سن الخامسة والعشرين ؟ ثم يجد الأبطال أنفسهم فجأة مرعوبين وقد تبقى عام لهم لينجزوا أهدافهم الحياتية ؟ ومتى بدأ ذلك ولماذا وما المغزى ؟ ولماذا تضيِّع الشخصيات أوقاتها في التسكع والجيم الرياضي والملاهي ما دام زمنها في الحياة محدود ؟!

ولكن بالرغم من هذه الهفوات فقد استطاع المخرج والمصور البارع "روجر ديكنز" تقديم شريط شيق يستحق المشاهدة، حيث يبدأ بقصة "ويل سالاس" الذي يعيش فقيرًا في جيتو بالقرب من دايتون ويحلم مع أمه الشابة بالانتقال للعيش سويًا في منطقة "جرينويش" الجديدة، وحيث تظهر أمه بحُكم معضلة "سقف الزمن" أصغر بثلاث سنوات من ابنها... ولكن ويل لا يستطيع إيقاف عجلة أمه الزمنية الراكضة باتجاه النفاذ، فتموت بين أحضانه في مشهد محزن ومؤثر وقد عجز عن مدها بثوانٍ إضافية، مما يدعوه للذهاب منتقمًا لحي الأثرياء المجاور لسرقة سنوات من أعمارهم بغرض إعطاءها للفقراء، وتحدث هنا الصدفة التي تجعله يتعرف على ابنة الثري "فنسنت كارتهيزر" واسمها "سليفيا وايس" (تقوم بالدور أماندا سايفرايد)، وحيث يدور سيناريو تقليدي يبدأ بخطفها كرهينة وينتهي بقصة حب ومشاركة حماسية طريفة في مشروع سرقة وتوزيع الزمن!... باقي القصة هي عبارة عن ملاحقات ومطاردات ساخنة في السيارات حافلة بالبطولات الخيالية، وحيث تتطابق فكرة القصة مع أفلام سرقات ومطاردات ناجحة وشهيرة مثل "بوني وكلايد" و"روبن هود" وغيرها.

يلعب الممثل القدير "سيليان مورفي" دورًا لافتًا "كحافظ للوقت" بشخصية الشرطي الحريص على عدم اختلاط السكان، حيث يتنقل مع مجموعته لملاحقة سارقي الدقائق والساعات والأيام ويبدو مميزًا بمعطف جلدي أسود وسحنة روبوتية باردة، كما يظهر هنا زعيم عصابة بريطاني مع رفاقه الأشرار متنقلاً في الأحياء والحانات والنوادي، ساعيًا لنشر الرعب وسرقة السنوات من ضحاياه.

تبدو الشخصيات الرئيسية هنا بطلعة وسحنة مميزة وبملابس أنيقة كنتيجة حتمية لمشاركة مصمم الأزياء البارع "كوين أتوود" (الحائز على الأوسكار)،

وخاصة مع التركيز على أناقة "أماندا سايفرايد" التي بدت مميزة وكأنها فتاة غلاف بهية الطلعة بملابس جذابة ، ولكنها مع ذلك تبدو هي و"تمبرليك" كثنائي ظريف مغامر تنقصهما الكيمياء اللازمة التي تقنعنا بخطورتهما وتماسك علاقتهما.

تبدو القصة مثيرة للجدل وخاصة عندما يتطرق الأبطال للحديث عن مغزى الخلود ، كما أنها تعيد صياغة فكرة المجتمع الرأسمالي القائمة على سوء توزيع الثروة الوقتية (كبديل للثروة المالية) ما بين الأثرياء المتبجحين والفقراء المحشورين في "غيتو وأوكار" لا يجوز لهم مغادرتها (كما في ممارسات النظام العنصري في جنوب أفريقيا سابقًا ، وممارسات إسرائيل بحائطها العنصري التعسفي حاليًا على سبيل المثال)... وخاصةً عندما يتمكن البطل من سرقة "مليون عام" من خزنة والد الفتاة الثري ويقوم بتوزيعه عشوائيًا على الفقراء.

ثم تنتهي القصة بنية مدروسة للسطو على بنك كبير للزمن ، ويكون الهدف دائمًا إيجاد توازن وتكافؤ في عدد سنوات العيش ما بين الفقراء والأثرياء ، طبعًا كل الشخصيات التي نراها شابة لا يتعدى عمرها الخامسة والعشرين ، وهذه الفكرة لم يعالجها السيناريو بعمق ولم يتطرق لكيفية العيش من حيث انعدام أمراض العجز والشيخوخة ، فالأشخاص لا يموتون هنا إلا لسببين عندما تتوقف ساعتهم الزمنية فجأة عند الخامسة والعشرين ، أو عندما يقتلون أو ينتحرون نتيجة للإدمان السائد بأنواعه.

الفيلم يزودنا بجرعة رشيقة مسلية من الخيال العلمي وربما يحمل في طياته بُعدًا "ماركسيًا- جدليًا" لمجتمع رأسمالي متشدد ، مسلطًا الضوء ولو من طرف خفي على صراع الطبقات بين من لا يملك إلا عمره المحدود ، وبين من يسعى للخلود بثرائه واحتكاره لبنوك الزمن أو باختلاسه لعشرات أو

لمئات السنوات، كما أنه يحمل في طياته طرحا " فلسفيًا- دينيًا " للحياة والموت من أن الإنسان لا يرحل إلا عند انقضاء أجله، وحيث يكون رحيله قاطعًا وسريعًا وبلا معاناة مرتبطًا بالعد التنازلي لثوانيه الأخيرة على وجه البسيطة.

ثم أن التعامل بالوقت كبديل للنقود يدعو لتقديس عنصر الزمن وهذا ما لم نشاهده هنا، فمعظم الشخصيات تعيش بشكل نمطي، كما وأنها لا تعير الزمن اهتمامًا يذكر، بل ونجد وكأنها تهدر وقتها، وحيث يتم التعامل معه كنقود بشكل ميكانيكي صرف: ففنجان القهوة ثمنه أربع دقائق والجنس السريع ذي العشر دقائق ثمنه يومان! هنا تتحول هنا كل تكاليف الحياة اليومية لقيمة زمنية تُخصم من عمرك الافتراضي، حتى ركوب الباص حيث يثبت معصم الذراع على كاشف رقمي زمني لتنزيل القيمة من الساعة البيولوجية الرقمية المنحوتة على المعصم... وتبدو المفارقة في هذا الفيلم جلية عندما نكتشف أن معظم الممارسات الحياتية تهدف لشراء أو بيع الزمن سواء الممارسات غير الحميدة كتناول الكحول والطعام غير الصحي المليء بالدهون وتعاطي التدخين، أو الحميدة المحبذة كالامتناع عن التدخين والكحول وممارسة الرياضة اليومية والتواصل الاجتماعي... وكذلك القراءة واليوغا والصلاة اليومية.

تبدو اللقطة المحورية في هذا الفيلم مؤثرة وذات طابع فلسفي وتتلخص في إنقاذ ويل "لهاملتون" مخلِّصًا إياه من العصابة التي ترغب بسرقة مائة عام من ساعته البيولوجية، وحيث يدور بينهما حوار فلسفي في مكان مهجور يعلن فيه هاملتون (الممثل مات بومر) بأنه قد سئم من الحياة والخلود الذي لا معنى له، ويستغل هذا الأخير انغماس ويل في غفوة عميقة ليشبك معصمه ويفرغ المائة عام لساعته الرقمية البيولوجية (كهدية)، ثم يذهب لينتحر بإلقاء

نفسه من على الجسر فوق النهر ، ولكن "ويل" يسعى جاهدًا لإنقاذه دون جدوى وعندئذٍ لا ينجو من عدسة الكاميرا الأمنية المعلقة التي صورته ليصبح مشتبهًا في مقتل "هاملتون"... هذا هو تحديدًا العمل التفصيلي الدقيق اللازم لبناء حبكة درامية مقنعة ، هو ما ينقص معظم الأفلام العربية فلا يمكن توقع فيلم جيد دون حبكة محكمة مفصلة وسيناريو بارع انسيابي وخيال إبداعي محتمل ، وهذا هو ربما المطلوب تحديدًا من العاملين في السينما العربية بدلاً من إغداق النُّقاد العرب للثناء والمديح المجاني لكل شريط يشاهدونه، مهما كانت قيمته الفنية والسينمائية.

أما اللقطة الأخرى التي تحبس الأنفاس فهي تركِّز على الرهان في لعبة البوكر حيث الخاسر هنا يمكن أن يفقد حياته بدلاً من إعلان إفلاسه (بسبب نفاذ نقوده الزمنية)!

(٢٨)

" المستنسخون : Surrogates "

الروبوتات المتنسخة ومغزى الأنسنة



استمتعت بمشاهدة فيلم الخيال العلمي المستقبلي "المستنسخون: Surrogates" حيث يعيش الناس حياتهم بشكل روبوتي بعيدًا عن شخصياتهم الحقيقية في مُدن نموذجية تنعدم فيها الجريمة والخوف والألم وتوابعها. وعندما تحدث الجريمة الأولى بعد سنوات في هذه "اليوتوبيا" يكتشف محققو الـــ"اف بي أي" وجود مؤامرة من قِبل الآدميين المنعزلين ، مما يضطر "بروس ويليس" للتضحية بمستنسخه الروبوتي مخاطرًا بحياته لكي يحل غموض اللغز ويساعد في إنقاذ البشرية.

الفيلم يطرح في هذا السياق يطرح فكرة غُربة إنسان المستقبل في عالم زاخر بالروبوتات والحاسوب والتكنولوجيا المتقدمة، وكما يشير عنوان الشريط: ماذا تفعل إذا كنت الإنسان الوحيد الحقيقي في عالم من الروبوتات ؟!

لقد أبدع المخرج والممثلين جميعًا في إخراج هذا الفيلم، وخاصةً بروس ويليس في الدور الرئيسي، وتبدو هنا فكرة الاستنساخ التي أثارت جدلاً واسعًا منذ سنوات وقد اتخذت مسارًا كابوسيًا آخر من حيث استنساخ الشخصيات الآدمية الحقيقية بروبوتات حاسوبية نموذجية تعمل وفقًا لنمط تفكير الشخصية الآدميه الحقيقية، وأما البشر المعارضين للفكرة فهم معزولين في مستوطنة بائسة حيث يعيشون نمط الحياة التقليدي بشكل متخلف نوعًا ما (ربما في إشارة مجازية خفيه لشعوب ودول العالم الثالث أو التاسع لا فرق)!

طبعًا نلاحظ مُدنًا عصرية ونماذج روبوتية راقية تتحرك بنشاط وتتمتع بالجمال والوسامة، وكما هو الحال في عالم الأعمال فهناك شركات متنافسة تصنع دومًا روبوتات جديدة بخصائص متطورة، ولا يتوقف هذا التدفق الحضاري اليومي إلا بعد حدوث جريمة غامضة يتم خلالها قتل أحد الروبوتات من قبل شخصية آدمية بواسطة سلاح متطور تحقيقًا لنظرية المؤامرة، وتحدث هنا مطاردات ومواجهات عنيفة ودموية تنتهي بموت جميع الروبوتات وعودة البشر لنمط حياتهم الآدمي وكأنهم بُعثوا من الموت ورُدَّت لهم الحياة.

يتضمن الفيلم فكرة عبقرية تحذرنا من مستقبل مرعب غير آدمي ستواجهه البشرية جمعاء فيما إذا استمر تطور التكنولوجيا وهيمنتها بالشكل الذي نشهده بعيدًا عن تجليات الروح البشرية والبُعد الإنساني والتوافق الإنساني الأساسي.

الفيلم مذهل تقنيًا وممتع لحد بعيد ويحتوي على العديد من المشاهد البصرية البالغة الاتقان والمؤثرات المدهشة ، وأكثر ما جذب انتباهي هو التماهي المتقن ما بين الشخصيات الآدمية ونماذجها (أونُسخها) الروبوتية مع مراعاة الاختلاف المظهري في الحركة واللون ، وحيث الكل يتحرك بشكل آلي (رجال وسيمون ونساء جميلات ولكن بلا مضمون ولا عواطف) ، كما تبدو عيونهم كعيون الدُّمى (الزجاجية) خالية من وميض الروح البشرية، مزروعة بوجوه شمعية ، بالغة الوسامة والجمال وخالية من التجاعيد والندبات والجروح ومعالم السن والترهل ، التي تبدو حكرا على وجوه النمط البشري الحقيقي... وقد أحسن المخرج بالتأكيد على إظهار هذه التناقضات وخاصة في معالم الأبطال الرئيسيين ، في إشارة خفية لعواطف الود والحنين والحزن الكامنة في معالم ونظرات البشر مقارنة بالجمال والوسامة الزائفة والعيون الزجاجية الفارغة للنماذج الروبوتية سواء في الوجه أو القوام الممشوق والألوان المشرقة الصناعية. وقد وجدتُ هنا (وربما كنتُ مخطئًا) رسالة خفية لحالات انتشار عمليات التجميل في المجتمعات العصرية والتي يقصد منها أحيانًا إخفاء عناصر البشاعة وتزييف الشخصيات ، وربما محاولة إخفاء بشاعة النوايا والسلوك من خلال تغيير المظهر.

كما أن الشريط نجح في تقديم شخصيات متميزة ذات بُعد إنساني كشخصية زعيم المستوطنة البشرية من حيث شعره الطويل الأشعث وملامح الدهاء المخلوطة بالكاريزما السحرية الشعبية، وفي شخصية العالم صاحب مشروع الاستنساخ (النادم على ابتكاره) والذي يعاني من مأساة شخصية، أو حتى في انتقائه لمشغل الحاسوب المركزي من حيث كونه شخصًا مترهلاً يتصرف على سجيته ويتمتع بقدرة عبقرية متميزة (تفوق قدرة الروبوتات) على إدارة غرفة التحكم بالروبوتات ، وهي نفس المهارة التي مكنته من إنقاذ العنصر

البشري وإيقاف هيمنة الروبوتات في زمن لا يتعدى العشر ثواني فقط! وقد تمَّ ذلك بالتعاون مع شخصية روبوتية أنثوية تتمتع بجاذبية (إنسانية)، وكأنه يقدِّم لنا المغزى الذي يتلخص في إمكانية التعاون الخيِّر ما بين الإنسان والروبوت (المستنسخ) للانتصار على قوى الشر والكراهية ولإنقاذ البشرية من الويلات القادمة الناتجة عن تغول الآلات والروبوتات والحواسيب والتكنولوجيا المتقدمة وتحكمها المتوقع في مصائر البشر.

الشريط يحتوي على كم كبير من الأفكار الخلاقة والتفاصيل المدهشة المثيرة للاهتمام مجسدة في سيناريو محكم وإخراج خلاق مقنع مع العديد من المؤثرات الإبهارية، وقد نجح المخرج في إدارة الشخصيات وتقديم نماذج تفوقت على نفسها في الأداء والتمثيل، غير أنه للحق لم يوفق تمامًا في اللقطات الأخيرة التي بدت بدورها استنساخاً مكررًا للقطات مماثلة من أفلام الكوارث.

لقد آن الأوان لكي يهتم المشاهد العربي (والنُّقاد السينمائيون العرب) بهذا النمط من الأفلام من منطلق الفضول ومجاراة العصر؛ إن لم يكن من منطلق الاهتمام بالعلم والمستقبل، يكفي أنه يثير الاهتمام بمستقبل الجنس البشري (بعيدًا عن العِرق واللون والطائفة)، كما يرفع من مستوى المعرفة والوعي والذوق السينمائي الفني العام.

أنصح أن يُدرس هذا الفيلم في معاهد السينما العربية فهناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من هذا العمل السينمائي المتميز.

ومن مفارقات الفيلم أنه بالرغم من أنه يتحدث عن مستقبل قريب إلا أن البطل يتجول في سيارة قديمة من طراز "لنكولن كونتنتال"، تبدو وكأنها موديل سبعينات القرن الماضي، كما أنه لا يتم التطرق لآلية نقل الزمن

بيولوجيًا، ولا لكون عملية تنزيل الوقت غير متوازنة زمنيًا فتنزيل العشر دقائق يوازي زمن تنزيل الشهرين.

الفيلم يجسِّد نمطا مستقبليًا للرأسمالية الداروينية، حيث البقاء للأفضل والأقدر الذي يبادر بشحن ساعته الزمنية قبل فوات الأوان، سعيًا للخلود وإطالة العمر في شباب دائم بعيدًا عن مفهوم إطالة العمر التقليدي المرتبط بالعجز والأمراض والشيخوخة، فيما ينتهي العمر عند الفقراء عند سقف زمني محدد لا مجال لرفعه، ولكنه بالمقابل يقدِّم حلاً ساذجًا للخلاص والعدل يكمن في سرقة الوقت من الأثرياء وبنوكهم الزمنية وتوزيعه بعشوائية لعامة الناس.

لقد نجح المخرج وطاقمه في تقديم فيلم خيال علمي/ فانتازي ممتع وبسيط وأنيق نسبيًا مبتعدًا عن التعقيد والتشابك، ربما بهدف النجاح التجاري، وفضَّل بقصد أن يبتعد عن أسلوب "نولان" المعقد المتداخل في فيلم "الاستهلال" الشهير.

أخيرًا تكمن جرأة هذا المخرج في تناوله الإبداعي الجدلي لمعضلة "الزمن" الذي يسيطر على حياة الإنسان (وجميع الكائنات) من مولده لمماته، والذي لا يستطيع أي كائن الهروب منه.

(٢٩)

"الحنين إلى الضوء" : الفيلم الوثـائقي التشيلي المذهل (٢٠١٠)

عندما يحاول علم الفلك تحرير تشيلي من صدمات وتداعيات الدكتاتورية الإجرامية





يحرِّك المخرج التشيلي "باريسيو غوزمان" في تحفته الوثائقية الفريدة "الحنين إلى الضوء" أشياء كثيرة وتداعيات عديدة ، وينجح في إخراج المأساة التراجيدية للنور ، بعمق وذكاء وتكثيف مع الكثير من الوجع السياسي ، ويحاول دمج السياسة مع الفلك والتاريخ بطريقة فريدة.

يجد هذا الفيلم نقطة انطلاقه المحورية في كتاب العالم الفرنسي "ميشال كاسي" الذي صدر في العام ١٩٨٧ ، وهو يسرح بعمق وتأمل في جبال وعجائب الفيزياء الفلكية ، ويعكس لنا كيف كان من المقرر أن يبدأ العصر الذهبي لعلم الفلك التشيلي ، ابتداءً من المشهد القمري الأخاذ لصحراء "أتاكاما"، التي سمحت بعلوها المرتفع ومناخها الجاف الخاص بإنشاء الموقع

الفلكي للمرصد الفلكي الضخم الجديد، الذي أُنشئ في العام ١٩٧٧، ووعد بفتح تشيلي للعالم، محولاً إياها "كمكة علمية"... ولكن في نفس الوقت، فقد كانت تشيلي تتجه في ظل "الدكتاتورية العسكرية المتسلطة" إلى ما يشبه المجتمع المغلق نوقد أصبحت "آتاكاما" تعرف حينئذٍ باسم موقع سجون المحاجر، في منطقة "تشاكابوكو"، حيث أنشا الجنرال "بينوشيه" معسكرات الاعتقال للمعارضين السياسيين، ثم تمَّ في وقت لاحق، دفن جثث المساجين المعتقلين في مقابر جماعية سرية في قلب الصحراء... وقد تمَّ الكشف عن بعض الصور المتلفزة المريعة، التي لاقت الصدى لأنها تماثلت مع صور مماثلة للضحايا في كل من كمبوديا (أثناء حكم الخمير الحمر)، ويوغوسلافيا أثناء الحرب الأهلية في تسعينات القرن المنصرم، ثم مع ضحايا الحرب في ألمانيا النازية... ولكن الآن في العام ٢٠١٢، وفيما تتواصل ورش الحفر والتنبيش والبحث على قدم وساق، فإن زوجات وأخوات وحتى بعض أمهات المختفين، اللائي أصبحن عجائز الآن، يواصلن بإصرار وبلا كلل مهمتهن الشاقة في قلب الصحراء الهائلة، وحتى نهاية أعمارهن، هكذا يقابل "غوزمان" إحداهن "منيوليتا باريوس"، ليقدِّم لنا قصة سينمائية مذهلة عاطفيًا، تقطر حزنًا وأسى ومعاناة.

يأمل الكثير من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، في أن تحقق لهم هذه الدراسة أما التشتت أو الخلاص، وهناك "لمسة كوبرنيكية" (من منهجية المخرج الشهير ستانلي كوبريك)، بطريقة إيقاظ "كوزمان" للغرابة الصحراوية الغامضة، كما يصور الحدود التي تشبه الهلوسات، كما لو أن "أتاكاما" هي بمثابة كوكب فضائي بعيد منعزل، تتم مراقبته عن كثب بواسطة رواد فضاء من على سطح القمر، حيث يقول أحد الأشخاص الذين أُجريت معهم المقابلات، أن تشيلي تحتاج لمرصد يمكنها من رؤية تضاريسها، لإيجاد

الجثث المختفية في قلب الصحراء ، وكشف جذور كل هذه العذابات الغامضة–المرعبة التي لا نهاية لها.

تقول عالمة فلك شابة ، أُخذ والداها أثناء سنوات حكم الطاغية "بينوشيت" : "لقد ساعدني علم الفلك على استيعاب ما حدث وإعطاء بُعد آخر للألم والخسارة" ، حيث تتحرك مشاعر صمتها الحزين وشجاعتها بعمق لسبر غموض الفلك ونسيان المعاناة الشخصية.

حسب المخرج "كوزمان" ، فعلم الفلك ليس مجرد استعارة مجازية بارعة لقصص السياسة المعقدة، أو كطريقة إسقاطية لتخدير مكامن الألم، من خلال الإدعاء بأن كل شيء صغير وتافه بالمقارنة مع الفضاء الساحق الهائل، بل يمثل علم الفلك الانضباط العقلي وطريقة التفكير، كما الإحساس والمشاعر، التي توضح الغموض وتريح... وباختصار فهو طريق الإصرار على مواجهة الإنسانية للبربرية المتوحشة، وقد نجح مخرجنا بتحويل فيلم وثائقي إلى تحفة روائية سينمائية، قلَّ مثيلها، تدمج الفلك بالمحاز والجثث ومعاناة الأقارب في صحراء تشيلية ممتدة ساحرة.

لكن المخرج لم يقصِّر في تسليط الأضواء أيضًا على معظم القضايا السياسية والاجتماعية التي تعاني منها تشيلي، وذهب لاكتشاف بلده في عهد "سلفادور ايندي"(٢٠٠٤) ، ثم تعمق بكيفية تسلط دكتاتورية "بينوشيه" وانتهاكاته السافرة لحقوق الإنسان.

يصف "لويس هنريكر"، وهو أحد الناجين من معسكر اعتقال "تشاكابوكو"، كيف كانت مجموعة مكونة من عشرين شخصًا من المعتقلين، بقيادة الطبيب ألفاريز (المطلع على علم الفلك)، كيف كانوا يدرسون النظرية خلال النهار، ثم ليقوموا بتحديد الأبراج في الليل، حيث تعلموا كيفية إنشاء جهاز يسمح لهم

بتتبع الأبراج ليلاً، وفيما كانوا يدرسون الكون الممتد الرحب، فقد تكونت لديهم جميعًا مشاعر رائعة بمعنى الحرية العظيمة التي لا حدود لها.

وكما يصف "هنريكز"، فقد حظر الجيش هذه الدروس لأنهم اعتقدوا أن السجناء يمكن أن يهربوا خلسة من خلال الأبراج (كيف ؟)... لأن هناك شخص آخر يدعى "ميغيل لونر"، كان سجينًا ونجا من معسكر الاعتقال، ويُشار إليه بصفته المعماري في الفيلم، لأنه كان قادرًا على حفظ التفاصيل البيئية المعمارية، ومن ثم إعادة تشكيلها مشهديًا فيما بعد، فقد كان قادرًا على قياس المباني والأراضي بطريقة "عد الخُطى"، ليقوم لاحقًا بإنشاء صورة مصغرة اعتبارية لهذه القياسات في معسكر الاعتقال، ثم ليمزق هذه الرسومات أو يخفيها تجنبًا للغارات المفاجئة، ثم ليتلفها بتمزيقها ورميها في المراحيض للتخلص منها... ويخلص الراوي بأنه مع زوجته "أنيتا" يمثلان "تشيلي" مجازًا، وبينما يتذكر هو ما حدث في الماضي، لا تتذكر زوجته شيئًا لأنها أصبحت تعاني من الزهايمر.



ثم تتحدث "فالنتينا رودريغز" عن كيفية احتجاز أجدادها والتهديد بكشف مكان والديها، حيث امتثل الأجداد تحت التهديد، وكشفوا مكان الوالدين ليتم أخذهما واختفاؤهما فيم بعد، وأشارت بأن هذه الفكرة تركتها قوية ومتفائلة.

وينهي غوزمان تحفته الوثائقية بالتأكيد على قيمة الذاكرة، كما يقول: "فأولئك الذين لديهم ذاكرة يعيشون لحظات الحاضر الهشَّة، بينما أولئك الذين بلا ذاكرة، لا يعيشون في أي مكان"!

تصف إحدى العجائز قصة اعتقال زوجها واكتشافها لرفاته في الصحراء، حيث بدا "كزومبي مشوه"، فقد اختفى جزء من الجمجمة، وبقي جزء آخر يوضح مسار الرصاصة القاتلة، وهي تتحدث بحزن مزمن لا يمكن للزمن أن يمحوه، كما بشغف جراح متخصص غارق في التفاصيل، ثم نلاحظ فيما بعد كيفية تركيب الملابس على رفات الضحية المهجورة، ويستعرض المخرج بورتريه كبيرًا لصور الضحايا المفقودين في هذه البقعة النائية وبعمق الصحراء وكأنها في كوكب بعيد.

(٣٠)

فيلم "الفنان الكارثي : The Disaster Artist" (٢٠١٧)

تحويل الفشل الماحق لابداع ساحق

تداعيات وخفايا صناعة فيلم داخل فيلم





الممثل "جيمس فرانكو" يفوز بجائزة أفضل ممثل كوميدي في تحفته الغريبة

يتحدث الفيلم الأصلي "الغرفة" (٢٠٠٣) الذي نال تقديرًا نقديًا منخفضًا للغاية في حينه (١٠/٣,٦) واُعتبر فيلمًا فاشلاً بإمتياز ، يتحدث عن "جوني" المصرفي الناجح الذي يعيش سعيدًا في ضواحي "سان فرانسيسكو" مع خطيبته الجميلة "ليزا"، والتي تشعر يومًا ما بالملل الشديد فتقرر إغواء أعز أصدقائه "مارك"، عندئذٍ يتغير مسار الأحداث باتجاه جديد مغاير... من إخراج وكتابة وتمثيل "تومي ويزو" مع كل من جريج سيسترو وجولييت دانييل.

خلال مشاهد ما بعد النهاية في الفيلم الجديد "فنان الكوارث"، نرى في حفلة أن تومي (فرانكو) يتحدث لأحد أصدقاء "جريج"، والذي يبدو وكأنه هو نفسه "تومي ويزو" الحقيقي.

في سان فرانسيسكو ١٩٩٨، يلتقي "جريج سيسترو" ذو التسعة عشر عامًا رجلاً غريبًا غامضًا يدعى "تومي ويزو" في درس التمثيل الذي تديره الخبيرة المحنكة "جين شيلتون"، حيث يقدِّم تومي للحضور عرضًا مذهلاً (مبالغًا به) لأحد المشاهد الشهيرة من فيلم "عربة اسمها المتعة"، ويتقمص فيه شخصية "مارلون براندو" عندما يصرخ لحبيبته المتيم بها "ستيلا" متوسلاً بحرقة مؤثرة لكي لا تهجره وتتركه وحيدًا، وهنا يتأثر "جريج" بأداء وشخصية تومي الجامحة غريبة الأطوار والتي لا تعرف الاستكانة والتردد والخوف، ويصبح الاثنان صديقين بالرغم من فارق العمر وخصائص الشخصية واعتراض والدة جريج وخوفها على مستقبل ابنها المتمرد، وحسب اقتراح تومي الفوري فهما يرحلان مباشرة إلى لوس أنجلوس لتحقيق أحلامهما في التمثيل.

يوقِّع "جريج" عقدًا مع اريس بيرتون كمدير مواهب معتمد في هوليوود، بينما يبقى تومي يواصل مساعيه لتقديم موهبته التمثيلية الغريبة فيما يلاقي الصد باستمرار من وكالات التمثيل ومدراء الإنتاج، وفي إحدى المشاهد اللافتة يقتحم أحد المطاعم عنوة ليقدم موهبته لمدير إنتاج متنفذ وهو يتناول الطعام مساءً مع صديقته، ويعرض عليه فقرتين من مسرحيات شكسبير منها لهاملت "أكون أو لا أكون"، فيما ينفر منه المنتج باشمئزاز ويطلب الحراسة لإخراجه قائلاً: "حتى ولو بعد مليون عام من تقليدك لبراندو فلن تجد فرصة سانحة لك هنا"!... وقد وجدت بهذه الفقرة مغزى متاهة هوليوود التمثيلية وكيفية صناعة النجوم التي تغوص بالفساد والبيروقراطية واللؤم والنفوذ،

والتي تسد الطريق نهائيًا أمام المواهب الارتجالية التلقائية والعفوية، وبالفعل فربما ينطبق ذلك في عالمنا العربي البائس على الكثير من المهن والمواهب، ويسد الطريق أمام المواهب والمبتدئين إلا لهؤلاء الحاذقين الانتهازيين الذين يعرفون فنون التواصل والنفاق وهم بالحق كثيرون في مجتمعاتنا الوصولية اللئيمة.

يبني جريج علاقة عاطفية مع آمبر التي التقى بها في النادي الليلي، بينما يشعر تومي بالغيرة والوحدة تجاه هذه العلاقة، ولأنه عجز شخصيًا عن إيجاد أي عمل له كممثل، فيصبح محبطًا وعدوانيًا، ثم يواجه جريج لاحقًا نفس النبوذ والصد وتقل خياراته فيتقاسم الإحباط مع تومي، الذي يقرِّر فجأة أن يصنع فيلمًا مستقلاً خارج مواصفات هوليوود، ويتعرف على كل من "رافائيل سمادجا و ساندي شكلير" للعمل معه كمصور سينمائي ومشرف نصي للسيناريو الذي يكتبه تومي على عجل، وحيث يعرض على صديقه دور "مارك" في الفيلم وكمنتج مشارك (حيث يقبل ذلك على مضض)، كما يصرُّ تومي (عكس المعهود) على شراء كافة معدات التصوير الباهظة التكاليف، ثم يبدأ مباشرة بتصوير الفيلم على عدسات الـــ ٣٥ مم وبنظام الديجيتال.

يبدأ الإنتاج والتصوير بسلاسة، كما أن تومي يسهل الطريق أمام الكثير من المواهب التمثيلية، ولكن يبدو أنه من الصعب أحيانًا العمل معه لأنانيته وغرابة أطواره حيث ينسى نصه التمثيلي مرارًا، ويصل متأخرًا لموقع التصوير (ويُقال إن براندو ذاته كان يعاني من هذه الممارسات المكررة في بعض أفلامه الشهيرة)، كما يرفض تومي تزويد طاقمه أحيانًا بالاحتياجات الأساسية من ماء وتكييف، حتى يصل الأمر لأن تنهار إحدى الممثلات متوسطة السن والتي تعاني من سرطان الثدي، كما أنه لا يبالي ويحجز

لنفسه حمامًا وتواليتا خاصًا ، ويترك لجميع الآخرين حمامًا واحدًا فقط ، وإمعانًا بإذلال الممثلين وبقصد الإهانة وخلال التحضير لمشهد جنسي، يطلب إظهار مؤخرة الممثلة "جولييت دانيال" ، وحين يرفض مدير التصوير "رافائيل" هذه الممارسات الغريبة، يقوم بطرده شفويًا ، ويكشف للجميع أنه وظَّف مصورًا خاصًا لكي يلتقط "سكنات وهمسات" جميع الكادر واستغابتهم وسخريتهم من تصرفاته، وينفجر غضبًا موضحًا أن لا أحد منهم يفهمه بما فيهم صديقه المقرب "جريج" ، كما أنه لا أحد منهم يدعم رؤيته الفنية وموهبته السينمائية الفريدة (ويبدو وكأنه يعاني من عقدة الارتياب المعروفة).

ثم يلتقي جريج وصديقته آمبر بالصدفة بالمنتج التلفزيوني المعروف "بريان كرانستون" الذي يقترح عليه دورًا بسيطًا كحطاب ملتحي يعمل في الغابة في مسلسله الجديد... ويتوسل من تومي تأجيل التصوير لمدة أسبوع لإكمال دوره القصير في المسلسل التلفزيوني الجديد، لكن تومي يرفض بلؤم.

في المشاهد اللافتة الأخيرة وبعد ثمانية أشهر ، وبعد انفصال جريج وآمبر ، يدعو تومي جريج لافتتاحية فيلم الغرفة ، ويقصد أن يصل متأخرًا معه بسيارة الليموزين البيضاء الطويلة، ويندهش عندما يلاحظ وجود كامل فريق التمثيل والإنتاج والتصوير ، حيث يتفاعل الجمهور بداية بجمود ورعب وعدم تجاوب ، ثم تضج قاعة العرض بالصخب والضحك ، فيخرج تومي مستاءً ومحبطًا ولكن جريج يريحه ويهدئ من خاطره، ويوضح له أن هذا الفيلم الغريب قد سبب لكل هؤلاء السعادة والضحك والبهجة، فيعود تومي متشجعًا للمسرح لمتابعة مشاهد الفيلم، ويأخذ كل الفضل لإنجازه فيلمًا كوميديًا مبهجًا وغريبًا ، ويتم استقباله بحفاوة كبيرة من الجمهور المندهش والمأخوذ... ويُقال إن عوائد هذا الفيلم لم تتجاوز الـــ ١٨٠٠ دولار في العروض المحدودة فيما تكلف إنتاجه حوالي الستة ملايين دولار.

في الأيام الأخيرة للتصوير يطالب جريج بتأجيل مشهد إطلاق النار الختامي، لكن تومي يرفض بإصرار، ويتناقش بغرابة مع مدير التصوير عن مغزى وجدوى إظهار انفعالات تمثيلية بعد أن يطلق النار منتحرًا داخل فمه... ثم يتشاجر جريج وتومي في ساحة سبق وأن لعبا فيها في البداية كرة القدم، ويتهم جريج تومي صراحة بأنه "أناني ومتملك وغامض ومزدوج المعايير" بطريقة علاقته معه كصديق، ويتساءل غاضبًا عن عمره ومكان نشأته ومصدر أمواله، دون أن يحصل على أجوبة واضحة لتساؤلاته.

هذا الفيلم الطريف اللافت هو عبارة عن "بيوغرافي ودراما كوميدية"، ومن إنتاج وإخراج وتمثيل "جيمس فرانكو"، وكتابة "سكوت بيوشتادلر و ميشيل ويبر"، ويستند لكتاب "كرونيكالس" بنفس العنوان، يتحدث بالتفصيل عن كيفية إنجاز فيلم الغرفة "المثير للجدل" في العام ٢٠٠٣، والذي تمَّ اعتباره كواحد من أسوأ الأفلام الأمريكية، وقد قام كل من الأخوين "جيمس و ديف" بدوري كل من "ويزو و سيسترو"، مع أدوار مساندة لكل من "سيت روجين وآليسون بري، وآري جراينور، وجوش هوتشرمان، وجاكي ويفر".

وقد رأيت أن أطلع القراء الكرام على كم كبير من التفاصيل السينمائية لإدخالهم بأجواء القصة، عكس ما يفعل الكثير من النقاد الذين يسلقون الموضوع عادة ويختصرونه بحيث يفقد نكهته ومغزاه.

تمَّ عرض الفيلم بافتتاحية مهرجان تورنتو السينمائي العالمي، كما عُرض في مهرجان سيبستيان العالمي، وكان أول فيلم أمريكي يفوز بالجائزة الأولى "القشرة الذهبية" (ذا غولدن شيل) منذ عام ٢٠٠٧، عندما فاز فيلم "ألف سنة من الصلوات الطيبة"، وقد تلقى هذا الفيلم مراجعة نقدية جيدة عالية، وخاصة لأداء "جيمس فرانكو" المتميز وللمرح والغرابة الإبداعية بنص السيناريو، كما تمَّ اختياره كواحد من أفضل أفلام العام ٢٠١٧، وتلقى ترشيحين

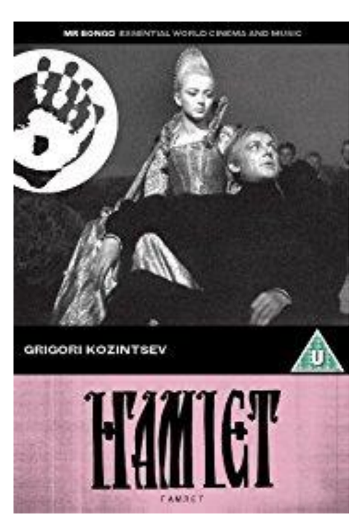
للجولدن كلوب ، كما تلقى "جيمس فرانكو" ترشيحًا كأفضل ممثل لأدائه المبهر الاستثنائي في الدور الرئيسي.

أخيرًا فقد حقق هذا الفيلم عوائد إجمالية تصل إلى حوالي ٢٣ مليونًا مقابل ١٠ ملايين دولار تكاليف إنتاجه، وهذا معيار عملي لنجاحه التجاري إضافة لتفوقه النقدي، كما حصل الفيلم على تصنيف نقدي عالي (٩٢%) في موقع الطماطم الفاسدة الذي يجمع نُقَّاد السينما الأمريكيين.

(٣١)

الفيلم السوفيتي "هاملت" (١٩٦٤)

فيلم يُحدث قشعريرة أسفل عمودك الفقري : يكون أو لا يكون





يعود أمير الدنمارك "هاملت" ليجد أباه قد قُتل بواسطة عمه "كلاوديوس"، ويعلم بأنه قد انتزع عرش مملكة الدنمارك، وبأنه قد تزوج أمه الأرملة أيضًا، لذا يغضب هاملت ويستاء، ويقع في العذاب والهواجس، ويصبح قلقًا غير مستقر على نحو متزايد... ثم تستعر الحرب.

تمَّ إعادة هذه الدراما مرة أخرى في العام ١٩٩٦، وقام بالأدوار الرئيسية كل من "كينيث برانات وجولي كريستس وديريك جاكوبي"، وسوف أتحدث هنا عن النسخة السوفيتية من إخراج "جريجوري كوزينتسيف"، وكتابة وليام شكسبير والمخرج نفسه استنادًا لترجمة بوريس باسترناك، وقد مثَّلها ببراعة كل من : "سموكتونفسكي ، ويخائيل نازفانوف وأناستاسيا فيرتينسكايا"، وبموسيقى "ديمتري شوستاكوفيتش، وتصوير جوناس جريتسيوس".

يقوم المخرج السوفيتي "جريجوري كوزينتسيف" بإنجاز هذا العمل السينمائي الأخَّاذ ، ويتفوق بإخراج عمل هو الأكثر تماسكًا من بين الخمسة أفلام التي أُنتجت حول نفس الثيمة (حسب رأي معظم النُّقاد) ، ويؤكد بنمط إخراجه الفريد على البنية الأخلاقية للتراجيديا الشكسبيرية ، وليس من خلال الصور المرئية فقط ، وإنما بواسطة الأُطر الحوارية الغنية بالمجاز والمعنى والتي يرسخ صداها في مخيلة المرء حتى بعد أن يغادر قاعة العرض ، مثل قصص مجد الإسكندر المكدوني ونهاية الموت التي تنتظر البشر على اختلاف مستوياتهم ، كما الدود الذي يحول الأجسام لهياكل عظمية وينخر الجماجم ، ومثل اتخاذ القرار الوجودي المصيري "أكون أو لا أكون".

بعض النُّقاد الغربيين المتحذلقين كالعادة أفادوا بأن هذا الفيلم لا يرقى لمستوى أفلام كتاركوفسكي لأندريه روبليف ، ولا لتحفة ايفان الرهيب لأيزنشتاين ، بل وأمعنوا بالتشويه فوصفوا الماكياج والتصوير بأنه من عمل الهواة... وطبعًا أنا لا وافقهم أبدًا على زعمهم المغلوط المشوه.

بطل الرواية هو الأمير هاملت من الدنمارك ، ابن الملك المتوفي مؤخرًا ، وابن أخ الملك الجديد كلوديوس ، شقيق والده وخلفه على العرش. ولقد تبين أنه قد تزوج على عجل أرملة الملك هاملت "جيرترود" (والدة هاملت) منذ أربعة شهور ، واستولى على العرش. فيما تواجه الدنمارك نزاعًا طويلاً مصيريًا مع النرويج المجاورة ، حيث هزم الملك الراحل هاملت الملك النرويجي "فورتينبراس" في معركة فاصلة جرت منذ سنين ، وعلى الرغم من هذه الهزيمة ، وانتقال العرش النرويجي لشقيق الملك "فورتينبراس" العسكري المخضرم ، فما زالت الدنمارك تخشى تعرضها لغزو وشيك من قبل ابن الملك المتوفي الأمير فورتينبراس (الابن).

وفي ليلة باردة وبمحاذاة أسوار القلعة الدنماركية الملكية "السينور" ، يواجه الحُراس "برناردو وماسيلوس" وصديق الأمير هاملت الحميم "هوراشيو" شبحًا يشبه الملك الراحل هاملت ، ثم يتعهدون بإخبار الأمير هاملت بما شاهدوه، قبل أن تجتمع المحكمة في اليوم التالي.

وفي حين ينغمس الملك كلاوديوس والملكة جيرترود بمناقشة شؤون الدولة مع مستشارهم المسن "الدساس- المتواطىء ووالد حبيبة هاملت أوفيليا الجميلة "بولونيوس" ، ثم بعد انعقاد المحكمة ، يقرِّر الأمير هاملت التحقق بنفسه من الشكوك التي تراوده بشأن وفاة والده وتسرع امه بالزواج ، وخاصة عندما يعلم عن قصة "الشبح" من صديقه "هوارشيو".

ثم يستعد ابن بولونيوس "ليارتيس" للمغادرة إلى فرنسا، حيث يبلغه بولونيوس حكمة متناقضة ساخرة مفادها: "أن يسعى المرء لأن يكون ذاته "، وتعترف حينئذٍ ابنة بولونيوس "أوفيليا" باهتمامها الخاص بهاملت الأمير وبحبه العارم لها ، ولكن كلاهما "بولونيوس وليارتيس" (الأب والشقيق) يحذرانها من الاستمرار بلفت انتباهه واهتمامه، لأنه ليس جديًا وإنما يلهو بها.

وفي تلك الليلة وعند أسوار القلعة، يظهر شبح الملك هاملت ثانية (بثيابه العسكرية وفي لقطة سينمائية مبهرة) ، ويعترف للأمير بأنه قد قُتل من قبل كلوديوس ولم يمت بسمٍّ أفاعي الحديقة كما تمَّ الإدعاء كذبًا ، ويطلب منه التعهد بالثأر والانتقام، فيوافق هاملت ويختفي الشبح.

عندئذٍ يصرِّح الأمير لصديقه هوراشيو والحراس بأنه من الآن فصاعدًا سيحضِّر نفسه لتصرف مضاد غامض ومفاجئ، وأنه سيتصرف كما لو أنه أصبح مجنونًا ، ويطلب منهم التعهد لإبقاء خططه الانتقامية سرية ، ولكن تبقى الشكوك تراوده في سره من مصداقية كلام وظهور الشبح واعترافه ، وبذكاء مدروس بعناية فقد تمَّ الايعاز لممثلي المسرحية التي ستعرض على

الملأ قريبًا (بحضور الملك والحاشية) لإعادة تمثيل أحداث الجريمة المتمثلة بسكب السم داخل أُذني الملك وهو نائم في البرية، ومن ثم الزواج مباشرة من الأرملة المتواطئة، وقد فهم كلاوديوس المغزى فورًا وصفق في البدء، ثم فضَّ المسرحية غاضبا ومتوعدًا "هاملت".

حقق المخرج والمصور مشاهد شعرية لافتة ذات طابع مسرحي، طارحين معاناة تراجيديا رجل بائس لم يستطع أن يقرر ما يفعل وكيف؟ لا يستعرض هاملت خطابه ونواياه الانتقامية بل يسربها ببطء وحذر وخوف وبشكل استعراضي- مسرحي أحيانًا، بالمقابل يظهر ليارتيس أكثر جموحًا وتصميمًا ورغبة بالانتقام لمقتل أبيه ملوحًا بالسيف بلا وجل، وكان هاملت قد قتل أبيه بطعنة في بطنه عندما وجده يتلصلص على حديثة مع والدته من وراء ستار الغرفة الملكية، ولكن دون أن يتحقق من شخصيته.

وضعنا هذا المخرج العبقري مع مصوره الفذ منذ البداية في الأجواء التراجيدية الغامضة: فمنذ البداية ندرك أن الدنمارك هي سجن كبير، فنرى الصخور الهشة وظلال القلعة والممرات الطويلة المظلمة ونسمع الموسيقى البائسة المعبِّرة، ثم نشاهد تقلبات الجسر الضخمة وأمواج المياه المتلاطمة والحُرَّاس المسلحين القلقين والمتوقعين حدوث الأشياء، وأصحاب الابتسامات الزائفة المنافقين، وكل هذه المكونات تخلق أجواء من الانقباض والاضطهاد والتوقع والقلق مما هو آت، في إيماءة ذكية واضحة ربما مع الواقع السوفيتي المهيمن حينئذ.

بعض أكثر المشاهد تأثيرًا تشير لأوفيليا وهي تجهِّز ملابسها لحضور جنازة أبيها المغدور "بولونيوس"، ونراها مربوطة في مشد الحديد القاسي كما لو أنه سجن حديدي داخلي، كما نراها في البدء وهي تتلقى دروسًا في الرقص من عجوز مسنة باردة كالجثة المتحركة، يحدث كل ذلك بتناغم مصاحب

لموسيقى "شوستاكوفيتش" كما لو أنه وخز جميل وتحضير إيمائي للمصائب القادمة... ونراها في غمرة جنونها ترقص بانسجام مع هذه الألحان، ثم نرى مشهد جسدها العائم وهو يطفو وكأننا نقرأ قصيدة روسية خالدة، كما نتأمل باندهاش مشاهد دفن الجثمان وتعهد الأخ الحزين بالانتقام.





ثم نتأمل التركيز الزائد على طيران النورس بعد موت أوفيليا مع دلالات رمزية "تشيكوفية" واضحة. لقد نجح "كوزينتسيف" بدمج صور البحر والسماء بنمط شعري تعبيري خلاب مما أطلق لدى المشاهد طاقة إبداعية للتأمل والاستمتاع، من هنا فقد ظهرت هذه النسخة ربما كأفضل اقتباس فريد وغزت قلوب المشاهدين بجمالها الداخلي الروحاني وإنسانيتها وقوتها الأخلاقية، وظهرت بمثابة صدى إبداعي للروح العصرية الإنسانية وكدفاع عن القيم الإنسانية الرفيعة، ونبذ للكراهية والحقد والتآمر والباطنية في السلوك والنوايا، كما أنها بثت دعوة خفية للمسؤولية والالتزام الأخلاقي والعفة والبراءة وتنقية النوايا تجاه ما يحدث في عالمنا المضطرب- المرعب والبائس، الذي يعج بكافة أنواع المآسي والمشاكل والنزاعات العتيقة والحديثة وبدت هذه التحفة السينمائية القديمة وكأنها تحمل رسالة متجددة خالدة.

(٣٢)

" الأمُ : Mother " (٢٠١٧)

فيلم جديد مثير للجدل للمخرج دارين ارونوفسكي

محاولة فك شفرة الرموز الدينية



"خافير بارديم" بدور "القدير": كما يتضح ذلك جليًا في نهاية الفيلم، أنه بمثابة تجسيد سينمائي سلوكي للقدير، شعره هو كلماته، ومنذ البداية عندما يضع الكريستال الخاص على الركن المحدد في الغرفة التي لا يسمح لأحد غيره بدخولها، وقد سبق وجوده الكوني "الام"، وحيث يمارس دراسته وإبداعه في الطابق الثاني، بينما ينام مع زوجته في الطابق الثالث... إنه الرجل "الأوحد" في الأعلى.

"جنيفر لورانس" تمثل دور الطبيعة الأم: ويمكن لأدائها كأم أن يؤخذ بعدة طرق، فقد ترمز "للروح القدس" كجزء من الثالوث المقدس، ولكن الأكثر معنى يكمن بكونها تمثل "الطبيعة الأم"، وكما تقول شخصية "بارديم" فهي "تتنفس الحياة في المنزل"، أما المنزل فهو يمثل بأكمله "قناة التواصل مع العالم"، وسوف نرى كيفية ارتباط الأم بالمنزل، حيث يبدو وكأنها تعامله ككائن حي وتستمع له، كجزء متكامل مع وجودها.

الممثل "فاد هاريس" يلعب ببساطة دور الرجل في الشريط، ممثلاً لشخصية "آدم" في الكتاب المقدس، وهو ينجذب بسرعة مع شخصية "بارديم"، الذي يظهر له التفاصيل وطرق الخلاص (العالم)، كما يكشف "الفاكهة المحرمة" في شجرة المعرفة (تلك التي طردت آدم من الجنة)، إنه "الكريستال" الذي يحتفظ به في مكتبه، محذرًا إياه من لمسه في الليلة السابقة لوصول زوجته، وقد بدا "هاريس" مريضًا جدًا وبحاجة لعناية، تظهر للأم (جنيفر لورانس) كدمة حمراء كبيرة على جنبه يحاول إخفاءها فورًا، إنها بمثابة "مكان الضلع الذي أُزيل لتخلق منه حواء"... أما "ميشيل فايفر" التي تصل متأخرة في اليوم التالي، فهي بمثابة "حواء"... ويشرح المخرج ارونوفسكي قائلاً: "هكذا بدأت الأمور وهكذا انتهت بهذا الشكل، فهما معًا في "الأم"، حيث لم يلتزم الرجل ولا المرأة بأمر الرب، ولمسا الفاكهة المحرمة (الكريستال) وكسراها، ثم فقدا براءتهما تمامًا مثل آدم وحواء".

أما حقيقة رؤية الأُم للرجل والمرأة وهما يمارسان الجنس في غرفتهما بعد كسرهما للكريستال، فهي تعكس حقيقة ما ورد في "سفر التكوين"، عندما أكل آدم وحواء من الفاكهة المحرمة في الجنة المقدسة، ثم تعرضا بعد ذلك لتجربة "الصحوة الجنسية" والسقوط للعيش في الأرض.

- **تشابك وصراع الأخوين "قابيل وهابيل":**

وسط هذا الجنون المتصاعد ، يظهر فجأة الأخوان ممثلان بالشقيقين "دومنهال وبريان جليسون (ابنا فاد وميشيل) ، وهما يمثلان بوضوح هنا "قابيل وهابيل"، ثم يتجادلان بحدة على الميراث وإرادة والدهما المنحازة، مع أنه ورد في الكتاب المقدس أنهما تقاتلا من أجل امرأة، ثم يقتل الأخ الأكبر الغيور الحاقد شقيقه الأصغر.

وفي أعقاب مقتل الأخ الأصغر ، يمتلئ منزل الأُم بعدد كبير من الضيوف الغُرباء غير الودودين ، بغرض العزاء والمواساة ، ويبدو معظمهم وقحين وقليلي الاحترام ، والأم تحاول جهدها لكي تجذبهم ليصغوا إليها ، ولكنهم يتجاهلونها. وحيث يحدث معظم التوتر حول بالوعة المغسلة "المخلوعة تقريبًا" والتي بحاجة لإصلاح لتثبيتها للجدار ، وفيما تحاول باستمرار تحذيرهم لتفادي الجلوس عليها ، ولكنهم يتجاهلون ذلك باستهتار ولامبالاة ، إلى أن تنكسر الماسورة وينهار الجدار وتتدفق المياه بغزارة حيث يحدث طوفان عارم يجبر الجميع على المغادرة والهروب عاجلاً ، في إشارة مجازية واضحة لقصة سفينة نوح والطوفان العظيم ، حيث تصرخ الأُم بأنها سوف تتولى الأمر لتجنب الخراب ، والمقصود الموت والفناء الناجم عن عبث الضيوف واستهتارهم.

- **شخصية "القدير" تكتب العهد الجديد او الكتاب المقدس كله:**

تحمل الأُم أخيرًا بفضل ليلة عاطفية حميمة مع الزوج ، والغريب أنها تتوقع الحمل فورًا ، ويحدث ذلك سريعًا ، ثم فجأة تأتي له الأفكار الإبداعية التي كان يفتقدها طوال فترة طويلة من هذه العزلة المقصودة ، فيبادر بالكتابة

بحماس لا ينقطع، والمفترض أن يكون هذا "كلام القدير الجديد"، وقد يكون هذا هو "الكتاب المقدس" في مجمله، ومن المفترض أن يكون ذلك عملاً جميلاً ومتكاملاً ولا مثيل له، وكرمز لكلمات القدير وهدايته للبشر أجمعين، وهذا ما يقود (على غير المتوقع) للفوضى العارمة النهائية في مشاهد أخر الشريط، في هذا السياق تلعب الناشرة هنا "كريستين ويغ" دور النبي، حيث تكمن وظيفتها بتلقي "كلام" القدير (شعره الإبداعي)، ونشر "إنجيله" للبشر الآخرين التائهين في العالم.

يمتلئ العالم هنا "الممثل بالمنزل القديم الجميل" مرة أخرى، وبأعداد غفيرة من البشر والدهماء، وتسود الفوضى العارمة والضوضاء، حيث نرى الجوانب الحالكة القاتمة للطبيعة البشرية: حيث يتدافع هناك أصحاب الوحي والنبلاء والأنبياء الكذبة والأدعياء والمنافقون والمجرمون واللصوص، كما تحدث صراعات وحروب وغارات وعمليات نهب وإعدام وتخريب، وتتشكل الفرق الطائفية والاثنية وعصابات المتعصبين، كما تحدث الانفجارات والوفيات والخراب والأهوال في كل مكان...

لكن في نهاية المطاف، يتم إنقاذ الأُم من قبل القدير، وتلد بعد المخاض الصعب والألم والمعاناة طفلاً رضيعًا جميلاً (بكاؤه يمثل صوت الحياة وصوت الإنسانية)، وتريد أن تحتفظ به لنفسها ولا ترغب أبدًا بتسليم طفلها للزوج الأناني المتعاطف مع الجموع الهائجة، كما لا تريد أبدًا أن يشاركها الآخرون فيه، ولكنهم راغبون برؤية الابن بشدة محدثين الهياج والضوضاء، وعندما تنهار وهلة من التعب الشديد، تسرق شخصية "بارديم" الطفل الرضيع بغتة ويسلمه للجموع الهائجة، فتفيق الأُم مرعوبة، ثم ينتقل الرضيع بين الأيادي الوحشية المتلهفة ويُقتل ويتم تمزيقه واستهلاكه... الابن الوليد هنا يمثل المسيح الذي تمت التضحية به للخلاص من ذنوب الآخرين

وكشفاعة لخطايا البشر عامة، وحقيقة أن جميع الناس يأكلونه هنا تمثل رمزًا لمشاركة البشر أجمعين في الآثام والمعاصي ، ويتمثل ذلك جليًا بطقوس الكنائس من تقديم للخبز المقدس والخمر كرمز أبدي لجسم ودم المسيح.

- **الانفجار النهائي للمنزل يمثل نهاية العالم:**



فبمجرد فقدانها لابنها الوليد ، تُجنُّ الأم وتسعى للانتقام من أولئك الأوغاد الذين سرقوا طفلها وقتلوه، هكذا تنتقم "جنيفر لورانس" ممثلة لغضب الطبيعة العارم الذي لا يرحم، حيث تقاتل بشراسة كل هذه الحثالات البشرية الذين أخذوا منها كل شيء ودمروا بيتها وحياتها وقتلوا وليدها ، ولكنهم ينجحون بإسقاطها أرضًا وضربها بشكل مبرح مميت ، ثم تأتي شخصية "بارديم" لإنقاذها مرة أخرى، لكن من الواضح أنها وصلت لذروة الغضب والنقمة، فتذهب مسرعة للطابق السفلي وتفرغ كميات كبيرة من وقود التدفئة وتحرق المنزل ومن فيه، متسببة (مجازًا) بالجحيم و"نهاية العالم"، فهي بذلك تحرق كل الكائنات الحية حيث لا يبقى بعد ذلك سوى الأرض المحروقة والخراب.

النهاية الكارثية المجنونة تمثل (في المشاهد النهائية) ولادة "عالم الله" الجديد، حيث يتبقى فقط اثنان من الناجين: الأُم والقدير ، حيث تمنحه الشيء الوحيد الذي تبقى لها وهو قلبها ، ومع هذه النهاية الرمزية يمكن للعالم أن يبدأ

بشجاعة من جديد... ويتم التأكيد هنا مجازًا للمعرفة الكونية المطلقة، حيث لا وجود للزمان، مما يؤكد "يد الله العليا" في المكان والزمان التي نعجز كبشر من فهمها، ملمحًا للمعرفة الربانية الشاملة والمحيطة بكل شيء!

- **سيريالية مجازية وتساؤلات بلا إجابات شافية وفوضى وتدحرج سردي متضخم:**

لكن كل هذه الطروحات المجازية الرمزية المباشرة لا تجيب على العديد من الأسئلة المهمة، ومنها أن الشاعر المنعزل المحبط الذي يفتقد للإلهام، قد كان مشهورًا بفضل إصداراته السابقة، والدليل وجود صورة له ضمن مقتنيات حقيبة الضيف العجوز المريض الذي حلَّ زائرًا بلا سابق ميعاد، ثم هل كان "آدم" عجوزًا ومريضًا ومشرفًا على الموت؟ وهل كان مدمنًا على التدخين هو وزوجته المتوسطة العمر والجريئة والسليطة اللسان والفضولية؟ ولماذا أقدمت "الناشرة" على إعدام الفوضويين هكذا بإطلاق النار عليهم بدم بارد، فهل هكذا يفعل الأنبياء بمواطنيهم وحتى لو كانوا ضالين، أم يصبرون عليهم لهدايتهم؟ بينما تناقض نفسها عندما تبلغهم في البدء: "إن الشاعر لن يتخلى عنكم"!... ثم لماذا يندفع الأشخاص للمنزل لدخول هذا المنزل بلا دعوة، ويرغبون بالخلوة في الأرجاء لممارسة الجنس والعبث بالممتلكات وسرقة بعض المقتنيات كذكريات، ولا يعيرون صاحبة المنزل الاهتمام والاحترام بحده الأدنى؟... وأشعر وربما كنت مخطئًا أن المخرج قد تورط بعجالة أثناء إخراجه لهذا الفيلم الذي بدا عاديًا ومشوقًا وترفيهيًا، ثم تورط في سرد سينمائي "رمزي- ديني" وربما سيريالي فريد من نوعه، ولم يعد يعرف كيف يخرج منه فانغمس بمشاهد فوضوية- كارثية مرعبة، وربما وجد خلاصه أخيرًا بإعادة الأمور للبدايات، وأشعرنا وكان البطلة قد أفاقت أخيرًا

من كابوس مرعب وبحثت عن زوجها الذي أصابه القلق لانعدام الإلهام وعجزه عن إتمام ديوان شعر جديد... لكن لماذا عاد كل شيء لوضعه الأصلي بعد الدمار الساحق الذي أصاب المنزل، بمجرد إعادة تكوين البطل "للكريستال" المحطم، وما علاقة الجوهرة بقلبها الذي انتزعه من صدرها، وما علاقة كل هذا بتفاحة آدم التي حرمته من الجنة وأنزلته مع حواء للأرض؟ وكيف يمكن لهذا الطرح المجازي أن ينسجم مع قصة الخلق؟ ثم لماذا لم ترغب البطلة أبدًا بأية مساعدة في ترميم ودهان المنزل الكبير العتيق ولا حتى من زوجها؟

وبالحق لا يمكن أبدًا إنكار قوة الطرح السينمائي الشيق من الناحية الفنية البحتة، ولا الرموز المجازية الدينية المعبِّرة في هذا الشريط الشيق المنجز جيدًا بشكل متكامل، والذي بدأ عاديًا ومنطقيًا وانتهى خياليًا وسيرياليًا وغامضًا، كما أني استغرب بالحق كثرة تبجيل هذا الشريط ورفعه لمستوى التحفة السينمائية الفريدة (كما ورد في المراجعات النقدية بموقع الطماطم الفاسدة المتخصص بالنقد السينمائي)، فيما يندفعون بحماس ناقدين فيلم "جورج كلوني" الأخير "سوبوربيكون"، باحثين فيه عن الهفوات الإخراجية والتفكك السردي، فيما وجدت فيه أبعادًا فنية سينمائية لافتة، وسردًا متوازيًا ومجازًا ذكيًا يستند لقصة تاريخية حدثت في نهاية خمسينات القرن الماضي بموازاة جريمة عائلية غامضة، والناقد السينمائي الحصيف حسب وجهة نظري المتواضعة يفضل أن لا ينجر أبدًا وراء شغفه وحماسه وعواطفه السينمائية، بل عليه أن يستند للتأمل والحياد والتحليل البارد غير المتحيز للعرض السينمائي، مبتعدًا عن تقديس الأشخاص وشيطنتهم، ومتجاهلاً ازدواجية المعايير بطريقة النقد والتحليل، فهذه سينما وليست سياسة.

(٣٣)

فيلم "نداءات الوحش : مونستر كولز " (٢٠١٦)

الحِكم الكامنة المعبِّرة وراء القصص التحريكية المدمجة



دراما فانتازية سوداء، من إخراج "بايونا" وكتابة "باتريك نيس"، يتحدث عن فتى صغير (١٢ عامًا)، تعاني أمه من مرض خبيث قاتل، وتحت ضغط هواجسه ومخاوفه، يزوره في ليلة ما وحش شجري عملاق (الممثل نيسون)، الذي يعده بالعودة كل ليلة ليروي له ثلاث قصص ذات مغزى تباعًا...

تمَّ عرض الفيلم في مهرجان تورنتو السينمائي في العام ٢٠١٦، وقد تلقى ثناءً إيجابيًا من النقاد الذين امتدحوا الثيمات ونمطية الإخراج الغريبة والأداء والمؤثرات البصرية.

- تفاصيل الحبكة: يتوجب على الفتى "كونور اومالي" مواجهة مرض أمه بالسرطان المزمن، والتعايش مع جدته الصارمة، ووالده المغترب، وكذلك الفتى المتنمر في مدرسته... وفي ليلة ما وتمام الساعة ١٢ :٠٧ صباحًا يواجه فجأة وحشًا شجريًا هائلاً، يخبره بأنه سيروي له ثلاث قصص حقيقية (تحريكية)، فيما سيترتب على كونور أن يروي هو قصة رابعة شخصية تتعلق بسر كوابيسه الدائمة، وعليه أن يقبل ذلك صاغرًا.

ثم نرى كونور يعود مع الوحش لمواساة والدته المريضة في زيارة أخيرة والتي تفارق الحياة بنفس الوقت ١٢ :٠٧، ويعود بعد ذلك حزينًا مع جدته التي تتعهد بالاهتمام به وإعطائه غرفة خاصة في منزلها، فيجد هناك كتابًا قديمًا لوالدته المتوفاة، يحوي صورًا فنية وإسكتشات تكشف له الشخصيات التي تحدث عنها الوحش الشجري في روايته، كما يتضمن الكتاب رسمًا لوالدته كطفلة مع نفس الوحش.

- القصة الأولى: يفقد ملك قديم كل أفراد أسرته، ويحتفظ بحفيده الصغير، ثم يتزوج من امرأة شابة جميلة، ويموت قبل أن يبلغ الأمير الصغير سِنَّ الرشد، ويعتقد الجميع أن الزوجة هي من سمَّمت الملك العجوز، لأنها لا تريد للمملكة أن تصبح في يد الأمير، فقد خطَّطت بمكر ودهاء لكي تتزوج من الأمير لتصبح الملكة... ثم يهرب الأمير مع فتاة مزرعة فقيرة يقع في حبها، ثم يتوقفان ليناما تحت شجرة وحشية مسحورة، وفي الصباح يجد الأمير أن الفتاة الفقيرة قد قُتلت... فيخبر القرويين بأن الملكة الساحرة قد فعلت ذلك بقصد، فيبادرون لإسقاطها، ثم يستيقظ الوحش ويتبع الجمهور الغاضب، وقبيل وصول الدهماء الغاضبين لقصر الملكة، يسارع الوحش بإنقاذها وحملها لبلاد بعيدة، لتعيش بسلام في باقي أيامها، ونكتشف أنه على الرغم من كونها ساحرة، إلا أنها لم تقتل الفتاة الفقيرة الشابة، وإنما قتلها الأمير حتى يؤجج غضب شعبه ويلهمه لاغتيال الملكة وإعادة العرش له.

- القصة الثانية: يتبع صيدلاني قديم (محضرِّ وصفات دوائية شعبية) التقاليد العتيقة والاعتقادات باستخدام الأعشاب المتخمرة لمعالجة الأمراض، ولكنه يصبح أقل شعبية لأن كاهن القرية أخبر مواليه بعدم تقبل عقاقير ووسائل الصيدلي القديمة... ولكن عندما مرضت ابنتيّ الكاهن الصغيرتين، طلب الكاهن من الصيدلي إنقاذ حياتهما بعد أن استنفذ كل الوسائل والموارد لإنقاذهما بلا طائل... عندئذٍ يتساءل الصيدلي المنبوذ: لماذا عليه مساعدة الرجل الذي نفَّر الناس منه، وحذَّرهم من مهاراته ومنعه من الاقتراب من شجرة الشفاء القديمة، تلك التي تحتوي على أهم مكونات الشفاء الطبيعي؟ ولكن الكاهن الخبيث وعده بإعطائه كامل الشجرة وبترويج عمله ومهارته بين القرويين، وبالرغم من ذلك أصرَّ الصيدلي على عدم مساعدته، فماتت البنتان الصغيرتان... ثم استيقظ الوحش الشجري، وحطَّم منزل الكاهن وسوَّاه بالأرض كعقاب... فبينما كان الصيدلي رجلاً جشعًا، لكنه بالمقابل كان يعالج الناس وينقذ حياتهم وحتى حياة ابنتيَّ الكاهن لو سمح له بممارسة أسلوبه التقليدي في علاجهما، فيما كان الكاهن صاحب الإيمان الظاهري مضطرًا للتخلي عن إيمانه إذا ما وجده عائقًا أمامه، وفيما كانت أساليب علاج الصيدلي تتطلب الإيمان لكي تنجح، وهكذا بدون إيمان وقناعة الكاهن، لم يكن بإمكان الصيدلي علاجهما، لأن الإيمان هو نصف العلاج تمامًا كإيمان الكاهن المزيف الذي كان "نصف ايمان"!

- القصة الثالثة: كان هناك رجل غير مرئي لأنه لم يشاهده أحد... لكنه ملَّ من حالته هذه، وتضافر مع الوحش لكي يلحظه الناس ويحسوا به، وقد نجح الوحش بلفت انتباههم لرؤية هذا الشخص اللامرئي، لكنهم بالمقابل فقد شاهدوا الآن كائنًا سحريًا مُفزعًا، وتمنوا لو انهم لم يروه.

- القصة الرابعة : يتوجب على الفتى "كونور" مواجهة كابوسه الثقيل المتواصل حتى يتمكن من سرد القصة الرابعة، حيث تُسحب أمه المريضة البائسة فجأة على حافة وادي سحيق ، تكوَّن من تصدع أرضي ماحق ، ويضطر كونور لكي يمسك بيدها بقوة لمنعها من السقوط، ولكنه يفلت تدريجيًا قوة قبضته الصغيرة، وتسقط أمه لأعماق الجرف، ثم يجبره الوحش للاعتراف بأنه أفلت قبضته بقصد ، وكان بإمكانه أن يتماسك ويبقي قبضته لإنقاذ أمه، ولكنه فضل أخيرًا أن يفلت يدها لإيقاف الألم المترتب على شد قبضته باستمرار لإنقاذ أمه.

هكذا نتبصر الحِكم الكامنة في هذه القصص المجازية التحريكية المدهشة، والتي توضِّح لنا المغزى وبأن الأمور ليست دومًا كما تبدو في ظواهرها السطحية ، وأن التفسير الحقيقي يكمن بالتعمق في الخفايا غير الظاهرة للعيان.

نجح المخرج وكاتب السيناريو بالموازنة بين الثيمات السوداء والعناصر الفنتازية ودمجها معًا ضمن السياق الفيلمي في تكامل معبِّر متماسك، وهو شريط متميز من نواحي التمثيل (كل من فيليستي جونز وسيجورني ويفر ولويس ماكدوجال بدور الفتى كونور) وكذلك المؤثرات التحريكية والصوت التعبيري الجهوري للممثل "ليام نيسون" الذي فاز بجائزة خاصة.

(٣٤)

فيلم "حدث ذات مرة في الأناضول" (٢٠١١)

لقطات لافتة



يحمل هذا الفيلم بُعدًا إنسانيًا نادرًا من حيث تعاطفه مع القاتل، الذي يكاد بدوره أن يصبح عضوًا في فريق البحث، كما أنه كان يشعر بالندم والذنب الشديد، وقد ثبت فلسفيًا أن الندم هو أسوأ تجربة حياتية يمرُّ بها الإنسان.

تنضوي أحداث الفيلم تحت عنوان الكوميديا السوداء، فهناك لقطات عديدة تبعث على الضحك والسخرية، ومنها اهتمام السائق (واسمه عرب) بجني الثمار البرية كالتفاح وغيره، والعودة بها كغنيمة من رحلة البحث هذه، حتى أنه لا يكترث بوضعها مع الجثة في الصندوق الخلفي للسيارة، كذلك يتطرق

للنمطية والبيروقراطية السائدة في التحقيق الجرمي، ونرى التزامًا تلقائيًا طريفًا مع التراتبية الوظيفية، فالكل يعرف دوره ومكانه، ولا أحد يحتقن أو يلوم، فعندما يكتشف ضابط الشرطة أنهم لم يجلبوا كيسًا لحفظ الجثة، لا يغضب ويثور كالمتوقع في هذه الحالة، وإنما يطلب منهم اللجوء لخيار آخر عملي، حتى الميت بدوره يبدو حضوره طاغيًا بالجو المأساوي الذي أضفاه على رحلة البحث هذه، حيث يظهر "كالغائب الحاضر".

وعندما يشكو جرَّاح المشرحة للطبيب المسؤول من تواضع أدوات التشريح مقارنة مع مستشفى آخر بالمنطقة، لا يهتم هذا الأخير بهذه الثرثرة، ويطلب منه الاستمرار بعمله، حيث يباشر هذا الأخير بتشريح وتقطيع الجثة وكأنه جزار ماهر يجهِّز خروفًا بعد ذبحه. ونرى الدم يتطاير على وجه الطبيب وملابسه، ونكاد نشعر أننا نرى المشرح وهو يجمع الأحشاء والقولون، بالرغم من كوننا لا نرى ذلك بأعيننا.

يبدي الجميع تعاطفهم مع القتيل وطريقة توثيقه القاسية، وبالمقابل لا نرى إلا ضابط الشرطة يصرخ مؤقتًا في وجه الجاني بعصبية، كما تبدو الأحداث تنساب بشكل تلقائي، وكان ما يجمع هؤلاء الأشخاص هو الروابط الحياتية- المعيشية – اليومية، كما يهيمن شبح الموت على أجواء البلدة الصغيرة، ونرى القروي الكريم يستغل فرصة هذا التجمع النادر، لكي يطلب إقامة مشرحة عصرية وثلاجة حديثة كبيرة، لأن رائحة الأموات الخانقة (حسب تعبيره) تفوح في البلدة قبل وصول الأبناء من ديار الغربة البعيدة، لإلقاء النظرة الأخيرة على جثامين الآباء والأمهات التي تبقى بانتظارهم قبل الدفن، وهو يستغل بسذاجة القروي البسيط فرصة الوليمة هذه لكي يعرض جمال ابنته، ويسوقها للزواج، حيث نراها تدور عليهم بأكواب الشاي، فيما لا يتورع معظمهم عن اختلاس نظرات معبِّرة لوجهها الجميل.

- **دراما ريفية ساذجة**

يتجلى مغزى التصوير الليلي والانتقال تدريجيًا للصباح في حبكة القصة، حيث يبقى الموضوع غامضًا ، ومن ثم تتجلى تفاصيله تدريجيًا مع انبلاج ضوء الشمس في اليوم التالي، وهناك لقطات رائعة تتمثل في الإضاءة الليلية الأخَّاذة ، التي اُستغلت فيها مصابيح السيارات وحركات الظلال وضوء القمر. وعكس معظم الأفلام الأمريكية والأوروبية التي تُعرض في "مهرجان كان" ، فالفيلم لا يحتوي على حبكة سينمائية غامضة ، ولا على مطاردات بالسيارات ولا على قصة حب جارفة، ومشاهد جنسية صريحة أو مجازية، وإنما هو شبه تسجيلي – واقعي لمجموعة موظفين بيروقراطيين يسعون معًا بهدوء لكشف ملابسات جريمة قتل ليست مثيرة إطلاقا، بل إنها مجرد دراما ريفية لجريمة قتل عادية ، ولكنها تدهشنا بطرحها الذكي الهادئ المتضمن للعديد من المعاني الإنسانية السامية والمشاكل اليومية الحياتية البسيطة.

أما الشخصيات الرئيسية الثلاث في الفيلم؛ فقد كانت أيضًا عفوية وبارعة وتكاد لا تصدق أنهم يمثلون ، وهم رئيس الشرطة الحازم والعصبي "يلماز أردوغان" ، والمحقق الساخر والمرح "تينار بريسيل" والذي يعتقد أنه يشبه الممثل الأمريكي الراحل "كلارك جيبيل" ، والطبيب الشاب الحزين والواثق من نفسه "محمت (محمد) أزنير"... وتكمن المفارقة اللافتة هنا في أن رحلة الاكتشاف هذه لم تتجاوز في واقع الأمر أكثر من سبعة وثلاثين كيلومترًا ، كما علَّق أحدهم بسخرية، فيما بدت وكأنها رحلة أسطورية لا تنتهي للطرف الآخر من العالم... كما أن المغزى العميق يتجلى في سعيهم لاكتشاف ما هو أكثر من مجرد جثة رجل ميت، وتتجلى الكوميديا في التعليقات اللاذعة التي تتناول كافة قضايا حياتهم اليومية ، وفي التوقف المتتابع للقافلة حتى يتمكن المحقق من التبول.

(٣٥)

فيلم " لا بلد للرجال العجائز" (٢٠٠٨)



يبدو فيلم "حدث ذات مرة في الأناضول" كعمل سينمائي غير مسبوق، وربما يتشابه لحد ما بنمط القصة وأسلوب الإخراج وطبيعة الأجواء مع الفيلم الأمريكي الشهير "لا بلد للرجال العجائز "، وبغض النظر عن التفاصيل، فالفرق الجلي بين العملين، يكمن في أن فيلم الأخوين جول وايثان كوين لدى المشاهد النبيه الانطباع بكون الشريط كله مجرد مزحة سينمائية مرعبة غير قابلة للتصديق، أما في فيلم المخرج سيليان فأنت بالحق تعجب كثيرًا بشغفه الكبير تجاه أبطاله وواقعية الأحداث، وتكاد ترغب بالعودة ثانية لمشاهدة هذه التحفة السينمائية، تمامًا كما هو الحال مع الفيلم الأمريكي. نال فيلم الأخوين كوين "لا بلد للرجال العجائز" أربعة جوائز أوسكار في العام ٢٠٠٨.

يتناول الفيلم باختصار قصة رجل عادي تقوده الصدفة للاستيلاء على ثروة طائلة ليست له، حيث يتورط تلقائيًا في مطاردة مرعبة (ضمن لعبة القط والفأر)، وذلك عندما يلتقي بالصدفة مع ثلاثة رجال في صحراء غرب تكساس (نفس التضاريس الطبيعية لأرض قاحلة)، حيث يتمكن عابر السبيل هذا من الحصول على ثروة بمليون دولار وهي محصلة صفقة مخدرات إجرامية، وجدها بالصدفة في إحدى السيارات مع جثث أشخاص وكلاب مقتولة في وسط الصحراء.

وعندما يحاول اغتنام الفرصة والاحتفاظ بالمال، مرسلاً زوجته للإقامة الآمنة عند أمها، ومحاولاً الهرب والاختباء في نزل على الطريق، مخفيًا كيس النقود في أنبوبة التهوية داخل غرفته، ولكنه لن ينجو من مطاردة قاتل مأجور مرعب (قام بالدور جافير باردم) الذي يلاحقه بلا هوادة، ويقتل كل من يجد في طريقه ببرودة أعصاب وبطريقة مبتكرة تحبس الأنفاس.

لقد تمَّ إخراج هذا الفيلم المقتبس عن رواية شهيرة بنفس العنوان، بطريقة تطابقية نادرة للحفاظ على روح وتفاصيل النص الروائي الأدبي.

يركِّز هذا العمل السينمائي المبهر على أهمية عنصر المكان (كما الفيلم التركي) والصدفة البحتة في تحديد مصائر الناس، وهذا ما نجده أحيانًا في الحياة، كما يتطرق بشكل مجازي معبِّر لطبائع البشر المختلفة سواء الخيِّرة أو الشريرة، حيث نجد الرجل السارق للمال يعود خصيصًا لموقع المجزرة بغرض مساعدة جريح مكسيكي وإرواء عطشه تنفيذًا لرغبته، ولكن بعد فوات الأوان حيث يجده وقد أسلم الروح... كما أنه يركِّز على أنه "لا يوجد مهرب وشيء مجاني في الحياة"، فلكل شيء ثمنه الذي قد يكون باهظًا.

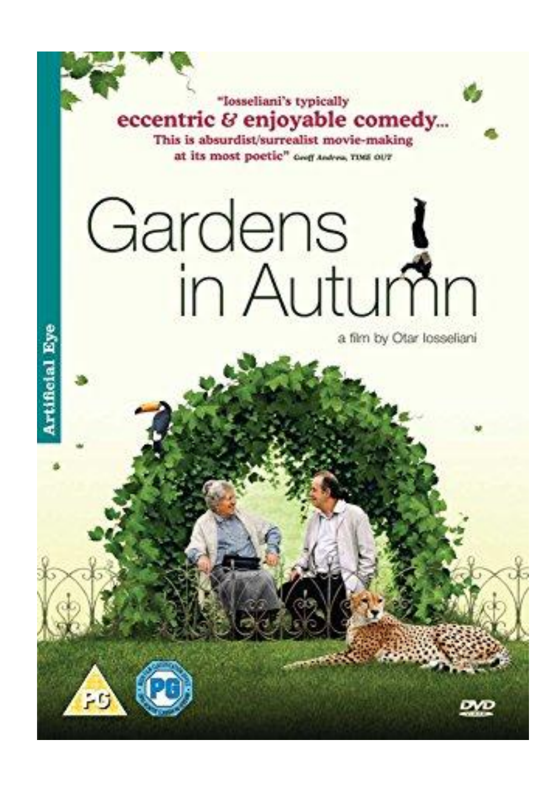
يختلف الفيلم التركي عن الفيلم الأمريكي اختلافًا كبيرًا بواقعيته المدهشة والاستثنائية، وبافتقاده للنمط الأمريكي المثير والمكلف في الإخراج

الحركي– الدرامي ، وفي إظهار مشاهد القسوة الإجرامية بسادية عجيبة ، والغريب أن الممثل الإسباني الشهير جافير باردم أبدع في تقمص شخصية القاتل المأجور ، بالرغم من أنه (حسب تصريحه) لم يستخدم بندقية في حياته ولم يسق سيارة، كما أنه حتى لا يتحدث الإنجليزية بطلاقة.

(٣٦)

"حدائق الخريف" (٢٠٠٦)

فيلم فرنسي فائق السخرية والمدلول والطرافة
كوميديا معبِّرة وتهريج سينمائي رفيع المستوى



خيبة الوزراء و عبثية الحياة الحسناء و جمالية التشرد والاختفاء

"فينسنت" هو وزير بروتوكيلي متنفذ، ويحتفظ ببعض الوسامة واللياقة البدنية وهو في منتصف العمر، حيث يمارس كالشباب رياضة الوقوف على الرأس بخفة ورشاقة، كما أنه كأي فرنسي يعشق الطعام والنبيذ، أما عشيقته أو

زوجته "اوديلي" فهي ما زالت شابة وجميلة، كما أنها جذابة وذكية وطموحة ومتطلبة، وتحب كثيرًا الثياب الجميلة والمظاهر الباذخة، وتتميز بالنزق وقلة الإخلاص، فهي تتخلى عنه فورًا بعد أن يفقد وظيفته العامة كوزير.

أما الوزير الجديد "تيودور" المتعلق بأُمه المُسنة المتحذلقة ، فيقوم فور استلامه للوظيفة الجديدة بتغيير كل شيء في مكتب الوزارة وحتى الأرفف والأثاث واللوحات والتحف والمكتب والكرسي ، وصولاً للتليفون ومنافض السجائر... فهل سيبقى طويلاً في منصبه الوزاري الجديد ؟ ولكنه متفائل على أي حال.

ولا يبدو "فينست" متأثرًا من فقدانه لوظيفته المهمة ، بل يبدو وكأنه بدأ بالعيش الحقيقي ، ليتحول برغبته إلى مجرد متشرد ثري ، عاشق للحياة والأصدقاء والعلاقات والطعام والنبيذ ، وحتى لنمط التشرد والتخلي عن معظم المقتنيات.

وفي النهاية يلتقي فينسنت مع تيودور بعد أن يفقد هذا الوزير الجديد بدوره وظيفته لنفس الأسباب والاحتجاجات التي لا نعرف الكثير عنها ، ثم على غير المتوقع لا يشمت فيه بل يتعاطف معه، ويقول له بروح منفتحة وبلا كراهية: " تبدو مرهقًا، دعنا نتناول كأسًا معًا".

هذا الفيلم الطريف هو من إخراج "اوتار اوسوليني" المخرج الجورجي الهارب للغرب ، ومن إنتاج ٢٠٠٦ ، وهو نفسه واضع السيناريو كما يقوم بدور أحد أصحاب الوزير الأول المُقال... هؤلاء العجائز الشغوفين بالثرثرة والتسكع وبتناول النبيذ ، والفيلم من بطولة كل من سيفران بلانشيت ، جيسنشي جاكيت، واوتار اوسليني بدور صديقه الوفي العجوز السكير أرنود، كما يقوم الممثل القدير "ميشيل بيكولي" بدور والدة البطل الثرية الطيبة ماري (وبدا وكأنه تقمص الدور ببراعة لافتة وبأسلوب سلس وبلا تصنع وتهريج)،

أما منهجية "اوتار" في الإخراج فهي شيقة وكوميدية وتحفل بالسخرية التلقائية وتبدو كحلقة مغلقة ، حيث تتكرر فيها الأحداث الطريفة مرارًا بصورة متجددة لافتة ، كما بمشاهد الفهد المحجوز في الحديقة ، أو بالطائر الغريب المنقار النادر المستأنس والمحجوز في قفص كبير ، أو بمشاهد مرافقة الوزير المستقيل لحاكم أفريقي زائر متبجح ومعاينة حالات صيد الغزلان ، أو بإطلاق وصيد مجموعة من الخنازير البرية ، حيث تتكرر هذه المشاهد مع الوزير الجديد أيضًا ، كما بدا الحاكم الأفريقي وكأنه ما زال يحتفظ بمحبته الخاصة للوزير المستقيل ربما لطيبته وتلقائيته... ونجد بالتوازي أنه فيما تسيطر العشيقة المتطلبة على الوزير القديم ، تسيطر عقدة الأُم على الوزير الجديد التائه ، وهناك شخصية كوميدية لافتة تجسدت بشخص غريب الأطوار طويل ومنفر المنظر ، وهو بدا بمشاهد الاستهلال وهو يعاين تابوتًا يناسبه ، ثم نراه يعيش مع الأفريقيين المنبوذين الساكنين عنوةً بقصر أُم البطل المهجور ، ونراه يواصل بمثابرة غريبة بإلقاء المياه القذرة من فوق الشرفة على المارَّة ومن جُملتهم الوزير المستقيل.

يتحدث الشريط عن عبثية الحياة منذ اللقطات الأولى ، حيث نرى أربعة أشخاص مختلفي الأحجام وهم يتناقشون فيما بينهم ومع صانع التوابيت المحترف ، حول أهمية مطابقة التابوت لحجم صاحبه ، ومنهم نفس الشخصية الطويلة النحيفة غريبة الأطوار (التي يتكرر ظهورها فيما بعد)... ثم نرى الوزراء يقيمون عرض صيد مع الزعيم الأفريقي الزائر ، ونراهم يخفقون بصيد الغزلان المنفلتة ، كما الخنازير البرية الخارجة من أقفاصها ، ثم نطلع على الروتين اليومي لعمل الوزير ، الذي يبدأ باستقبال الشخصيات بروتوكوليًا ، ثم بلعب ورق الشدة وكثرة التواقيع بلا معنى ، ومن مفارقات الفيلم اللافتة أن كلا الوزيرين يفقدان وظيفتهما بفضل احتدام الاحتجاجات

والمظاهرات المناوئة لهم والتي لا نعرف سببها الواضح، سوى في لقطة عابرة حيث يقوم عمال مطرودون بالشماتة من الوزير الأول بعد أن فقد وظيفته.

ثم تظهر شخصيات طريفة مدمنة للكحول والنبيذ، مثل الكهنة المزيفين وصديقه العجوز الظريف أرنولد (نفسه المخرج اوتار) وأصدقاء آخرين، كما تظهر عاهرات فرنسيات وأفريقيات متعاطفات، وتبدو جميع الشخصيات في هذا الشريط وكأنها تعرف بعضها البعض بشكل أو بآخر، وقد بدا الممثل الفرنسي المخضرم"ميشيل بيكولي" منغمسًا وحقيقيًا بأدائه لدور والدة الوزير الثرية والطيبة والحكيمة، عكس الصورة الاستحواذية التي ظهرت فيها والدة الوزير الجديد الشديد الارتباط بأمه، كما بدا عشيق عشيقة الوزير الأول عصبيًا ونزقًا وكوميديًا بطريقة أدائه الهيستيرية المتنفذة.

الفيلم يعكس سخرية الحياة ومفارقاتها العجيبة، كما يكشف بيروقراطية الوزراء وسخافاتهم وبذخهم وتعاليهم أثناء تواجدهم بوظائفهم، ثم يكشف حقيقتهم وبساطتهم عندما يفقدون مناصبهم ويتحولون لأُناس عاديين، بل ربما لأشخاص متواضعين ومشردين، عاشقين للصداقات والطعام والنبيذ وعدم الالتزام، طبعًا يختلف الأمر هنا مع وزراء ما يُسمى "العالم الثالث" الذين يحافظون على هيبتهم وتعاليهم وعلاقاتهم، ويقفزون لمناصب مفصلية مهمة هنا وهناك، بل قد يعودون في تشكيلة وزارية جديدة وكأن النساء لم تلد عباقرة غيرهم، وبعضهم يتمادى في الغرور والاستعلاء وينتفخ، بل قد يتعالى على رفاق دربه وينكر معرفته المسبقة بهم، وأذكر من خبرتي الطويلة في الصناعة أيام كنت أعمل مهندسًا في صناعة الإسمنت، أن مهندسًا وصوليًا ضحك على رئيس مجلس الإدارة "المؤقت آنذاك" وأوهمه بعشقه للعمل المتواصل الجدي وبولعه بالتفاصيل الدقيقة، وعندما اقتنع

الرئيس الساذج به أخيرًا عيَّنه مديرًا تنفيذيًا في صناعة لا يفقه شيئًا فيها، وعندما تمَّ تثبيته استعان بطاقم كامل من المهندسين والماليين وأساتذة الجامعات لكي يكتبوا له أطروحة الدكتوراة التي نالها من جامعة بريطانية مرموقة، ليتاجر بسُمعته ومنصبه وشهادته "فيما بعد" ثم ليصبح وزيرًا للصناعة والتجارة ولأكثر من مرة... هكذا شتان بين وزرائهم "العاديين" البيروقرطيين التافهين والظريفين والمبذرين ثم المتواضعين عندما يفقدون وظائفهم، ووزرائنا "الأكارم المبجلين" المغرورين المتعالين دومًا والمتنفذين وأصحاب العلاقات، وربما أحيانًا "الفاسدين والمستغلين لمناصبهم"، ولله في خلقه شؤون!

قدَّم المخرج "اوتار اوسياني" فيلمًا بنكهة طريفة مشوقة، مع بعض السِّمات السيريالية اللافتة حول ما يحدث عندما نخرج للحياة بلا مناصب وعمل وجاه ونفوذ، فالوزير الأول المستقيل كان يملك صلاحيات واسعة وسيارة رسمية فخمة ومكتبًا كبيرًا، وكان يملك عشيقة جميلة نزقة متطلبة، وبعد أن يُطرد من وظيفته ويقدم استقالته، ينتقل لمتع التشرد والشوارع والأصدقاء والنبيذ و"اللا التزام" والتقاط النساء عشوائيًا، وبدا وجوده بعد التقاعد لا يقل أهمية عن عمله كوزير بروتوكولي سخيف، كما بدا وكأنه يستمتع تمامًا بحالته الجديدة كمشرد ثري، وقد تعوَّد على التجول في المنتزهات والشوارع والمقاهي وبيوت أصدقائه ومنزل والدته المهجور.

وهناك مشاهد جميلة غريبة تحدث في الهواء الطلق، مستوحاة من رسومات الفنان الانطباعي الشهير "مانيه"، ولا تفرق بين حالات العمل واللعب، وما هذا الفيلم سوى تصوير حيوي جذاب لمهازل حياتية عملية، وعبارة عن "اسكتشات هزلية" مترابطة مع حوارات ارتجالية، فالمخرج يقتبس من سيريالية "بونويل" وأحيانًا من واقعية "فيلليني"... والممثل البارع "سيفرا

بلانشيت" يتقن بعفوية التهريج الطريف المعبِّر ضمن سيناريو غامض ، ويقف على رأسه أكثر من اللازم، ونشعر وكأننا برفقته عندما يزور البيت الريفي عند والدته العجوز الطيبة (أبدع ميشيل بيكولي بتقمص الشخصية بدون إسفاف وتهريج)، والتي تتماهى نوعًا ما بحركاتها مع الملكة إليزابيث من حيث ارتدائها للأحذية والحقائب وبطريقة تسريحها للشعر الأبيض ومشيتها ، ولكنها بالتأكيد فهي تختلف كثيرًا بخفة الدم والظل والطرافة والتلقائية والتواضع الطبيعي.

(٣٧)

(رصاصة الرأس) "بوليت هيد : Bullet Head " (٢٠١١)

أكشن تجريبي فريد



عن "الانحباس والسرقة والكلاب القاتلة" : فبطل الفيلم هو كلب أسود ضخم وشرس وحافظ للجميل ومُدَّرب جيدًا... حيث يجد ثلاثة مجرمين محترفين أنفسهم محبوسين ومحاصرين داخل بناية مستودع قديم مهجور ، كما أنهم مهددون من الداخل بواسطة كلب أسود قاتل شرس لا يمكن لجمه أو إيقافه.

هذه الدراما الإجرامية- الحركية الغريبة ، هي من إخراج "باول سوليت" ، وتمثيل كل من أدريان برودي (الفائز بالوسكار) ، والمخضرم جون مالكوفيش ، والاسباني "أنتونيو باندراس" ، إنه فيلم غريب بطريقة إخراجه وبقصته المليئة بالتقلبات النابضة والشيقة، حيث نرى الثلاثة مسجونين داخل

مستودع مهجور غامض، بانتظار شخص رابع سيأتي لاحقًا لكي يقاسمهم غنيمة أخر سرقة لهم، كما يبدو أن هذا المستودع القديم المكون من عدة طبقات، "كان وحاليًا" بمثابة مسرح لمصارعات الكلاب القاتلة والرهان عليها من قبل أصحابها المتنفذين أصحاب السوابق، كما بدا واضحًا أن هناك كلب أسود ضخم بوجه ملاكم بالغ الوحشية والشراسة متروك هناك بقصد، يتربص بهم واحدًا تلو الآخر (ويبدو أن المخرج معجب بالكلاب وقد أهدى فيلمه لكلب...)، كما حشا القصة بقصص وذكريات الكلاب، حيث أخبرنا ثلاثة منهم بقصص "كلبية وسمكية" معبِّرة، ابتداءً من الشاب الفتي المدمن على المخدرات (مثَّل الدور ببراعة "روري كولكين" بدور كيج)، فيخبرنا بأسى وحزن ذكرياته المتمثلة بتربيته وهو طفل لكلب جريح وجده وأشفق عليه وثابر على رعايته وإطعامه حتى تعافى، لكن والده الشرس يقتله ببلطة لأنه يكره الكلاب... ثم ننتقل لقصة "برودي" الذي نجح بأول سرقة في حياته المهنية كلص محترف بفضل حوزته لكلب زينة أنيق، لأن الحارس كانى يعاني من "فوبيا الكلاب" وفرَّ هاربًا، وصولاً لقصة "جون مالكوفيش" الغريبة في شبابه، عندما كان فقيرًا وأراد أن يجلب لابنته الصغيرة سمكة زينة صفراء جميلة كهدية عيد ميلاد مع حوض مائي، فسرقها مع الحوض، ولكنه طمع ببضع سمكات زينة ملونة أخرى، لتفاجئ أم الفتاة في اليوم التالي بأن كل السمكات قد ماتت منتفخة فيما عدا الصفراء، لأنها لا تعيش في المياه العذبة.

أما طريقة الإخراج هنا فهي غريبة ومبتكرة، فهي تجمع ما بين الواقع الحالي الصعب والأحداث القديمة المستوحاة من الذكريات في لقطات واحدة تسعى لاسترجاع الزمن بشكل لافت تجريبي، كما أن الحوار واسترجاع الذكريات لعبا دورًا رئيسًا، لا تقل أهميته عن الأحداث الحالية القليلة المتوترة واللاهثة، التي تركِّز بمعظمها على مطاردات الكلب الأسود الشرس لهم

واحدًا تلو الآخر ، حتى ينحشر أخيرًا تحت رافعة معدنية ثقيلة ، وينقذه برودي بلقطة معبِّرة إنسانية فيتركه لحال سبيله ، ولكن طبيعة الكلب المخلصة تجعله يفتك في أخر الشريط بمدربه ومالكه "أنتونيو باندراس" ، ليتمكن برودي بمعجزة من النجاة بعد قتل رفيقيه، ليعود لملاقاة حبيبته (مع جرو صغير أسود) التي تركته على شاطئ البحر في مشهد نهائي مُعبِّر.

هناك جثث كثيرة لأشخاص ، وجثث كلاب فتكت بها كلاب أخرى في الرهانات المالية الحماسية داخل المبنى المرعب المهجور ، ولكننا لا نراها بل يتم الإيحاء بوجودها.

إنه فيلم جريمة وحركة غير تقليدي بكل المعايير الدارجة، ويبدو هنا وكأن الكلب الأسود الشرس هو البطل، فيما يموت معظم الأبطال الآخرين، ويبقى الكلب وكأنه هو الذي يحرِّك الأحداث منذ الاستهلال وحتى النهاية، والفيلم مكتوب بذكاء حرفي وصعب الإخراج والتصوير ، وفي الختام فهو عمل شيق تجريبي "غريب وسخيف وممل أحيانًا" ، ولكن براعة الممثلين تدعم السرد البطيء وتلفت الأنظار ، وفيه بعض الاسترجاع لنمط جنون "كونتين تارانتينو" الإخراجي الشهير الذي استهلَّ به أعماله السينمائية في تسعينات القرن الفائت ، ويبدو المخرج غير الشهير هنا "باول سوليت" وكأنه نجح بتجربته "الكلبية" الرائدة ، وأنا متأكد بأن الكثير من المشاهدين لم يلتقطوا مغزى الحديث عن التجارب السابقة مع الكلاب وسمك الزينة ضمن السياق، وربما كانت عبثية المخرج بطريقة الإخراج مقصودة، وقد أنهاها بالتركيز على خاصيتي "الإخلاص وحفظ الجميل" عند الكلاب ، والتي تتفوق أحيانًا على الكثير من البشر بهذه الميزة ، وقد شعرنا حقًا بالحزن لفقدان الشاب المدمن والمخضرم العجوز ، كما أنه أنهى فيلمه بمقتل صاحب الكلب القاتل الأنيق الجسور نفسه، ثم أخيرًا بنجاة "أدريان برودي" كشاهد على الأحداث، وكافأه بعودة ميمونة لملاقاة صديقته الجميلة على الشاطئ.

هناك لمسة هيتشكوكية واضحة بطريقة إخراج مشاهد العنف المروعة، فنحن لا نشاهد حقيقة ما يحدث ، وإنما نتابع المؤثرات الصوتية والإيماءات الحركية المشهدية الذكية لنتخيل ما يجري، مع براعة بتصوير غامض لبقايا الجثث المنكل بها سواء للضحايا أو للكلاب المقتولة ، في تقليد ومحاكاة واضحة لإبداع "هيتشكوك" الكلاسيكي المتمثل بتصوير مشهد مقتل الفتاة في حوض الحمام بواسطة سكين رأينا حركتها وخيالها ببراعة بالغة التشويق، وسمعنا صراخ الفتاة المرعوبة، فيما لم نشاهد أبدًا عملية الطعن في فيلم "سايكو" الشهير.

وأخيرًا عندما يصل "المتأنق المجرم الفاسد" أنتونيو بانديراس للمبنى ، ويخرج متبجحًا من سيارته الفخمة (فورويل درايف) وفي جعبته أسلحة حديثة سريعة الطلقات، فيبادر بإطلاق كم كبير عشوائي من الطلقات النارية باتجاه الناجي الوحيد المسكين "أدريان برودي"، الذي تمكن خلسة مع "جون مالكوفيش" من سرقة نقوده الكثيرة المتروكة، ووضعها في حقيبة جلدية ليهرب بها وحيدًا بعد مقتل زميله متأثرًا بجروحه، ثم نرى أدريان وهو يركض هلعًا هربًا من وابل الرصاص، حتى يسقط أخيرًا في حفرة انشائية عميقة داخل المبنى، فتتطاير العملات الورقية في كل الاتجاهات، وعندما ينجح أخيرًا بالخروج من الحفرة المائية ناجيًا، يبادر أنتونيو بسرد قصته مع الكلاب، المتمثلة بشكواه من جاره القديم عندما تجرأ كلبه الأسود الشرس على تخريب مزرعة والدته مرارًا بالرغم من تحذيره لجاره اللا مبالي، ويخبره بأنه أقدم حينها على قتل جاره واقتنائه لكلبه ربما هو هذا نفسه "الأسود الشرس"، هكذا ببساطة، منهيًا كلامه بحكمة مفادها "أن الكلاب لا تخدم الممتلكات كما يخدمها الإنسان"، ثم يأمر بعدئذٍ كلبه الشرس بتمزيق

أدريان ، ولكن الكلب يفعل العكس عرفاناً بالجميل ، فينقض على الأسباني ويمزقه بضراوة.

الفيلم يتحدث باختصار عن الانحباس بلا نجاة في مجاز مُعبِّر ، وعن عبثية المصائر ، ووحشية الكلاب وإخلاصها ، وقد ظهر الكلب الأسود الشرس وكأنه بطل الفيلم الناجي الذي يحرِّك الأحداث والأقدار بشكل يستدعي التأمل والتساؤل. أما البراعة الحقيقية في هذا الشريط فتكمن بالقدرة والصبر طويلا على تدريب الكلب ليكون قادرًا على التمثيل بهذا الشكل المذهل.

(٣٨)

"الصمت" : لمارتن سكورسيزي (٢٠١٦)

خبرة سينمائية مذهلة عن الصمت والعذاب والإيمان





يتحدث عن قصة راهبين مخلصين (آندرو جارفيلد وآدم درايفر) وذهابهما في إرسالية لليابان في القرن السابع عشر، وعن تعرضهما للعذاب والمعاناة، أثناء تجوالهما وبحثهما عن أستاذهما المفقود "ليام نيسون"... وذلك في زمن كانت فيه المسيحية "مضطهدة ومحرَّمة وخارجة عن القانون".

يعيد هذا المخرج الكبير الرواية الخالدة للياباني "شوساكو آندو" للحياة والسرد السينمائي الشيق، ويحقق هنا بجدارة ذروة سينمائية أخرى بعد تحفته الرائعة "الثور الهائج"، ويضعنا كنقاد ومشاهدين أمام مغامرة وتجربة حياتية نابضة

بالتفاصيل والأحداث التاريخية المروعة... إنه الاقتباس الثاني لرواية "شوساكو آندو"، حيث ظهر الفيلم الأول من قبل الياباني "ماساهيرو شيفودا" في العام ١٩٧١، وقد صوَّر سكورسيزي هذه النسخة بتكاليف باهظة في تايوان وفي العاصمة "تايبه" (لا أعرف لماذا لم يصورها في اليابان؟)، ولجأ مع مصوره الفذ لإعادة الحياة التاريخية لليابان في العام ١٦٧٠... ينهي هذا الفيلم الملحمي عقدًا كاملاً من سعي المخرج لإنتاجه بهذه الصورة المتكاملة إبداعيًا والمشحونة بالإيمان والعواطف والأفكار والروحانيات، وقد وضعنا في أجواء جحيمية- عقابية قاهرة وجدلية، في بحث حثيث عن "الاستبصار والتنوير"، طارحًا الأسئلة المصيرية وعارضًا التجارب الحسية والروحية، وربما استحق بجدارة جائزة "أحسن سيناريو" من معهد الفيلم الأمريكي (السيناريو من كتابة كل من سكورسيزي وجي كوكس)، كما اعتبره معظم النقاد واحدًا من أحسن أفلام العام ٢٠١٦.

أعطانا الممثل "نيسون" هنا قوة أداء مؤثر واستثنائي وغير متوقع من ممثل برع سابقا في أفلام الأكشن، وترافق ذلك مع تصوير مذهل ليابان القرن السابع عشر، ولم يكن ممكنًا اختصار مدة عرض هذا الشريط حتى لا يؤثر ذلك على السياق السردي المتكامل والمتماسك والمركز الذي يدور حول راهبين برتغاليين يسافران لليابان لإيجاد معلمهما المفقود "الأب فيريرا" بالاستعانة بشخص ياباني يدعى "كيشيجرو" (يوساكي كوبوزوكا)، وهو يبحث مجازًا في مسائل اكتشاف مغزى الدين شخصيًا ومؤسساتيًا، كما يخوض في قصص الثقافة والسياسة السائدة في القرن السابع عشر.

يحفل هذا الشريط بلحظات طويلة من الصمت والترقب، ولقطات أخرى تشبه الصمت مثل أصوات حرق الأعشاب والموجات المائية المتحطمة وصوت الرياح المتسللة من خلال الأعشاب، أما في غياب الصمت فنسمع

صرخات الألم الشديد وأصوات تكسر العظام وهسيس اللهب الحارق للأجساد المنكل بها، ونحن كبشر نخشى الصمت لأنه مرادف للرعب وصمت القبور.

قصة الفيلم بسيطة، حيث يقوم اثنان من الكهنة المخلصين وهما "أندرو غارفيلد ودرايفر آدم" برحلة من البرتغال لليابان بحثًا عن كاهن ثالث مفقود (ليام نيسون)، الذي ضاع أثناء قيامه بالتبشير، ويعتقد أن اليابانيين قد قاموا بتعذيبه، حيث يمر الأب "سيبستياو روديغز" بتجربة عذاب مماثلة ويتحمل صنوف المعاناة، كما يكون شاهدًا على مشاهد تعذيب شديد للآخرين، ويطرح هنا سؤال ايماني محوري: فهل يقبل الله (عز وجل) منا كبشر أن نتحمل العذاب الشديد لكي يغفر لنا ذنوبنا، وهل محبتنا الكبيرة له تؤهلنا للغفران وفقدان القدرة على تحمل آلام العذاب والتنكيل، وهل الرب لا يبالي حقًا بمعاناة عبيده المخلصين؟... أسئلة دينية عميقة ووجدانية يطرحها السرد الروحاني لهذا الفيلم الفريد ولا يجيب عليها، ومنها: ماذا كان سيفعل المسيح ذاته قي موقف الأب رودريغز وهو "عليه السلام" كان قد صمد أمام ويلات الصليب... وماذا عن السجناء الآخرين، وكيف سيتم وقف المعاناة... وهل ستصلنا إشارة ربانية ذات مغزى؟ وهل يريد الله ذلك... وهل يسمح للمؤمنين المخلصين أن يرتدوا لإيقاف العذاب والمعاناة والآلام؟!

يتم في الجزء الثاني من الفيلم وضع الأب "رودريغز" في قفص خشبي، ويضطر لمشاهدة وسماع حالات تعذيب المسيحيين اليابانيين من اتباعه، ثم يتساءل في ذاته عن الحكمة الخفية من مجيئه لليابان، وعن قدرته على البقاء حيًا في خضم هذه المحنة الرهيبة، ثم عن الحكمة من المؤسسة التبشيرية التي تؤدي بأعضائها للمعانة والتعذيب والموت في سبيل القيم المسيحية الروحانية العليا، ثم يبدأ بالتساؤل عما يريده الله بمواجهة هذا البؤس والألم الذي لا يمكن إيقافه.

يبدأ الفيلم بمشاهد مؤثرة للكاهن "كريستوفاو فيريرا" (نيسون) وهو يشهد عمليات التعذيب الجماعي للمسيحيين ، ويُطلب منه "الردة" لإيقاف العذاب والمعاناة، ثم تقفز مشاهد الفيلم سنوات عديدة للأمام لنجد الأبوبن "رودريغز وشريكه فرانسيسكو جاربي" وهما يشقان طريقهما في رحلة محفوفة بالمخاطر إلى اليابان (عبر جزيرة ماكاوا البرتغالية) ، وبمساعدة ودعم نصراني ياباني مخلص كدليل، وتتحدث الساعة الأولى من الفيلم عن التشرد والفضول والمعرفة ، وحول ما حدث لسابقيهم من المؤمنين ، علمًا بأن السلطات اليابانية الحازمة كانت في حينه لا تتساهل إطلاقًا مع الكهنة الأوروبيين اللذين يتجولون بحرية في جزيرتهم للتبشير والحديث عن أمجاد المسيح ، حيث كانوا يعتبرون المسيحية كسرطان لابد من استئصاله من الجسم السياسي.

نهج سكورسيزي بنمط إخراجه الفريد أسلوبًا ساحراً هجيناً خلط فيه البُعد الهوليودي التاريخي (وخاصة في المشاهد الأخيرة) مع نمطية "كوروساوا" الذي سبق وقدم عروضًا مستوحاة بعناية من مسرح "الكابوكي" الشهير، كما قدَّم مؤشرات دينية لشخصية الكاهن الذي يتماهى مع شخصية "يهوذا" الذي يخون إيمانه، ويهرول لطلب الغفران، ويشير عنوان الفيلم أيضًا لصمت الآلهة الروحاني المهيب، وتلعب الأصوات المنتقاة بعناية مع الطنين وقرع الطبول مع صوت "شاكوهاشي" القادم من بعيد، تلعب دورًا مؤثرًا في سياق الرواية الدرامية... وأخيرًا فالفيلم يبحث في الصراع التاريخي الضاري ما بين الأوربيين والأسيويين من أجل فرض العقائد والمذاهب التي ما عادوا حاليًا يهتمون بها.

تكمن عبقرية "سكورسيزي" الإخراجية في قدرته على إخراج فيلم فريد يجمع ما بين البُعدين التجاري والفني "النخبوي" في آنٍ واحد.

(٣٩)

" الخيوط الخفية : فانتوم ثريد "

نسيج سينمائي رومانسي شيق وغريب يلتف حول عنق المشاهدين بنعومة الحرير





ينسج معلم الإخراج "أندرسون" في فيلم "الخيوط الوهمية" ثوبًا مثاليًا فريدًا ملهمًا ، ويضخ توترًا حابسًا للأنفاس ، وبالرغم من خلوه أحيانًا من المنطق السردي المقنع ، فأنه كمثل معظم أفلام أندرسون يفتقد للتماسك السردي ، ولكنه بالمقابل ساحر ودقيق ورائع وممتع. وإذا كان هذا الفيلم هو حقيقة أخر أفلام الممثل "داي لويس" ، فربما يمثل خاتمة إبداعية يستطيع بها أن يتوج عبقريته التمثيلية.

هناك اهتمام مذهل بالتفاصيل، واستخدام ساحر للألوان، وتصوير خصب لإظهار خفايا فساتين وأزياء "رينولدز"، كما بطريقة ارتدائها مع صور "كلوس آب" مقربة لتعبيرات وجهه، في مشاهد متتالية لا تُنسى، فهذا الفيلم لباول توماس أندرسون، يلقي بخيوطه الناعمة حولك التي تلتف بنعومة، تمامًا كشال الكشمير المعطر، والمنسوج بعناية ودقة، مصاحبًا موسيقى أخَّاذة وألوان مبهجة ووجوه مذهلة، تخفي أكثر مما تظهر... إنه باختصار فيلم مليء بالأحاسيس ومنسجم كُليًّا مع نمط الأحداث وحقبة الزمان، يتحدث بهمس عن الأزياء والملابس والأسرار بحيث أنك لا تملَّ إطلاقا.

الافطار رقم ٢:

رينولدز "المستاء" يقود سيارته الحمراء الصغيرة إلى الساحل، ويصل جائعًا لمطعم أحد الفنادق الصغيرة الأنيقة، ثم تظهر نادلة شابة جميلة اسمها "ألما" (فيكي كريبس) لتولي طلباته للإفطار التي تبدو بلا نهاية: بيض مقلي مع لحم خنزير مقدد، كعك محلى، زبدة، كريم، مربى، وبعض النقانق... وهو دقيق ومتطلب، ولكن ألما تلتقط بفطنة وثقة طلبيته الطويلة، وعندما يعرض عليها لاحقًا رغبته في أن تتناول العشاء معه في تلك الليلة، فإنها تقبل بلا تردد، هكذا تدخل بقدميها وطواعية إلى نفق حياته الدقيق المهيب وربما اللطيف.

هكذا ننتقل إلى الإفطار الثالث: في وقت لاحق من الفيلم، وبعد أن أصبحت ألما نموذجه النسائي المفضل، نعود جميعًا إلى لندن، حيث يجلس رينولدز على مائدة الإفطار بجانب شقيقته الهادئة المحنكة، ثم تدخل ألما لتجلس بجوارهما، فتحاول بإصرار تمرير سكين الزبدة على شريحة التوست المقرمش بضربات تبدو مزعجة وتصدر صوتًا، فيظهر فورًا الاستياء على وجه رينولدز، كما لو أن كل ضربة تمثل مسمارًا صغيرًا ينخر لحمه

ويوخزه بألم ، وتظهر مهارة أندرسون الفريدة بهذا التقريب التصويري ، وكأنه وضع ميكروفوناً خفيًا داخل مربى "المرملاد" لكي يظهر بقصد التأثير السيئ لهذه الحركات التلقائية، واستنادًا لهذا المشهد المنفر ، يظهر حلان: أن تتحول ألما إلى "جوانا" الفتاة التي سبق وأزعجته ودعته لكي يذهب للإفطار عاجلاً في نُزل الشاطئ، ومن ثم ليقوم بفصلها من خدمته، أو أن تعز عليه، فيفضل التضحية بهدوئه، خاضعًا لشروطها وتطفلها على نمط حياته الهادئ الدقيق، وكلا الافتراضين خاطئ.

"فانتوم ثريد" هو الفيلم الثامن لأندرسون ، وهو الأول الذي يتم تصويره في لندن الخمسينات، وهو يركز على رغبة الخياط البارع بإسعاد زبائنه الأثرياء المختارين بعناية (وبعضهم حتى من أفراد العائلة المالكة) ، ويبدو حريصًا على التعامل الرسمي البروتوكولي المجامل ، ضمن فريق منسجم من الخياطات المتمرسات الصامتات، ويبدو ذلك جليًا بحال ثوب الزفاف المطرز والمعقد ، والذي سقط عليه فجأة رينولدز بتأثير وعكة صحية مفاجئة، فأدى لتلويثه وتمزيق جزء منه، عندما أصدر أوامر صارمة بإعادة تجهيزه للساعة التاسعة من صباح اليوم التالي.

- **اقتباسات هيتشكوكية وتعمق بالتعقيد النفسي والهواجس الخفية:**

تكمن بعدة مشاهد وحالات منها : شخصية شقيقته سيريل(ليسلي مارفيل) ، من حيث طريقة ارتدائها لفساتين ذات عنق عالي ، كما بطريقة تسريح شعرها الملفوف دومًا بإحكام وبهدوئها الذكي اللافت ، مما يذكرنا بالسيدة "دانفر" في فيلم ربيكا (١٩٤٠) ، ومع موسيقى "جوني جرينوود" ذات الاستخدام المكثف للبيانو والأوتار ، الذي بدا متماثلاً (وربما أقل خشونة) من فيلم "سيكون هناك دماء"(٢٠٠٧) لأندرسون نفسه ، كما توجد استعارات

"هيتشكوكية" دالة في بعض اللمسات الهزلية، التي تكمن بالشعور في كيفية فهم الحب، حيث يمكن أن يصبح واقيًا وسامًّا في آنٍ واحد، لنتذكر هنا الممثل "كلاودربين" المرعوب في فيلم "سيئة السمعة"، عندما يزلق شيئًا سيئًا في قهوة زوجته خلسة، أو حتى بكأس الحليب المسموم الذي يقدمه "كاري غرانت" إلى "جوان فونتين" في الطابق العلوي من منزله... ألما هنا تتماهى بأداء (كريبس) المذهل الطبيعي، مع نفس الحركات المشبوهة والابتسامة الباطنية الخبيثة، التي تحاول بواسطتها إظهار البراءة، وهي بالحق لا تتماثل تمامًا مع بطلات هيتشكوك الشقراوات بدور الضحايا، ولكنها قادرة ببراعة على فعل الأشياء الشريرة المشبوهة ببراءة وحسن نية، بغرض المحافظة على حبيبها وزوجها "رينوولدز"، ولتتملكه بطريقة غريبة فريدة، وهو المفتخر بقوة شخصيته والواثق بنفسه.

الفيلم بمثابة دراما متواترة، مع تركيز رفيع على التقريب بمنهجية "الكلوس آب"، وإظهار كم كبير من الجماليات الأنيقة، والرغبة الذكية بإخفاء قضايا ومشاعر عميقة الطابع والمضمون، وذات بُعد إنساني – فلسفي أحيانًا، ولا يمكن تجاهل أداء "داي لويس" المكثف والاستحواذي، أما "مانفيل" فأبدعت بتقمص دورها الصارم- المتزن- الهادئ، وأما "كريبس" فقد قدَّمت بالحق أداءً فريدًا جديرًا ربما بالأوسكار.

إنه نوع فريد من "الكلاسيكية- القوطية"، يغوص في مجاهل النفس الإنسانية ودهاليزها الصامتة والمعبِّرة، مع كاميرا تهوى أدق التفاصيل اليومية، من أومليت الفطور والشاي، ثم لأخذ المقاسات، وللمشاحنات والتوترات، وصولاً إلى التوافق والهدوء والحب، والفيلم بمجمله ليس لتذوق التقلبات السردية المدهشة والمفاجئة، وإنما للاستمتاع بالمشاهد التي تحفل بالهواجس والأحلام والممارسات، والمشبعة بالأهواء النفسية-العاطفية العادية والغريبة.

- **خصوصية نمط إخراج "أندرسون":**

ينجح هذا المخرج الفذ بتقديم هذه الكثافة من المشاعر العاطفية الشديدة التعقيد والتداخل ، في إطار رومانسي جارف حديث ونادر ، وهو حافل بالقوطية المشهدية والمخاوف النفسية ، ويبدو وكأنه فيلم من عصر آخر ، يجذبنا بطريقة سرده وجمالياته الأخَّاذة ، وقد نجح أندرسون بإخراج هذه التحفة السينمائية بنمط تصميم غريب، ليثبت للعالم ولنفسه ولنا أنه صانع أفلام فذ، يملك بصمته السينمائية الخاصة تمامًا "كسكورسيزي وألتمان" ، ويعيد هنا تذكرينا بتحفتيه السابقتين "بوجي نايتس" و "ماغنوليا".

(٤٠)

ثلاث لوحات إعلانية خارج ايبينغ (٢٠١٧)

(الفيلم الفائز بأوسكار أفضل ممثلة وأفضل ممثل ثانوي لعام ٢٠١٨) (١)



دراما غاضبة وكوميديا داكنة وتكامل سينمائي لافت

مدرسة تعليمية تطبيقية شيقة في فن كتابة السيناريو السينمائي المتماسك

- **ملخص الفيلم**

دراما فائقة التأثير والإتقان، من كتابة وإنتاج وإخراج مارتين ماكدوناة، وبطولة كل من فرانسيس ماك دورماند، وودي هارليسون وسام روكويل،

---

(١) الفوزان الوحيدان لفيلم «ثلاث لوحات» كانا في حقل التمثيل إذ نالت بطلته فرنسيس مكدورمند أوسكار أفضل ممثلة بعد منافسة قوية من سالي هوكينز، بيما خرج سام روكوَل بأوسكار أفضل ممثل مساند عن دوره في ذلك الفيلم.

حيث تلعب "ماكدورماند" دور الأُم الحزينة لفقدان ابنتها المراهقة، والتي تستأجر لوحات إعلانية لجلب الانتباه لجريمة اغتصاب وقتل ابنتها والتي لم تُحلُّ أسرارها، وهي بذلك تتحدى السلطات المحلية العاجزة عن القبض على المجرم المجهول... وقد لاقى هذا الفيلم ثناءً نقديًا كبيرًا ، وخصوصًا للسيناريو والإخراج، كما لبراعة تمثيل الشخصيات الرئيسية الثلاث. نال هذا الفيلم عدة جوائز في مهرجان الجولدن جلوب لبراعة التمثيل والإخراج والسيناريو، ورُشح لسبع جوائز أوسكار.

- **تفاصيل الحبكة المتداخلة والسيناريو المتكامل:**

يصيب "ميلدريد هايز" الحزن الشديد، لاغتصاب وقتل ابنتها المراهقة قبل سبعة أشهر، وهي شديدة الحنق والغضب لعدم إحراز أي تقدم في مجرى التحقيق، لذا فقد قامت باستئجار ثلاث لوحات إعلانية مهجورة بالقرب من منزلها، وكتبت عليها بالتسلسل: اُغتصبت ثم قُتلت / ولم تجري اعتقالات بعد/ وكيف يحدث ذلك... الشريف ويلوبي ؟... وقد أزعجت هذه اللوحات سُكان البلدة، بما فيهم الشريف "بيل ويلوبي"، والضابط المساعد "جايسون ديكسون".

ونظرًا لمعاناة ويلوبي من سرطان البنكرياس، فإنه يتأجج غضبًا وتوترًا، فيما تصمد ميلدريد وابنها المكتئب روبي أمام المضايقات والتهديد، ولكنها تبقى ثابتة ومتماسكة، وبالرغم من تعاطف ويلوبي أحيانًا مع معاناة وإحباط ميلدريد، إلا أنه يجد في اللوحات الإعلانية استفزازًا مباشرًا لشخصيته وسلوكه، فيقوم الضابط ديكسون بتهديد وتوبيخ رجل الأعمال"ريد ويلبي" الذي أجَّر لها اللوحات، ويقوم باعتقال صديقها وزميلها "ديفيس" لأسباب تافهة تتمثل في حيازة الماريجوانا، غاضبًا ومستاءً من تحدي ميلدريد لسُلطته

كما يقوم زوج ميلدريد السابق تشارلي العنيف بزيارتها ، وتوبيخها على إهمال ابنتها مما تسبَّب في قتلها ، ثم يجلب ويلوبي ميلدريد للاستجواب ، بعد أن جرحت طبيب أسنانها في مشادة بالعيادة ، وخلال الاستجواب يتفاقم مرضه الخطير ، فنراه يسعل دمًا ، ويغادر المستشفى بسرعة ليقضي يومًا مثاليا أخيرًا مع زوجته وابنته ، قبل أن يُقدِم على الانتحار يأسًا من شفائه وللخلاص من معاناته.

ويترك الشريف ملاحظات "انتحارية" لعدة أشخاص ، من بينهم ميلدريد ، حيث يوضِّح براءتها من سبب إقدامه على الانتحار ، إلا أن غضبه من اللوحات ، دفعه لدفع تكلفة بقائها لشهر آخر ، ليجلب لها نقم السكان والمزيد من المتاعب... ويتفاقم الأمر بتعرض ميلدريد للتهديد من قِبل شخص غريب الأطوار والشعر المنفوش ، وينزعج ديكسون من انتحار ويلوبي ، فيعتدي على ريد ، فيما يتم استبدال ويلوبي بشريف جديد "آبركومبي" الذي يقوم من فوره بطرد ديكسون.

يقوم آرسون بتدمير اللوحات الثلاث ، فتنتقم ميلدريد بقذف مركز الشرطة بزجاجات المولوتوف ، وهي تعتقد أن المركز غير مأهول في تلك الليلة ، فيما يكون ديكسون داخله ، لقراءة وصية ميلوبي له ، الذي ينصحه بترك الكراهية وتعلم الحب لأنه سيقوده لكي يصبح مُحققًا نزيهًا ، وبعد احتراق المركز يهرب ديكسون مع ملفات القتيلة أنجيلا ، فيما يعاني من الحروق الشديدة، ويكون صديق ميلدريد شاهدًا على الحادثة، ويحاول تزويدها بذريعة للتملصن مدعيًا أنهما كانا على موعد لقاء ، ثم يعالج ديكسون من حروقه ، ويتم وضعه انفراديًا مع ريد بنفس الغرفة في المستشفى ، حيث يجد الفرصة سانحة لكي يعتذر له... ثم يخرج ديكسون من المستشفى ، واصفًا حالة الرجل الذي هدد ميلدريد في البار بأنها شبيهة بجريمة قتل إنجيلا ، ويصطنع

معه عراكًا، فيتمكن من سحب عينة من الحمض النووي للرجل المشبوه من تحت أظافره، فتذهب ميلدريد لتشكر جيمس على اكتشاف هذه الفرضية الجديدة لاكتشاف قاتل ابنتها.

ثم يدخل تشارلي مع صديقته الشابة اليافعة ذات التسعة عشر عامًا "بينيلوبي" ويعترف مباشرة بأنه هو المسؤول عن حرق اللوحات الإعلانية الثلاث، فتتقبل ميلدريد الأمر وتطلب منه أن يعامل الشابة "بينلوبي" بلطف، ثم تغادر.

ثم يبلغ "آبركرومبي" ديكسون بأن عينة الحمض النووي المأخوذة والمفحوصة مخبريًا؛ لا تتطابق أبدًا مع الحمض النووي الموجود على جثة إنجيلا، وأن الرجل بريء وأنه كان في الخارج للخدمة العسكرية الإلزامية وقت حدوث الجريمة... وتوصل كل من "ميلدريد و ديكسون" إلى أن الرجل ربما يكون مذنبًا، في حال حدوث جريمة اغتصاب أخرى جديدة، ويخرجان معًا إلى ايداهو، بصحبة بندقية، فتصارحه ميلدريد بأنها هي التي أطلقت النار على مركز الشرطة، فيبدو غير مندهش وكأنه يعرف ذلك، ويعربان عن تحفظهما على المهمة الملقاة على عاتقهما، ولكنهما يوافقان على ما "يجب القيام به" وهما في طريقهما باتجاه "ايداهو"!

- **ملخص نقدي:**



يعتبر هذا الفيلم نموذجًا للدراما السينمائية القاتمة والغاضبة والمؤثرة، ويحفل بالتوتر الشيق الذي يشبه المشي فوق حبل مشدود، حيث التوازن والأمان والتشويق، وبالرغم من كثرة الغضب إلا أنه يحتوي على نمط من الكوميديا الدخيلة المتهكمة، إضافة للحنان الصدق والعنف المبالغ به.

الفيلم يوجِّه رسالة مباشرة للمظلومين: تخلوا عن روح الانتقام فلن يفيدكم ذلك، واطلبوا المغفرة، كونوا متسامحين، والفيلم يوضح لنا أن الانتقام لهدف الانتقام قد يكون أسوأ من الجريمة ذاتها.

الفيلم مصنوع بطريقة بارعة كالمخبوزات الشهية، فكل مشهد معمول بإتقان ومحشو بالطرافة والكوميديا الداكنة الذكية، وله تأثير سحري على المشاهدين الذين سيشعرون بالخدر والانبهار.

على الرغم من براعة ماكدوناة بمحافظته على هذا النمط الفريد من الغموض الشيق، فإن قوة الأداء الهارمونية لكل من "ماكدورماند وهارلسون وروكويلن" هي التي حافظت حقًا على رسوخ هذا الفيلم كواقع غريب وقوي وجاذب، وقد نتج عن هذه الخلطة السينمائية الإبداعية: كوميديا سوداء فريدة من نوعها.

دراما صعبة لا تأخذ الخيار السهل المباشر ، وإنما تتطور داخليًا بطريقة عاطفية متصاعدة، متوخية النزاهة والمصداقية، تتعمق في البعد السيكولوجي للأشرار ، وتبرع بإثارة عناصر الجرأة والشجاعة، في مسعى لافت لتحقيق العدالة الأخلاقية المجتمعية ، وقد بدا أسلوب السيناريو والإخراج كعلامة تجارية إبداعية يستمتع المشاهد والناقد باقتنائها، وأعتقد أن مشاهدة هذا الفيلم تفيد كافة المعنيين في الدراما العربية لكي يتعلموا أشياء كثيرة في فنون التمثيل والسيناريو والإخراج والاهتمام بمراعاة أدق التفاصيل ، وخاصة لكُتَّاب السيناريو العرب الذين يتركون ثغرات عديدة في كتاباتهم تلفت انتباه المشاهد اليقظ ، الذي قد يعجز عن الاستمرار بالمتابعة، ويشعر بضعف التماسك السردي وبتصنع المواقف والمبالغات ، وصولاً لبعض السخافات والترهات، ناهيك عن التكرار والركاكة.

القسم الرابع

قصص في أدب الخيال العلمي

(١)

تماثل البشر والانتقال عبر المكان

- ١ -



تم تسريع الأحداث حاسوبيًا، هكذا عرفت مصائر الناس وتواريخ الأحداث، هناك في المركز السري للأبحاث، اطلع رئيس العلماء على كل ما يجري وسيجري بناء على معطيات دقيقة، وبيانات واضحة، وبعث ببرقيات إلى مجلس الأمن الدولي، وأفادهم بما سيحدث خلال المائة عام القادمة وبدقة كبيرة وحيود لا يتجاوز العشرة بالمائة، فأُصيب عدد كبيرة منهم بالإحباط، وقرَّر بعضهم التنحي بعد أن عرفوا مصائرهم ومصائر قومهم وبلادهم... بينما قرَّر آخرون الاستمرار في مناصبهم مع مزيد من الملل الناتج عن معرفة القدر.

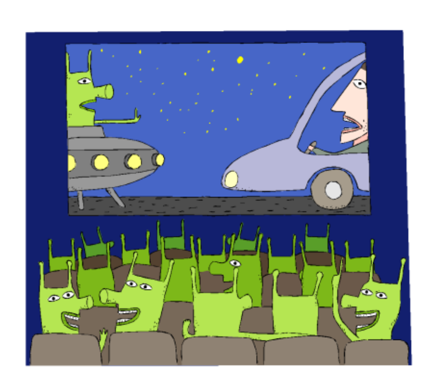
فقدت الاتصالات الشخصية مغزاها، فالكل يشاهد الكل إلكترونيًا، واختفت الخصوصية، فالإنترنت قادرة على معرفة أحاسيسك عندما تكتب رسالتك وهي ترسل أحاسيسك مشفرة للمرسل إذا اراد... فلا مجال للخديعة، هكذا قلَّتْ مجالات استخدام الذكاء البشري، وضعف التواصل الإنساني.



ندم سكان البلد "الفلاني" عندما طبَّقوا أنظمة التماثل البيولوجي، فالنساء كلهن شقراوات أو حنطيات جميلات وطويلات وفاتنات، والرجال كلهم وسيمون، طوال، عراض المنكبين، أذكياء، لمَّاحون... وعلامات التلاميذ في المدارس كلها مرتفعة متميزة، والكل يمارس الإبداع والاختراع، ولا أحد يعاني من مشكلات مالية أو اجتماعية ، والناس يمارسون حياتهم بحرية وسعادة ، والصحة تتجلى في الوجوه والسحنات، فقد اختفت معظم الأمراض، وارتفع مستوى الأعمار إلى تسعين عامًا ، واختفت أمراض الشيخوخة... وأصبح هناك نوادٍ خاصة للشيوخ يمارسون فيها حياتهم وهواياتهم ، وارتفعت سن التقاعد إلى سبعين عامًا وأحيانًا إلى ثمانين عامًا ، ومعظم الشركات تسعى للاستفادة من خبرات الشيوخ ومهاراتهم المتراكمة عبر السنين...

اجتمع مجلس الوزراء ، وقرَّر فجأة فتح باب الهجرة لبعض سكان العالم الثالث ضمن نسبة محددة تزداد سنة بعد سنة، فقد شعر السكان بالملل الشديد من التماثل والتطابق، وقرروا أن نسبة محددة من المشاكل تزيد من عنصر الإثارة وتشعر السكان بالتميز وتجعلهم يقدرون المنجزات ، فمن شأن هذا التفاوت أن يخلق نمطًا تنافسيًا يزيد من متعة الحياة.

- ٣ -



توقَّد الذكاء الإلكتروني ، فإذا أردتَ أدبًا رفيعًا فما عليك إلا أن تكبس على زر في الإنترنت ، فتفاجئ بالخيارات : أدب تاريخي – أدب كلاسيكي – أدب تقليدي – أدب خيال علمي – أدب بوليسي – أدب إباحي.. كل شيء كما تريد ، وإن أردت صور أو رسومات تعزِّز من تأثير الحالة القصصية ، فعليك أن تكبس على زر آخر فتظهر صورة أو رسمة معبِّرة... ونمت أنواع متعددة من الذكاء الصناعي القادرة دومًا على الإبداع ، فتراجع الإبداع الذاتي الشخصي للأدباء والفنانين ، وانزوى إلى الظل والنسيان ، واختفت الجوائز الأدبية المحفزة... وسخر الحاسوب فجأة من الجميع ، فأصدر ضحكة إلكترونية هائلة، ذات صوت معدني رنان: ها ها ها ها... هههههههها ها!!

اختفى الفنانون كذلك، فأصبح بإمكان أي شخص يفتقد لموهبة الرسم والإبداع أن يدخل على برنامج الفنون ويكبس زرًا ويرسم أي لوحة يريدها بعد أن يضع المواصفات التي يريدها ، فتظهر لوحة تعبِّر عن فن كلاسيكي ، أو تعبيري ، أو تشكيلي ، أو تكعيبي ، أو سريالي... حتى النحت لم ينجو من طغيان الآلة الذكية ، فهناك أجهزة روبوتية تعطيها جبلة الطين فتشكِّلها كما تريد أنت ، مصدِّرة أشكال نحتية فائقة الدقة والجمال والغرابة وحسبما تريد ، فقط بكبسة زر!

- ٤ -

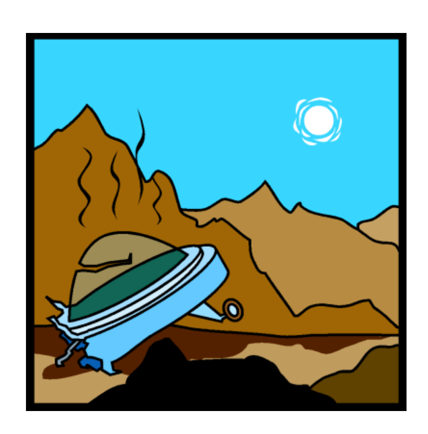


عبث الطفل الجميل "شامخ" بالجهاز السري الجديد، حيث دخل خلسة للغرفة السرية، وما هي إلا لحظات فإذا به يختفي بعد أن انبثقت أشعة خاطفة أضاءت الغرفة، وبحث عنه والداه طويلاً دون جدوى... وأخيرًا تبين لوالده العالم المرموق أن ابنه قد أصبح ضحية اكتشافه السري، فالجهاز قادر على تحليل جزيئات الجسم البشري وتفتيتها إلى أصغر المكونات ثم تجميعها في مكان آخر. واكتشف العالِم ملابس الطفل الجميل ملقاة في مكان الاختفاء، وكانت عبارة عن شورت أحمر وقميص أحمر يشبه قمصان البحارة بكمة محفورة وياقة بيضاء أنيقة، وفسَّر ذلك على أنه "الانتقال الخماسي"... وكان هم العالم الكبير يتركز في معرفة شيئين:

- مكان انتقال طفلة شامخ

- التأكد من استمرار الاتصال أثناء الانتقال، فانقطاع الاتصال ولو لثوانٍ معناه تعرض الطفل للجروح الخطيرة، أو ضياع جزء مهم من جسمه!

- ٥ -



في منطقة جبلية نائية في البيرو ، وعند الغروب ، ومع لمعان برق خاطف في السماء، لاحظ المزارع الطيب ظهور طفل جميل عارٍ ، وأصابه الذهول، وبدا الطفل كملاك سماوي من ملائكة الجنة ، أو كهدية من السماء ، ولم يصدِّق ما شاهده ، فارتعب أول الأمر ، ثم تبين له أن الموضوع حقيقي ، فالطفل يبكي بفزع ظاهر ، فالتقطه بحنان بالغ، وذهب به لزوجته ، فألبسته ملابس دافئة وسقته حليبًا وهدأت من روعه...

-يا لكرم السماء، لقد تمنيت أن أرزق بطفل طوال حياتي، وكنت أصلي دائمًا لتحقيق هذا الهدف، وها هي السماء المباركة تمنحني طفلاً جميلاً كالملاك".

بكت زوجته من التأثر... فالطفل جميل ، حنطي البشرة ، مشرق الوجه ، عذب الابتسامة، يتمتع بعينين سوداويين ذكيتين... وهو مرح كذلك، يرقص عند سماعه الأنغام... عاطفي.

وبدأ يزحف في أرجاء المنزل الريفي ويعبث في الأشياء... ويبدو أنه في بداية حبوه وربما يزيد عمره عن العام قليلاً ، لم تصدِّق الزوجة هذه المنحة الربانية وعزتها لطيبتها وطيبة زوجها ولكثرة الصلاة والدعاء، وما أمتعها

أكثر في هذا الطفل الجميل قوة شخصيته فهو عندما يريد شيئًا ما يحرك يده باتجاهه ويتحدث بلغة طفولية فيها تصميم: نانا نانا نانا... حيث لا يستطيع أحد أن يتجاهل طلبه!

- ٦ -



بعد جهود مضنية تدخل فيها البوليس الدولي (الإنتربول) تمكن الأب العالم من معرفة مكان اختفاء ابنه، فذهب بنفسه إلى المزرعة الريفية النائية في البيرو، وعرف بنفسه مع وجود مترجم محلي، فرفض الزوجان بطريق "قصة الاختفاء" وأكدَّا أن الطفل هو ابنهما بالرغم من معرفة الطفل لأبيه واحتضانه له باسترخاء حيث بدا بالمسحور وهو يمص سبابة يده اليُسرى وينظر بسعادة غامرة، ثم اعترفا فيما بعد بأنه هبة السماء لهما، ولم يصدقا قصة "الانتقال الشعاعي" إلا عندما قام العالم بإرسال اللعبة المفضلة للطفل وهي عبارة عن "دب أبيض كبير" لنفس المكان... وانبهرا عندما صرخ الطفل بفرح عندما شاهد لعبته المفضلة،: "نانا نانا..." وهجم عليها محتضناً إياها بغبطة طفولية ولاحظ العالم التأثر الشديد على زوجة المزارع، فتحدث مع زوجته وأخبرها برغبته في استئجار منزل ريفي لهما في المكان النائي على جبال البيرو وبجانب بيت المزارع البسيط.

- ٧ -



هكذا تعرَّفت زوجة العالم على زوجة المزارع، وقرر العالم وزوجته أن يقضيًا شهرًا من كل عام في هذه المنطقة وبصحبة المزارع البسيط وزوجته، واصطحبا شامخ في زيارتهما السنوية، وأسعد هذا الحل الجميع... وأصبح المزارع يتفاءل عند مشاهدته لوميض البرق عند الغروب، فهذا الوميض منحه وزوجته ذات يوم سعادة لا تقدَّر بثمن، وكذلك استفاد العالم من هذه التجربة فقد تذوق طعم البساطة والسعادة وتخلص ولو لشهر واحد من ذكاء الأجهزة وتماثل المخلوقات، وأبقى مكان تواجده سرًا فهو لا يريد أن يزعجه أحد في عزلته الجميلة... وسعادته كانت تتضاعف عندما يسمع "شامخ" وهو يلاعب حيوانات المزرعة: "نانا نانا"!



(٢)

العين الثالثة



بعد أن احتسى قهوة الصباح الطازجة، عاد يشعر بالأمل، وتذكر الخبر العلمي الذي قرأه مؤخرًا في أخر عدد من صحيفته اليومية المفضلة، فأراد أن يثير اهتمام زوجته، ويعيد لها دهشتها وحماسها، فألحَّ أن يقرأ عليها الخبر مستغلاً تجاوبها الفريد: تمَّ في إيطاليا مؤخرًا اكتشاف كهف منعزل لم تدخله أشعة الشمس منذ خمسة ملايين سنة، وقد وُجِدت فيه أنواع غريبة عديدة من الحشرات، وقد تأقلمت على الحياة بجوٍّ كبريتي خانق، كما وُجدت فيه بعض العناكب الفاقدة للأعين وهي تصطاد فرائسها بواسطة نظام راداري يشبه أسلوب الخفاش الأعمى!

واستدرك البروفيسور وجه الشبه في الحالتين:

- هل لاحظتِ نورا؟

وقالها بتحبب واضح لكي يستميلها وتابع:

- نحن نكتشف هنا بؤرة شبه كبريتية غامضة فوق سطح الأرض في بقعة مجهولة، وكما تأقلمت الحشرات في الكهف الإيطالي المهجور، فهي تتأقلم

أيضًا هنا بجو مماثل تقريبًا وتنبت لها عين ثالثة وتفقد سمعها وتتوحش! يا للتماثل والتناقض.

وبالرغم من تودده المصطنع، فلم تُبدِ الزوجة تجاوبًا متوقعًا، إلا أنها قالت وكأنها تحادث نفسها، وقد لمع فجأة بوجهها الجميل تعبير إصغاء عميق، وقالت متأملة وهي تسرح بفكرها ونظرها:

- إذن فأنت تكتشف ورفاقك أشياء مثيرة للاهتمام، وأنا سأستمتع كثيرًا من زيارة مدينة عالمية مذهلة كنيويورك، وبينما تقوم أنت ورفاقك بعرض نتائج اكتشافاتك المثيرة للدهشة، سيتاح لي أخيرًا وقتٌ كافٍ لزيارة معالم هذه المدينة الأسطورية ولزيارة متحف الفن الحديث، ولمشاهدة الأفلام الجميلة والمسرحيات الرائعة، والإطلاع على أحدث تقليعات الموضة، ومن يدري فربما تحدث لوحتي المستوحاة من هذه البيئة السيريالية مفاجأة حقيقية غير متوقعة وتلقى رواجًا وشهرة ؟! كما أنها قد تشكل إلهامًا مستمرًا وتشعل مخيلتي الفنية فأرسم بعدها عددًا من اللوحات الجديدة التي تستوحي تجربتنا المريرة هذه!

فحادث مراد نفسه بسرور:

- رائع حقًا... فقد نجحتُ أخيرًا بإثارة اهتمامها وموهبة الرسم الإبداعية لديها، فقد اكتشفت فرصة نادرة وبُعدًا واقعيًا وانتفاعًا من هذه التجربة المجنونة في قعر الجحيم الأفريقي هذا.

وبدت نورا وكأنها ذهبت بمخيلتها بعيدًا لمكان آخر، فقد مدَّتها هذه الأفكار الجديدة بحوافز وجدوى، وبدأت تتحمس للانغماس بالتجربة، فأشرقت عيناها الخضراوان، وتخيلت مؤتمرًا صحافيًا فنيًا لتدشين لوحتها، وبدأت تحضِّر ذهنها للإجابة على بعض الأسئلة، بالتأكيد ستقول إنها دعمت فكرة زوجها تمامًا ودون تحفظ ومخاوف، كما أنها شجعته على اصطحاب الأطفال بالرغم

من خطورة المكان، بهدف توسعة آفاقهم وتأجيج حس المغامرة والاكتشاف لديهم... وستبالغ وتقول إنها كانت "تدفعه دومًا لشاطئ الأمل عندما تراه يكاد يغرق في بحيرة اليأس"! كما أنها ستقول بأنها رأت في المكان الغريب جمالاً وحشيًا خاصًا ألهمها لإبداع لوحتها التي ستسميها "العين الثالثة"، وربما كانت محقة تمامًا في جملتها الأخيرة هذه!



ولكنها عادت بسرعة لواقع حياتها، وتذكرت منظر الأصيل ورعشة المساء الساحرة في شرفة منزلهما، كم تحنُّ حقًا للعودة لتلك اللحظات، وكم يجب على المرء أن يقدِّر اللحظات الجميلة بحياته...

في المساء حاولت أن تضحك لطفليها وهي في أشد الحاجة للبكاء، كما ابتسمت لزوجها وقد ندمت لأنها أرهقته بنكدها الدائم، ثم قدَّمت عشاءً متواضعًا مكونًا من حساء الخضار المعلبة وبعض الأرز وخبز القمح... وتناولوا الطعام بشهية وقد قارنوه بسخرية بوجبات الإفطار الرمضانية العامرة !

(٣)

الشيطان المعشش في عقولنا

سيناريو "العناكب الكاسرة"



عندما أطلَّ اليوم الحادي عشر من آب ٢٠١٢، لم يسقط نيزك ناري على مدينة النور باريس، والتقط العالم أنفاسه، فهذا اليوم تحديدًا هو اليوم الذي يبدأ فيه تعرض العالم للكوارث حسب توقعات المنجم نوستردامس الذي عاش في القرن السادس عشر، وسبق وتنبأ بحروب وكوارث حدثت كلها في المواعيد التي تنبأ بها.

الذي حدث كان خارج التوقعات تمامًا، فقد فُوجئ سكان مدينة نيويورك بحشرة عنكبوتية هائلة بحجم الديناصور تتجول صباحًا في شوارع المدينة المكتظة بالسيارات والمارَّة، وتثير الهلع والدمار في نفوس السكان

المذعورين... وتمَّ استنفار قيادة الجيش ، وأُرسلت مدافع تحمل قنابل نووية تكتيكية صغيرة للفضاء على الحشرة الماردة، التي أصابها الذعر وأصبحت تركض بقفزات هائلة في شوارع المدينة المنكوبة، وحيث قادتها وحدات آلية لمنطقة نائية خارج المدينة ، ونجحت مروحية ضخمة في إصابتها بقذيفة نووية تكتيكية "غير مشعة" حوَّلتها لأشلاء ممزقة ، ثم قامت فرق الدفاع المدني بإنقاذ الجرحى وإخلاء جثث الموتى...

وتحدثت وكالات الأنباء المتلفزة عن أخبار مماثلة تفيد بتعرض مدن كبرى مثل ريودي جانيرو ، موسكو ، لندن ، القاهرة ، وكلكتا ، لكوارث مشابهة ناتجة عن هجوم حشرات عنكبوتية ضخمة كاسرة تعيث دمارًا وقتلاً ، وأفادت قيادات الجيش في هذه الدول بعدم جدوى استخدام الأسلحة النارية العادية بل إنها تستفز عدوانية هذه الحشرات الذئبية وتزيد من شراستها!! وطلبت معونة 'نووية' عاجلة لاستخدامها في الفضاء على العناكب الكاسرة!

وأفاد عالم الحشرات الشهير البروفيسور رامز بأن هذه الحشرات مخلوقة من خلايا معدنية تشبه السبائك المعدنية المقواة ، لذا يصعب مواجهتها بالأسلحة النارية التقليدية ، والذرة هي السلاح الوحيد القادر على تخليق حرارة فائقة تؤدي لصهر مكونات الحشرات وتدميرها... ولاحظ العالم الشهير وجود أجهزة إرسال متطورة مركبة على قرون الاستشعار مما يعني أن هذه الحشرات الهائلة ما هي إلا طلائع كشافة وظيفتها الاستطلاع والتخريب والتجسس ، وهي مقدمة لهجوم حشري كاسح يهدف احتلال الأرض وإبادة الجنس البشري!

واكتشف علماء النازا سِرَّ الهجوم الحشري ، حيث تمَّ رصد نيزك يقترب مسرعًا من الأرض ، وهو يقترب بسرعة هائلة ، ورصد المنظار 'هابل' تشكيلات حشرية ، ولوحظ أن مراكب فضائية خاصة تقوم بقذف الحشرات

العنكبوتية على المدن الكبرى كطلائع لهجوم قريب كاسح... وأكد المارشال هنري وجود نية تدميرية عندما قال: ليس هذا هجومًا تخريبيًا مجردًا، بل تنفيذًا لخطة مدروسة، فالهجوم لا يقتصر إلا على المدن والعواصم الكبرى، والعناكب الذئبية تبدو بالرغم من وحشيتها الهائلة وكأنها تعرف ما تريد! أجل إنها تعي تمامًا هدفها، إن هجومها ليس عملاً انتحاريًا بطوليًا، وإنما عملاً مخططًا ذو مقاصد عدة... وضحك الحاضرون في المؤتمر الصحفي، وعلَّق أحدهم ساخرًا: لقد قضت البشرية على مفهوم البطولة كُليًا في دخولها القرن الحادي والعشرين وتعميقها لمفاهيم 'العولمة'، وبقي أن تستخدم هذا التعبير الفذ في وصف لحشرات الغازية!

هكذا استنفر العالم كافة قدراته وإمكاناته وسخر طاقات شعوبه وتمَّ تجنيد أعداد غفيرة من الجيوش بعد أن تمَّ تدريبها على استخدام الأسلحة التكتيكية، وركزت الدول الكبرى جهودها لصنع مركبات فضائية لإرسال الجيوش الأرضية العالمية لمواجهة "النيزك الحشري" قبل وصول الحشرات للأرض.

واستمتع عالمنا الأرضي بسلام دولي مؤقت نادر، حيث ذابت مشاعر الكراهية والتمييز العرقي، وصوَّب الجميع وجوههم للسماء، وارتفعت الأكفُّ بالدعاء، وتمنى الجميع التوفيق لجنود الأرض في معركتهم المصيرية القادمة، والتي حُددت بعد شهرين من انطلاق المركبات الفضائية... وكثرت الصلوات في المساجد والكنائس والمعابد البوذية والهندوسية، حتى الوثنيون أقاموا طقوسًا خاصة قاموا خلالها بحرق عدد هائل من العناكب الأرضية الصغيرة، وكان القتل يتم بطريقة شعائر به بطيئة مصحوبًا بترانيم سحرية. ووصف كبير الكهنة ما حدث قائلاً: لقد نجحنا، لقد حدث وميض هائل في النيزك الحشري.

وعُقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن الدولي، حيث تمَّ تجميد كافة الصراعات والخلافات، وتمَّ الاتفاق على العودة إلى الله، وأفاد رئيس دولة عظمى: لو نجونا هذه المرة فسيكون هذا بفعل قدرة إلهية، فهناك رغبة كونية في استمرار الحضارة البشرية، وإذا ما نجحنا في اجتياز هذه التجربة القاسية فأول ما يجب أن نقوم به كبشر متحدين هو أن نصلي لله شاكرين.

ولكن الطريف أن شيئًا من هذا 'الخيال العلمي' لم يحدث، وعاش سكان كوكب المعمورة عقدًا جديدًا من القرن الحادي والعشرين، تخللته محن وكوارث متنوعة وتسونامي وبراكين وزلازل، وحروب وويلات ودمار، ولم يعي الإنسان الدروس ولم يستفد من العِبر، وبقي متمسكًا بجبروته وعنجهيته وغطرسته وتعصبه وغبائه وجهله.

ولكن العِقد الجديد لم يخلو أيضًا من الاكتشافات والإبداع والتطوير وومضات العبقرية! وظهرت تنبؤات جديدة تتحدث عن قرب انتهاء الحياة الأرضية مع نهاية عام ٢٠١٢ حسب تقويم حضارة الانكا البائدة، قد تبدأ بعواصف شمسية 'عاتية' تعطل بتأثيرها 'المغناطيسي- الكهربائي' كافة شبكات الاتصال والإنترنت الأرضية!

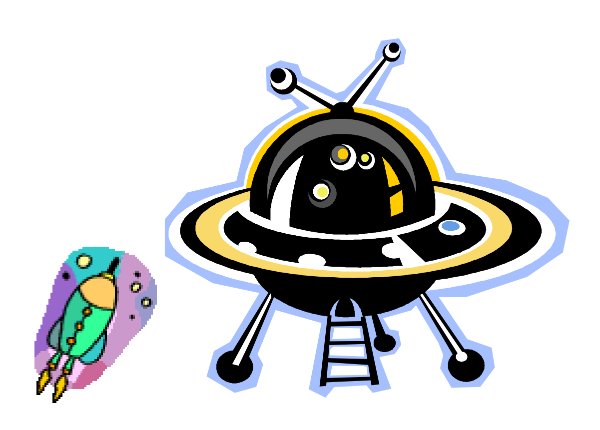
ولم تنتهِ القصة هنا بل ادعى مرصد فلكي أمريكي 'غير رسمي' بوجود ثلاث مركبات فضائية ضخمة، تتجه بسرعة كبيرة نحو كوكبنا الأرضي، ويقدر أن تصل مع نهاية عام ٢٠١٢ أيضًا، والطريف أن قطر أكبر هذه المركبات يزيد عن ٢٥٠ كيلومتر! ولكن لم يحدث شيئًا من هذه التوقعات الكابوسية بالعام ٢٠١٢... ولسبب غامض فقد تمَّ تأجيل ذلك للعام ٢٠٢٥...

إذن لنتخيل معًا صبيحة الحادي والعشرين من ديسمبر عام ٢٠٢٥ والسماء مغطاة بمركبة فضائية ضخمة، حاجبة أشعة الشمس! لنتخيل الرعب والذعر! ثم ما هي نوايا هؤلاء الغزاة الفضائيين؟ ولماذا لا تتوجه الصواريخ النووية

قبل ذلك لتدميرهم وهم في الفضاء الخارجي ؟! إذن لنستعد نفسيًا لهذا السيناريو الجديد (إذا ما بقينا أحياء حينئذ) حتى يمر هذا التاريخ، وتنقضي هذه السنة بخير كذلك إذا ما قرَّر هؤلاء الضيوف الفضائيون تغيير وجهة سيرهم، عندئذٍ سنبقى كبشر يزيد تعدادهم ربما عن العشرة مليارات إنسان، نواجه "الشيطان" المرعب الساكن داخل نفوسنا والمعشعش بعقولنا والذي قد يفوق خطره غُزاة الفضاء الكاسرين!

(٤)

وحوش فضائيـة



- أينك أيها النوم اللذيذ؟

وبدأ ينام... فتخيل في منامه فتاة جذابة عذبة، باهرة الفتنة والجمال، ذات ابتسامة مشرقة، وقد وقع نظره للوهلة الأولى على شفتيها المغمورتين بحمرة وردية داكنة، تشبه زورقين يبحران بعيدًا، فأحسَّ برغبة عارمة في رؤية اللون الحقيقي لهذا البحر الغامض وشم عطره ولمس زبده وتذوق ملوحته! تخيلها تسقط من الفضاء هاربة إلى مركبته الفضائية، طالبة باستعطاف وحنو آسر أن يحميها من المهاجمين الأوغاد: إنهم وحوش فضائية تشبه السلاحف والديدان والحشرات، وقادرة على التخفي بمهارة فائقة فاحذرهم! فوعدها بأن يستبسل بالدفاع عنها، وهرب بمركبته الفضائية الصغيرة متملصًا، ثم تاه بقصد في سماء مليئة بالتاكسيات والمركبات الطائرة الصغيرة، وربما لأول مرة في حياته تمتع بشجاعة وجرأة نادرة، وومض بريق ذكائه، واستوعب هندسة الأطباق الطائرة التي طالما

استعصت على فهمه التقليدي للبُعد الثلاثي! وطار مسرعًا لشقته في الدور المائتين لإحدى العمارات السكنية الشاهقة، وهناك اتصل بصديقه الحكيم، فأبلغه هذا الأخير بثقة المطلع على خفايا الأمور بأن الفتاة الجميلة ستسعى جاهدة لإنقاذ كوكب الأرض من كويكب ناري متوهج قادم، ومن سيطرة لاحقة لكائنات "حشرية" شريرة تسعى لأن تستولي على الأرض بعد تدميرها ونجاحها بالقضاء على الجنس البشري!، وحذَّره بأن هذه الكائنات الفتاكة قد انتشرت في كل مكان بشكل متخفي، فتذكر السلوك الغريب لعمال المطعم الذي تناول فيه وجبة الغداء، وبدا الأمر وكأنهم يخفون شيئًا ، وتذكر وكأنه شاهد زوائد هلامية تتحرك داخل ملابس أحدهم، وكيف بدا لسان عاملة الكاشير أطول من اللازم!... يا للهول ! يبدو أن السيناريو الكارثي يتحقق، حيث زاره شخص أنيق غامض في المساء، تأمل وسامته المصطنعة، وكأنه يخفي خلفها كائنًا حشريًا مليئًا بالزوائد الدودية، وحتى زوايا دوران رأسه بدت لبرهة وكأن حركتها دائرية وغير إنسانية... شلَّ بدنه وكيانه رعب قاتل وطلب من الفتاة مسبقًا أن تختبئ بحذر وأن تكون جاهزة للهروب بسيارته الطائرة، وهمس لنفسه بهدوء وكأنه يصلي ويستعين بالله الواحد القهار من الشيطان الرجيم:

– نحن نعرف أنك تخبِّئ تلك الساحرة الجميلة... سلمها لنا وستنجو بنفسك ! من أنت حتى تتحدانا، سنقدِّم لك عرضًا لن ترفضه (تذكر العبارة الشهيرة لمارلون براندو في فيلم العراب الشهير) : ستصبح ملكًا لأحد كواكبنا البعيدة... لا أملك وقتًا طويلاً للتفاوض معك، فاستغل الفرصة وإلا...

– لا أريد أن أصبح ملكًا على أحد ، فأنا لست طموحًا ولا أحب السلطة، وكل ما أتمناه ان أعيش مغمورًا بالسكينة غير مدين لأحد، وأن أموت إنسانًا عاديًا، وأن أُدفن في جوف الأرض وأتحلل كغيري من البشر، فأنا أعشق كوكب الأرض، وفيها سأجد ملاذي وراحتي الأبدية...

هنا امتعض زعيم الأشرار الذي يتمتع بهيبة خاصة ونظرات مخيفة بالرغم من وسامته المصطنعة، فقد كان طويل القامة، ذا لحية صغيرة ملفتة للانتباه وحاجبين كثين، فأجاب بحدة غير متوقعة:

- هذا هراء بالتأكيد... أنت شخص فاشل بلا طموح، وأشعر أنك تضيع وقتي الثمين... كيف اختارتك هذه الساحرة اللعينة من بين ملايين البشر لتنقذها؟ يا لتفاهة النساء وغموضهن العجيب!...

ثم تابع وكأنه قرَّر مسايرته للحصول على الفتاة الرهينة:

- اسمع: لولا الشر ما وجد الخير، وما معنى حياة رتيبة لا تحديات فيها ولا شر ومشاكل؟ وكيف ستقدرون الخير والجمال بدون شر وقبح؟

ثم أضاف بجرأة من يطرح فكرة جديدة:

- صدقني... إن العالم بلا شيطان لا يُطاق!!

واستطرد بدون تردد:

- لأنه ببساطة سيصبح عالمًا مملاً ساذجًا، لا معنى فيه لشيء، والأشرار أمثالنا يقدِّمون خدمة لعالمكم البائس من حيث قدرتهم على بعثرة الأشياء المنظمة والرتيبة وكذلك الأفكار والعقائد وطرق العيش، إننا نخلق ما يُسمى "الفوضى الخلاقة أو اللاخلاقة" إن شئت! ونعطي أمثالك من الأخيار والأدعياء الفرصة الذهبية لإعادة إصلاح وترتيب الأشياء المبعثرة، لكي نعود ونبعثرها، وهكذا دواليك... ثم أنظر حولك أيها المتحذلق: من يحكم عالمك "البائس –غير المتوازن" غير الانتهازيين والساسة الأشرار الكاذبين والمتشدقين وتجار العقائد... وبالرغم من شرهم وافتضاح أمرهم فهم دبلوماسيون وناعمون ومنافقون، ويخفون دومًا وراء الهدوء والابتسامة المرسومة شرًّا مستطيرًا وجشعًا هائلاً؛ فهم يخططون لسرقة موارد الطاقة وأراضي الغير وثروات العالم ويعشقون الهيمنة والتسلط والنفوذ، وحتى

الفضاء الخارجي لم ينجو من هيمنتهم اللعينة!... إنهم باختصار يهيئون العالم للخراب الكبير القادم... ليوم القيامة الكارثي... ونحن سنكون أرحم منهم ومن عشقهم المزمن للحروب والكوارث والنكبات... فلماذا لا تخرج من شرنقتك وبطولتك المزيفة وتنضم لهؤلاء الأوغاد وتقبل بعرضنا المغري لك قبل فوات الأوان؟

وحاول الشرير أن يحبِّب له فعل الشر فقال منهيًا خطبته:

- نحن "كالأطفال المشاغبين" ما زلنا نملك موهبة الاندهاش إزاء الأحداث والأشياء، أما أنتم بني البشر فقد تبلد حسكم وأصبحتم ترون كل الأشياء بديهية وروتينية!

وكاد الشرير أن يقنعه بحججه الباطلة المتلاحقة كسيل ماء متدفق، وأنهى خطبته بشعار غامض ملتبس:

- إذن دعنا أخيرًا نتفق على أن لا نتفق!

لكن "ضميره اليقظ وحسه الإنساني الراقي وسحر الفتاة الخفي" أنقذته جميعًا من دوغماتية الشرير الكاسحة، فاستعان بآية الكرسي، رافضًا أكاذيب الباطل وقرر أن يرفض العرض المغري وأن يستبسل بالدفاع عن الحسناء "منقذة الأرض"... وهكذا كان...

(٥)

إنقاذ الكوكب



الآن أدرك أنهم يتراجعون عن عدوانهم، وأنهم يحاولون إقناعه والتفاوض معه، فشعر فجأة بالتحدي، وتذكر إنه حامل رسالة فصاح:

- إذن مرحى بالموت في سبيل هدف!

وبدا له رنين صوته صادقًا هذه المرة، وكأنه أزاح جبلاً من الشعور بالذنب عن كاهله، لم تنفجر دموعه ولم يرثي لنفسه، ولم تخر قواه، بل دبت في كيانه شجاعة مفاجئة، فاستبسل في مقاومتهم، وأظهر شراسة غير معهودة، حتى انفضوا عنه كالكلاب الفزعة!

استعاد ثقته بنفسه، وعاد يشعر بالحنين لشخصه وذكرياته، وتكثفت في لحظات قلائل ذكريات حميمة من حياته، تذكر طفولته ووالديه وإخوانه، وشعر براحة ضمير نادرة، وتمنى في أعماقه لو استطاع حقًا مقابلة تلك الفتاة الجميلة التي اختارته لإنقاذ كوكب الأرض، فقد أصبح مليئًا بالثقة وهو

يستحقها فعلاً!... لقد استهوته هذه الفتاة التي اقترن جمالها الفاتن بذكاء روحاني ساحر ، لقد كانت مشرقة المحيا ، ونجحت في إيقاد شعلة من الشغف الجديد في حياته البائسة ، وأمدته بطاقة إبداعية وجرأة لاقتحام المجهول ، فلأول مرة في حياته لا يتوه في تعرجات غامضة، ويخرج من بساطة الواقع وفجاجته... ولقد قرر بالفعل : من الآن فصاعدًا ، لن يخجل من عرض تجربته، بل أنه يرى أنها تتمتع بجاذبية طاغية!

(٦)

السفينة المجهولة



بعد أن خدمت السفينة الفضائية لسنوات طوال وخاضت تجارب رائدة واجتازت مخاطر جسيمة، قام مركز المراقبة الأرضي بإبلاغ رائد الفضاء الأخير على المركبة الكولونيل سعيد بأنه سيتم التخلي عن المركبة بعد أن استنفذت مهامها وقام قائدها بإجراء أخر تجربة فضائية. ثم طُلب منه أن يحاول النزول بها بسلام على الأرض وأن لا يتركها تصطدم تائهة بعمران أرضي وتتسبب في دمار كبير بعد أن تتحطم بدل أن تدخل متحف الفضاء الكوني كأول مركبة فضائية قضت عقدين من الزمان وهي تعمل كمحطة للتجارب الفضائية الرائدة.

انزعج الكولونيل سعيد كثيرًا وكأنه مقبل على فقدان كائن عزير، وقد أُبلغ أن هذه هي مهمته الأخيرة التي سيتقاعد بعدها، والتي ستتوج بطولاته الفضائية وتمنحه فرصة الحصول على ميدالية البطولة الفضائية التي تمنح

للرواد المميزين... "وفي أسوأ الظروف سأقوم بتوجيهها نحو أرض قاحلة... صحراء ربما. ثم أقوم بالقفز منها بسلام..." حادث نفسه.

وأكثر ما أزعجه حصوله في الشهر الأخير على معلومات مهمة جدًا، وانقطاع اتصاله مع المحطة الأرضية بواسطة "إنترنت الفضاء"، فالنجم الذي عاد للتوازن كالبركان والذي تمَّ رصده لأول مرة منذ مائة وخمسين عامًا، عاد للمعان مجددًا وكأنه يتوهج مبشرًا بألعاب فضائية نارية مثيرة. ورصد منظاره الفضائي سحابة فضائية من الغاز والغبار تدور كالدوامة ملتفة حول كتلة صغيرة، وهي تنبئ بأنها ستبرد وتتكثف لتتحول يومًا ما إلى كوكب جديد. وفي مختبره الفضائي لاحظ نموًا سريعًا لبكتيريا غريبة في التربة "المريخية" التي أحضرها أحد الرّواد من كوكب المريخ، مما يعزز الاعتقاد بوجود نوع من الحياة على الكوكب الآخر. وتنهد بحسرة وهو يفكر أن معلومات كهذه لن تصل ربما للأرض، ومنها ما توصل إليه مؤخرًا بواسطة تقنية جديدة مستحدثة تعتمد على "القانون الذهبي" والتي يمكن بواسطتها قياس المسافات الكونية بدقة كبيرة، مما قد يحدث انقلابًا معرفيًا في مفهومنا التقليدي حول العمر المفترض للكون ودرجة تجدده.

لقد قرر أخيرًا أن يهبط من المركبة قبل اصطدامها المريع بالأرض، وتخلى عن يأسه ورغبته الخفية بالانتحار، فقد كان يشعر أن مصيره مرتبط بمصير مركبته المنبوذة.

وبذل محاولة يائسة لتسجيل المعلومات القيمة على قرص مدمج بعد أن فشل سابقًا لمرات عدة، واستعان بقوة التركيز النفسي حيث قام بالإيحاء مغمضًا عينيه، وتمتم بعبارات مهمة: "هيا... يا رب... ساعدني... يجب أن أنجح في تسجيل هذه المعلومات... هيا... سجلي... سجلي... هيا".

ولم يصدق نفسه عندما رأى لمعان زر التسجيل يعمل مجددًا بعد أن يأس من إصلاحه، وعاد لتفاؤله وثقته بنفسه وإيمانه، وشعر أن الله معه في مهمته الكونية.

أخيرًا سالت من عينيه دمعتان حارتان قبل أن يكبس على زر الهبوط وينطلق مقذوفًا من مركبته، ونظر بحسرة ومرارة وهو يبتعد عن مركبته العتيقة التي خدمت العلم الفضائي لسنواتٍ طوال، وبدا وكأنه يترَّحم عليها! ولكنه عاد لتفاؤله عندما تذكر أنه يملك في جيب بزته الفضائية قرصًا مدمجًا يحتوي على معلومات قيمة جدًا، فالحياة يجب أن تستمر!... وأشرقت فكرة منيرة في تلافيف دماغه وجاءت نفسه قائلاً: "لن أتقاعد... سأعود للعمل مجددًا. سأقوم بإلقاء المحاضرات حول تجاربي الفضائية".

(٧)

كبسولة القرن العشرين

طلبت معلمة الإنجليزي من طلابها تحديد عشرة بنود صغيرة لوضعها في كبسولة مغلقة، حتى إذا ما مرَّ الزمان وجاء أحفادنا واكتشفوها، استطاعوا من خلالها تحديد طبيعة الحياة في العقد الأخير من القرن العشرين. وفكر تلميذ نابه واختار أن يضع ما يلي داخل كبسولة الزمان:

- صورة فوتوغرافية ملونة لمحطة الفضاء الروسية مير وهي تمخر عباب الفضاء.

- صورة فوتوغرافية صغيرة لطائرة الستيلت الأمريكية وهي تلقي بقنابلها الموجهة بالليزر نحو يوغوسلافيا أو العراق أو افغانستان لا فرق.

- رقاقة كمبيوتر صغيرة.

- تليفون خلوي متطور.

- كاميرا رقمية صغيرة.

- كاسيت لفيلم كرتون جديد من إنتاج والت ديزني.

- صورة ملونة معبِّرة لصفحة الإنترنت لمحطة التلفزة الشهيرة سي إن إن.

- وحدة النقد الأوروبية الجديدة "اليورو".

- عينة صغيرة من الإسمنت الفائق القوة.

- صورة فوتوغرافية معبِّرة لمأساة لاجئ كوسوفو في الجزء الأعلى، ومنظر لمجزرة إسرائيلية تقتلع شجر زيتون في قرية فلسطينية في الجزء الأسفل من الصورة وذلك أمام رأي أصحاب الأرض المحتجين!

وبالفعل فقد دُفنت الكبسولة في بئر مهجور ، ومرَّ عليها قرن من الزمان ، وعثر عليها تلميذ نبيه آخر ، ففتحها بدهشة وفضول واطلع على محتوياتها ، وكتب موضوع إنشاء مدرسي واصفاً محتوياتها على الشكل التالي:

لقد كان هناك تعاون عالمي منظور في مجال استكشاف الفضاء الخارجي، وبقيت هناك قوة عالمية أحادية مهيمنة على مقدرات العالم ترسم خرائط الدول وتعاقب من تشاء بالقنابل والدمار ، ولهذه القوة الكونية مصالح متناقضة فهي مرة تعاقب دولة ما لطغيان قادتها ونزعتهم الإجرامية في التطهير العرقي ومرة أخرى تدعم دولة ظالمة اسمها "إسرائيل" وتساعدها على الاستيطان وقتل الفلسطينيين (أصحاب الأرض) وهدم البيوت وقلع الأشجار. واستنتج التلميذ النبيه أن عالم العقد الأخير من القرن العشرين كان عالمًا غير متوازناً تحكمه المعايير المزدوجة وشريعة الغاب بالرغم من التطور الحضاري المذهل نسبيًا. وعزا التطورات المذهلة لتقدم تقنيات الحاسوب وظهور الإنترنت وانتشار وسائل الاتصال ، حيث أصبح انتقال المعلومات بسرعة سمة العصر... واستنتج ذاك التلميذ المجهول الذي سيأتي بعد مائة عام بأن هناك ثقافة أحادية التوجه تسيطر على العالم وتصهر الأفكار والعقائد في بوتقة واحدة، وأن حيز الثقافة البصرية – السمعية يحتل نفس الحيز الذي كانت تحتله ثقافة الكتاب المطبوع... هكذا كتب في موضوعه الإنشائي : لقد كادت إمكانات طفل في العاشرة أن تفوق قدرات شيخ في الستين من ناحية القدرة على تطوير مهارات التعامل مع الحاسوب والإنترنت... واستمر في استنتاجاته الذكية فلاحظ أن وحدة اليورو تشير لتشكل اقتصاديات إقليمية ضخمة جديدة تسعى لمواجهة المنافسة الدولية وربما الأمريكية ، وهذا مؤشر على دخول عصر العولمة والتكتلات الاقتصادية الضخمة... ثم أنبهر لمرأى عينة الإسمنت ففهم أن الإسمنت بقي

محافظًا على أهميته القصوى كمادة بناء أرضية قادرة على اجتياز تحديات الزمان.

سرَّه جدًا اكتشافه للكبسولة ولم يخبر أحدًا ، فقرر أن يبقى موضوعه الإنشائي طي الكتمان، ونام وهو ملئ بالدهشة والحماس وحلم بالمكافأة التي سيجنيها بعد أن يقدم الكبسولة لقائد مركبة الفضاء عندما ينطلق مع والديه في رحلة المريخ الموعود بها في إجازته الصيفية القادمة.

(٨)

الروبـوت العـاطفـي



قضى أسامة ساعات طوال وهو يبرمج الروبوت الجديد الذي صنعه، ولم تكن مشاعر الغضب والحزن والفرح والارتياح والألم هي الأصعب في عمليات البرمجة، وإنما كان الجزء الخاص بربط هذه الانفعالات بحركات متطابقة: مثل أن يترافق الغضب مع حركة معبِّرة لليدين تعني الدفاع والصد أو المعاناة. ونجح بعد محاولات عدة في ربط حركات الحاجبين والعينين والفم مع حركات اليدين. كما أنه نجح في تطوير حركة جديدة تعد اختراقًا في مجال برمجة الحاسوب، وتتلخص هذه الحركة في تطوير حركات مماثلة للقدمين، فعندما يثور الروبوت بالفرح والارتياح يتحرك مقبلاً ببطء، وبالعكس فعندما يشعر بالغضب أو الألم يتحرك للأمام بشكل عدواني أو يتراجع بشكل دفاعي أو بطريقة تدل على الألم والإحباط!

هكذا أرهق أسامة نفسه تمامًا في العمل البحثي الذي يمارسه في مختبره بسرية بعد الظهر، وهو وإن كان يطمح في الحصول على جائزة رفيعة في

مجال تطوير لغة تفاهم مع الروبوت وجعله قادرًا على التعبير إنسانيًا عن مشاعره فهو يمارس هذا العمل كهواية. ويحلم باليوم الذي يقف فيه محاضرًا في مؤتمر "الروبوتات" المقرر عقده في أستراليا في بداية الشتاء المقبل.

شيء واحد قرر أن لا يدخله في "مشاعر" روبوته ، شيء لا يؤمن هو شخصيًا به إلا وهو الشعور بالحب ونقيضه الشعور بالكره... لقد عاش حياته وهو يقنع نفسه بأن هذه المشاعر "مضيعة للوقت" ويجب على العالم الموضوعي أن يتخلى عنها ، وهي وإن كانت ضرورية لتركيبه النسيج الاجتماعي ولديمومة الحياة، إلا أنها ليست ضرورية للعالم المتوحد مع ذاته.

لقد برمج منزله الذكي على النحو التالي:

- المطبخ: تجاوبت غلاية القهوة مع برنامج أسامة اليومي، وبدأت بالغليان في الساعة السادسة صباحًا مجهزة قهوته الصباحية. لاحظت ثلاجته أن صلاحية كرتونة الحليب قد انتهت وطلبت أن يفتح كرتونة جديدة. أحسَّ فرن الميكروويف بطراوة عجين الفطيرة وبدأ بتجهيزها للفطور... كل هذا وأسامة ما زال نائمًا... ثم لاحظت غسالة الصحون أن الكمية المتبقية من صابون غسيل الصحون قد نفذت فطلبت عبوات جديدة بواسطة البريد الإلكتروني الموجود في المكتب.

- الحمَّام : أظهرت المرآة الأخبار الرئيسية وأهم الأحداث خلال أربع وعشرين ساعة، ثم أظهرت برنامج عمله اليومي ولقاءاته المتوقعة... كل هذا وهو يحلق ذقنه ويفرش أسنانه... وعندما جلس في المرحاض، بدأت تفاعلات كيماوية- بيولوجية تحلل برازه وبوله لتخبره عن وضعه الصحي في دقائق ، وارتاح للنتائج التي ظهرت على لوحة مركبة على الخزانة الطبية... وبينت له هذه فورًا حاجاته اليومية من الفيتامينات والمقويات اليومية بناء على نتائج التحليل الطبي، وتناول أدويته مع كأس من الماء

المعقم الصحي، ثم أغلقت الخزانة أوتوماتيكيًا بشكك محكم لا يسمح بفتحها. خلع أسامة ملابسه وتمدد في الغسالة الأوتوماتيكية حيث أراد للمرة الأولى تجربتها، فقد كانت أخر جهاز اشتراه، كانت الآلة بطول ٢,٣ متر وتزن مائة وخمسة وسبعين كيلوغرامًا ومجهزة بأربعة عشر موزعًا للمياه وذات قدرة على توليد هواء ساخن. عندما اندس داخلها شعر وكأنه صحن في جلاية صحون... للوهلة الأولى شعر بالارتياح وقال: رائع، رائع... لن أضطر لدعك جسمي بالإسفنجة مرارًا، وخاصة لمنطقة الظهر التي يصعب الوصول إليها... ولكنه كاد يختنق بفعل الهواء الساخن الذي يبدو أن حرارته قد عيرت بطريقة خاطئة، وخرج بصعوبة لاعنًا الآلات ومخترعيها!

- المكتب: تتم طباعة التقارير المطلوبة بينما يقوم أسامة يتصفح الجرائد بواسطة الإنترنت، ويحدث اتصال أوتوماتيكي ما بين الملفات المتماثلة... لا حاجة للورق على مكتبه، لقد تخلص مؤخرًا من الورق وغباره وتكدسه مع الملفات هنا وهناك... ثم راجع برنامج عمله اليومي، وتفقد بريده الإلكتروني فأدخل مواعيده اليومية الضرورية، وحدث توافق بين برنامج تدريبه الرياضي اليومي مع الحاسوب الصغير المزروع في زر جاكيتته الرياضية ليذكره بموعد التمرين بعد الظهر... ثم لاحظت كاميرا الفيديو المركبة فوق شاشة حاسوبه، أنه قد بدأ يشعر بالملل فتدخلت وبدأت بإعادة بث برنامج رياضي محبب لديه مع موسيقى هادئة!

- غرفة الجلوس: استخدم أسامة جهاز تحكم عن بُعد يعمل ببرنامج مسبق، ويتنقل بين المحطات المفضلة دون تدخل شخصي، كل هذا وهو مستلقي باسترخاء على الأريكة المريحة... أما في حوض السمك فالحرارة تتم مراقبتها أوتوماتيكيًا مع قيمة "الأس الهيدروجيني" حتى يبقى السمك في وضع صحي جيد، ويتم ضخ الأوكسجين بتوازن مع التلقيم الغذائي المناسب.

وبالرغم من كل هذه الترتيبات فقد انزعج عندما لاحظ أن ثلاث سمكات فوسفورية صغيرة قد ماتت!

– السيارة: عندما ذهب أسامة لموعد تدريباته الرياضية اليومية، قام حاسوب السيارة بحساب المسافة بناء على المعلومات المخزنة في زر جاكيتته الرياضية، وتفحص حاسوب السيارة الخيارات على شاشة الإنترنت، ودل أسامة على أقصر الطرق وأقلها ازدحامًا. وظهرت على لوحة التحكم إشارات تفصيلية توضح الوضع العام للسيارة وتحذر من أية مخاطر محتملة وهو مطمئن من أن حاسوب السيارة متصل مباشرة بكراج التصليح، وهو كفيل بإخباره عن أية أعطال محتملة.

وبالرغم من الائتمتة الكاملة التي يتمتع بها في منزله الفريد، والتي تجعله محسودًا من جيرانه الفضوليين، فلن ينسى ذلك اليوم الذي تعطلت فيه الكهرباء، وفقد حينئذٍ كل اتصال ببرامج الصيانة المعتادة، وكم كان سروره كبيرًا عندما قرع شخص باب منزله، واكتشف أنه راعي غنم يبيع الحليب الطازج، وتذوق منذ فترة طويلة طعم الحليب الطبيعي مقابل دينار، ثم أشار لبائع الكعك بالسمسم المتنقل بالحي، واشترى كعكة طازجة وبيضتين وشعر بمتعة أن يكون عاديًا بسطًا... وفوجئ عندما تعطلت سيارته في نفس ذاك الصباح، فاضطر أن يسير على قدميه باحثًا عن تاكسي، وتأمل ربما للمرة الأولى جارته الحسناء وهي تسير مقبلة في اتجاهه، وشعر بوميض غامض في عينين جميلتين فسرت كهرباء خفية في جسده عزاها لفتنة اللقاء البشري، وشعر بالأسى لأن تخلى ربما كُليًا عن متعة الشعور بالعواطف الإنسانية بحجة أنه مشغول دائمًا ، ولأنه أوهم نفسه أن الباحث والعالم يجب أن يكون موضوعيًا لأقصى الدرجات لدرجة التحكم الكامل بالأحاسيس الإنسانية السوية، وربما تجاهلها أحيانًا!

بعد أن أنهكه التعب ، ذهب أسامة لغرفة نومه باكرًا ، واستخدم لأول مرة جهاز التحكم المركزي ، فشغل جهاز التلفزيون عن بعد وأطفأ الإنارة في غُرف المنزل بعد أن شعر بالنعاس وعجز عن الذهاب بنفسه لإطفاء الأنوار، ثم تفقد الأبواب التي تغلق أوتوماتيكيًا كذلك، وبرامج الستلايت لنصف ساعة تقريبًا... وشاهد برنامجًا مسليًا ، ثم نام نومًا عميقًا ، واستيقظ في الثالثة صباحا ، وقد تهيأ له وجود لص في الصالون ، فشغل عن بعد لأول مرة الروبوت الجديد الذي يطابق حجمه حجم الإنسان ، وضغط على زر "الغضب" وسمع الروبوت يحادث اللص بصوت قوي غاضب : أخرج من هنا أيها اللص وإلا... فكانت فرصة لأسامة لتجربة "الحركات المتطابقة" ، فضغط على زر الحركات معززًا الحركة التلقائية لدى الروبوت، وهُيء له وكأن الحاسوب يقدم على دفع اللص وضربه بحركة غاضبة! فسمع اللص وهو يهرب مذعورًا من النافذة، واستغرب من قدرة اللص على اختراق كل أجهزة الأمن والرقابة التي زود بها منزله... لابد أنه خبير بالإلكترونيات وليس لصًا عاديًا وربما كان يسعى لسرقة الروبوت!... وشعر بالسرور لأن هذه التجربة كانت امتحانًا عمليًا لإمكاناته العلمية، فقد فاجأ الروبوت اللص بالصراخ الغاضب والحركات المعبِّرة المتطابقة التي ظهرت في الحاجبين والعينين والفم، والأهم من ذلك مبادرة الروبوت بدفع وضرب اللص بيديه. شعر أسامة بالنجاح وبأن رهانه كان موفقًا. فالتكنولوجيا الإلكترونية هي عشقه الأكبر منذ مراهقته، وبها يعوض حرمانه من العشق البشري!

في الصباح استيقظ مرهقًا ، وتناول دوشًا سريعًا ، ولم يشعر بالرغبة في الذهاب لغرفة مكتبه ، وغادر لعمله في شركة المقاولاًت بعد أن أبلغه الحاسوب بأهمية الالتزام ببرنامج العمل في ذلك اليوم.

وبالفعل، فقد زاره صديق ثقيل الظل، وطلب منه مصاحبته لمتابعة متطلبات المبنى الذي تشرف عليه شركته، والذي يعمل فيه كمهندس مدني، كانت الحرارة مرتفعة تجاوزت الخمس وأربعين درجة، وعليه أن يعاين الأعمال الهندسية لمدة ساعتين على الأقل...

- أنت تعتني بنفسك كثيرًا يا أسامة، ولا ترهق نفسك أبدًا.

فعلق أسامة وهو يركب المكيف المتنقل حول عنقه:

- سأقول لك بصراحة: أنت تحسدني وتشعر بالغيرة لا غير... يا أخي لماذا ولمن تكنز نقودك الكثيرة؟ تمتع بالحياة واشتري الأجهزة الحديثة المريحة... أو كف عن ملاحظاتك المزعجة وحسدك الكريه!

ردَّ صديقه:

- أنت جدي أكثر من اللزوم، أنا فقط فضولي أريد أن أعرف كيف يعمل هذا الجهاز المدهش؟

أجاب أسامة:

- إذا كان الأمر كذلك، فسوف أشرح لك: يحتوي هذا الجهاز على نظام تبريد وتبخير داخلي، وما على الشخص الذي يستخدمه إلا أن يملأه بكمية قليلة من الماء ومن ثم يضغط على زر التشغيل، وعندئذٍ سيقوم محرك صغير بالتعامل مع الماء محدثًا تبريدًا رائعًا... هكذا لن أعاني من الحر والعرق كما ستعاني أنت المسكين، وسأرافقك كما تريد ولمدة ساعتين أو أكثر، وسنعاين كل كبيرة وصغيرة... أيرضيك هذا؟

- أجل... أجل! أجاب صديقه وهو أيضًا صاحب المشروع.

لاحظ السخرية التي ظهرت صارخة في عيون العمال والمراقبين، فقال لأسامة:

- يبدو منظرك كرواد الفضاء، وهو غير مألوف بالنسبة لهؤلاء العمال على الأقل، ألا تلاحظ ذلك؟!

واكتفى بهذه الملاحظة عندما رمقه أسامة باستياء واضح.

عندما جاءت شاحنة الخرسانة الجاهزة وبدأ الخلاط يصب المارة الخرسانية الطرية في إحدى زوايا المبنى الشاهق، قفزت سيارة بيك أب فوق الرمل والحص مثيرة الغبار، شغل أسامة جهازه الثاني ووضع كمامة فوق أنفه، لقد شغل جهاز الاستنشاق الشخصي، ولم ينتظر سؤال صديقه بل بادر بالشرح:
- أنا أعاني كما تعرف من الحساسية ولا أتحمل التلوث والغبار، والجهاز لا يزعجني إطلاقًا، وزنه لا يزيد عن نصف كيلو تقريبًا، وهو يعمل ببطارية طاقتها ٩ فولت... دع عمالك يستغربون أكثر ويسخرون أكثر... فهذا لا يثيرني!

وشعر صديقه بالتعب والإرهاق وقال له:
- لنعود للمكتب، أنا مقتنع بوجهة نظرك.

- لا... لا... أجاب أسامة: يجب أن نصعد للطوابق العليا ونتابع بعض المشاكل... يجب أن أريك أننا نتابع ونقوم بعملنا كاملا...

بعد حوالي ساعتين وصلا للمكتب، وكاد صديقه أن يسقط من الإعياء، بينما أسامة ينعم براحة وكأنه كان في نزهة...

- هل ما زلت تكره التكنولوجيا والاختراعات وتصر على البساطة؟! سأل صديقه بسخرية واضحة، ولم يجب هذا الأخير فقد كان مشغولاً بشرب كؤوس من الماء البارد.

وفجأة طرأ خاطر مفاجئ على ذهن أسامة، فاتصل بمنزله وطلب الرقم السري وهو ٨٣٣ وسأل بالبريد الصوتي: هل الروبوت ما زال في مكانه...

أرجو التوضيح فورًا.. فقد شعر أن شيئًا قد حدث... وانتظر لحظات بدت له طويلة قبل أن يأتي الجواب عبر الفاكس... حيث قرأ: "... شخص ما خرج مع الروبوت ومن باب المنزل، وكان الروبوت يبدو مرتاحًا سعيدًا... الشخص طويل بنظارة طبية أنيقة، يبدو ذكيًا... كان يقود سيارة باص صغيرة فتحها "بالروموت كونترول" ودخل الروبوت من تلقاء نفسه... الرجل كان يضحك بشماتة واضحة!"

انزعج أسامة كثيرًا... وسأله صديقه:

- وهل تستطيع أجهزتك الاستدلال على حالة الروبوت أثناء خطفه؟ وهل هي قادرة على دراسة ملامح اللص بمثل هذه الدقة؟ وكيف لاحظت أنه يملك باصًا؟ وكيف لاحظت أنه يضحك بشماتة... الخ؟

أجاب أسامة:

- أجل... إنها مبرمجة بشكل كامل، فهناك كاميرا فيديو تراقب حركات الحاجبين والعينين والفم وتحكم على شعورك من التعبيرات الظاهرة... وهناك كاميرا فيديو خارجية تصور الأحداث... وكل هذا يحول إلى لغة مكتوبة مربوطة بالهاتف والفاكس والحاسوب والموبايل... هكذا فالأمر بسيط... ولكنه ليس مُسرًا كما تلاحظ، فرغم كل التقنيات وكل إجراءات الحماية والرقابة، فقد استطاع هذا اللص الذكي "سرقة الروبوت" وبموافقته دون اعتراض!

وتساءل أسامة بصوت خفيض وكأنه يحادث ذاته: إنها المحاولة الثانية، لقد حاول بالأمس ليلاً وفشل... ولكن ما الشيء الذي فعله وجعل الروبوت يقتنع بأن اللص صديق ودود وجعله يخرج معه دون اعتراض؟!

ودع صديقه وقد شعر بالاكتئاب والفشل بعد أن كان في أوج ثقته بالنفس، وعندما وصل منزله مستعجلاً وجد ورقة مطبوعًا عليها:

– أنت لست ذكيًا بما فيه الكفاية، لقد تلاعبت بروبوتك الساذج، ثم أدخلت فيه مشاعر إنسانية جديدة، ولقد استفدت من نقطة الضعف هذه فقلت له: "هناك فتاة جميلة تود رؤيتك والتعرف عليك"، فما كان منه إلا أن تحرك باتجاهي مبتسمًا... كذلك فقد أدخلت لتركيبته العصبية شعورًا بالكُره تجاهك، فاحذر أن تبحث عنه فربما يضربك ويؤذيك... فلا تحاول يا عزيزي استعادته!! وأنصحك بالبدء بصناعة "روبوت جديد"!... إلى اللقاء يا صديقي "العبقري المتفذلك" فأنا أشطر منك!

(٩)

مسـوخ بشريـة

(خيال علمي ساخر)



(إذا نحن لا نعلم إلى أين نريد الذهاب ، كيف يمكن لنا أن نختار سبيلاً دون آخر ؟) (١)

استدعاه مديره... وبدأت نبضات قلبه بالتسارع وهو يسير في الدهاليز الرخامية، وتصاعد قلقه مع قرب وصوله لمكتب الرئيس، نظر إليه الرجل الستيني المتغضن الوجه من وراء نظارته الأنيقة، وكاد يخترقه بنظرات فاحصة ذكية باردة:

---

(١) يعلّق المفكر كاستورياديس : "إذا نحن لا نعلم إلى أين نريد الذهاب ، كيف يمكن لنا أن نختار سبيلا دون آخر ؟ مَنْ مِنْ رواد التكنو-علوم المعاصرين يعرف حق المعرفة إلى أين يريد الذهاب ؟".

– ما الذي فعلته إذن يا مدير المشروع؟ هل يستطيع أحد أن يخبرني بأخر صرعات عبقري الهندسة الوراثية؟ هل تعرف نتاج فعلتك المشينة؟!

لم يجب "مراد" وبقيت علامات الدهشة والقلق بادية على وجهه ، فتابع الرئيس التنفيذي بتعالي وغطرسة:

– أنا سأقول لك بإسهاب ماذا فعلت ، وسأبدأ بالمشكلة الأقل خطرًا... لقد تكاثرت ذبابة الفاكهة التي صنعتها أو التي تلاعبت بشفرتها الوراثية ، لقد تكاثرت بشكل رهيب وأصبحت تقتات على مزارع الفاكهة بسرعة رهيبة ، فالذبابة الضئيلة أصبحت ذبابتين بفعل وجود بطنين لها ، وازداد إزعاجها للسكان عندما ضاعفت جناحيها لأربع أجنحة ! كما أصبح من الصعب صيدها لسرعة طيرانها وارتفاعها السريع ، وبدا وكأنها اكتسبت مقاومة خاصة لكافة أنواع المبيدات الحشرية !

وهنا شعر "مدير المشروع" أنه بوضع دفاعي فأجاب بثقة:

– ولكنه بالحق ليس ذنبي سيدي ، فقد كنت أجري أبحاثا أولية على كيفية تغيير الشفرة الجينية ، فصنعتُ تلك الذبابة التجريبية ، فنالت إعجاب مدير البحث والتطوير سيدي ، فطلب على الفور إنتاج ألف ذبابة مماثلة دفعة واحدة ، وكنت قد حذرته سلفًا من احتمال فقدان السيطرة على الذباب ، فرفض بعنجهية وأجاب بحزم: "أنت هنا يا مهندس الجينات لتنفذ التعليمات وليس لمناقشتها" ! وقال لي بالحرف الواحد "أنت لا تعرف شيئًا عن الوثوقية وكيفية التلاعب بها". هكذا قال لي، إذن فقد فعلت تمامًا ما تريدون يا سيدي!



ولكن الرئيس التنفيذي المتعالي بادره باستهتار وكأنه لم يسمع شيئًا ، واستمر بنظراته النافذة أرفقها بضحكة معدنية، وتابع:

– ثم لننتقل للكارثة رقم ٢ : هل تعرف ماذا فعلت الكائنات البشرية التجريبية التي تلاعبت بجيناتها الوراثية، تلك الكائنات أو لنقل المسوخ ذات الرأسين والأربعة أذرع، والتي تمَّ بيعها بأسعار طائلة لمصانع السيارات العالمية لتحل محل الروبوتات والعمالة العادية !... ثم استطرد "المدير التنفيذي" ساخرًا وصوته يعلو : هل تعرف ماذا فعلت تلك الكائنات بخطوط الإنتاج أيها العالم والمهندس الفذ ؟!... وتصاعدت نبرته العصبية بشكل تصاعدي وبأسلوب مسرحي استعراضي : أنا سأقول لك ماذا فعلت هذه المسوخ المضحكة : لقد قامت بتغيير أداءها الحركي ليتلاءم مع الزوائد الجديدة، فقلبت شكل وتصميم السيارة رأسًا على عقب وبمبادرة ذاتية، وانتجت ألف سيارة "مسخ" ، أجل فالسيارة الجديدة تحولت بدورها لمسخ ميكانيكي مثل مخلوقاتك العجيبة ! فقد أصبحت النافذة الأمامية محل الخلفية والعكس صحيح، كما تغير موقع لمبات الإنارة بشكل متعاكس أيضًا... أما المقاعد فقد ركبت بطريقة عكسية هي الأخرى... فكيف سيتمكن أي سائق عادي أن يقود سيارة بهذا التصميم المشوه؟! وهناك تفاصيل أخرى لا أذكرها ! أما سائقك الجديد الرائع هذا فهو اجتماعي للغاية لذا فهو لا يدير ظهره للركاب، وإنما يود دائمًا مواجهتهم وإسعادهم بثرثرة غريبة وقصص عجائبية ! ولِمَ لا وهو يملك رأسين أحدهما للتركيز على السواقة والآخر لموجهة الركاب وتسليتهم ! نحن يا عزيزي نواجه هنا قضية تعويض تزيد عن البليون دولار على الأقل ، فهل ستساعدنا من راتبك الشهري ؟ قال "المدير التنفيذي" بسخرية وحنق واضح : كما أننا فقدنا مصداقيتنا تمامًا ، فالنماذج البشرية الجديدة، كان المفروض أن تكون كنزًا وموردًا فريدًا لشركة السيارات التي اشترتها، بوجود رغبة كاسحة لمنافسة صناعات السيارات الكورية واليابانية، وبعد شهر واحد من صفقة البيع... تحولت الفكرة الرائدة لكارثة حقيقية !

ولكن "مدير المشروع " المتهم تمالك نفسه واعترض قائلاً:

- اسمح لي أن أوضح سيدي، فالتغيير الموضعي لمواقع المقاعد واللمبات هو في حقيقة الأمر شكلي وجمالي ولن يؤثر تمامًا على تصميم وميكانيك السيارة ، أما طريقة جلوس "المسوخ" ومواجهتها للركاب فهي تقتصر عليهم فقط لفرادة شكلهم ولا تعني السائقين العاديين أبدًا... كما أن الأهم هنا من وجهة نظري المتواضعة هو تسريع الإنتاج وتخفيض التكاليف ، وأعتقد بالتأكيد أنه تمَّ تحقيق ذلك.

قاطعه "المدير التنفيذي" مستهجنًا ومتجاهلاً رده:

- لم تنتهِ القصة هنا ، بل قام صنيعتك "فرانكشتاين" صناعة السيارات الخارق، مدير المعمل العبقري، بالسخرية مني أمام أعضاء مجلس الإدارة، وكنت قد طلبت منه أن يوضح لي ما حدث بالضبط ، فهل تعرف رده الوقح؟ : "أنتم أيها البشر الأغبياء، لا تفهمون شيئًا بالابتكار ، فالسيارة الجديدة تصلح تمامًا للكائنات البشرية الجديدة". وبالفعل فقد طلب أن نخرج لميدان العرض واستدعى على الفور عاملاً برأسين وأربعة أذرع ، وطلب منه قيادة إحدى السيارات الجديدة ، فقادها هذا الأخير بسرعة مذهلة وبمهارة فائقة وارتياح كبير ! وعلق بثقة على تجربة القيادة: "أين المشكلة إذن ؟ لا أدري عن ماذا تتحدث"؟... فقد افترض هذا المسخ العبقري أن هذه السيارات ستسوق لهذا النوع الجديد من البشر... وعندما أبلغناه أنها ستسوق لبشر عاديين برأس وذراعين، أجاب "فرانكشتاين" المجنون هذا بإيماءة متغطرسة: "إذن باشروا بصنع نماذج بشرية جديدة لهذه السيارات المبتكرة!"... هذه كانت إجابته، وعندما أبلغته بأنها فقط مجرد نماذج تجريبية بشرية خُلقت لأهداف صناعية مجدية... أجاب بعبارة غامضة : "إنه صراع التقدم الارتقائي ضد قوى البهيمية والانحطاط"! هل تفهم شيئًا من عبارته الفلسفية الغامضة هذه؟

واستطرد "المدير التنفيذي" قائلاً والرعب يتملكه:

– ثم اقترب مني هامسًا ومهددًا بحنق: "سأدخل داخل جسدك كذبابة وأرى جسدك من داخله"! وبدا عندئذٍ كمشعوذ مصري قديم وهو يتفوه بهذه الجملة السحرية المرعبة، ولكني وللخوف الشديد الذي تملكني عندئذٍ نسيت أن أسأله بفضول ساخر: "وهل ستكون يا ترى ذبابة عادية أم معدلة جينيًا ؟!"... ثم غادر "فرانكشتاين" القاعة غاضبًا وتعلو وجهه نظرات امتعاض واشمئزاز، ولطم الباب الحديدي خلفه وكأنه يصفعنا في وجوهنا !!

لكن"المدير التنفيذي" أصرَّ على عناده وسخريته اللاذعة متجاهلاً حجج ومنطق "مدير المشروع" المسكين، فخاطبه بحنق لافت وبصوت معدني هستيري ساخر: – والآن بماذا ستنصحنا أيها العبقري المفرط الذكاء ! وقد تحول تلاعبك الجيني لكابوس كارثي حقيقي؟!

• • •

استيقظ "مراد" يتصبب عرقًا ويرتج مرعوبًا، فسألته زوجته مستفسرة، فأخبرها القصة باختصار، فأجابت بلا تردد:

– إنها الهندرة والوثوقية والجينات وعلوم الوراثة ووحش البحيرة والعين الثالثة وكل الترهات التي تملأ عقلك البائس بها، والتي حولت حياتنا لجحيم هنا، وما يعنينا هذا الكلام نحن العرب ونحن لا نكاد نصنع دراجة، بل حتى ونسخر من اكتشافاتهم العلمية ومغامراتهم المذهلة !... لقد أدخلتنا بترهاتك العلمية – الخيالية وبأبحاثك المجنونة لنفق مظلم طويل لن نخرج منه أبدًا بعقول سليمة، وبدأت الكآبة تتسرب لأرواحنا البائسة، جُل ما أريد أن أعود وبسرعة لحياتي الطبيعية الآمنة وأهلي وصديقاتي ورسوماتي، وأن يعود أولادي لمدارسهم أسوة بباقي الأطفال، وكفى... كفى... ثم صرخت بحمق هيستيري: قلت كفى !!

(١٠)

زهرة النتن



حمل الهواء في هبَّاته المتواصلة رائحة معينة، كانت الرائحة القوية تنبعث من جهة البحيرة، إنها نفس الرائحة الطاغية في كل مكان، وغادر الطفلان للعب بعد أن وجهت لهما التحذيرات المكررة بألا يبتعدا وبأن يكونا يقظين تمامًا ، فالمكان حافل بالخطر... وضاقت نورا ذرعًا بالرائحة الخانقة، فعادت لتكرر نفس الأسطوانة:

- أتعلم أنه كان من الخطأ تمامًا إحضار طفلين ليتنفسا هواء استوائي مشبع بغازات الكبريت السامة، إنهما في أجازة وفي أشد الحاجة لهواء شديد النقاء مفعم بالعافية!

فأجاب شاردًا وقد تعب قلبه من تكرار هذا النقاش العائلي العقيم:

- بالفعل، يبدو الوجود هنا لغير المهتم شديد الوطء !

فعادت لتسأله متوسلة:

– ألا تخاف؟ فلم تعد وحدك في هذه الحياة، ونحن بحاجة لوجودك وأخشى أن نفقدك!

فأجاب بهدوء وبكل طقوس الكبرياء بعد أن اختنق صوته وسالت مدامعه، وقصد أن لا ترى انفعاله:

– ولم أخاف؟ فبعد الموت إما العدم وأما الرحمة!...

وفجأة اندفع الطفلان للداخل بصخب:

– بابا... ماما... شاهدنا في دغل قريب حديقة غريبة تعج بالزهور الملونة البهيجة المنظر، ولكن روائح كريهة تنبعث منها...

فهرول ونورا وراء الأطفال لمعاينة الحديقة والتحقق من الإدعاء الذي بدا طفوليًا ومبالغًا به، وبالفعل فقد انبهرا من المنظر الخلاب، كما انزعجا من رائحة "نتنة" تزكم الأنوف، فقال البروفيسور معلقًا:

– يا إلهي، إنها زهرة نادرة في العالم، وهي تتكاثر هنا ببيئتها الطبيعية الخاصة، وما هذه الرائحة الكريهة إلا مزيج غريب من روائح "اللحم المتعفن والسمك النتن والسكر المحروق"... وربما تتغذى على الحشرات، كما أنها تجذب الطيور التي تحمل بذورها بغرض التكاثر... أجل إنها زهرة "النتن"!

(١١)

التخاطر الروحي



شيء واحد جعله يتقبل احتمال ما وقع، وهو ما قرأه منذ أيام في مجلة علمية وملخصه أنه إذا ما عاد الكون بعد ملايين السنين إلى الانسحاق والتقوض، فستبدأ قبل وقوع الكارثة سلسلة من الاحتمالات التي تشبه الخيال العلمي بل وتتجاوزه، مطيحة بكافة مفاهيم المنطق الفيزيائي: فالأكواب المحطمة يتجمع حطامها ويقفز بلمح البصر عن الأرض رجوعًا للطاولة، وتصبح أحداث الحياة حينئذٍ كفيلم فيديو مرتجع!... ضحك من هذا الاحتمال، وتخيل السيارات تسير مسرعة للوراء والطائرات تعود رجوعًا لمقالع انطلاقها... لا بد أن العالم سيصبح سيرياليًا في الأيام الأخيرة قبيل وقوع الكارثة، ولكنها ستكون "كوميديا سوداء" مرعبة... وماذا عن عودة مليارات الأموات إلى الحياة مبعوثين من قبورهم؟... وتذكر لوهلة الآية القرآنية الكريمة من سورة "يس": {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}... إذن فقوانين الفيزياء يمكن أن تقوض أمام كارثة كونية كاسحة، كذلك يمكن أن

تخترق القوى الروحية الخفية مكامن الوعي البشري وأن تحدث تأثيرًا "مغناطيسيًا–سحريًا" لا يمكن تفسيره بالمنطق الدارج : لذا لم يطلع البروفيسور أحدًا على خفايا قوته النفسية ، بل استنكف حتى عن إخبار زوجته "نورا" ، فقد اعتبر قدراته النفسية ملاذه الأخير ، وقد تعلم منذ نعومة أظفاره أن يهدئ بالإيحاء من دقات قلبه المتسارعة، ودرَّب نفسه مرارًا على هذه المهارة ، كما تعود أن يلجأ أحيانًا لقواه الخفية ويستخرج منها ذهنًا إيجابيًا ونفاذ بصيرة خارقًا.

وأخيرًا فقد اكتشف بعد ممارسة طويلة وتمرين صعب ، إمكانية اختراق مكامن الوعي البشري، هكذا فرح لأنه استطاع أن يسبر غور ذهن زوجته، وأن يروض أحيانًا مزاجها الصعب ونوبات نكدها، كما امتدت إرادته لتلمس أوتار رعبها لتسكنها بطريقة كهربائية هادئة! إلا أن ذلك قد أدى أحيانًا لاستنزافه نفسيًا، ولأن يشعر بتعب ذهني وإجهاد، لأنه لم يتعود طويلاً على الاستخدام الدائم لعضلات إرادته الذهنية!... فمنذ أن كوَّن فريقه (البيئي) العلمي الأخير وقد سيطرت على فكره "تجربة البحيرة الأفريقية الحامضية"، وهو ينزلق لهاوية "المنطق والتحليل والموضوعية" ، حتى كادت قدراته النفسية أن تُستنفذ ، وشعر وكأنه يدفع ثمنًا غاليًا لتجربته الخاصة هذه التي بدأت أيضًا تضغط على أعصابه وذهنه ونمط حياته اليومي، ثم ابتهج لفكرة قدرته على استرجاع قدراته الروحية الكامنة ، فربما ستنقذه وتساعده وأهله ومساعديه للخروج سالمين من "جحر الجحيم" المرعب هذا ، ثم لاحظ مستغربًا أنه بدأ تلقائيًا يستخدم نفس عبارات "نورا" في وصفه للمكان... فحادث نفسه بتفاؤل: ومهما حدث ، فقد سمحت لعقلي وروحي بالتمازج مع عقل "نورا" وأحاسيسها المرهفة، موصلاً لها إحساسًا عارمًا بالحب والشفقة والحنو والتعاطف، وقد نجحت لحد ما في إخراجها من قلقها وبؤس معاناتها!

وبالرغم من خطورة التجوال في هذا الدغل الأفريقي اللعين (الواقع في قلب غابة مطيرة)، إلا أنه كان يمارس محتاطًا رياضة المشي والهرولة مرتين يوميًا، مقتنعًا بمقولة الشاعر هنري ثورو "لحظة تبدأ قدماي بالتحرك، تبدأ أفكاري بالتدفق"، مبجلاً مغزى أن تكون وحيدًا دون أن تشعر بالوحدة.

ثم سيطرت على نفسه فكرة "استرجاع قدراته الذهنية"، فقام في صبيحة اليوم التالي، بإجراء تجربة عشوائية على طائر جميل صغير، فسلط قواه الذهنية الحادة على عقل الطائر، تمامًا كما تسلط السكين الحادة على عنق الدجاجة، مما أوقعه فجأة في براثن قرد متوحش شرس، وتهيأ له وكأن الطائر المسكين يلومه قبل أن تكتسي عيناه بغشاوة الموت، ويتعرض للافتراس الفوري! ولكنه كره فعلته بل كاد أن يندم، عندما بدا له رأس هذا القرد غريبًا وبشعًا، يماثل وجهًا طويلاً مصمتًا، تعلوه ثلاث أعين حمراء، وبأسفله فمٌّ شرس يخرج منه فكان طويلان حادان... لقد كان ثمة شيء مخيف للغاية في ذلك الوجه الوحشي، شيء أشبه بالشيطان.

شعر بخوف كاسح استولى فجأة على كيانه، وقفل عائدًا لمكان اقامته "بالكامبوس المحمي"، واستوحى من الطريق اللولبي الصاعد فكرة أنارت تلافيف دماغه، فقد قرأ ذات مرة أن فيلسوفًا عظيمًا قال "أن الطريق الصاعدة والطريق الهابطة طريق واحد"! وانكشف له فجأة مغزى هذه المقولة، فكما التراجع العكسي للأحداث محتمل قبيل نهاية الكون الكارثية، كذلك فالطريق ما بين الماضي والحاضر والمستقبل طريق واحد، ولا بد ومن وجود كاميرا "ميتافيزيائية" داخل دهاليز الدماغ البشري، تفتح في جزء خاطف من الثانية وتطلع الإنسان الموهوب على بعض أحداث المستقبل... فراح يتمتم مع ذاته:

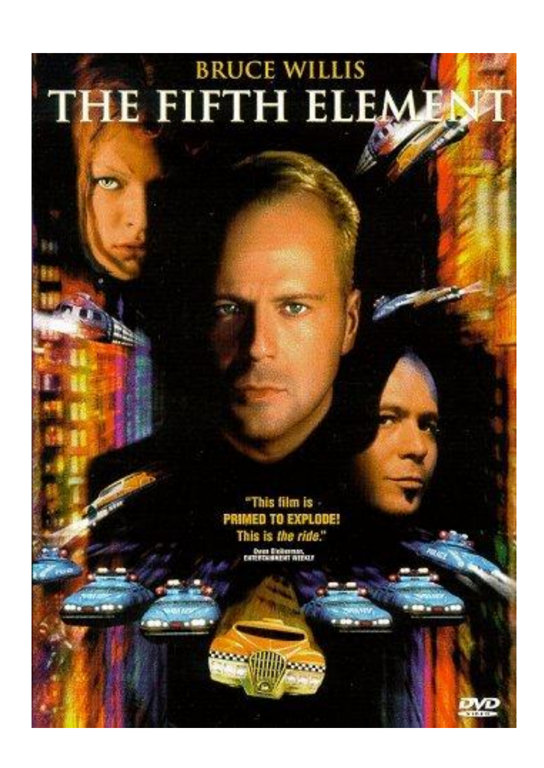
- أجل كل شيء محتمل... كل شيء محتمل.

(١٢)

عـنـاق حميـم

خيال علمي لافت من وحي قصة فيلم "العنصر الخامس" :

The Fifth Element (1997)



اتضح له الآن المغزى من بقائه حيًّا، وماهية الرسالة التي يحملها، حيث مدَّه رب العالمين بقوة مضاعفة عجز عن تفسيرها، فقاوم الأشرار بضراوة غير معهودة، وانتصر عليهم وأنقذ الفتاة الجميلة. اتصل به صديقه الحكيم من محطة الرصد الفلكي، وحذره من اقتراب كويكب ناري يزيد قُطره عن عشرة كيلومترات، وأبلغه بقلق أنه يتسارع نحو الأرض بسرعة ٢١٧ ألف

كيلومتر في الساعة، وقد تمَّ رصده بواسطة تلسكوب ضخم يعمل بالأشعة تحت الحمراء ! واستطرد الحكيم المخلص:

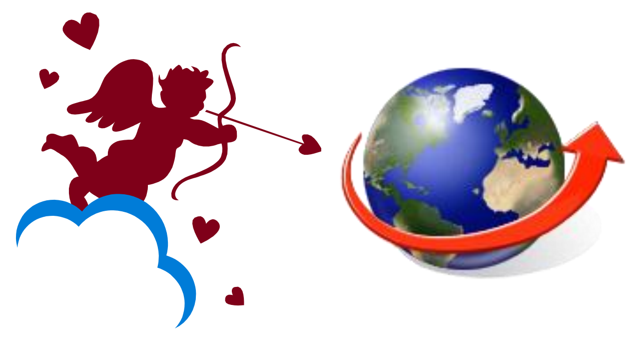
- لو قدر لهذا الكويكب الناري أن يصطدم بكوكبنا، فسيحدث يا صديقي دمارًا يعادل انفجار ٣٠ الف ميغا طن، وهو ما يعادل عشرة أضعاف القوة الناتجة من تفجير جميع القنابل النووية الموجودة لدى أمريكا وروسيا في لحظة واحدة !!

وتابع:

- وحتى الصواريخ الباليستية ذات الرؤوس النووية والتي أُطلقت باتجاهه دفعة واحدة، فقد عجزت عن صد هذا الكويكب الفتاك، ثم حاولنا رشقه بصواريخ تحمل قنابل نيوترونية ذات طاقة هائلة، فعجزنا... ثم حاولنا في المرة الثالثة صده بواسطة صواريخ مضادة للكويكبات، مكونة خصيصًا من عنصر التنجستون ومدعمة بزمبركات خاصة، لكنها فشلت أيضًا في صده !

وتابع، مغيرًا نبرة حديثه وكأنه يهمس:

- الأرض يا صديقي مقبلة على نهاية كارثية مع نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ! ولا مجال لإنقاذها بالوسائل التقنية المتطورة، ليس لنا حقيقة إلا كنزك البشري الجميل، فهذا الملاك الكوني "الروحاني" هو وحده القادر على حماية كوكبنا الحبيب... والأمر يتعلق بقدرتك على إيقاد شعلة الحب في قلبها حتى يحدث الالتحام المنقذ ! ولا وقت لدينا حقًا للتفكير بأية وسائل جديدة.



استدرك عندئذٍ الدور البطولي الملقى على كاهله، فشحن نفسه بطاقة متأججة من العشق والتصوف والحب والخير ، وجمع قواه المبعثرة وتماسك ، ثم أظهر كل ما في شخصيته من لُطف وكياسة ونعومة وطلب من فتاته الحسناء التعاون، فقادته بنعومة كالمنومة مغنطيسيًا لمكان كهف خفي، ودلَّته بلا تردد على صخور كونية تشع ضوءًا خافتًا أزرق اللون، فحمل الأحجار السحرية في مركبته الفضائية الصغيرة، ثم طار بصحبة الفتاة إلى قمة جبل شاهق، وهناك أرشدته على طريقة هندسية لوضع الأحجار الأربعة في الاتجاهات الأربعة، وتمتمت بنبرات هامسة بلغة سحرية خاصة يجهلها ! ثم رمقته بتلك النظرات التي يرغب كل رجل أن ترمقه بها النساء، ودعته لمعانقتها بقوة، فتفاعلت الأحجار عندئذٍ ، وانطلقت منها أشعة "ليزرية" خارقة باتجاه الكائنين المتعانقين، فيما أصرت الفتاة على عناق حميم، فانصهر جسداهما في عشق لحظي متأجج انتهى برجة متزامنة، وتأوهت الفتاة مصدرة صراخًا أوبراليًا خافتًا وناعمًا ، ثم اهتز جسدهما برعشة ثانية متزامنة وفائقة القوة، وكأنها حفزت الرزمة الشعاعية الصادرة عن الأحجار السحرية البلورية، فانطلق منها حينئذٍ شعاع مركزي قوي مركز اصطدم بالكتلة النارية المتأججة للكويكب الفتاك المقترب في صحن السماء، مولدًا طاقة حرارية هائلة أدت لتفتيت الكويكب لأجزاء صغيرة متناثرة، وقابلة للاحتراق عند دخولها أجواء الأرض ، هكذا نجت الأرض بفضل إنقاذه للفتاة الجميلة وعناقه الحميم معها...

فيا لها من فكرة إبداعية رائعة لم تخطر على بال أحد!

(١٢)

الحرب بين ماكانا العظمى وراكانا الصغرى

سيناريو محتمل لفيلم لم يتم إخراجه

مجاز سياسي/عسكري مدمج بالخيال العلمي



- ١ -

أعلنت دولة ماكانا العظمى الحرب على دولة راكانا الصغرى، وأمر رئيس ماكانا جنرالاته باستخدام أحدث الأسلحة في ترسانتهم الحربية بغرض تركيع دولة راكانا، وجمعهم في اجتماع طارئ قائلاً:

- لا مجال لإطالة هذه الحرب، فالرأي العام يتحالف ضدنا، وهناك نقد كبير موجه نحونا، فنحن قوة كبيرة وهم قوة صغيرة، هم يملكون الإرادة والشجاعة والرغبة في الحرية والاستقلال ونحن نملك القوة الطاغية والجبروت والرغبة في الهيمنة والاستبداد. لا أريد أن أحول اجتماعي معكم إلى محاضرة سياسية مملة... أنتم أذكياء بما فيه الكفاية حتى تلاحظوا أن العالم يتعاطف مع الضعفاء... لذا علينا أن ننتهي من هذه الحرب في ثلاثة

أشهر فقط كحد أقصى... استخدموا كل أسلحتكم ومهاراتكم التقنية... وأبعدوا الصحافة والإعلام... انقلوا أخبارًا عادية من اشتباكات يومية بسيطة دفاعًا عن النفس ، فيما تقومون في حقيقة الأمر بتدمير البنية التحتية العسكرية والمدنية لهذه الدولة المتمردة... لا تسمحوا بتصوير الدمار والموت.

لاحظ التململ والاستياء على وجه قائد الأركان فأشار له بأن يعبِّر عن رأيه:

– ولكن سيدي الرئيس، الأمر ليس منوطًا بنا وحدنا، فنحن نعيش في عالم متعدد الأهواء، فكيف نمنع التغطية الصحفية الأجنبية؟ كيف نمنع خصمنا من استضافته للصحفيين الأجانب؟ كيف نمنع تجوالهم بحرية هنا وهناك؟

أجاب الرئيس مخالفًا:

– كلا... ستقومون بما هو مطلوب منكم وسوف تنتهون من هذه الحرب المملة التي طالت أكثر من اللازم... سنزودكم بفرقة كوماندو خاصة... لا أريد دراما ودموعًا وتباكيًا... استخدموا كل ما في حوزتكم من "قنابل فتاكة مرعبة": نابالم، قنابل انشطارية، قنابل اختراقية، قنابل يورانيوم منشطر... أطعموهم بلوتونيوم بدلاً من الخبز...

واستمر متبجحًا... حتى قاطعه جنرال آخر:

– سيدي... كل هذا رائع... نخوض حربًا مدروسة بعناية، حربًا تلفزيونية متطورة، نوجه قنابلنا للأهداف الأرضية ونصور الأهداف مدمرة وتعاد الكرة، ويفرح مواطنونا من مهارة طيارينا وتقنيتنا المتطورة... ولكن كيف سنقضي على القيادة؟؟

قاطعه الرئيس مبتسمًا بخبث:

– اترك الأمر لي ولوزارة الدفاع والمخابرات... افعل ما تؤمر به واترك الباقي علينا.

- ٢ -

في مختبر أبحاث الأسلحة السرية المطل على المحيط الهادي، ساد سكوت غريب في ذلك المساء، حيث بدا وكأن تجربة خطيرة ستتم في ذلك المساء الربيعي... حيث وقف جنود ضخام غامضون في صف مكون من مئة شخص... وبدأ كل منهم يدخل بانضباط لقاعة ضخمة تشبه غرفة العمليات في مستشفى كبير، وبدا وكأنه يتم اقتياده بشكل آلي، يسير كل واحد لوسط القاعة، ثم يجلس على كرسي خاص... فيما يقوم ضابط في غرفة التحكم المنفصلة بالضغط على زر خاص، فيهبط فجأة من السقف جهاز ليزري متطور، ويتوجه الجهاز لرأس الجندي ثم تبدأ أشعة مركزة صادرة عن الجهاز بقص "طاسة جمجمة الرأس" بشكل دائري منتظم... بعد ذلك تدخل يد ميكانيكية آلية أخرى وتزرع في جزء محدد من الدماغ قرصًا معدنيًا صغيرًا... ثم يُعاد لحام طاسة الرأس... وتنتهي العملية في لحظات... يقوم بعدها الجندي ويسير بخُطى عسكرية خارجًا إلى قاعة أخرى... وهكذا دواليك... وهناك يُسلم نظارة خاصة تشبه نظارة "اللحامين"... وينتقل إلى موقع آخر حيث يتسلم البازوكا... وبعد أن تمَّ تجميع الجنود جرى نقلهم لموقع مجهول بواسطة طائرات الهيليوكبتر.

- ٣ -

في غرفة الاجتماعات، دار الحديث التالي بين قائد مركز الأبحاث البروفيسور ديمنغ وبين الجنرال شواكوف مدير مشروع "كمبناس":

- لا داعي لأن أعيد وأكرر بأن الموضوع غاية في السرية، ولا أحد يعلم به سوى خمسة أشخاص فقط، ثلاثة يعلمون التفاصيل كاملة، واثنان من العلماء

لا يعرفان إلا الجانب البيولوجي – التقني... المقصود هنا المحافظة على السرية والكتمان وإلا فشل المشروع بطريقة ما.

فأجاب ديمنغ:

– هل تعتقد أن أحدًا لن ينتبه لحركة الجنود الآليين وطريقة مشيهم؟!

فقاطعه شواكوف:

– أجل سيدي... لقد وظفنا "تيوسًا مطيعة"، واخترناهم بشكل خاص، أناس يعرفون كيف يطيعون الأوامر وينفذون التعليمات، فهؤلاء أناس غير فضوليين إطلاقًا وقد أخضعناهم لتجارب قاسية وكافية، ولن أقول أكثر من هذا...

شعر دينغ بالملل من فوقية الجنرال، فاستعجل إنهاء الحديث قائلاً:

– إذن ما المطلوب بالتحديد؟

فأجاب الجنرال وبشكل تقريري وكأنه يقرأ:

– المطلوب تحديدًا هو ما يلي:

أن لا يعرف أحدٌ ماهية هؤلاء الجنود.

أن لا يعرف أحدٌ إلى أين يتجهون؟

وهذا هو الأخطر: أن تفكر منذ الآن سيدي العالم العبقري بالطريقة الأنسب للتخلص من هؤلاء الجنود الأشداء المخلصين بعد إتمام مهمتهم بنجاح، فهم خطر كبير علينا وعلى وجودنا... إنهم كالقنبلة الموقوتة، وعليك أن تفكر بأنجح الطرق للتخلص منهم... ويفضل وجود أكثر من سيناريو حتى نضمن نجاح ذلك ونحتاط للمفاجآت، فلا مجال للمخاطرة!

استاء د. ديمنغ من أسلوب التلقين وفجاجة الطرح، فقال في سره:

– هذا غبي مغرور يشعر بتفوقه ويصدر الأوامر ولا يريد نقاشًا... سأكتفي بأن أنظر إليه بقرف وأخترقه بعيوني...

وهكذا فعل، ولكن الأخير تجاهل نظراته، وعاد ليؤكد ما سبق وقاله:

- معك وجماعتك مهلة شهر للتفكير فيما قلته لك، لوضع السيناريوهات العملية، والوقت يمر بسرعة كما تعلم...

وقام مغادرًا المركز بسيارة "فور وييل درايف" جديدة-فاخرة.

- ٤ -

في مدينة "واتاكسي" ذهبت صحفية حسناء تدعى "هبة" للبحث عن عالم متوحد معتوه يدعى البروفيسور "كريسانس"، يعيش منعزلاً منذ سنوات. واستطاعت بعد جهد مضني أن تعثر على منزله، وعندما قرعت الباب وفوجئت من سرعة التجاوب، فقد شاهدت شخصًا طويلاً أشقر الشعر عريض المنكبين لا تبدو عليه علامات العته أو الجنون.

- بماذا أستطيع أن أخدمك يا سيدتي؟

- أريد أن أقابل البروفيسور كريسانس إن كان ذلك ممكنًا.

- نعم، تفضلي سيدتي... فأنت تتحدثين إليه.

تأملته مستغربة، فهو يبدو مطابقًا للصورة الفوتوغرافية التي بحوزتها، ولكنه بالمقابل يبدو شخصًا متوازنًا وماكرًا بل وربما مجرمًا...

واستمر بهدوء مدروس:

- ماذا تريدين يا سيدتي؟

فأصابتها قشعريرة خوف وهي تسمع صوت أنين مكتوم بدا صادرًا من الغرفة الداخلية المجاورة... واستمر بالحديث:

- تعلمين يا سيدتي أنني قد تخليت عن كافة أبحاثي لوزارة الدفاع وقبضت الثمن، ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش وحيدًا في عزلة اختيارية، ولا أعلم ماذا تريدين مني، ولمعلوماتك فقد نسيت معظم أبحاثي.

فأجابت هبة وقد وجهت له نظرات جميلة مليئة بالشك ولكنها آسرة، وربما قصدت ذلك:

- وهل يُعقل هذا... كيف يدعي عالم مرموق أنه قد نسي أبحاثه ودراساته؛ ربما تناسيتها بقصد!

وحتى تهدأ من شكوكه تابعت بدون تردد:

- لا أريد سوى صورة لك والإجابة على سؤال أو سؤالين، وإذا أردت سأحتفظ بسرية المقابلة ولن أصرح لأحد بشيء عنها....

- لا تكوني سخيفة، فأنتِ تعرفين أني لا أحتاج لنقود منك، كما أنك ذكية بما فيه الكفاية لكي تعلمي بأنهم سيقتلونني فورًا لو علموا بمكاني وبتفاصيل مقابلتك لي...

- ستخدمني سيدي لأن الأمر شخصي وإنساني يتعلق ببحثي عن أبي المفقود كذلك ستخدمني سيدي لأنك ارتحت لي، لأني سحرتك بجمال نظرتي، لأني غزوت روحك، لأني منحتك وصالاً بشريًا كنتَ في أمسّ الحاجة له... كما لأنني سأذكر معروفك ما حييت... ولأنك أخيرًا تتمتع بأصالة نادرة وربما "حس أخلاقي"...

- كفى... كفى... لكِ ما تريدين... صورتان أو أكثر...

فصورته وهو سارح يفكِّر ثم صورته وهو يتحدث محركًا يديه بشكل معبر، ثم سمعت للمرة الثانية صوت أنين مخنوق، صوت يعبِّر عن معاناة وكبت وبؤس... فتجاهلت هذه الأصوات، وتوجهت إليه بحواسها... فقال:

– لكِ ما تريدين، ولكن احذري فحياتي معرضة للخطر، وعلي أن اختفي بعد هذه المقابلة!... اسمعي ما سأقوله لكِ: لقد قمت بتطوير نموذج لكائن بيولوجي جديد مركب من مزيج إنساني ومكونات حاسوبية في آنٍ واحد، بمعنى أنه يمكننا الاستفادة من كافة خصائصه البيولوجية بما فيها مرونة عضلاته وقوتها ثم نضيف عليها خصائص حاسوبية موجهة تجعله أقوى بخمس مرات من الإنسان القوي العادي، بمعنى أننا نحسن من خصائص الرؤية والتفكير والاستجابة الحركية... كما أننا نستطيع توجيهها كما نريد بواسطة قطعة حاسوبية صغيرة نزرعها في دماغه بواسطة عملية جراحية بسيطة ودقيقة في آنٍ واحد، القطعة نسميها "ماتريكس"، وماتريكس هذه تصبح دماغه الجديد الذي نستطيع بواسطتها التحكم في كافة انفعالاته وردود أفعاله كما أننا نستطيع توجيهه كما نريد... اسمعي سيدتي الفاتنة لقد صنعت إنساناً واحدًا فقط، وطلب مني الاختفاء والعزلة... ثم أكمل صديقي البروفيسور ديمنغ المهمة من بعدي... هل تريدين شيئًا آخر؟

أجابت:

– نعم... بما أنك كنت كريمًا وواضحًا معي، فأرجو أن تفيدني وتبوح لي بما أريد أن أعرفه... فقد علمتُ أنك اخترت أشخاصا موتى أو قتلى من جثث حرب "تام نام"... وكانت أول جثة حولتها لإنسان آلي هي جثة شخص اسمه "سليم"، وأنا يا سيدي الفاضل مهتمة جدًا بمصير "سليم" هذا... لأنه بصراحة... والدي... أجل والدي فنحن أنا ووالدتي المسكينة لم نستلم جثته، وبلغنا أنه اختفى وربما قتل في ظروف الحرب... وتأكدت فيما بعد بأنه قد تمَّ تحويله إلى "إنسان آلي".

وتأثر ثم استفسر مندهشاً:

– وكيف تأكدتِ من هذا... هل لي أن أعلم؟

- لأنه اتصل بي بعد سنوات وبواسطة البريد الإلكتروني ، وأخبرني بتفاصيل ما حدث له.

حادث نفسه قائلاً: لا يمكن هذا!... ثم أجاب:

- سأصارحك... سليم هذا والدك هو الشخص الوحيد الذي اتفقنا أنا وديمنغ على المحافظة على الجانب العاطفي والإنساني في شخصيته، لقد أردنا في البداية أن نبني شخصية مزدوجة، حتى نتبصر ردود الأفعال ونحافظ على حس الضمير البشري، فنحن نعرف أن هذا الشخص هو الوحيد القادر على قيادة الآليين في حالة اندفاعهم المجنون نحو القتل والتدمير! لا تخبري أحدًا... فلو علموا بما فعلنا لأقدموا ربما على قتل ديمنغ وتدمير سليم... وربما... وأحس بالشرك الذي نصبته الصحفية الحسناء... إن سليم هذا قادر على أن يقود الآليين... فهو الوحيد الذي يملك حرية الاختيار... بينما يتحرك الآخرون بلا إرادة ولا روح... مجرد وحوش آدمية المظهر آلية العنف بالغة القسوة والغباء... لا يستطيع أحد أن ينجو منها إذا ما قررت الفتك به!

ولم تتمالك هبة نفسها فانفجرت غاضبة:

- ها أنت تعترف بجريمتك يا "كريسانس"، فأين كان ضميرك الذي ظهر الآن فجأة ؟... وكم قبضت مقابل عبثك بجثث أبطال حرب "نام نام" أم أنها كانت حرب قذرة على أي حال، ولم تحترموا أحدًا فيها حتى أبطالها؟!

وشعرت هبة فجأة أن هذا الشخص الماثل أمامها شخص مزيف، واستدركت فجأة أنه ربما الشقيق التوأم "لكريسانس"، وأنه ربما يقوم بدور عجز شقيقه عن إتمامه، إنه يقوم بدور "الضمير"، فكريسانس الحقيقي ذهب إلى ظلام الجنون وعبثه بلا رجعة لأنه لم يجد مبررات كافية لإقناع ضميره الحي، هكذا تقمص شقيقه التوأم دور الضمير، حتى تُغسل الخطايا وتستقر الروح البائسة!

وغادرت والدموع تترقرق في مآقيها ، لقد تأثرت بمأساة "كريسانس" ، وشعرت بقوة الضمير البشري... ولم تستطع إخفاء إعجابها بالمشهد الإنساني الماثل أمامها: فقد تحولت الشخصيتان إلى كيان واحد متكامل!

- ٥ -

سار كل شيء حسب المُخطط المُعد ، وبعد مضي شهرين من القصف "السجادي" المركز للبنى التحتية لدولة راكانا، شعرت قيادة ماكانا بأن الوقت قد حان لتنفيذ الجزء الثالث من الحرب المدمرة، فأوعزت للجنرال شواكوف للمباشرة بحملته السرية، هكذا وفي منتصف ليلة حالكة الظلام، وبعد الساعة الأولى من يوم ٢٠٠٣/١٥ قامت عشر طائرات "آباشي" مزودة بالرؤية الليلية بإنزال مئة جندي آلي بالقرب من قصور ومراكز القيادة والتوجيه في دولة راكانا ، وقد تمَّ إدخال صور تلفزيونية لكافة القادة السياسيين والعسكريين في ذاكرة الجنود "المحوسبة" وكان الأمر واضحًا: اقتلوهم... اقتلوهم... ثم اقتلوهم!! اقتلوهم ثلاث مرات، حتى تتأكدوا من إنجازكم لمهمة القتل، والرجاء أن تقتلوهم بشكل عادي بعيد عن مظاهر "العنف اللاإنساني". ويفضل أن يتم القتل بتوجيه رصاصة أو رصاصتين للرأس مع رصاصة أو رصاصتين للقلب... وذلك للتأكد... نريد قتلاً "نظيفًا" إنساني الطابع لا يتعارض مع اتفاقيات جنيف وحقوق الإنسان... لا نريد أسرى!...

ثم دار الحوار التالي داخل الطائرة آباشي:

- مهمتك صعبة جدًا، أنت وزملاؤك التسعة... تبحث عن زعيم راكانا أنت وزملائك وتقتله... وحتى نضمن نجاح مهمتك، فعليك أن تقتل أي شخص يشبهه... ستواجهون مقاومة باسلة، ولكن عليكم الاستمرار بإنجاز ما هو مطلوب منكم... مهمتكم صعبة، لذا يسمح لكم بتكسير الجمجمة، حطموا

العمود الفقري، أحرقوا، أبيدوا... هذا الشخص هو الهدف الأسمى لمهمتنا وإذا فشلتم في اغتياله فقد فشلت المهمة! هل تدرك ذلك؟

فأجاب القائد الآلي المفتول العضلات الذي تبدو القسوة والشراسة واضحة في معالم وجهه... أجاب بصوت آلي:

- أجل... أعلم... أعرف المطلوب جيدًا

ثم استطرد:

- ولكن ما مكافأتي؟!

فاستغرب كابتن الطائرة من هذا السؤال غير المتوقع من كائن "آلي/إنساني مدمج"، فأجاب بمكر:

- أجل، سوف نكافئك بالتأكيد، هل تعتقد أن أحدًا سيتجاهل مثل هذا الإنجاز؟

- ٦ -

تمت المهمة كما يجب، وانتصرت دولة ماكانا العظمى على دولة راكانا الصغرى، وسحقت قيادتها ودعست على كبرياءها، ونشرت الأخبار المتلفزة خبر اغتيال زعيم راكانا، بل وتمَّ بث صورة له وهو مقتول، وذلك بغرض تحطيم معنويات جيوب المقاومة المتناثرة... كما تمَّ بث صور دراماتيكية لنوابه ومساعديه وقادة أركانه وهم ملقون أرضًا والدماء تنزف منهم!

ظهر زعيم دولة ماكانا على القناة التلفزيونية العالمية والابتسامة تعلو محياه الأنيق، وقال بصوت خفيض واثق:

- أيها الشعب العظيم... شعب "ماكانا"... لقد انتصرت قواتكم أخيرًا على راكانا... لقد انتصرت الحرية الديمقراطية على الدكتاتورية البغيضة. وانتصر السلام على العدوان... الآن فقط سنضمن المستقبل للأبد، وسنعيش بثقة... الآن نستطيع أن نضمن حقوق الإنسان في دولة راكانا... ولكني احذر القادة الجدد لدولة راكانا بأننا لن نرفع الحصار عن دولتهم إلا إذا ضمنا توجهاتهم تجاهنا وتجاه العالم وتجاه شعبهم المسكين الذي عانى من الطغيان والاضطهاد... وكم كنت أتمنى أن تسقط على رؤوسهم الهدايا والأطعمة والعلاجات بدلاً من أنواع القنابل المدمرة... ولكن يجب أن يتأكدوا من تعاطفنا الإنساني معهم، فالصراع هو مع قادتهم العنيدين المتسلطين وليس معهم... وربما ستسمح لنا الظروف في الأيام القادمة أن نعوض صبرهم ومعاناتهم وتحل عليهم النعمة والرخاء بدلاً من القتل والتدمير والمعاناة... والأمر بيد قادتهم الجدد، فإن ساروا كما أردنا لهم أن يسيروا وإن التزموا بسلام الشجعان وباعونا "أرضهم" والطاقة بأسعار رخيصة وتخلوا عن عنادهم ومقاومتهم و"إرهابهم" فسوف نتركهم لحال سبيلهم في ظل ظروف محددة مدروسة بعناية لمصلحتنا، وإلا فإننا سندمرهم ثانية بكافة الأساليب المباشرة وغير المباشرة، وسنحول حياة شعوبهم لجحيم مستديم وبؤس لعين!

(١٣)

رسالة عبر المجرات : الرقم ٥٥١

رواية قصيرة في الخيال العلمي

استنادًا لأبحاث معتمدة علميًا



في عام ١٩٧٢ وبينما كانت وكالة الفضاء الأمريكية تتهيأ لإرسال أول قمر صناعي خارج المجموعة الشمسية قررت إهمال ما ورد من تحذيرات في التقرير وقررت توجيه دعوة للكائنات الفضائية لزيارة الأرض وقامت بتثبيت لوحة مطلية بالذهب على هيكل المسبار (بايونير – ١٠) يقطن خارطة تبين موقع الأرض في المجموعة الشمسية وعندما أرسلت هذه المركبة رسالتها الأخيرة في كانون الثاني ٢٠٠٣ كانت على مسافة ٧ مليارات ميل عن الأرض

جلس البروفيسور باسل على الأريكة المريحة مادًّا قدميه، وتناول باسترخاء كأس من الشاي اللذيذ ، كان يقرأ بحثًا بعنوان : "اكتشاف العلاقة بين أفلام الخيال العلمي وطرق تقصي المخلوقات الفضائية" كان يقرأ الدراسة التي استخلصها من الإنترنت باسترخاء كامل ، فقد كان ذهنه مكدرًا... وألقى الدراسة جانبًا وهو يقول "أوفو... أوفو... (تعني كلمة أوفو عبارة: الأجسام الطائرة الغامضة) يا للخرافة!!" وكاد النعاس أن يغلبه قبل أن يلفت المذيع التلفزيوني انتباهه بخبرين:

الخبر الأول: ذكرت الشرطة الكولومبية أن ستين شخصًا أعضاء في طائفة تؤمن بأن مخلوقات من الفضاء ستأتي في بداية الألفية الجديدة لتخليص العالم، قد فُقدوا بعد أن باعوا ممتلكاتهم وتوجهوا من كارتاهينا إلى الجبال شمالاً للقاء هذه المخلوقات!... "يا للغرابة" قال في نفسه ثم لاحق الخبر التالي : ذهل سكان وسط نيوزيلندة وأصيب بعضهم بالذعر أمس بعد أن شاهدوا وميض انفجار على ارتفاع يتراوح بين سبعين ومائة كيلومتر. وقال شاهد عيان: لقد كان انفجارًا ضخمًا ترك أثرًا مضيئًا في السماء لعدة ثوان. وأكدت الشرطة أنها تلقت مئات المكالمات الهاتفية من سكان المنطقة الوسطى في الجزيرة الشمالية بنيوزلندة قالوا فيها إنهم شاهدوا انفجارًا قويًا ودخانًا في السماء. وذكرت مصلحة الطيران المدني أن عددًا من الطيارين الذين كانوا على متن طائراتهم في الجو أكدوا مشاهدتهم لأضواء ساطعة وانفجارات في الجو في منطقة تاراناكي على بعد ٣٥٥ كلم شمال ويلنغتون.

لمع ذهن باسل وتذكر كيف شاهد بالأمس شهابًا يخترق السماء ؛ شهاب مارق... إذن هل آن الأوان مع اقتراب الألفية؟ قال في نفسه وعاد يكرر أوفو... أوفو!

- ٢ -

نام نومًا عميقًا وحلم بأنه كان يقود سيارته في طريق زراعي مظلم عندما لاحقه ما بدا له صحنًا طائرًا ، فقد كان يتأمل السماء عندما لمع البرق فجأة مرة أو اثنتين ، كان الظلام حالكًا والسماء مرصعة بالنجوم المتوهجة ، وتزامنت إضاءة السماء مع توهج قرص يرسل إضاءة حمراء منقطعة، تأمل الطائرة الغريبة وشاهد عينين نافذتين لمخلوق خرافي الهيئة تخترقانه... وتملكه خوف شديد... تمَّ سد الصحن طريقه ولم يستطع الهرب... ولم يتذكر ما حدث بعد ذلك ، كل ما تذكره أن كائنات ما قد خطفته لفترة وجيزة وسحبت سوائل في جسمه بإبر غريبة دون أن يشعر بالألم...

استيقظ من حلمه سعيدًا ، لم يكن خائفًا ، وعندما تعرى في الحمام استعدادًا لتناول الدش اليومي ، لاحظ وجود جروح خفيفة وبقع دم على ذراعيه وصدره، وقد بدت وكأنها نتاج ثقوب خفيفة في الجلد، وفكر لوهلة متسائلاً: هل كان حلمًا أم حقيقة! ثم قرر أن يتجاهل الموضوع مفضلاً الاستمتاع بصوت زقزقة الكناري الأصفر الجميل... غلى قهوته وحلاها بالعسل وجلس على شرفة منزله مستمتعًا بالصباح المشرق.

وفجأة لم يستطع مقاومة جمال البصيص في الأصيص ، فقد لاحظ انبثاق جذع قصير لزهرة مغلقة من قلب أصيص نبات الصبار الصحراوي. لم يكن بصيص نور وإنما انبثاق زهرة جميلة من قلب الأصيص الفخاري... عاد يكرر كلمة الانبثاق وقال في نفسه : لقد انبثقت الزهرة كسهم من قلب الجفاف. وشعر أنها تتفتح قليلاً ثم عادت وانغلقت مع طغيان الضوء... ولاحظ جمالاً أبيضَ ورديًا أخاذًا... كانت أشبه بصحن الاستقبال الفضائي المستعد لاستقبال رسالة غامضة من الفضاء الخارجي... وخاصة وأن

خاطرًا ملحًا يراوده منذ فترة يتعلق بطريقة تكوين لغة مفهومة لحضارات المجرات البعيدة. كان ظهور الزهرة غامضًا آسرًا ومغريًا في آن واحد... وربما كان ذلك الحافز الضروري لإيقاد شعلة التفكير بموضوع لم يسبق أن فكر به أحد من قبل!... وعاد يقنع نفسه بأنه ربما لا يوجد تفسير علمي مقبول لانبثاق زهرة جميلة من قلب نبات الصبار الشوكي الصحراوي، وهو بالتأكيد لن يبحث عن تفسير علمي لظهورها المفاجئ... إنه يريدها أن تبقى غامضة وتبشر برسالة كونية وتحل له لغزًا غامضًا طالما أرق واستعصى على الحل!

- ٣ -

إذا ما تمَّ إجراء اتصال مع حضارة كونية تبعد عنه سنة ضوئية، فإن الوقت اللازم للاتصال ورصد الرد المنتظر سيستغرق على الأقل حوالي مائتي عام... فهل هذا منطقي؟ أمن المنطقي والمعقول إن ننتظر مائتي عام حتى نحصل على رد مختصر؟ أي بعد جيلين أو أكثر...

ثم تحول بائسًا إلى بريده الإلكتروني، واكتشف رسالة جديدة من صديقه البروفيسور نادر، وقرأ:

عزيزي البروفيسور باسل

أنا مسرور جدًا لجهودك الحثيثة في مجال تطوير لغة مفهومة للتواصل ما بين المجرات ، ومتلهف لرؤيتك في مؤتمر نيويورك... هل تعلم يا عزيزي أن هناك محاولات جادة لسرقة أبحاثك! كن حذرًا وخاصة وأنت تراسل أصدقاءك عن طريق الإنترنت... أنا متأكد من طرحك المنطقي لنظرية جديدة في التواصل الذكي لم يسبق أن تطرق لها أحد من قبل... أنا أيضًا أحضر بدوري مفاجئة للمؤتمر...

وقد تمثل اختراقًا للفكر السائد وهي لا تتعلق بابتكار لغة تواصل فهذا تخصصك وإنما بوسيلة التواصل الكوني ، لن أخبرك بتفاصيلها... سأترك الموضوع للمؤتمر... دعنا نتعهد لبعضنا البعض بأن نحافظ على أسرار عملنا حتى لا يكشف أحد نظرياتنا... ولنأمل بالفوز بالجوائز المجزية... يجب أن لا تذهب جهودنا سدى.

صديقك الوفي

البروفيسور نادر

بالفعل إنه صديق وفي ويستحق أن يتجاوب المرء معه ، وتحمس فورًا للإجابة فكتب NADER@HOTMAIL.COM.

عزيزي البروفيسور نادر

سررت كثيراً لاهتمامك بأبحاثي ، وسررت أكثر لوفائك وإخلاصك ، أتعلم يا عزيزي أن عملك مكمل لعملي ، بمعنى أنه لا معنى من إيجاد لغة تواصل ذكية إذا بقيت وسيلة التواصل بطيئة نسبياَ كما هو الحال بحالة الإرسال بالراديو ، أنا أعرف أنك تحاول خلق وسيلة ثورية جديدة فائقة السرعة ، ربما شيء يتحرك بسرعة الضوء... وأنا بدوري أحاول إيجاد لغة ذكية تستند للفيزياء والرياضيات ، لغة تستند لرموز تنقل طريقة تفكيرنا للحضارات البعيدة... أتعلم أن الأصل في الموضو ع يستند للتفكير بتحديد مدى ذكائنا لهم حتى يتقبلوا التواصل حضارياً ، وإلا فما معنى التواصل إذا كانت حضارتهم فائقة التفوق حيث ربما يفضل تجنبهم حتى لا يسعوا للتعامل معنا كما نتعامل نحن جنس بني البشر مع الأجناس الأقل حضارة... أو حتى لا نتعرض لحالة "حيوانات التجارب" ، فبدون أرضية مشتركة وذكاء متماثل لن تبنى لغة تواصل مقبولة ، وقد يصبح التواصل وبالاً علينا... سأكتفي بذلك وإلى اللقاء

صديقك الوفي

باسل

شعر باسل بالملل وذهب لسطح منزله المطل على المحيط الأطلسي، وتفقد الهوائي الضخم الذي بناه من تعويضاته المالية خلال سنين عمله الطويلة كباحث فضائي في مركز بحوث الفضاء في باريس، سمع أذان المغرب، وقت الغروب يوقظ في نفسه شعورًا خاصًا من الصعب تجاهله... تذكر فجأة والدته المتوفاة منذ عشر سنين، ربما هي التي زرعت حب المعرفة في نفسه فقد كانت تحثه دائمًا على التفوق وتزرع الثقة في شخصيته... تذكرها وقرص الشمس الأحمر الكبير يهوي في قاع المحيط، فقد كانت تحب الغروب، للغروب رهبة خاصة، قرَّر أن يصلي المغرب في الجامع الأسطوري الكبير المطل على المحيط، الجامع الذي يواجه حضارة الغرب متحديًا على تخوم الأطلسي... أشعرته الصلاة بالراحة النفسية، فعاد وقد أنعشه نسيم المساء، تناول شايًا بالنعناع في قهوة قريبة، استغرب من شخص في الزاوية يتأمله بعينين ثاقبتين، بدا له وجهًا غريبًا لم يسبق أن شاهده، وشعر عندما غادر وكأن الرجل يتعقبه... فكر للحظات، ماذا لو أدار رأسه بغتة وضبطه وهو يتعقبه؟! لكنه تجاهل الفكرة، حتى لا يشعره بخوفه إن كان فعلاً يتعقبه... ثم فكر: إنها فقط أوهام ناتجة عن التفكير المستمر بالمخلوقات الفضائية!... ولكن صمم واستدار فجأة بدافع فضولي وضبطه يسير خلفه على بُعد أمتار، ولم يستطيع باسل إخفاء شعوره بالخوف، فالرجل كان غريبًا في ملابسه وشعره الطويل المسترسل لكتفيه! وبالرغم من هذا فالكثير من الفنانين الذين يعيشون في الدار البيضاء يرتدون ملابس غريبة ويربون شعورهم لتصل إلى أكتافهم!! ولكن الغريب أن ملامح الرجل بدت كمزيج من الملامح الشرقية والغربية، شعر أشقر داكن نسبيًا وعينان

سوداوان صغيرتان نافذتان وكأنهما ترسلان شعاعًا ، وجنتان مرتفعتان ، بشرة برونزية، أنف مفلطح ضخم لا ينسجم إطلاقًا مع ملامح الوجه الأخرى وكأنه مركب ، والملفت للنظر شكل أذنيه المدببتين قليلاً للأعلى وكأنهما أجهزة إرسال !!

عاد لمنزله وأغلق الباب بالمزلاج ثلاث مرات وتأكد من إغلاق النوافذ وعاد لعمله على الحاسوب وطبع:

- الأصل في اللغة الفضائية أن تتكون من رموز وصور توضيحية ذات ثلاثة أبعاد ، وحتى نتواصل رياضيًا اقترح تشكيل مجاميع للرقم ٥٥١ على سبيل المثال، مجاميع تتكون من ١٩ سطرًا و٢٩ عمودًا مشكلة الرقم ٥٥١، وأن يتم رسم رزمة رباعية من الأشعة تكون متوجهة للاتجاهات الأربعة، في الجانب الأيمن من الصورة يتم استعراض ذرات الكربون والأكسجين والهيدروجين بالتراكيب العضوية الموجودة على الأرض ، مع رمز الماء المكون من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين مع تمثيل الإلكترونات الداخلية والخارجية... أما العنصر الثاني المهم في آلية الاتصال بالحضارات الكونية فيكمن في إيجاد آلية لفهم المكائن ، فالمطلوب تجميع البيانات بواسطة الحاسوب وتركيبها واسترجاعها من الذاكرة الحاسوبية. وقبل ذلك ، يجب تزويد الكمبيوتر بآلية فهم للجمل والتعابير وتزويده بإحساس لفهم قواعد التركيب اللغوية. عند هذه النقطة سأل الحاسوب "المطور خصيصًا لفهم الأشكاليات اللغوية" ما يلي:

ما الفرق بين تعبير "قرية بلا دجاج" وتعبير "دجاج بلا قرية"! بدأ الحاسوب بالبحث والتفكير وانتظر فترة من الوقت تماثل الوقت الذي ينتظره الباحث عن زاوية ما في الإنترنت ، ثم ظهرت الإجابة وكانت كما يلي : يا ليتنا صدقنا الأبونا جبران، كنا لا شيء يا ابنتي، مجرد أربعين رجلاً، وفوق في

تلك الآلّيات، أكثر من مائة جندي من جيش الإنقاذ، وقائدهم مهدي، يأتي كالقرد يطلب دجاجًا. أسميناه الملازم مهدي الدجاج، وكنا نعطيه. لشو الدجاج، فليأكلوا، صحتين على قلوبهم، المهم أن تبقى القرية، قرية بلا دجاج، أفضل من دجاج بلا قرية. لكن الدجاج لم ينفع يا بنتي، فحين هجم اليهود لم يحارب ملازم الدجاج!"

تألم باسل من إجابة الحاسوب التي عزفت على وتر النكبة الفلسطينية، وأراد جوابًا فطبع إعادة تحميل (Reload) وانتظر... فظهرت إجابة جديدة: "القرية بلا دجاج لا وجود لها، أما الدجاج بلا قرية فهو بالتأكيد دجاج المزارع الذي يعيش بلا حرية وبشكل بائس بانتظار الذبح والاستهلاك" "هذا جواب منطقي ولا يرتبط بسرد روائي تاريخي، قال في نفسه وأعجبه هذا "التمرين" فطبع كلمة حبر وانتظر برهة، وظهرت عبارتان: الأولى "الحبر في القلم" وهي منطقية، أما العبارة الثانية فبدت غريبة: "الحبر في الصرصور" ولم يفهم مغزاها إلا بعد أيام عند رصد صرصارًا صغيرًا يسقط من أحد ملفاته، ودعسه فورًا بقدمه وتبين أن السائل المنبعث من الصرصار كان حبرًا أسود، أو أشبه بالحبر، وفهم عندئذٍ لأول مرة لماذا ستبقى الصراصير والفئران بعد حرب نووية ماحقة؟؟

عاد لأفكاره الفضائية بعد هذه الاستراحة "اللغوية"، ثم تردد في كتابة الفقرة الأكثر أهمية في دراسته والتي هي في نظره مفتاح لغة الاتصال ما بين المجرات، ولكنه استدرك وخشي من سرقة فكرته متذكرًا تحذير البروفيسور نادر... وفجأة سمع نقرًا خفيفًا على الزجاج، فتمالك شجاعته وفتح الستارة وانعكس ضوء القمر على شبح شخص هارب، وبدا له من الخلف يشبه الشخص الغريب الذي لاحقه في المساء وهو نفسه الذي شاهده في القهوة، وتأكد له الشخص من منظر شعره المسترسل الطويل.

ذهب للنوم، وفكر في الموضوع الذي يستأثر على تفكيره: المطلوب دمج الذكاء البشري مع ذكاء الحاسوب... وحتى إذا ما أصبحنا قادرين على استلام أو إرسال رسائل كونية لحضارات تبعد مئات أو الآلاف الكيلومترات من السنوات الضوئية، فيجب أن لا نتوقع انسجام أفكارهم مع أفكارنا... يجب أن نجد أولاً لغة مشتركة! حلم بالشخص الغريب يتوعده طالبًا منه أن يتوقف عن أبحاثه، وإلا فسيتعرض للخطف...

استيقظ مرة أخرى بعد الثالثة صباحًا على صوت نقر خفيف على زجاج نافذته، وبدأ يشعر بجدية الأمر، ولكنه عنيد ولن يتخلى عن أبحاثه، ليفعلوا ما يريدون...

- ٥ -

على بعد الآلاف الكيلومترات وفي إحدى ضواحي مدينة ريودي جانيرو، كان البروفيسور نادر يطبع نظريته المستجدة حول الاتصال مع الحضارات الكونية:

ربما كنا نستطيع بواسطة الراديو أن نتعقب مسافات تصل لعشرة بلايين سنة ضوئية. ما سأطرحه في دراستي الجديدة أيها السادة قد يبدو خيالاً علميًا للوهلة الأولى، لذا أرجو أن تملكوا القدر الكافي من الصبر وأن لا تسخروا من فكرتي، فعلى بعد حوالي ١٠ كلم من نهر الأمازون وفي منجم مهجور للذهب، دفنت خزان محكم يحتوي على أربعمئة ألف لتر من مادة "البيروكلور إثيلين"، وهذه المادة كفيلة بتعقب جزئي "النيترينو" القادم من الفضاء، ولهذا الجزيء الحيادي قدرة الانتقال بنفس سرعة الضوء، وهو كما تعلمون بدون شحنة وبدون كتلة أيضًا بل وسريع التملص وقادر على

اختراق أربعة سنوات ضوئية من الرصاص قبل إيقافه... يتلخص غرضنا أيها السادة في الإمساك بجزء بسيط جدًا من كم هائل منبعث... ستقولون أيها العلماء الأفاضل: ما الجدية في نظريتك أيها المهووس؟ فكلنا يعلم أن جزيء "النيترينو" صديقك ينطلق أيضًا من المركز الشمسي المستعر ويصل للأرض بسرعة الضوء خلال ٨ دقائق فقط، وهو وحدة الاتصال الوحيدة مع النواة الشمسية المستعرة. ستقولون أيضًا إننا نحتاج لكتلة توازي عشر مرات كتلة الأرض لكي نرصد كمية كافية من أشعة "النيترينو" الموجودة بنسبة ضئيلة جدًا لا تزيد عن ٢٥ بالعشرة الآلاف...

لقد قمت بإجراء الحسابات اللازمة ووجدت أنه إذا أردنا رفع طاقة الرصد وزيادة الاحتمالية فيجب أن نبني خزانًا بحجم ١٠ كيلومترات مكعبة لكي نتمكن من رصد نيترينو واحد يوميًا... وأخيرًا فإني أقترح تجربة فذة تحتاج لتمويل دولي: بناء خزان من الفولاذ الخاص سعته ١٠٠ كيلو متر مكعب في مكان ما وأن نتعقب كفاءة رصده للنيترينو من خلال الجهة المقابلة من كوكب الأرض، بمعنى أن نترك النيترينو تخترق كتلة الأرض باتجاه الخزان... أصابه الدوار، فهذا الكلام يصيب حقًا بالدوار... بلغة أخرى فإنه يمكن القول إنه بهدف رصد النيترينو القادم من الفضاء للأرض يجب أن نقوم ببناء غرفة وزنها ألف طن من الفولاذ، أو غرفة فقاعات خاصة....

وفجأة سمع وقع اصطدام على سطح فيلته الأنيقة، فصعد من فوره إلى السطح، وشاهد حجرًا غريبًا لا يزيد وزنه عن نصف كيلو غرام وربما أقل من ذلك، كان مزيجًا من الألوان الليلكية والزرقاء المشوبة بالبياض مع لون بني متداخل مرصع بتشكيلات بلورية ذات بياض شائب... لاحظ أن هناك مصدر إشعاع باهتٍ يصدر من بين ثنايا الحجر الغامض، يتوهج حينًا ويخفت حينًا، ربما يكون حجرًا من بقايا نيزك احترق عند اصطدامه بالمدار

الأرضي، شعر حينئذٍ بالخوف والرهبة، وذهب للمنزل باحثًا عن قفازات رصاصية عازلة، وقلبه يدق بشدة، وصعد للسطح بعد أقل من عشر دقائق واندهش عندما لاحظ أن الحجر الملون المشع قد عاد حجرًا عاديًا يفتقد للتشكيل الجمالي كما رآه أول مرة! ماذا حدث؟ هل كان يحلم أم يتوهم؟... وماذا حدث للحجر الرائع الذي شاهده من قبل؟ على كل فقد حمل الحجر بحذر ووضعه في مختبره داخل "كمرة" زجاجية عازلة.

وما أروع أن يتناول الآن قدحًا من الشاي الساخن مع قليل من الكعك، ثم ذهب في نوم عميق، وحلم بالأشعة الملونة الصادرة عن الحجر النيزكي. وهي مسلطة مباشرة على عينيه، وكأنها تحثه على التخلي عن برنامجه البحثي، محذرة إياه من مغبة ما سيحدث له...

- ٦ -

عندما أقلعت الطائرة من مطار الدار البيضاء باتجاه نيويورك، لاحظ باسل ملامح الرجل الغريب عن بعد، وتأكد أنه ركب الطائرة معه، ولكنه فقد بعد ذلك أثره... وحاول مرتين أن يبحث عنه، فذهب للحمام الأمامي ثم للحمام الخلفي، وكان يرمق الركاب بنظرات خفية ممعنًا ومحاولاً أن يتأكد من وجود هذا الرجل على متن الطائرة، ولكنه لم يوفق في إيجاده.

لم يحاول كعادته أن يراجع "ورقة عمله" واكتفى بالاسترخاء وتناول قدحًا من الماء البارد، ثم بدأ يفكر: ما قصة هذا الرجل؟ هل هو شخص حقيقي أم مزيف؟ وما معنى التحذير الذي أبلغني به الدكتور نادر؟ وكيف علم أن شخص ما يسعى لسرقة بحثي؟

استيقظ من "أفكاره" على صوت المضيفة الجميلة التي رمقته بنظرات معبِّرة قائلة: الكابتن سليم ينقل تحياته لك سيدي، وهو يريد أن يتأكد إن كنا نستطيع تلبية كل طلباتك... فهل تريد شيء سيدي؟ وسره هذا التقدير غير المتوقع واحتار في الإجابة واكتفى بالقول: أنا شاكر لكم وممتن لخدمتكم المتميزة، ولكن لي طلب بسيط: هل لك أن تساعديني في البحث عن رجل طويل الشعر أشقر، صاحب عينين سوداويين، طويل القامة، يرتدي جاكيتة سماوية اللون وحذاء رياضي؟! أنا مهتم جدًا يا جميلتي بمعرفة فيما إذا كان مثل هذا الشخص موجود في الطائرة... وأرجو سيدتي أن لا تلفتي انتباهه، فقط أريد معرفة مكان وجوده والتأكد من كونه موجودًا.

فنظرت إليه المضيفة الجميلة باستغراب حيث لم تكن تتوقع طلبًا كهذا... وغابت لنصف ساعة تقريبًا ، وعادت لتخبره بصوت أقرب للهمس: سيدي لم أجد شخصًا كهذا وأخشى أن لا يكون موجودًا في هذه الطائرة.

حطت الطائرة في مطار كندي في نيويورك وكأنها تحط على أرض إسفنجية فلقد كان الهبوط سلسًا ، وكان بانتظار البروفيسور باسل شخص من الهيئة التحضيرية للمؤتمر وركب التاكسي باتجاه الأوتيل... وصل لردهات أوتيل ضخم فخم، وكم سره ملاقاته للبروفيسور نادر الذي حياه بحرارة، وبعد أن تبادلا المجاملات، أخبره نادر: سنلتقي في حفل الاستقبال مساء اليوم، فعندي قصة مثيرة لك، فأجاب نادر: وأنا عندي قصة مثيرة مماثلة... هكذا سنتبادل الإثارة! وفي المصعد لاحظ باسل أن رقم غرفة نادر هو ٧٧٧ ولاحظ الأخير أن رقم غرفة صديقه هو ٨٨٨ يا للصدفة الغريبة... وعبر نادر عن ذلك: يبدو أن مؤتمرنا سيكون مثيرًا... هكذا تبدو الأمور من بداياتها! وتساءل باسل في نفسه: أرجو أن لا يكون رقم غرفة صديقي "الأشقر" ٩٩٩.

كانت القاعة تعجُّ بالصحفيين ومندوبي وكالات الأنباء ومراسلي المجلات العلمية، وكانت تتميز بالفخامة والعظمة. حضر الافتتاح نخبة من العلماء المرموقين المتميزين في مجال التخاطب عبر الفضاء وباحثين في مجال الاتصال ما بين المجرات وخبراء الناسا... وعندما جاء دور البروفيسور باسل ركز في خطابه على طرح فكرته الجديدة، فقال:

الاقتراح البناء سيداتي وسادتي يكمن في إرسال رسالة قصيرة كل خمس دقائق بدلاً من إرسال رسالة ما مقتضبةً والانتظار لمئتي عام حتى نحصل على رد "مقتضب" آخر! ومن منا سيكون موجودًا بعد مئتي عام؟... ما أريد قوله أيها السادة الكرام هو أننا سنقوم ببناء مفردات التخاطب المشتركة حتى تبدو كلغة فضائية مفهومة يستطيع الطرف المستقبل فهمها، ويبدأ بالتجاوب. وحتى أكون أكثر وضوحًا فسألخص الموضوع حتى يفهمه السادة مندوبي المجلات العلمية والصحفيين: الدرب رقم ١ يوضح سمات الرسالة الأساسية وكيفية التزويد بالمعلومات، أما الدرب رقم ٢ فسيزود المتلقي بأسس المعرفة المطلوبة، بحيث يتم تأسيس أنسكلوبيديا كونية أو دائرة معارف... باختصار سنكون قادرين على تأسيس موسوعة كونية كل مئة عام بدلاً من انتظار رسالة واحدة يتيمة...

سيداتي سادتي... إن طريقة تفكيرنا القديمة بائسة وكوميدية في آن واحد فهي تشبه شخصًا يطرق باب منزل ما وهو لا يعرف قاطنيه ولا يعرف إن كانوا موجودين أم لا، متوقعًا الإجابة بعد مئتي عام هل يمكن تخيل هذا السيناريو العقيم؟!... الشيء الجديد في أطروحتي أيها السادة يتعلق بطبيعة هذه الموسوعة الكونية، فهي مشكلة من برامج حاسوبية تحتوي على كميات

هائلة من المعلومات، وقادرة على تزويد المتلقي بوسائل منهجية للوصول للبينات اللازمة، فهي تشرح كيفية صناعة وتجميع الحاسوب وكيفية برمجته وكيفية تلقي وتحليل المعلومات. إن ذلك أشبه بالشخص الذي يمتنع عن إقراضك النقود ويزودك بدلاً من ذلك بشبكة صيد لكي تصيد السمك وتعيل نفسك... والآن يجب أن لا نفاجئ إذا ما اكتشفنا أن استلام رسائل كونية عبر مئات أو الآلاف الكيلومترات من السنوات الضوئية لا يمكن أن يكون عاديًا، بمعنى أن لا نستغرب إذا ما اكتشفنا أن أفكارهم بعيدة جدًا عن أفكارنا وطريقة تفكيرنا... سأكون متفائلاً وأقول نحن ما زلنا في الخمسين سنة الأولى من تطور الحاسوب وقد وصلنا لمستويات مذهلة من المعرفة الحاسوبية، وما زال المجال مفتوحًا لتطورات مذهلة في هذا المجال، كذلك يجب أن لا نتوقع أن نحل مشاكلنا الأرضية المستعصية بواسطة نصائح الكائنات الفضائية، فلو نصحونا مثلا أن نعيش ضمن مجموعات مكونة من ١٢ شخصًا وثلاثة أجناس، فكيف نطبق هذا والجنس البشري مبرمج للعيش ضمن مجموعات مكونة من ذكر وأنثى وفي تجمعات سكانية مدروسة؟

إن أكثر ما سوف نستفيده من حضارات كونية متطورة هو الاقتراحات العلمية المتطورة مثل المشاريع الفيزيائية التي تصف مصادر جديدة للطاقة. أيها السادة... لقد ادعى البعض أن رسائل كونية سابقة قد وصلتنا عبر تاريخ الحضارة الطويل، والبعض يشكك في كتابات نيوتن وأهرامات مصر. وبالتأكيد سيظهر أنبياء مزيفين من الجنس البشري فور استلامنا لأول هذه الرسائل الكونية وسيطالب بعضهم بتطبيق الأفكار الكونية مدعيًا أنه مبعوث العناية الإلهية!

وما أن انتهى البروفيسور باسل من إلقاء كلمته حتى ضجت القاعة بالتصفيق ووقف الحضور... وشعر بروعة النجاح كما لم يشعر بها من قبل، وشكر

الله في سره، وهيئ له وكأنه شاهد الرجل الغامض ذا الشعر الأشقر الطويل بين الحضور، ثم عاد فركز نظره على المكان الذي شاهده فيه فلم يجده وبدا وكأنه اختفى فجأة، وبدأ يعتقد أنه يتوهم بوجود كائن كهذا... وما أن عاد لمقعده حتى فوجئ بالبروفيسور نادر يصافحه بحرارة:

- لقد أبدعت... ألم أقل لك أن طرحك سيكون جديدًا وخارقًا... هنيئًا لك جهودك، أخيرًا لقد أثمر عملك المضني طوال سنوات... رائع!

وقبل أن تبدأ محاضرة البروفيسور نادر، علق البروفيسور فولفغانغ من جامعة فرايبرغ الألمانية قائلاً:

- لأول مرة نسمع نظرية متكاملة حول لغة التخاطب الفضائي، لقد أخرجنا الدكتور باسل من الوهم الذي كنا نقبع فيه، "وهم" انتظار رسالة فضائية تقول: "نحن سكان الكوكب ٩٩٩× نود الاتصال بكم"... لقد قضى بجهده وبمقربته على وهم سذاجتنا.

شعر باسل بالفخر من إطراء أستاذ فلك متميز كالبروفيسور "فولفغانغ"، ولكن ذلك لم يمنعه من تبادل ابتسامة خفية مع نادر لا يستطيع شخص ثالث أن يفهم مغزاها وتتعلق بالرقم ٩٩٩

- ٨ -

وعندما جاء دور الدكتور نادر قال:

بالحق يبدو عملي وكأنه استكمال لعمل زميلي البروفيسور باسل، فهو يتحدث -أي باسل- عن اللغة، وأنا أتحدث عن وسيلة إيصال اللغة الكونية، بمعنى هو يتحدث عن القواعد والمفردات وآلية الفهم المشترك، وأنا أتحدث عن ذبذبات الصوت وقدرة النطق السليم عند طرف، وإمكانية السماع والاستيعاب عن الطرف الثاني.

واستطرد قائلاً : المطلوب سيداتي وسادتي بناء مشروع ضخم يتكون من خزان فولاذي هائل سعته مئة كيلومتر مكعب ، وذلك لاستقبال دفقات جزيئات النيترينو حيث تتحرك هذه الجزيئات البالغة الضآلة بسرعة الضوء، أي أنها تصل الأرض خلال ٨ ثواني فقط، ونحن أيها السادة الكرام لا نتأثر إطلاقًا بأشعة جزيئات النيترينو ، بل تخترقنا بكل بساطة، وحتى لا تشعروا بالممل والضجر فإني سألخص أهم ما في محاضرتي كما يلي: هناك احتمال أن تختار حضارة كونية ما النيترينو كوسيلة للاتصال بكوكبنا ، لذا يجب الاستمرار بتجميع البيانات بشكل منتظم ومنهجي للحصول على كم كافي يسمح بالإيحاء بوجود إشارة ذكية قادمة من الفضاء الخارجي... وبالرغم من التكاليف الباهظة المترتبة على مشروع توليد ورصد هذه الإشعاعات وبالرغم من عدم حساسية هذه الطريقة، إلا أنها الطريقة السريعة الوحيدة... وأنهى كلمته بأسلوب درامي مهيب يطابق أسلوب عالم الفضاء الشهير "كارل ساغان" فقال: إننا على أعتاب فجر جديد... إننا في بداية زمن النيترينو!

وما أن أنهى كلمته حتى ضجت القاعة ثانية بالتصفيق الحار ، وسأل البروفيسور فولفغانغ مستفسرًا:

– وماذا عن موجات الراديو دكتور نادر؟

فأجاب بسرعة بديهية ملحوظة :

– النيترينو أولاً حتى نحدد مراكز الحضارات الكونية ونتلقى الرسائل الأولى ومن ثم الراديو وتطبيقات لغة البروفيسور باسل، بمعنى آخر "النيترينو يمثل جرس الباب ولغة الراديو هي الإنتركم أو الهاتف الداخلي"!

وهز فولفغانغ رأسه موافقًا...

ثم انتهى المؤتمر ، وصدرت توصيات نهائية تؤكد على أهمية التعاون الدولي وتخصيص الموارد المالية وتكثيف الجهود العالمية لدعم أبحاث الأساتذة

"باسل ونادر وفولفغانغ"، حيث قام الأخير بطرح نظرية جديدة متكاملة تتعلق بسيكلوجية المخلوقات الفضائية والآلية المتوقعة للتعامل معها. كذلك فقد تمَّ تسليم جوائز تقديرية رفيعة للعلماء الثلاثة، وتبادلوا الأنخاب ورفض العالمان باسل ونادر تناول الشمبانيا (الخمر الفوارة) بل تناولوا ماءً غازيًا بطعم فاكهة الفراولة بدلاً منها.

وقبيل انتهاء حفل الاستقبال، انضمت عالمة حسناء للعلماء الثلاثة، وبرق جمال فاتن من خلال عينين بنيتين واسعتين وقالت بثقة كبيرة:

– عندي سؤال لكم الثلاثة: ماذا عن الأطباق الطائرة التي نسمع عنها يوميًا ؟ وهل ينسجم وجودها مع الأطروحات التي سمعناها؟ وهل يعني وجودها إن كان حقيقيًا أن حضارة فضائية ما قد نجحت في اختراق قوانين الفيزياء الفلكية كما نعرفها، أم أنها ملائكة ضوئية ذات طبيعة روحانية أم هي حالة تخاطريه للعقل البشري الجمعي؟ أم ماذا؟

كان سؤالها مدهشًا وعميقًا ويحمل في طياته إجابة خفية، حتى أن الثلاثة عجزوا عن إيجاد إجابة دقيقة، فاكتفى البروفيسور فولفغانغ وهو أكثرهم تخصصًا بالموضوع وقال:

– سأعطيكِ عنواني ورقم موبايلي، أرجو أن تتصلي بي على الإنترنت، وسأزودك بمعلومات قيمة، كما أنني مهتم جدًا بوجهة نظرك، وبالتأكيد فستحضرين مؤتمر الأطباق الطائرة المنوي عقده في كندا في الصيف القادم، بالتأكيد سأشاهدك هناك.

وفهمت العالمة أن البروفيسور يتملص من الإجابة، فأرسلت على الفور إيماءة إيجابية وابتسمت بعذوبة فائقة، حتى أن نادر قال في نفسه: لم أرَ سابقًا عالمة تتمتع بمثل هذا الجمال الفتان... وهل هي حقًا عالمة؟

أصرَّ الدكتور نادر على مرافقة الدكتور باسل له في رحلة العودة لريودي جانيرو، وهيئ لباسل للمرة الثالثة أنه شاهد مجددًا الرجل الغامض على متن الطائرة... وبدأ يعتقد أن الموضوع جدي وأن الرجل يتبعهما، وما أن وصلا بسيارة الشبح إلى فيلا البروفيسور نادر، حتى لاحظ باسل أن هناك رجلاً أشقر الشعر طويل يركض حاملاً شيئًا ما، وأخبر نادر بذلك:

- إنه نفس الشخص يتبعنا، لقد استقل الطائرة من الدار البيضاء، وشاهدته في المؤتمر، وها هو في ريودي جانيرو يسرق شيئًا من فيلتك الأنيقة! يبدو الموضوع جديًا للغاية.

ولكن نادر تجاهل ملاحظات صديقه، قائلاً:

- إنه تعب السفر والتفكير، سأعد لك وجبة شهية وشرابًا منعشًا، ثم سنتمشى وسترى كم هي جميلة ريودي جانيرو.

وما أن وصلا إلى الفيلا الأنيقة وتناولا الشاي الأخضر، حتى لاحظ البروفيسور نادر سرقة الحجر النيزكي الذي تحدث عنه للبروفيسور باسل وصرخ قائلاً:

- يبدو أنك كنت محقًا... لقد سُرق الحجر!

أجاب باسل:

- هذه ليست تهيؤات وأوهام كما كنا نعتقد، أعتقد أن الرجل والحجر قد قدما ربما من مكان ما خارج كوكبنا، وما ظهورهم واختفاءهم المفاجئ وبهذا الشكل إلا رسالة ذكية بالغة الدلالة، عسى أن نستطيع فهمها وفك ألغازها.

وبالفعل عندما دخل نادر على بريده الإلكتروني، ظهرت رسالة غريبة من كوكب غامض يسمى "تاوسيتي" وعندما فعلها ظهرت الرسالة التالية:

نحن سكان كوكب تاوسيتي ، تابعين لنجم الدجاجة ، يغطينا ضباب كثيف ، ونعاني من بداية تحول شمسنا "الدجاجة" لقزم أبيض ، وهذا مؤشر على وجود ثقب أسود قادر على ابتلاعنا وسحقنا نحن وحضارتنا ، نحن نعاني من أشكالنا الحشرية المظهر وثقلنا فنحن نزن أطنانًا ، ربما بفعل تأثير الثقب الأسود ، وبالرغم من شكلنا البائس إلا أننا نتمتع بذكاء باهر ، وقد أرسلنا قمر اتصال اقترب من مجرتكم "درب التبانة" ، وأرسل أشعة "النيترينو" حتى تصلكم إشارة الاستغاثة وتقوموا بالتقاطها دون جدوى! فقد اختلطت هذه الأشعة مع الأشعة القادمة من شمسكم ولم تستطيعوا تمييزها ، فالرجاء أنقذونا... نستحلفكم بالله العظيم الذي هو الإله الأوحد لكافة المخلوقات في هذا الكون الشاسع... لقد نجح قمر اتصالنا في قذف حجر مشع من كوكبنا باتجاه أرضكم حتى تنتبهوا لنا ، قد نفيدكم في مجال استخلاق أنواع جديدة من الطاقة لا معرفة لكم بها. فقد استطعنا استنباط طرق كثيرة للاستفادة من الطاقة الكونية ، كل ما نريده أن لا تختفي حضارتنا التي قضينا الآلاف السنين في بناءها وعبر أجيال لا تحصى من جنسنا ... لقد أرسلنا عشرة أشخاص على متن قمر الاتصال القريب من مجرتكم والمطلوب منكم إنقاذهم... قبل أن يتعرض القمر للاصطدام بأحد المذنبات... نعرف بوجود حضارة منافسة لكم ، أناسها يشبهون أناسكم بشكل كبير ، وليس من مصلحة هذه الحضارة الشيطانية اتصالكم بنا ، حتى لا تلموا بمصادر الطاقة الجديدة...

ثم انقطعت الرسالة بشكل مفاجئ بعد أن تركت العالمين في حالة اندهاش وذهول... وظهرت مجموعة حروف على الشكل التالي: "ها ها ها هههههها ها ها ها ها"! وكأن شخص ما يسخر واستمرت الحروف متتابعة: ها ها ها ها ها ... ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها ها... ها ها ها ها ها ها... وظهر توقيع غريب باسم: طائفة البقرة النافقة

وتبع ذلك تعليق لا ينسجم مع فحوى رسالة الاستغاثة، وكان على النحو التالي :

.... من الصعب تصور أن حفنة من أفراد يقيمون في كوكب صغير يدور حول نجم تافه في مجرة صغيرة يتخذون لأنفسهم هدفًا هو الفهم الكامل للكون بأسره، بل ويسعون لإنقاذ حضارات هالكة ... ها ها!!

وقف نادر وباسل وقد سيطر عليهما الخوف لأول مرة ناهيك عن الدهشة والاستغراب، وبدأت الأسئلة تغزو عقلي الباحثين

- من هو الرجل الأشقر الهارب؟
- ما سر الحجر المشع؟
- هل هذه رسالة حقيقية من أشخاص هالكين في كوكب "تاوسيتي"؟

أم أنها مزحة ثقيلة من متسللي كمبيوتر "هاكرز عابثين" يحملون اسم "طائفة البقرة النافقة"؟ وهل قامت هذه الطائفة بوضع فيروس سيقوم بالعبث في كافة برامج البروفيسور نادر على طريقة هجوم "حصان طروادة"؟

كل هذه الأسئلة بدت للوهلة الأولى بدون إجابة، ووضعت العالمين في حالة مزعجة من القلق والحيرة... وقبل أن يلفهما اليأس بظلامه وتطغى الكآبة على تفكيرهما، لمعت في ذهن الدكتور باسل فكرة نيرة فقال:

- هل تعرف أن طاقة هائلة يمكن أن تستخلص من الثقب الأسود الدوار، وهؤلاء إن كانوا حقًا موجودين، يمكن أن يزودونا بالتقنية التي توصلوا إليها... هكذا يمكن أن نحصل على شعاع خارق يضعنا في أفق كوني جديد، ويطلق العنان لحضارتنا المحصورة لكي تنطلق في الفضاء الكوني الرحب وتسود ... يجب يا عزيزي نادر أن نبذل قصارى جهدنا للاتصال بكوكب "تاوسيتي" هذا... يجب أن ننقذ رجالهم على قمرهم الضائع، وإلا سبقنا إليه هذا "الأشقر الشرير" ودمرهم... استعدادًا لتدمير حضارتنا البشرية فيما بعد!

فأجاب نادر :

– إذن ، فأنت تعتقد أن الرسالة ما هي إلا دعوة استغاثة وطلب إنقاذ حقيقي وليست مجرد مكيدة سخيفة "لطائفة البقرة النافقة."

فأجاب باسل بذكاء حاد :

– أعتقد أن هناك تداخلاً وتشويشًا ، فالرسالة حقيقية وربما تداخلت مع رسالة "الطائفة" في تتابع عشوائي.

وحتى تزيد حيرة العالمين ، فقد ظهرت على الشاشة مربعات حمراء ، واختفت تدريجيًا ، وظهرت مكانها صورة الرجل الأشقر وهو يحمل الحجر المشع ، وبدت نظراته حافلة بالتحدي والسخرية ، وظهر تعليق أسفل الصورة يقول :

لنرى من الأذكى ؟... نحن أم أنتم... لنرى من الأكثر قدرة على سبر أسرار الكون ؟.. عقلنا أم عقلكم ؟!... هل تعتقدون أيها السذج أننا سنسمح لكم بإنقاذ ما تبقى من كائنات "كوكب تاوسيتي" ؟ هل تتوقعون أن نعطيكم الفرصة لتطوير "طاقة هائلة" لتسمح لكم بالخروج من كوبكم والتنقل بحرية في المجرات ؟... لا... اذهبوا إلى الجحيم وابقوا في صراعاتكم التافهة ودمروا بعضكم بعضًا... هل تتوقعون أن تسيطروا على الكون وأنتم تحتقرون بعضكم بعضًا بهذا الشكل الكريه الذي نراه على شاشة محطتكم الفضائية التي تسمى "سي إن إن" ؟!

نصيحتنا إليكم : قبل أن تنطلقوا خارجًا وتهيمنوا ، أن تحاولوا أولاً حل النزاعات فيما بينكم بالطرق السلمية ، وأن تستخدموا العقل والمنطق...

مرة أخرى اذهبوا إلى الجحيم وابقوا هناك...

ثم ظهرت مربعات سوداء ، وظهر ظلام حالك امتد من الشاشة ليشمل الغرفة وكأنه ثقب أسود امتص الضوء ، وانتقل الظلام تدريجيًا لعقلي العالمين الفذين فتوقفا عن التفكير ، وقد تملكتهما حيرة شديدة!

(٩)

شاحنة الـمـوت

(قصة واقعية ذات مغزى)

اهداء إلى ابني الحبيب باسل (٩٨/٥/١٢)

نام مرهقًا، تخيل الجنين المتكون في أحشاء زوجته، فكَّر بعملية الاغتيال التي تتم في وضح النهار، وبالحشود العسكرية المتكالبة، وتذكَّر صورة الكلب الرئاسي الأسود الذي تساوي قيمته قيمة ألف إنسان، ثم انتقل بتفكيره للوظيفة الروتينية ولنكد الحياة اليومي... فكَّر بإيقاع الزمن، وبالصوت الميكانيكي لدقات الساعة، وكأنها جرس إنذار بخطر الشيخوخة والموت القادم لا محالة... فكَّر بسيارته القديمة، وسرح بخياله فتخيل نفسه مستثمرًا كبيرًا في أسواق المال العالمية... حتى عندئذٍ لن يكون سعيدًا، لأنه سيقضي ليله أرقًا يفكر في العقارات والأرصدة والاستثمارات، وماذا لو انهارت البورصات العالمية وفقد عندئذٍ ثرواته الخيالية ؟

قرَّر أخيرًا أن ينام مطمئنًا ويلوذ بإيمانه، فقد تصالح أخيرًا مع الله، وتذكر أنه حقَّق أعظم انتصار له في الحياة منذ حوالي عشرين عامًا، عندما تفاوض مع الموت، وقد نجح في إقناعه بأن يتركه لحال سبيله ولو مؤقتًا على الأقل فقد استدرك مرعوبًا أنه كان يجب أن يكون ميتًا وعظامًا رميمة فقد تجاوزته حينئذٍ شاحنة هائلة كادت أن تسحق سيارته المازدا الرياضية على أطراف الربع الخالي، فقد أخطأ التقدير عند الغروب وضلله بصره المرهق، فتخيل

الأضواء الباهتة للشاحنة القادمة باتجاهه وكأنها تسير على نفس المسرب أمامه، فتخطى بثقة الشاحنة التي تسبقه، وفوجئ متأخرًا عندئذٍ بقدوم "شاحنة الموت"، فتفاداها برباطة جأش نادرة لا يعرف من أين أتته... وداس بعنف على المكابح منحرفًا باتجاه كتف الطريق الترابي، متفاديا بإنشات إصطدامًا مروعًا مرعبًا، وقد نتج عن انحرافه المفاجئ السريع ودوسه العنيف على المكابح اهتراء كبير في الإطارات وفقدان لافت لاتزان السيارة... فأكمل الرحلة لمكان عمله في بلدة صحراوية منسية بالطرف الشرقي، وكان جسمه كله مع يديه يرتجف مع ارتجاج مقود السيارة (بسبب اهتراء الإطارات)! إذن فقد نجا من موت محقق ، فلابد أن يكون هناك مغزى من ذلك ، فهل يحمل يا ترى رسالة إنقاذ ؟!

دخل المطبخ لتجهيز الشاي، فشاهد على "شبك" النافذة المعدني المغبر سحلية رمادية ضخمة تلتهم فراشة كبيرة ملونة، ثم شعر بوجود صرصار أشقر كبير بدا وكأنه يراقب بحذر مشهد الافتراس، فأصابه اشمئزاز، وعندما غلي الماء، اقترب خلسةً من الصرصار وسكب الماء الساخن فوقه بهدوء، فسمع حشرجة ألم قاتل... ثم جلس يرتشف الشاي، ويداه ما زالتا ترتجفان بإيقاع بطيء، وفكر بفلسفة وتحذلق:

– ما نفع السحلية والفراشة والصرصار؟ ولماذا خلقها الله؟ وهل سيأتي يوم تنتقم فيه الفراشة من السحلية والصرصار من الإنسان؟ ومتى سيتم تبادل الأدوار بين الضحية والجلاد؟

ثم فكَّر بواقعية :

– بما أن الموت حق ويمكن وقوعه في أية لحظة وأي مكان { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ }، إذن لأكتب وصيتي.

تناول ورقةً وقلمًا وكتب عدة مسودات ومزّقها ، وعاد لكتابة العبارة التالية:
- إني ابتدأتُ ثريًّا وعدتُ هباءً منثورا ! إذن اكتبوا هذه العبارة على شاهد قبري بعد أن تكتبوا { إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ }.

ووضع الورقة في غلاف وكتب :
- (وصيتي... لا تُفتح إلا بعد موتي).

القسم الخامس

قراءة في نماذج من كُتب الخيال العلمي

٢٠٨٤ / حكاية العربي الأخير ٢٠٨٤ - لـ واسيني الأعرج

لا غلبة في النهاية إلا للزمن





سرد سينمائي روائي شيق وفريد وعميق واستبصاري

لمصائر الشخصيات والأمم وتنبؤات كارثية

متعة القراءة لقوة السرد في هذه الرواية الفريدة ذات النفس الروائي العالمي تتماثل مع الروايات العالمية الكلاسيكية، وهي تحفل بالحِكم والأحداث والتنبؤات المستقبلية المثيرة للجدل : بؤس آرابيا والتنظيم المرعب والنهاية الكارثية وعلاقة العالم "آدم غريب" مع الذئب الأسطوري "رماد" ومصائر / الليتل بروذر (العنصري) وسميث (الإنساني) والكوربو قائد التنظيم الجبار/ وماذا فعلت –البوكيتبومب– الماحقة ؟!

- أتمنى أن لا يحدث هذا، عربي ويفكِّر، العربي الجيد هو العربي الميت!

- ماذا كان ينقص سكان آرابيا؟ الرخاء والنفط والذهب واليورانيوم وخيرات الأرض من حديد وفوسفات وذهب وسواحل بعرض السماء، فراحوا يخوضون كل الحروب الخاسرة... هناك أُمم لا تملك قابلية الاستمرار بالزمن... فلا غلبة في النهاية إلا للزمن.

- الآرابيون الضائعون يأتون وينضمون إلى التنظيم إلى يوم يأتي دورهم... لكنه صمَّم أولاً أن يسافر إلى آرابيا الغربية، التي كانت تتذابح فيها الصراعات الاثنية واللغوية والجهوية، فالجهلة جعلوا من هذه الأرض مرتعًا للضباع والوحوش الضارية.

- يتزوج المال والجهل والتشدد الديني الأعمى الذي يتحول إلى سلاح القتل، يحدث هذا سلسلة من القتلة الذين تناموا مع الزمن، ووجدوا ليس فقط من يدعمهم، ولكن من يحولهم إلى قنابل موقوتة ضد ماضيهم.

- عندما قام الآرابيون بثورتهم كبقية الشعوب قتلوا أنفسهم أولاً، وغرسوا السكاكين في اللحم الحي من أجسادهم، ثم أكلوا رؤوس بلدانهم وبعدها خلقوا فراغًا ظنوه الديموقراطية، ويوم استيقظوا وجدوا أنفسهم مجموعات يقتلها العطش والصحارى والثعابين، كالعمران الذي شُيِّد على الرمال، وفي ثانية واحدة انهار كل شيء.

- قرن من الزمان تعلمت منه الكثير، ومنه أن العدو إذا أردتَ أن تدمِّره فإما أن تمحوه أو ترجعه إلى بدائيته الأولى.

- يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكن صيرورة العالم تسير وفق نظام التمزق الذي مسَّ العالم كله.

– مخترع البوكيت بومب (العالم آدم غريب) يعود لمزاولة أبحاثه العلمية في مكان سري في أمريكا... أنت تعرف أني ضد اشتغالك على مشروع القنبلة الناعمة ، أنسنة الجهود النووية ، هل من الضروري قنبلة ذرية مصغرة ومخففة ومحدودة الحلقة والفطر ؟ ولكنها في النهاية قاتلة بشكل بشع... كل شيء يتحدد في الأفكار الأخيرة، "البوكيت بومب" فكرتها كانت نبيلة... ماذا لو فكر ترومان أول مرة بهذه الطريقة قبل أن يلقي "ليتل بوي" على هيروشيما ؟!

ويكشف الكاتب معلومات جديدة لافتة عن كارثة "الهجوم النووي":

– الذي ينساه الناس هو أن القنبلة النووية قتلت هذا العدد المخيف في الثواني الأولى من سقوطها على رؤوس الناس ، ماذا لو ركبت اليابان رأسها وتعنتت؟ قائمة المدن المؤهلة للإبادة وقتها كانت كثيرة... (ص.١٨٨)

– أستطيع أن أقول إن فكرة امتلاك قنبلة صغيرة أصبح أمرًا ممكنًا ، بعد أن كان مسألة معقدة. كأنكم لستم سعداء بالانتهاء من مشروع قنبلة الجيب الذي سيخفِّف من مساحات الموت عند الاضطرار إلى استعمال القنبلة الذرية... سيأتي من يحمل قنبلة نووية بحجم القنبلة اليدوية، ويفجِّرها في سوق عام أو مول واسع تعبيرًا عن منتهى يأسه.

– مطر ناعم يتهادى على أرضية الملعب ، شمَّ رائحة الياسمين ثم عطر البرتقال، ثم مزيجًا من البنفسج والبرتقال والياسمين.

–... فهو سيد السلام مع رفقاء مخبره الذين استطاعوا أن يتحكموا في الإشعاعات الخطيرة مما يسهل اليوم استعمال الأسلحة الفتاكة في دوائر ضيقة ضد كل من يهددون السلام العالمي والإنسانية.

– قرن من الزمان تعلمنا منه الكثير، وفيه أن العدو إذا أردت أن تدمِّره إما أن تمحوه أو ترجعه إلى بدائيته الأولى... البدائية فيها متعة أن ترى البدائي يقتل أخاه على لُقمة خبز، والاستيلاء على أرض لا تنجب إلا الرمال والرماد، أو يقاتله من أجل مصلحة ميتة... الإنسان كلما تهتك داخليًا زادت أنانيته.

– سيبدأون بتصنيع نموذجين أساسيين تجريبيين: الأول باليورانيوم والثاني بالبلوتونيوم، وبعدها تتضح أمور التصنيع النهائي، لأن الميدان هو الذي يكشف خصائص الأشياء وحدود النظرية.

ويصوِّر بعدسة سينمائية وبراعة وصفية روائية دقيقة تفاصيل الهجوم النووي الأخير:

– أغمض عينيه لكي لا يرى شيئًا. فتطايرت كل الحيطان والحصون العالية المكونة للقلعة الكبيرة. عندما اقتربت المروحية قليلاً، طلب الطيار ارتداء اللباس الأبيض والأقنعة المضادة للمواد الكيماوية والإشعاعات. كانت القلعة والناس بالداخل يركضون في كل الاتجاهات. فجأة، رأى تحتهم طائرة بدون طيار أطلقت شيئا. انفجر، فاهتزت الطائرة نفسها التي كانت على مسافة بعيدة، ثم رأى الأدخنة تكوِّن الحلقة التي غطَّت القلعة كلها. انقطعت شبكة الإرسال.

– البيغ بروذر لا يعرف شيئًا. لقد تفسخ وترك البلاد أيضًا تتفكك بين الأوروبيين واللاتينو والسود. لا بد من العودة إلى الصفاء العرقي إذا أردنا أن نستمر... هتلر كان البيغ بروذر الوحيد الذي عرف كيف يحافظ على نقاء الجنس والعرق.

ثم يستخدم كاتبنا المبجل مهارته الوصفية الخارقة كعدسة سينمائية تلتقط كل التفاصيل الدقيقة مستخدمًا خياله الخصب، وتتماثل لحدٍ بعيد مع مشاهد هجوم الدب الكاسر على بطلنا السينمائي الوسيم"ليوناردو دي كابريو"...هذه المشاهد الفائقة الواقعية والإبداع في التحفة السينمائية "العائد من الموت" والتي حققت للفيلم ربما جائزة الأوسكار، ولكن الموقف المؤثر هنا (عكس مشاهد الفيلم الوحشية) بدا وديًّا وحميميًا للغاية، فهذا الذئب الخرافي هو رفيق وصديق البطل الأزلي الذي يبادر بإنقاذه من موت محقق:

- بدا صوت رماد بعيدًا ومكتومًا، كأنه يأتي من خلاء موحش وبلا نهاية...

- تشمَّم رماد (اسم الذئب في الرواية) آدم طويلاً (هو عالمنا النووي العبقري وبطل الرواية)، قرَّب وجهه من وجهه، أغمض آدم عينيه لأول مرة، شعر براحة واستسلام غريبين، شمَّ رائحة أخر أجداده، مزيج من الصنوبر البلي ونبتة المارمان القوية، ورائحة نوار الخزامى... اقترب منه رماد أكثر ، ثم لحس كل جروحه التي كانت تنزف دمًا حارًا، أخذه بين فكيه، ثم قلبه على ظهره، لعق الدم من جديد الذي كسا جسده كله، كأنه كان يستعد لافتراسه وتمزيقه... ثم أصغى من جديد إلى أنفاسه، تأكد من أنها لا تزال حية، نظر يمينًا وشمالاً... ثم سحبه إلى الوراء، بعيدًا عن الأرض والماء، قريبًا من غابة النخيل... لا تذهب وحدك نحو مدافن الرمال الحارقة، أريد أن أموت معك في عاصفة واحدة وجنون أخير.

- يدرك آدم وفق ما رواه الأجداد الذين ينحدرون من السلالة، أن رماد لم يكن حيوانًا عاديًا، لم يكن ذئبًا مميزًا عن بقية الذئاب، لم يكن طوطما هنديًا، بل أكثر... كان إلهًا قديمًا.

- عرفها من عطرها، مزيج من رائحة الفراولة والكليمونتين والبنفسج البري... صافيتا... امرأته الوحيدة التي ارتسمت في دمه، وظلت فيه. تلك

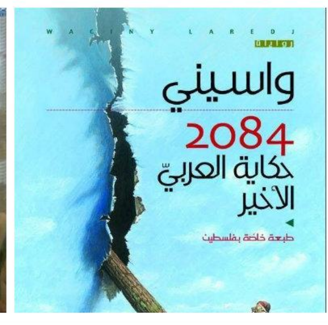
التي تشبه عيناها عيني "الذئب رماد" في كل ألوانهما التي تميل نحو صفرة معاندة، وفي غموضهما.

– قبل أن ينطفئ النور في عينيه للمرة الأخيرة، سمع انفجارين قويين... رأى بعدها مياه السد الأزرق تعلو شيئًا فشيئًا حتى تصل السماء، في شكل آلاف ، ملايين، بل ملايير الفقاعات من الزبد، كما لو أن الصور كانت تمرُّ أمام عينيه بالتصوير البطيء، مصحوبة برائحة الكبريت والبارود الأسود والحموضة التي تجفِّف الحلق. (ص.٤٤٥)

وينهي روايته الشيقة بأسلوب "هوليوودي" معهود:

– طغت أناشيد هندل قبل أن يكسرها صوت "مسينحر" توني نيلسون الصارخ: بسرعة يا ايفا إذا أردتم إنقاذ آدم. يونا ليس هذا وقت البكاء. لا بد أن تحمله الآن ، إنه حي، لكنه ينزف، وبدأت أعضاؤه تتيبس بسبب البرد والثلج. جيد أنه ما يزال يتنفس. بسرعة. لا وقت لدينا، قبل أن تكبر العاصفة ويدركنا غبار الانفجار الثقيل. (الصفحة الأخيرة ٤٤٦)

سيناريو سينمائي عالمي وخيال علمي "متسرع وغير منطقي"







استمتعتُ كثيرًا بقراءة هذه الرواية "السياسية- الخيالعلمية" ذات النفس التشويقي العالمي الرؤية، والتي لا نعهد كثيرًا مثلها في سوق الرواية العربية الغزير الإنتاج ، وقدَّرتُ كثيرًا منهجية السرد العالمية الأسلوب والنهج واستناده لمراجع عديدة تاريخية وعلمية، وقد أثارتني حقًا فكرة تحول القنابل النووية المرعبة لمجرد قنابل جيب صغيرة (بوكيت بومب) محدودة التأثير والتدمير والحلقة.

تطرح فكرة هذه الرواية الاستبصارية الجريئة إمكانية دخول العرب لمساق "البُعد السياسي- الخيالعلمي" الذي اشتهرت به السينما الأمريكية حصريًا ، وما يلزم هنا بالتعاون مع الكاتب القدير وجود سيناريو مواز ومُخرج فذ وتمويل إنتاجي سخي، وكل هذه العناصر متوفرة لو توفرت الإرادة والرغبة بالمغامرة، وفيلم كهذا جدير بخلق وعي تنويري هائل في عالم تحكمه وسائل الإعلام والميديا والتواصل الاجتماعي والسينما... وأرجو أن تكون هذه الفكرة قابلة للمناقشة.

ولكن استفساري الجوهري ينحصر هنا بتوضيح المغزى من ابتكار شيء مماثل كـــ"البوكيت بومب" إذا كانت هذه القنابل ستفقد خاصيتها الوحيدة المتمثلة بالدمار الشامل، وما المغزى من تحولها لمجرد قنبلة صغيرة ذات قوة تدميرية كبيرة ومحدودة التأثير وذات إشعاع جامح مسيطر عليه؟!... ثم ما المغزى حقًا من صناعة سلاح مماثل يلغي فكرة الردع الشامل، ويسهل للإرهابيين العالميين المجانين إمكانية الحصول عليها واستخدامها؟

أسئلة لم أستطع أن أجد إجابات شافية عليها.

- **هوامش معرفية:**

٢٠٨٤ / حكاية العربي الأخير... نص يلقي بقارئه في أتون ما يرانا عليه واسيني بعد نصف قرن ، حيث يصنِّف العربي ككائن مهدد بالانقراض. رواية قيامية يتمنى كاتبها في أول صفحة منها، أن تخيب نبوءة قلمه قائلاً:

"أتمنّى أنْ لاَ يَحدُثَ هَذا"... مجرد صرخة قبل فوات الأوان. أعرف سلفًا أن المعني بها تحديدًا ، لن يسمعها أبدًا.

صدرت إلى الآن ثلاث طبعات لهذه الرواية:

- الطبعة الجزائرية: صادرة عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (نوفمبر ٢٠١٥)
- الطبعة العربية: صادرة عن دار الآداب – بيروت (ديسمبر ٢٠١٥)
- الطبعة الفلسطينية: صادرة عن الدار الأهلية – فلسطين (فبراير ٢٠١٦)

تنتهي الرواية بالميجر نيلسون مناديًا بإنقاذ آدم قبل أن يدركهم غبار الانفجار النووي الثقيل ، انفجار البوكيت/ بومب ، الذي سيقضي على التنظيم والإرهاب، فهل يصدق هذا التخييل الروائي للمستقبل؟ وهل يصح إذن في رواية «٢٠٨٤... » ما قاله نعوم تشومسكي في رواية أورويل الشهيرة (١٩٨٤) : «إن نبوءات أورويل قد تحققت ، وإن ما حذرنا منه قد وقع بالفعل، على الأقل في جوهره»؟

- ومن السائد أن الناشر اقترح أن يُعكَس الرقمان الأخيران لسنة إنجاز أورويل للرواية ١٩٤٨ ليكون عنوانها «١٩٨٤». ومن هذه الرواية جاءت إلى رواية واسيني الأعرج (٢٠٨٤...) شخصية بيغ بروذر، ليكون احتفال ليتل بروذر بمئوية جده. فبعد مائة سنة من تاريخ عنوان رواية أورويل، يقوم في رواية الأعرج احتفال الحفيد، فهل النسب بين الروايتين هو ما بين الجد والحفيد؟

- يدخل واسيني في هذه الرواية منطقةً محرَّمةً، إذ يضع الغربيَّ الحالي، والعربيّ أيضًا ، أمام المرايا التي تُظهر تناقضاتِهما أمام حداثة انتقائية في كلِّ شيء. لن يكون العربي الأخير، في قلعة أميروبا الغامضة الواقعة بين مضيق هرمز والبحر الأحمر، في عمق الربع الخالي، أُمِّيًّا، أو جاهلاً، أو بدائيًّا، بل سيكون عربيًّا في صميم الدقّة التكنولوجيّة. آدم، وهو عالمٌ في الفيزياء النوويَّة والمشرف على تنفيذ برنامج قنبلة نوويَّة مصغَّرة في بنسلڤانيا، يتعرَّض لعمليَّة اختطاف في مطار رواسي بباريس، تشترك فيه ثلاثة أطراف: تشادو، المتخصِّص في قتل علماء الذرَّة العرب؛ و"التنظيم"، وهو الجهاز الإرهابيّ الغامض الذي تحوَّل إلى قوَّة ضاربة لكلِّ ما له علاقة بالحياة والفنّ؛ وFBI لأنَّ آدم ينتمي إلى مخبر أميركي وتجِب حمايته...

ماذا سيحدث للعربيّ الأخير في دوَّامة الموت والاختطاف؟ كيف سيكون مصيرُ ليتل بروز المريض بعنصريَّته الذي ظلّ يحلم برتبة ماريشال؟ ما مصير سميث الذي اختار مسلكَ القيم الإنسانيَّة العالية؟ كيف ستكون ردَّة فعل الكوربو، قائِد التنظيم؟ وهل سيقاوم رمادَ الموت البطيء الذي فُرض عليه؟

مُنجز روائيّ كبير لرحلةٍ في عصرٍ اتسمَّ بالانقلابات الكبرى على الإنسان نفسه وبالإرهاب الأعمى.

يتنازل الكاتب عن حقوقه المادِّيَّة للأطفال المرضى بالسرطان

حرب الكلب الثانية - لـ إبراهيم نصر الله

تخبيص خيالي وعبث روائي وسرد سطحي لا منطقي



أعتقد أن الكاتب استغلَّ جهل إطلاع لجنة البوكر على روايات وأفلام الخيال العلمي وأقنعهم بروايته الهجينة (حرب الكلب الثانية) هذه المشتقة من هذه الأفلام والتي قُدِّمت مِرارًا في أفلام حديثة وروايات عديدة... هذا مؤسف حقًا ، فقد قدَّم هنا خلطة مزعجة غير منطقية متضاربة مكررًا ما سبق وقيل ولم يأتي بالجديد ، وعينه على الجائزة المالية لا غير ، طامحًا للعالمية والترجمة والرواج، وقد سبق ولخَّصت للكاتب روايتين ونشرتهما في موقع "الرأي الاخر"، وهما "أرواح كليمنجارو وملك الجليل"، وقد لاحظت طموح الكاتب "المتعجل" بمقاربة القصص الوطنية الواقعية والترائية، ولكن أسلوبه يعاني بصراحة من الترهل والإطالة والتكرار وبالحد القليل من النَفس الوصفي الإبداعي العميق والمؤثر (لنقارن كتابته مثلاً مع منهجية جورج

أورويل في "أيام بورمية" مثلاً وغيرها من الروايات الضخمة الممتعة والحافلة بالرسائل المجازية الذكية)... كما لاحظتُ أن نَفس الكاتب متطفل على الكتابة السينمائية التي لا يأخذها على محمل الجد، وربما سمحت له هوايته بمشاهدة الأفلام الهوليودية الخيالعلمية باقتباس الكثير من الأفكار ووضعها في روايته الفائزة بلا تنقيح وفلترة ووعي حقيقي بمدى خطورة الاقتباس لمن لا دراية حقيقية له بالخيال العلمي "الخلاق"، مما جعله يجافي المنطق في حالات كثيرة لأنه انغمس في تدفق كتابي غزير طموح بلا تعمق بحثي أصيل، كما فعل الكاتب الجزائري واسيني الأعرج مثلاً في رواية "العربي الأخير".



وأرجو أخيرًا أن يقنعه حصوله على هذه الجائزة العربية- العالمية المهمة لأن يهدأ قليلاً ويتروى ويحاول أن يبذل جهدًا بقراءة الروايات العالمية الرفيعة المستوى لكي يتعلم منها أن الفن الروائي الإبداعي الحقيقي، والذي يكمن في المنهجية الرصينة والأصالة الإبداعية وعدم التكرار والاستعجال وما نسميه بالعامية المعبِّرة " الشلفقة"، وعليه أن يعي وغيره من الروائيين "العرب" المتسرعين الطامحين بالشهرة والمجد المزيف، وكذلك مع دور النشر المتسرعة الساعية للربح لا غير، أن كتابة الرواية عمل رصين شاق وهادئ وليس مثل كتابة المقالة العاجلة والقصة القصيرة، راجيًا أن لا يغرق

في بحر الغرور والصلف والادعاء والتبجح، ثم لتبقى قضية فلسطين "أولاً وأخيرًا" هي الغالبة على النهج الروائي الفلسطيني العربي، وليس مجرد الاستنساخ المكرر لقصص أفلام هوليودية التي مللنا حقًا من كثرة مشاهدتها في قاعات السينما ومن ثيماتها المتطابقة...

وأرجو أن لا يفسد اختلافي بالرأي للود قضية.

ملخص إبداعي لكتاب "سينما الشعر" / لـ عبد الكريم قادري

جدلية اللغة و السيميولوجيا في السينما

ملخص لافت لأهم سمات أفلام "غودار وترفو وتاركوفسكي وبازوليني وأنطونيوني وبيرتلوتشي وبونويل"



ماذا قال جودار الفرنسي (مؤيد الفلسطينيين)عن الربيع العربي
في فيلمه التجريبي اللافت الأخير"صورة الكتاب أو كتاب الصورة" ؟ :

***"كنت سأؤمن به لو كان ثورة حقيقية ، لكنه لم يكن حقًا كذلك"!**

- في العام ١٩٥١ ، تأسست مجلة "كراسات السينما" ، والتي ضمَّت العديد من الأفلام المهمة ، مثل أندريه بازين ، جاك ريفيت ، أريك رومير ، ترفو وجودار. (١٢٤)

- تأثرت الموجة الجديدة بحركة الواقعية الإيطالية ، التي بدأها كل من روسيلليني ودي سيكا وآخرون ، حيث كانوا يذهبون إلى الشارع ، ويستخدمون ممثلين غير معروفين وغير محترفين. (١٢٥)

- أول فيلم لحركة "الموجة الجديدة" ، كان من توقيع المخرج روجر فاديم ، سنة ١٩٥٦ ، والمعنون بـــ "وخلق الله المرأة" ، حيث كتب نصه وكان من بطولة "برجيت باردو" ذات الـــ ٢٢ سنة. (١٢٦)

- "على أخر نفس": هو أخر عمل روائي لافت لجان لوك غودار (١٩٦٠)، بطل القصة شاب ، يحاول التحرر من القيود الاجتماعية ، التي ألجمت طموحه وحركاته نحو التحرر ، حيث يتعرف على فتاة أمريكية لديها نفس هذه الهواجس الداخلية ، وتعيش تقريبًا بنفس أسلوب حياته ، لذا فقد نشأت علاقة بينهما يصعب تفسيرها ، وتحس كمشاهد أن الفيلم لا يحمل أي رسالة اجتماعية، أو أخلاقية، كذلك يبدو وكأنه يفتقد لأي عمق، حيث أنها تقوم في النهاية بخيانته بلا سبب واضح، وجمع غودار هنا ما بين عناصر "الاختزال والإنجاز والارتجال" ، كما أنه نسف فكرة الخط الروائي التقليدي ، ومنع المشاهد من الاستسلام للحبكة القصصية ، والانقياد لها والاندماج بالحدث ، ودفعه قسرًا للتأمل والمشاركة الذهنية لفك رموز ما يشاهده على الشاشة.

- ومن أهم الأفلام الروائية الطويلة أيضًا ، هو فيلم "٤٠٠ ضربة" للمخرج ترفو ، حيث شارك في مهرجان كان ١٩٥٩ ، وحصل على جائزة أحسن مخرج، حيث استند المخرج لأحداث من طفولته. (١٢٧)

- قام جودار باختصار بتثوير شكل الفيلم السينمائي ، وحرره من القيود والمسلمات في لغة السينما ، وذلك من خلال إعادة كتابة قواعد السرد والصوت والصمت والتناسخ ، كما تحدى الأساليب التقليدية الدارجة ، في إنتاج السينما الروائية وتوزيعها وعرضها الهوليوودية ، وحاول استبدالها باستحداث نوع جديد من السينما.(١٣١)

- تقنية جودار : تكمن جلية في أخر أفلام هذه الموجة، بفيلمه "وداعًا للغة"، الذي أُنتج عام ٢٠١٤. (١٢٨)

- الجندي الصغير : انعكاس الفكر للحرية : يتناول فيلم الجندي الصغير لجودار ، قصة تمرد جندي فرنسي ، وذهابه لسويسرا ، وتكليف اليمين المتطرف له ، باغتيال صحفي سويسري متعاطف مع الثورة الجزائرية ، حيث يلتقي أخيرًا بفيرونيكا ويقع في حبها ، وهي التي تعمل لصالح جبهة التحرير ، التي تقبض لاحقًا على برونو بعد أن قرَّر السفر إلى البرازيل برفقة فيرونيكا ، ويتم تعذيبه من قِبل الثوار ، ثم يجد طريقًا للهرب ، بعد أن عقد صفقة مع الفرنسيين ، لتسهيل هروبه ، ثم ليكتشف أن فيرونيكا تعمل لصالح الجبهة ، وهنا تقع هي تحت طائلة التعذيب ، لتلقى مصرعها ، تحت أيدي جلاديها. (١٣٣)

- يحفل هذا الفيلم بفكر جودار الفلسفي ، ويساريته الطافحة ، وفيه إنتاج بارع لنص حافل بالمعضلات المطروحة ، وبلا حلول ظاهرة. (١٣٣)

- حيث يمكنك أن تجد وجودية جودار ، بوجود سارترية متعددة ، كما ستجد عبثية جودار ، برؤى عبثية ألبير كامي ، أيضًا ستجد نسوية "سيمون دي بوفوار" ، كل هذه المفاهيم عكستها المومس "نانا" ، الشخصية الرئيسية في العمل ، في مغامراتها وصلاتها ، بداية من المتجر الذي كانت تعمل فيه ، وحلم حياتها يحفر في أعماقها ، من أجل أن تصبح ممثلة ، ليحيد هذا الحلم ، أو يجبرها على المشي على طرق الشوك ، وتواصل مغامرتها الحياتية ، من عملها كبائعة ، إلى عملها كمومس ، تبيع جسدها لكل من يدفع ، حيث خبرت مختلف المواقف الإنسانية... إنه فيلم يعرّي المجتمع ويفضحه ، من خلال تسليط الضوء على الفرويدية ، لذا جاء المونتاج جافًا وعنيفًا وحادًا بشكل مذهل ، كما أن كل شيء آخر كان خشنًا وجافًا في هذا الفيلم. (١٣٤-١٣٥)

- ليس هناك أكثر إصابة في العمى ، من هؤلاء الذين لا يريدون أن يروا!

– أما فيلم "بيير المجنون" لجودار ، فهو فيلم غريب ، فقد نقل للمشاهد لقطات صادمة ، تسخر وتدين كل شيء : الفن والسياسة والمجتمع والحياة ، لتأتي نهاية الفيلم صادمة ومدهشة وغير متوقعة تمامًا ، وهذا أثناء قيام "فرديناد غريفون" بقتل صديقته " ماريان" ، التي شاركته مغامراته ، مع أخيها المزعوم، ليلحق بها بعد أن يفجر نفسه بمادة الديناميت.

– بالإجمال لقد امتلكت أفلام غودار : البُعد المفاهيمي ، الجمال التصويري والحقيقة الوثائقية الصادمة... وبالتالي لم يكن مفاجئًا انتشار تأثيره بين المخرجين عبر العالم، حيث مثل مدرسة فريدة في الإخراج السينمائي.(١٣٦)

– ماذا قال جودار عن الربيع العربي بفيلمه التجريبي اللافت الأخير"صورة الكتاب أو كتاب الصورة" (لا ليفر دوماج)، والذي حقق جائزة السعفة الذهبية الخاصة في كان ٢٠١٨ (وهو إنتاج فرنسي/سويسري مشترك) ؟ : "كنت سأؤمن به لو كان ثورة حقيقية ، لكنه لم يكن حقًا كذلك"!... رؤية تحذيرية للعالم البائس تضج بالصور في نهاية العقد الثاني للقرن الحادي والعشرين.

الفيلم هو تجربة فلسفية إدراكية فريدة من نوعها ، إنه بمثابة صدمة سينمائية لازمة لأحداث الصدى المطلوب بوعي المشاهد ، وهو يمزج هنا ببراعة مشاهد لافتة من جُملة أفلام سينمائية ذات بصمات خالدة ، مثل فرتيغو لهيتشكوك ، وسالو لبازوليني ، والنهر لرينوار ، والفيل لفاس فان سانت وغيرها ، ويخلطها بشكل مُعبِّر مع مشاهد من مظاهرات الربيع العربي ، ثم ينتقل ببراعة لمقاطع مصورة من فظائع عصابة داعش الإرهابية "المشبوهة" ويتخللها تعليق صوتي مؤثر لجودار نفسه ، والفيلم يخلو تمامًا من الممثلين ، حيث يستعيض جودار عنهم ، بخضم ضخم متنوع من الصور الصادمة... معبِّرًا عن إدانته المطلقة للحروب التي تحدث الدمار الهائل في النفوس والمرافق والأبنية وتقتل البشر وتدمر الحجر ، مختارًا بعناية مشاهد كارثية

للقصف والتفجير والانفجارات والهلاك، طارحًا مواضيع جدلية مثل الدين والسياسة والطائفية والكراهية، كما بهواجس النازية والفاشية ومخاوف التسلح النووي القائم، ثم ينتقل بسلاسة لقصص الثورات وجدواها وتبعاتها ومموليها وأدواتها، منحازًا تاريخيًا للثورة الصادقة الحقيقية، ولكنه مشككًا بجدوى الربيع العربي الخائب، ولا يبرأ غودار ساحة الغرب اللئيم الاستعماري (ولا عملائه العرب الأثرياء من التواطؤ والتمويل السخي)، ومشيرًا بإصبع الاتهام لتسببه المقصود بالفوضى "الخلاقة وغير الخلاقة"، مشيرًا لعدم الفهم المزمن للعالم العربي والبعد الاستشراقي المشبوه... منتقلاً إلى لقطات للوحات رسامين غربيين مرموقين لنساء الشرق الجميلات... ومدى الافتتان بأجسادهن الممتلئة (ما يسمى الحريم)، ويستهل غودار فيلمه الأخير هذا بلقطة معبِّرة ليد بشرية ترفع باستفزاز "السبابة والإبهام"، تاركًا الغموض سيد الموقف: فهل المقصود الوعيد والتهديد، أم الإنذار، أم التريث والتأمل... أو ربما يشير لطريق الخلاص أو اللامبالاة والعذاب وصيحات الإنذار ؟! (هذه الفقرة بكاملها هي إضافة "نوعية" من كاتب المقال، مشتقة ومعدلة ومعادة الصياغة باختصار من تقارير مهرجان كان المنشورة بصحيفة القدس العربي اللندنية)...



- كان المخرج الكبير بازوليني يقول: "إنني لا أخطئ الوجوه"...

- يعد النقاد أخر فيلم لبازوليني قبل اغتياله "سالو" من أكثر الأفلام تطرفًا في تاريخ السينما، ومثلثها الأزلي المتمثل في السياسي والعسكري ورجل الدين، حيث يتحدث بتركيز شديد وصراحة متناهية عن دوران الإنسان في فلك السلطة.

- إن السينما تقوم بنسخ الواقع صوتًا وصورة، ما الذي تفعله إذًا بنسخها للواقع غير التعبير عن الواقع بالواقع. (٧٦)

- قال برتولوشي معلقًا على فيلمه "١٩٠٠" المنتج بالعام ١٩٧٦، فيما معناه بأنه مغتبط لأنه حصل على ملايين الدولارات، من بعض المنتجين الحمقى في هوليوود، لكي يصنع أكبر "علم أحمر" عرفته السينما في تاريخها، مع حرصه الدائم على الجمالية، وتجديد التقنية، حيث معظم قضاياه المطروحة سياسية- فكرية، يجيد ببراعة تخبئتها وراء القصص الاجتماعية، أو يتناولها أحيانًا دون مواراتها، لذا يمكن وصف سينما برتولوشي بالسينما الراهنة والمعاصرة جدًا، التي تعبِّر عن الوعي الثقافي الأوروبي. (١١٧)

- يضيف: "فرانسيس فورد كوبولا وماتن سكورسيزي وستيفن سبيلبيرغ"، كلهم أخبروني بأن فيلم "الممتثل" (عن رواية ألبرتومورافيا)، كان هو المؤثر الأول لديهم، فما الذي وجدوه ملهمًا في الفيلم؟ بناؤه المركب أو المعقد، أم الاسترجاع (الفلاش باك)؟ (١١٩)

*على غرار فيلمه المثير للجدل "التانغو الأخير في باريس" (١٩٧٢)، يخرج بيرتولوشي مكبوتات جنسية عميقة من الماضي، ساعيًا لتلطيف الحاضر والمستقبل، حيث يرفع من مكانة الجسد إلى أعلى مراتبها، ليغضب الجسد عن كل شيء، عن الاستهلاكية الرأسمالية، عن الخطابات المضادة لحرية الجسد، عن حفريات الذات المضطربة والخانقة من الجسد. (١٢٠)...

(وقد اعترفت الممثلة ماريا شنايدر مؤخرًا قبل وفاتها بأن "مارلون براندو وبرتلوشي" قد تآمرا عليها في لقطة الاغتصاب الشهيرة في الفيلم، حيث ادعت أن الاغتصاب بالزبدة كان حقيقيًا ومؤلمًا ومهينًا)!



– فالرؤية "الفوكونية" تتجلى في بصريات بيرتولوشي دائمًا، خاصةً رؤية فوكو حول بيولوجيا الجسد، وثلاثية "الذاتوية والمعرفة والسلطة"، حيث يفزعنا هذا المخرج عن ديناميكية ذواتنا، التي تفعل ما تريده لكي تشعر بالخلاص: خلاص الجسد، خلاص الحب، خلاص الخلاص.

– وأخيرًا فبرتولوتشي يعد أسطورة تحرر الجسد من كل شيء، والدفاع عنه بأشكال ما بعد حداثية فوضوية متحررة من كل القيود. (١٢١).. كما يتحاشى في أغلب أفلامه الانزلاق صوب البروباغندا السياسية، بقدر ما ينحاز إلى التأمل في الأحداث والشخوص، وأجواء خاصة تعبر عن مواقف بليغة، تلتزم بالمشهديات الجمالية والمجاميع الضخمة. (١١٣)

– هناك العديد من المشاهد الشعرية في فيلم "الصحراء الحمراء" لأنتنيوني، مثل مشهد أزهار البنفسج في المقدمة، أو كمشاهد الحلم بعد تنقية الألوان، لتذكرنا بالشواطئ الرملية الاستوائية. (٨٩)... كما أن أفلامه تدمج ما بين "الواقعية البنيوية والجديدة والأسطورية". (٩٢)

- أبدع بيرجمان في فيلمه الشاعري الكلاسيكي "عين الشيطان" عبر التصوير الثابت بلقطات بعيدة وقريبة جدًا ، لم نشعر كمشاهدين بحركة الكاميرا فيها ، لتظهر كلوحات سينمائية ، تتماثل أحيانًا مع أعمال شابلن وميزوجوشي ، ثم كمثال لقطات عديدة لفيلم "روما مدينة مفتوحة"، الذي كان يمثل أيضًا الواقعية الجديدة. (٩٦)

- يتمثل موجز السينما الشعرية في عدة نقاط مهمة هي: الإلهام الأسلوبي، واللغوي، والذاتي الحر غير المباشر، ولن ننسى تضمين الذرائع الشخصية بشكل رمزي. (٩٨)

- **خصائص أفلام أنتونيوني:**

- كرَّس هذا المخرج قدراته على إظهار ما يسمى "الشكلية الإخبارية"، بتعميق بصماته الإخراجية، المتمثلة في اللقطات الطويلة، وضعف ترابط المشاهد، وكسر ضبط السرد، ثم تصاعد الأحداث وتقطع المونتاج، كما أنه لا يهتم بالحالات الانفعالية لشخصياته، ولا يحترم تغيير حالتها النفسية وفقًا للمواقف المختلفة، ومعظم أفلامه تتحدث عن فقدان وخسارة وألم، وجميعها تحكي عن أناس ضائعين، يهيمون على وجوههم، ويبحثون ملاذ وهوية وخلاص، ولا أحد كما قال الياباني "كيراساوا" استطاع أن يصوِّر العواطف والمشاعر الإنسانية بمثل هذه الرهافة والحساسية والشعرية والشفافية التي تتسلل تحت الجلد لتحرك العواطف. (١٠٧)

- كانت حياة أنتونيوني حافلة بالإنجازات والرؤى ومفعمة بالسينما الحقيقية، وقد كلَّل هذا المسار، من خلال نيله ـــهم الجوائز العالمية، من بينها الدب الذهبي في البندقية، عن فيلم "الصحراء الحمراء"، والسعفة الذهبية بـــ"كان" عن فيلم "اللقطة المكبرة"، وجائزة لجنة التحكيم، وأوسكار قدمته له أكاديمية

الفنون عن مجمل أعماله في العام ١٩٥٥، كما نال جائزة الأسد الذهبي عن مجمل أعماله، بمهرجان البندقية سنة ١٩٩٣.

- "رولان بارت" هو أول من دعا إلى التحليل السيميولوجي للصورة.

- ثم أخيرًا : "بونويل يعزف على السينما مثلما كان باخ يعزف على آلة الأرغن الموسيقية" / مقولة جودار حول سينما بونويل، وينهي المؤلف كتابه بقراءة سيميولوجية متانية لفيلم بونويل الشهير "كلب أندلسي"(١٩٣٩)، الذي يعد نموذجًا فريدًا للسينما الفلسفية/ الشعرية المتطرفة.

(السيريالية كشعرية متطرفة
قراءة سيميولوجية في فيلم "كلب أندلسي" لبونويل)

- مفتتح:

كان يا ما كان : شرفة ليلاً... ثم رجل يقف جنب نافذة، يشحذ موسى، يتطلع إلى السماء، فيرى سحابة تتحرك نحو قمر بدر، وبينما تمرُّ السحابة عبر وجه القمر، تقطع شفرة الموسى عين امرأة شابة.

بونويل في اللقطة الأولى هنا، يؤسس لنوع جديد لرؤية الفن السينمائي، فتدمير عين فتاة جميلة ما هي إلا استعارة استفزازية تدعونا لرؤية هذا الفن السينمائي الساحر بعيون جديدة.

- بعد ثمانية سنوات:

شارع مقفر والدنيا تمطر.

غرفة عادية بالدور الثالث في الشارع نفسه، امرأة شابة تلبس رداء بألوان فاقعة، تجلس بمنتصف الغرفة منتبهة، وهي تقرأ كتابًا، حيث يتشتت انتباهها

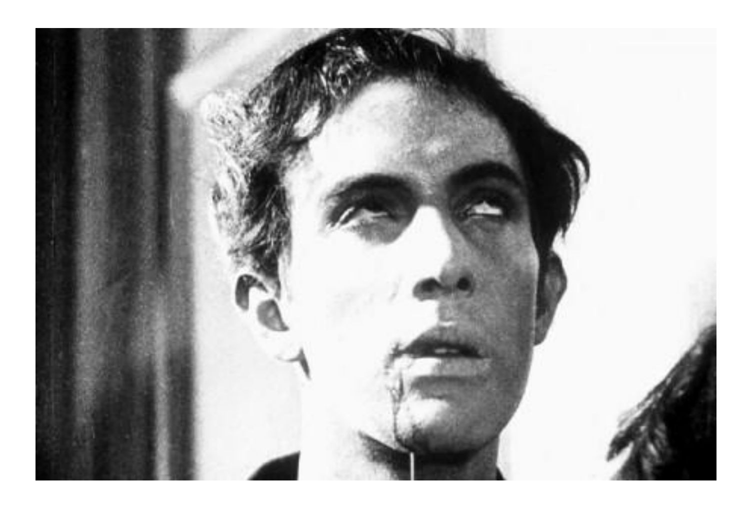
فجأة عن القراءة... ثم تسير بخطو سريع نحو النافذة: الغرفة نفسها، قرب الثالثة صباحًا، منذ ستة عشر عامًا... في الربيع: كل شيء تغير... ثم لقطة النهاية...

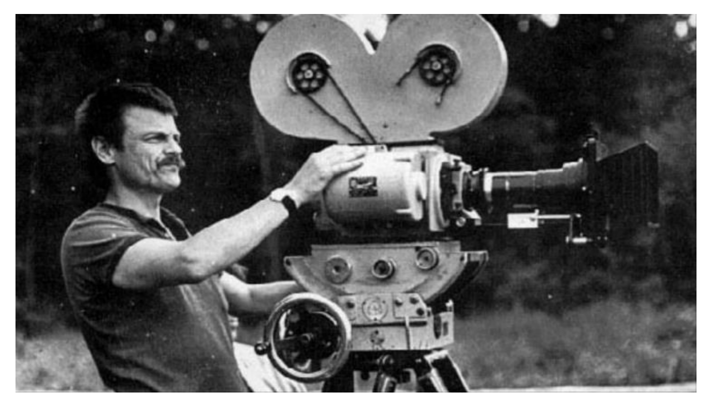
تبدو في الفيلم الدلالة هي اللا دلالة، والترابط في اللا ترابط، بمثابة إعادة تشكيل الوعي، وهدف القصيدة السينمائية هنا هو كشف المجهول، والبحث عن اللاوعي كوسيلة تعبير... هناك ثورة هائلة على الأشكال والمضامين القديمة، في خضم البحث عن أشكال ومضامين جديدة خلاقة.

– لقد بني سيناريو هذا الفيلم الفريد على إساس حلمين، واحد لبونويل، يتمثل بشفرة الحلاقة التي تشق عين المرأة، والثاني هو حلم صديقه دالي، الذي رأى فيه يدًا يخرج من وسطها النمل، وعلى أساس هذين الحلمين، تمَّ بناء هذه التحفة السيريالية الخالدة، وكان الهدف هو إحداث صدمة عنيفة بداخل وعي المشاهد، وإدخاله في متاهة الجنون.

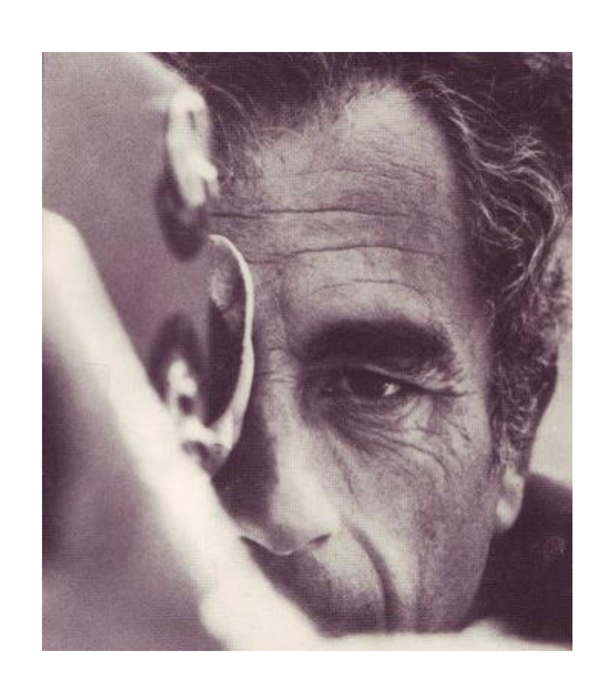


أخيرًا ، فقد اكتشف الكاتب (عبد الكريم قادري) أن بعض النُّقاد العرب لهم نظرة سطحية جدًا، وربما نظرة خاطئة لسينما الشعر، كما أني اكتشفت أنهم يخلطون تمامًا ما بين السينما الشعرية والسينما الفلسفية، وبعضهم (من وجهة نظري النقدية) يكتب بشكل سطحي تافه واستهلاكي وإخباري، عاجزًا حتى أحيانًا عن توضيح حبكة ومغزى الأفلام التي يتحدثون عنها، بل ينغمس بعضهم بجرد أسماء وإعداد وفئات العاملين والفنيين في فيلم ما بشكل لا معنى له، سوى استغفال القارئ العربي المسكين، وأشعر للأسف أحيانًا وكأن البعض يتحدث عن أفلام لم يشاهدها أبدًا على الشاشة، فهو قد يتحدث مثلاً عن "المختلس" بدلاً من "المتحرش" في وصفه للمعتدي في فيلم جنون لسودربيرغ، وكذلك يضع الاستيلاء على واحة الفردوس الافتراضية كبديل لاكتشاف المفاتيح الثلاثة التي تقود البطل المراهق للظفر ببيضة الفصح المخبأة في فيلم "اللاعب الجاهز أولاً" لسبيلبيرغ، مستغفلاً القُراء المساكين، وربما ينقل أحيانًا ملخصه "بشكل سطحي" من صفحة الفيلم على الإنترنت، متناسيًا جُلّ التفاصيل السينمائية الجوهرية، في استغفال غريب للصحيفة والقارئ العربي المسكين، كما يقوم بعضهم بعرض ملخصات مسلوقة عامة لأفلام المهرجانات، تحفل بالثناء النقدي المبالغ به والعرض البالغ التلخيص غير المفيد، ولا يلتقط أحيانًا الثيم الجوهرية للأفلام التي يتحدث عنها، من منطلق المجاملة والعلاقات العامة والاستسهال والاستغفال (وكله عند العرب صابون والسلام وربما أحيانًا بطيخ وشمام)، وهذا بالحق مؤسف تمامًا ومحزن، ولا يساعد في ارتقاء مستوى النقد السينمائي في العالم العربي، ولا على تمييز الغث من الثمين، ولا حتى على تطوير الصناعة السينمائية العربية.

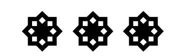








- ألخّص عادةً الكُتب المعرفية والروايات بهذه الطريقة الموجزة (المبتكرة) التي تستند لسرد أهم الفقرات والجُمل والملاحظات (من وجهة نظري النقدية والمعرفية) ، ثم أذهب أحياناً لتلخيص منهجية وأسلوب الكاتب بشكل لافت، كما أسلّط الأضواء على أهم النقاط والتعبيرات، وباعتقادي أن هذا ملائم للكثير من القُرّاء المثقفين المتعجلين المهتمين (في عصر الإنترنت الرقمي) ، والذين لا يرغبون ربما بقضاء الساعات الطويلة لقراءة رواية أو كتاب ما ، ولكنهم يهتمون بالإلمام بالخطوط الرئيسية ومعرفة الأحداث والخلاصة المعرفية. راجيًا أن أكون قد وُفقت في تحقيق هذا الهدف.



المؤلف في سطور

- مهند محمد عارف النابلسي.
- كاتب وباحث وقصصي وناقد سينمائي ، أردني / فلسطيني ، من مواليد ٢٠ شباط فبراير ١٩٤٩ في نابلس ، فلسطين ، ومقيم حاليًا في عمَّان / الأردن.
- حاصل على شهادة الماجستير في الهندسة الكيماوية من جامعة فرايبرغ ، ألمانيا.
- عضو رابطة الكتاب الأردنيين منذ ١٩٩٩.
- عضو الاتحاد العربي لكتاب الإنترنت منذ تأسيسه عام ٢٠٠٧.
- الجوائز الأدبية التي حصل عليها :

– جائزة رابطة الكتاب الأردنيين : في المقالة الأدبية ، عام ١٩٩٥

– جائزة رابطة الكتاب الأردنيين : في قصص الخيال العلمي ، عام ١٩٩٦

– جائزة رابطة الكتاب الأردنيين : في القصة ، عام ١٩٩٧

– جائزة رابطة الكتاب الأردنيين : في الرواية ، عام ١٩٩٨

- كتب أكثر من ١٥٠٠ مقالة وقصة وخاطرة وبحث في أكثر من عشرة مواقع إلكترونية عربية شهيرة (مثل عود الند واكسيير وديوان العرب وصوت العرب ودنيا الوطن الفلسطينية ورأي اليوم اللندنية والشروق الباريسية... الخ) ،كما كتب بعدة صحف محلية وإقليمية وعالمية كالقدس العربي والحياة اللبنانية ، كما أنه ينشر مقالات متخصصة دورية بالنقد السينمائي بمواقع عربية متخصصة هولندية ومغربية وبحرينية وعراقية ولبنانية وأمريكية وخليجية (كموقع الناقد السينمائي المشهور محمد رضا "ظلال وأشباح" وموقع عين على السينما اللندني وموقع عود الند الأدبي اللندني ، ومواقع الصدى وساسابوست وسنابل المميزة).

- **متخصص أيضًا بالكتابة في مجالات الإدارة والجودة والتميز من منطلق خبرته الطويلة بهذه المجالات كمستشار وباحث ومدرب ومرشد ومقيم معتمد.**
- **تابع دراسته المتخصصة عن طريق الإنترنت فحصل على أربع شهادات متخصصة بإدارة الجودة (من جامعة مانيتوبا الكندية بالعام ٢٠٠٢) ، ومستويات أحزمة "السيكس سيجما" الثلاث (الأخضر واللين والأسود) حتى حصل على شهادة الماستر في الحيود السداسي من جامعة فيلانوفا الأمريكية في العام ٢٠٠٧.**
- **نشر أول كتاب عالمي معرب بعلم "السيكس سيجما" بواسطة دار وائل للنشر في العام ٢٠٠٥ ، وحصل هذا الكتاب على جائزة أحسن كتاب تقني بمسابقة جامعة فيلادليفيا الأردنية لأحسن كتاب في العام ٢٠٠٥.**
- **صدر له كتاب آخر في العام ٢٠٠٢ تناول موضوعي الجودة الشاملة والكايزن وصدر بالتعاون مع جمعية الجودة الاردنية.**
- **كما أنجز مخطوطتين (غير منشورتين) في نصوص الخيال العلمي.**
- **في العام ٢٠١٦ قام الموقع المهجري العربي الشهير "ديوان العرب" بمنحه درع التميز في المقالة النقدية من بين تسعة كتاب عرب مبدعين ومشهورين في مجالات الكتابة القصصية الإبداعية والشعر ، كما منح في نفس العام شهادات تقدير من الموقعين الإلكترونيين "الفكر وجاردينا".**
- **مؤخرًا نشر مقالات سينمائية متخصصة في مجلتي "أفكار" الاردنية ومجلة "السينمائي" القطرية. وفي العام ٢٠١٨ ، وقد تمَّ منحه شهادات تقدير جديدة من موقعي "الصدى والنور" المهجرين.**

– **البريد الإلكتروني: Alnabulsi.muhannad5@gmail.com**



Tel :(+2) 01288890065

www.shams-group.net